جامع السعادات

۴۹۱

ربّ يسّر ولا تعسّر

وقف خاص

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي خلق الانسان وجعله افضل انواع الاكوان وصيّره نسخة لما اوجده من عوالم الامكان اظهر فيه عجايب قدرته القاهرة
وابان فيه غرايب عظمته الباهرة ربط به الناسوت باللاهوت واودع فيه حقايق الملك والملكوت خمّر طينته من الظلمات والنور وركب فيه دواعي
الخير والشر وعجنه من المواد المختلفة وجمع فيه القوى والاوصاف المتناقضة ثم ندبه الى تهذيب نفسه بالتقويم والتعديل وحثّه على تحسينها
بعد ما سهّل له السبيل والصلوة على نبينا الذي اوتي جوامع الحكم وبعث لتتميم محاسن الاخلاق والشيم وعلى آله الذين هم مصابيح الظلم ومفاتيح
ابواب السعادة والكرم صلى الله عليه وعليهم اجمعين **اما بعد** فيقول طالب السعادة الحقيقية محمد بن ابي ذر النراقي نصره الله بعونه نفسه
وجعل يومه خيرا من امسه انه لا ريب في ان الغاية من وضع النواميس والاديان وبعثة المصطفين من عظماء الانسان هو سوق الناس من
مراتع البهائم والشياطين وايصالهم الى روضات العليين وردعهم عن مشاركة اسراء ذل الناسوت ومصاحبة قرناء الطاغوت الى
مجاورة سكان صقع الملكوت ومرافقة قطان قدس الجبروت ولا يتيسر ذلك الا بالتخلي عن ذمايم الاخلاق والتحلي بشرايف الصفات
وفضائلها فيجب على كل عاقل ان يأخذ همته ويبذل جهده في تطهير قلبه عن اوساخ الطبيعة وارجاسها وتغسيل نفسه عن اقذار الجسمية
وانجاسها قبل ان يتيه في بيداء الشقاوة ويهوي في مهاوي الضلالة والهلاكة ويبذل جده وجهده في استخلاص نفسه عن
مخالب القوى الامارة ما دام الاختيار بيده اذ لا ينفع الندامة وطرده في غده ثم لا ريب في ان التزكية موقوفة على معرفة مهلكات
الصفات ومنجياتها والعلم باسبابها ومعالجاتها فهذا هو الحكمة الحقة التي مدح الله اهلها ولم يرخص لاحد جهلها وهي
الموجبة للحيوة الحقيقية والسعادة السرمدية والتارك لها على شفا جرف الهلكات وربما احرقته نيران الشهوات وقد كان
السلف من الحكماء يبالغون في نشرها وتدوينها وجمعها وتبيينها على ما ادت اليه قوة انظارهم وادركوه بقرايحهم
وافكارهم والحجج الشريعة النبوية على صادعها الف سلام وتحية حثت على تحسين الاخلاق وتهذيبها وبينت دقايقها
وتفصيلها حيث اضمحل في جنبه ما قرره اساطين الحكمة والعرفاء وغيرهم من اهل الملل والاديان الا انه لما كان ما ورد منها منتشرا
في موارد مختلفة متفرقا في مواضع متعددة تعسر ان يحيط به الكل فلا بد من ضبطه في موضع واحد ليسهل تناوله للكل فجمعت في
هذا الكتاب خلاصة ما ورد من الشريعة الحقة مع نبذة مما اورده اهل العرفان والحكمة على نهج تقر به اعين الطالبين وذكرت
اولا بعض المقدمات النافعة في المطلوب ثم اشير الى اقسام الاخلاق ومباديها من القوى وضبطها باجناسها وانواعها ونتايجها
ثم اتعرض الى المعالجات الكلية لذمايم الاخلاق والجزئية لكل خلق مذموم ما له اسم مشهور ويشتغل الافعال المذمومة وقد
يذكر ضده المحمود وما يدل على فضله عقلا ونقلا لان العلم بفضيلة كل خلق والمداومة على آثاره اقوى علاج لازالة ضده ولا اتابع
القوم من تقديم الرذايل باسرها على الفضايل بل اذكر اولا ما يتعلق بالقوة العقلية من الفضايل والرذايل على النهج المذكور ثم
ما يتعلق بالثانية منها والثالث لانه ادخل في ضبط الاخلاق ومعرفة اضدادها والعلم بمباديها واجناسها ومن اهم الامور للطالبين
هذا الفن وما تعرضت لتدبير المنزل وسياسة المدن لان غرضنا في هذا الكتاب انما هو مجرد اصلاح النفس وتهذيب الاخلاق وسميته

جامع السعادات

وقف خاص

جامع السعادات ورتبته على ثلثة ابواب **الباب الاول** في المقدمات **الاول** اعلم ان الانسان ينقسم الى سر وعلن وروح وبدن ولكل منهما
منافيات وملايمات والام ولذات ومهلكات ومنجيات فمنافيات البدن والامه هي الامراض الجسمانية وملايماته هي الصحة واللذات
الجسمانية والمتكفل لبيان تفاصيل هذه الامراض ومعالجاتها هو علم الطب ومنافيات الروح والامه هي رذايل الاخلاق التي
تهلكه وتفنيه وصحته رجوعه الى فضايلها التي تسعده وتنجيه وتوصله الى مجاورة اهل الله ومقربيه والمتكفل لبيان هذه
الرذايل ومعالجاتها هو علم الاخلاق ثم ان البدن مادي فان والروح مجرد باق فان اتصف بشرايف الصفات كان في البهجة
والسعادة ابدا وان اتصف برذايلها كان في العذاب والشقاوة مخلدا ولا بد لنا من الاشارة على تجرده وبقائه بعد خراب
البدن ترغيبا للطالبين على السعي في تزكيته وحفظه عن الشقاوة الابدية **فصل** لا ريب في تجرد النفس وبقائها بعد قطع علاقتها
عن البدن اما الاول والمراد به عدم كونها جسمانيا وجسمانية فيدل عليه وجوه منها ان كل جسم لا يقبل صورا واشكالا
كثيرة الا بعد زوال الصورة او الشكل الاول منه والنفس تقبل الصور المتعددة المختلفة من المحسوسات والمعقولات من دون
ان يزول الاول عنها بورود الاخر بل كلما قبلت صورة ازدادت قوتها على قبول الاخرى ولذا تشتد القوة على ادراك الاشياء بالرياضات الفكرية
وكثرة النظر فثبت عدم كونها جسما ومنها ان حصول الابعاد الثلثة للجسم لا يتصور الا بان يصير طويلا عريضا عميقا وحصول الالوان
والطعوم والروايح له لا يتصور الا بان يصير ذا لون وطعم ورايحة وتحصيل النفس وقوتها الوهمية بالادراك من غير ان يصير كذلك وايضا حصول بعضها
للجسم يمنع من حصول مقابله ولا يمنع ذلك في النفس بل يقبلهما في آن واحد على السواء ومنها ان النفس يلتذ بما لا يلايم الجسم من الامور العقلية و
المعارف الحقيقية ولا يميل الى اللذات الجسمية الجسمانية والخيالية والوهمية بل تحن ابدا الى الابتهاجات العقلية الصرفة التي ليس للجسم
وقواه فيها نصيب وهذا اوضح دليل على التغاير اذ لا ريب في ان ما يحصل لبعض النفوس الصافية عن شوايب الطبيعة من البهجة والسرور
بادراك العلوم الحقة الكلية واللذات المجردة النورية القدسية وبالمناجات والعبادات والمواظبة على الاذكار في الخلوات مع صفاء النيات
لا مدخلية له للجسم وقواه الخيالية والوهمية وغيرها اذ النفس قد تغفل في تلك الحالة عنها بالكلية وربما استغرقت بحيث لا يشعر بالبدن
ولا بد انها بدنا وكانها متخلية عنه فهذا دليل على انها من عالم آخر غير عالم الجسم وقواه اذ التذاذها بالملايمات الجزئية التي تدركها الحواس
الظاهرة والباطنة ومنها ان النفس تدرك الصور الكلية المجردة فيكون محلا لها ولا ريب في ان المادي لا يكون محلا للمجرد اذ كل مادي ذو وضع
قابل للانقسام وكون المحل ذا وضع قابل للانقسام يستلزم ان يكون حاله ايضا كذلك كما ثبت في محله والمجرد لا يمكن ان يكون كذلك والا خرج عن
حقيقته فالنفس لا يكون مادية واذا لم تكن مادية كانت مجردة لعدم الواسطة ومنها ان القوى الجسمية الباطنة لا يكتسب العلوم الا
من طريق الحواس الظاهرة اذ ما لم يدرك الشيء بها لم يمكن للحواس الباطنة ان تدركه وهذا وجداني ضروري والنفس قد تدرك
ما لا طريق لشيء من الحواس الظاهرة الى ادراكه كالامور المجردة والمعاني البسيطة الكلية واسباب الاتفاقات والاختلافات التي بين المحسوسات والفروق
العقلية القاضية بانه لا مدخلية لشيء من الحواس في ادراك شيء من ذلك وايضا تحكم بانه لا واسطة بين النقيضين وهذا الحكم غير ماخوذ
من مبادي حسية اذ لو كان ماخوذا منها لم يكن قياسا اوليا فهو ماخوذ من المبادي الشريفة العالية التي تبتني عليها القياسات الصحيحة
وايضا هي حاكمة على الحس في صدقه وكذبه وتدرك غلطه في افعاله وترد عليه احكامه كتخطئتها للبصر فيما يراه اصغر مما هو عليه في الواقع او بالعكس
وفيما يراه مستديرا وهو مربع او منكوسا وهو صحيح او معوجا وهو مستقيم او منكوسا وهو منتصب او مختلفا وضعه الواقعي
وفي رؤيته للاجسام للاشياء المتحركة على الاستدارة كالحلقة والطوق وكتخطئتها للسمع فيما يدركه في المواضع الصقيلة المستديرة
عند الصدى للتحقق في ادراكه الحلوم او مثله وكذا الحال في الشم واللمس ولا ريب في ان تخطئة النفس للحواس في هذه الادراكات

حكما بما هو المطابق للواقع انما يكون مسبوقا بالعلم الذى لا يكون ملحوظا من الحس لان الحاكم على الشى لابد ان يكون مثبتا منه فلا يكون علمه الذى هو مناط الحكم ماخوذا عنه ومما يؤكد ذلك انها عالمة بذاتها وبكونها مدركة لمعقولاتها ومعلوم ان هذا العلم ماخوذ من جوهرها دون مبادى اخر ومنها انا نشاهد ان البدن وقواه يضعفان في افعالهما وانالها والنفس بقوة في ادراكاتها وصفاتها في سن الكهولة او يكونان تجويفه الافعال مع كونها ضعيفة فيها كما في سن الشباب ولو كانت جسمانية لكانت تابعة لهما في الضعف والقوة فان قلت الادراك وساير الصفات الكمالية للنفس يضعفان ويختل بضعف البدن او اختلاله كما نشاهد في المشايخ والمرضى وتجردها ينافى ذلك قلنا الضعف او الاختلال انما يحدث في الادراك والافعال المتعلقة بالقوى الجسمية واما ما يحصل للنفس بجوهرها بواسطة القوى الجسمية بعد صيرورته ملكة لها فلا يحصل فيه اختلال وضعف بل يصير ظهوره اشد وتاثيره اقوى واما الثانى اعنى بقاؤها بعد المفارقة عن البدن فالدليل عليه بعد ثبوت تجردها ان المجرد لا يتطرق اليه الفساد لا مزحقيقة وتحقيقه لا يليق كما صرح به المعلم الاول وغيره ووجهه

فصل اذا عرفت تجرد النفس وبقاؤها ابدا فاعلم انها اما متلذذة متنعمة دائما او معذبة متالمة كذلك والتذاذها يتوقف على كمالها الذى يخصها ولما كانت لها قوتان النظرى والعملى فكمال القوة النظرية الاحاطة بحقايق الموجودات بمراتبها والاطلاع على الجزئيات الغير المتناهية كما يدرك كلياتها والترقى منه الى معرفة المعلم الحقيقى وغاية الكل حتى يصل الى مقام التوحيد ويتخلص عن وساوس ويطمئن قلبه بنور العرفان وهذا الكمال هو الحكمة النظرية وكمال القوة العملية التخلى عن الصفات الردية والتحلى بالاخلاق المرضية ثم الترقى منه الى تطهير السر وتخليته عما سوى الله سبحانه وهذا هو الحكمة العملية التى هذا الكتاب يشتمل على بيانها وكمال القوة النظرية بمنزلة الصورة وكمال القوة العملية بمنزلة المادة فلا يتم احدهما بدون الاخر ومن حصل له الكمالان صار بانفراده عالما صغيرا شابها للعالم الكبير وهو الانسان التام الكامل الذى تلالا قلبه بانوار الشهود وبه يتم دائرة الوجود

فصل فضائل الاخلاق من المنجيات الموصلة الى السعادة الابدية ورذائلها من المهلكات الموجبة للشقاوة السرمدية فالتخلى من الثانية والتحلى بالاولى من اهم الواجبات والوصول الى الحياة الحقيقية بدونهما من المحالات فيجب على كل عاقل ان يجتهد في اكتساب فضائل الاخلاق التى هى الاوساط المثبتة من صاحب الشريعة والاجتناب عن رذائلها التى هى الاطراف ولو قصر في ذلك لهلك الابدية اذ كان الجنين لو خرج عن طاعة تلك الارحام المتوسطة في الخلق لم يخرج الى الدنيا حيا سويا سميعا بصيرا فالطفل كذلك من خرج عن طاعة ابن الاحكام المتوسطة في الخلق لم يخرج الى عالم الاخرة كذلك ومن كان في هذه الدنيا اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ثم ما لم تحصل التخلية لم تحصل التحلية ولم تستعد النفس للفيوضات القدسية كما ان المرات ما لم تذهب الكدورات عنها لم تستعد للارتسام الصور فيها والبدن ما لم يزل عنه العلة لم يتصور له افاضة الصحة والثوب ما لم ينق عن الاوساخ لم يقبل لونا من الالوان فالمواظبة على الطاعات الظاهرة لا ينفع ما لم يتطهر النفس من تهذيب الصفات المذمومة كالكبر والحسد والريا وطلب الرياسة والعلو وارادة السوء للاقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد وفى العباد واى فايدة في تزيين الظواهر مع اهمال البواطن ومثل من يواظب على الطاعات الظاهرة ويترك تفقد قلبه كبئر الحش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة او كبيت مظلم وضع السراج على ظاهره فاستنار ظاهره وباطنه مظلم او كرجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه فلا يزال يقوى اصله وينبت فان الاخلاق المذمومة في القلب هى مغارس المعاصى فمن لم يطهر قلبه منها لم يتم له الطاعات

الظاهرة

الظاهرة او كمريض به جرب وقد امر بالطلاء ليزيل عنه ظاهره ويشرب الدواء لقلع مادته من باطنه فقنع بالطلاء وترك الدواء متناولا ما يزيد في المادة فلا يزال يطلى الظاهر والجرب يتفجر من المادة التى في الباطن ثم اذا تخلت عن مساوى الاخلاق وتحلت بمعاليها على الترتيب العلمى استعدت لقبول الفيض من رب الارباب ولم يبق لشدة القرب بينها حجاب فيرتسم فيها صور الموجودات على ما هى عليه على سبيل الكلية بل بعدها ولو انتهى الذاتية لامتناع احاطتها بالجزئيات من حيث الجزئية لعدم تناهيها وان علمت في ضمن الكليات لعدم خروجها عنها وحينئذ يصير موجودا تاما ابدى الوجود سرمدى البقاء فائزا بالرتبة العليا والسعادة القصوى قابلا للخلافة الالهية والرياسة المعنوية فيصل الى اللذات الحقيقية والابتهاجات العقلية التى ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولم يتصور على الاذهان

وصل الاخلاق المذمومة هى الحجب المانعة عن المعارف الالهية والنفحات القدسية اذ هى بمنزلة الغطاء للنفوس فما لم يرتفع عنها لم يتضح لها جلية الحق اتضاحا كيف والقلوب كالاوانى فاذا كانت مملوة بالماء لا يدخل الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله لا يدخلها معرفة الله وحبه وانسه والى ذلك اشار النبى صلى الله عليه وآله بقوله لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى ادم لنظروا الى ملكوت السموات والارض فبقدر ما يتطهر القلوب عن هذه الخبائث يحاذى شطر الحق الاول ويتلألأ فيها حقايقه كما اشار اليه النبى صلى الله عليه وآله ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها فان التعرض لها انما هو بتطهير القلوب عن الكدورات الحاصلة عن الاخلاق الردية فكل اقبال على طاعة او اعراض عن سيئة يوجب جلاء ونورا للقلب يستعد به لافاضة علم يقينى ولذا قال سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال النبى صلى الله عليه وآله من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فالقلب اذا صفى عن الكدورات الطبيعية بالكلية يظهر له من المزايا الالهية والافاضات الرحمانية ما لا يمكن درك للاعاظم العلماء كما قال سيد الرسل ان لى مع الله حالات لا يحتملها ملك مقرب ولا نبى مرسل وكل سالك الى الله انما يعرف من الالطاف الالهية والنفحات الغيبية ما ظهر له على قدر استعداده واما فوقه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق ايمانا بالغيب كما انا نؤمن بالنبوة وخواصها ونصدق بوجودها ولا نعرف حقيقتها كما لا يعرف الجنين حال الطفل والطفل حال المميز والمميز من العوام حال العلماء والعلماء حال الانبياء والاولياء فالرحمة الالهية بحكم العناية الازلية مبذولة على الكل غير مضنون بها على احد لكن حصولها موقوف على تصقيل مرآة القلب وتصفيتها عن الخبائث الطبيعية ومع تراكم صداها الحاصل منها لا يمكن ان يتجلى فيها شئ من الحقايق فالحجب الانوار العلمية والاسرار الربوبية على قلب من القلوب لتجلى حضرة المنعم تعالى شانه عن ذلك بل الاحتجاب انما هو من جهة القلب بكدورته وخبثه واشتغاله بما يضاد ذلك ثم ما يظهر للقلب من العلوم الطاهرة وصفا جوهره هو العلم الحقيقى النورانى الذى لا يقبل الشك وله غاية الظهور والجلاء لاستفادته من الانوار الالهية والالهامات الحقة الربانية وهو المراد بقولهم انما هو نور يقذفه الله في قلب من يشاء واليه اشار امير المؤمنين عليه السلام بقوله ان من احب عباد الله اليه عبدا اعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن وتجلبب الخوف فزهر مصباح الهدى في قلبه الى ان قال قد خلع سرابيل الشهوات وتخلى من الهموم الا هما واحدا انفرد به فخرج من صفة العمى ومشاركة اهل الهوى وصار من مفاتيح ابواب الهدى ومغاليق ابواب الردى قد ابصر طريقه وسلك سبيله وعرف مناره وقطع غماره واستمسك من العرى باوثقها ومن الحبال بامتنها فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس وفى كلام اخر له قد احيا قلبه وامات نفسه حتى دق جليله ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فابان له الطريق وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة ودار الاقامة وثبتت رجلاه لطمانينة بدنه في قرار الامن والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه وقال في وصف الراسخين من العلماء هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش

من الجاهلين نحو محبي الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى وبالجملة ما لم يحصل للقلب التزكية لم يحصل له هذا القسم من المعرفة
اذ العلم الحقيقي عبادة القلب وقربة السر وكما لا يصح الصلوة التي هي عبادة الظاهر الا بعد تطهيره من النجاسة الظاهرة فكذلك
لا يصح عبادة الباطن الا بعد تطهيره من النجاسة الباطنة التي هي رذايل الاخلاق وخبائث الصفات كيف وفيضان انوار العلوم
على القلوب بواسطة الملكة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يدخل الملائكة بيتا فيه كلب فاذا كان بيت القلب مشحونا بالصفات الخبيثة التي
هي كلاب نابحة لم يدخل فيه الملائكة القادسة والحكم بثبوت النجاسة الظاهرة للمشرك مع كونه مغسول الثوب نظيف البدن انما هو لسراية
نجاسة الباطنة فقوله صلى الله عليه وآله بني الدين على النظافة يتناول نوعي النجاستين وما ورد من ان الطهور نصف الايمان والمراد منه طهارة
الباطن عن خبائث الاخلاق وكان النصف الاخر تحليته بشريف الصفات وعمارته بوظايف الطاعات وبما ذكر ظهر ان العلم الذي يحصل من
طريق المجادلات الكلامية والاستدلالات الفكرية من دون تصقيل جوهر النفس لا ينفك عن الكدورة والظلمة ولا يستحق اسم اليقين
الذي يحصل للنفوس الصافية فما نظنه كثير من اهل التعلق بقاذورات الدنيا انهم على حقيقة اليقين في معرفة الله سبحانه خلاف الواقع
لان اليقين الحقيقي يلزمه روح ونور وبهجة وسرور وعدم الالتفات الى ما سوى الله والاستغراق في لجج عظمة الله ولعل من تخيل منهم ان ذلك
حاصل لهم فاظنوه يقينا اما تصديق مشوب بالشبهة او اعتقاد جازم لم يحصل له نورانية وجلاء وظنوه يقينا لكثرة
تلبسهم بالحاصلة من خبائث الصفات والسر في ذلك ان منشأ العلم ومناطه هو التجرد كما بين في مقامه فكلما يزداد النفس تجردا يزداد ايمانها
ولا ريب انه ما لم يرتفع عنها استار السيئات وحجب الخطيئات لم يحصل لها التجرد الذي هو مناط حقيقة اليقين فلا بد من المجاهدة
العظيمة في التزكية والتحلية حتى ينفتح ابواب الهداية ويتضح سبل المعرفة كما قال سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا

فصل كل نفس في بدو الخلقة خالية عن الملكات باسرها وانما يتحقق كل ملكة بتكرر الافاعيل والاثار الخاصة بيان ذلك ان لكل فعل
او قول ما دام وجوده في الاكوان الحسية لا حظ له من الثبات لان الدنيا دار التجدد والزوال لكن يحصل منه اثر في النفس واذا تكرر
استحكم الاثر فصار ملكة راسخة مثاله الحرارة التي تحدث في الفحم فانها ضعيفة اولا واذا اشتدت تجمرت ثم استضائت ثم صارت صورة
نارية محرقة لما قاربها مضيئة لما قابلها وكذا الاحوال النفسانية اذا تضاعفت قوتها صارت ملكات راسخة وصورا باطنة يكون
مبادي للاثار المختصة بها فالنفوس الانسانية في اوايل الفطرة كصحايف خالية عن النقوش والصور تقبل كل خلق بسهولة واذا
استحكمت فيها الاخلاق تعسر قبولها لاضدادها ولذلك سهل تعليم الاطفال وتاديبهم وتنقيش نفوسهم لكل صورة وصفة
ويتعسر او يتعذر تعليم الرجال البالغين وردهم عن الصفات الحاصلة لهم لاستحكامها ورسوخها ثم الاخلاق فان هذه الملكات
وافعالها اللازمة لها ان كانت فاضلة كانت موجبة للالتذاذ والبهجة وموافقة الملائكة والاخيار وان كانت ردية كانت مقتضية
للالم والعذاب ومصاحبة الشياطين والاشرار وانما الخلاف في كيفية ايجابها للثواب والعذاب فمن قال ان الجزاء مغاير للعمل
قال ان كل ملكة وفعل يصير منشأ لترتب ثواب او عقاب مغاير له يفعله الله سبحانه على التفصيل الوارد في الشريعة ومن قال ان العمل نفس الجزاء
قال ان الهيئات النفسانية اذا اشتدت وصارت ملكة تصير متمثلة ومتصورة في عالم الباطن والملكوت بصورة يناسبها
اذ كل شيء يظهر في كل عالم بصورة خاصة فان العلم في عالم اليقظة امر عرضي يدرك بالعقل والوهم وفي عالم النوم بصورة اللبن
فالظاهر في العالمين شيء واحد هو العلم لكنه يتجلى في كل عالم بصورة والسرور يظهر في عالم النوم بصورة البكاء وقيل ومنه يظهر تقديره
في عالم آخر في اللذات الجسمانية التي ليست في هذا العالم يظهر في ذلك الجزاء بصورة تسوله وتقوله ذلك وتركها وتحمل مشاق العبادات والطاعات
والصبر على المصائب والبليات تصير لذة في عالم الاخرة مع كونها موذية في هذا العالم ثم القائل بهذا المذهب قد يطلق على هذه الصورة اسم الملك

ان كانت من فضايل الاخلاق او فواضل الاعمال واسم الشيطان ان كانت من اضدادها وقد يطلق على الاولى اسم الغلمان والحور وامثالها وعلى
الثانية اسم الحيات والعقارب واشباههما ولا فرق بين الاطلاقين في المعنى وانما الاختلاف في الاسم وهذا المذهب يرجع الى القول بتجسد
الاعمال بصورة نورانية مفرحة او صورة موحشة معذبة وقد ورد بذلك اخبار كثيرة منها ما رواه اصحابنا عن قيس بن عاصم عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال يا قيس ان مع العز ذلا وان مع الحيوة موتا وان مع الدنيا الاخرة وان لكل شيء رقيبا وعلى كل شيء حسيبا وان لكل اجل كتابا
وانه لا بد لك من قرين يدفن معك وهو حي وتدفن معه وانت ميت فان كان كريما اكرمك وان كان لئيما اسلمك ثم لا يحشر الا معك
ولا تحشر الا معه ولا تسئل الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان صلح انست به وان فسد لا تستوحش الا منه وهو فعلك ومنها ما
استفاض من قولهم ان من فعل كذا خلق الله له ملكا يستغفر له الى يوم القيمة ومنها ما ورد ان الجنة قيعان وغراسها سبحان الله
ومنها ما روي ان الكافر خلق من ذنب المؤمن ومنها قولهم المرء مرهون بعمله ومنها قوله صلى الله عليه وآله الذي يشرب في انية الذهب والفضة انما يجرجر
في بطنه نار جهنم ويدل عليه قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وما كان في قوله تعالى والجزء في الاماكنة تعملون وقوله انما تجزون
ما كنتم تعملون اشارة اليه حيث قال ما كنتم ولم يقل بما كنتم وقال بعض العرفاء من الحكماء سيعاد عليك في افعالك واقوالك وافكارك ويظهر لك
من كل حركة فكرية او قولية او عملية صورة روحانية فان كانت الحركة غضبية او شهوية صارت مادة لشيطان يؤذيك في حيوتك ويحجبك
عن ملاقات النور بعد وفاتك وان كانت الحركة عقلية صارت ملكا تلتذ بمنادمته في دنياك وتهتدي به في اخراك الى جوار الله و
كرامته انتهى وهذه الكلمات صحيحة فان مواد اللذات ومنشأ العقوبات هي التصورات الباطنية والهيئات القلبية والملكات النفسية المصورة
بصور روحانية وجودها وجود ادراكي والانسان اذا انقطع تعلقه من هذه الدار وكان مسافرته الى دار القرار وخلص عن
شواغل الدنيا الدنية وكشف عن بصره غشاوة الطبيعة فوقع بصره على وجه ذاته والتفت الى صفحة باطنه وصحيفة نفسه ولوح
قلبه وهو المعبر بقوله سبحانه واذا الصحف نشرت وقوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فما كان ذاكرا وغافلا عنه
وعينا ومرا وجليا يشاهد ثمرات افكاره واعماله ويرى نتايج انظاره وافعاله ويطلع على جزاء حسناته وسيئاته ويحضر عنده
جميع حركاته وسكناته ويدرك حقيقة قوله سبحانه وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا
اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فمن كان في غفلة عن احوال النفس ومضيعا للساعات يومه وامسه يقول ما لهذا
الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا وقد ليق هذا المذهب بصيرورة الملكات صورا روحانية باقية الى ابد الدهر
موجبة للبهجة والالتذاذ او التوحش والتالم بانه لو لم يكن تلك الملكات والنيات باقية ابدا لم يكن للخلود في الجنة او النار وجه صحيح
اذ لو كان المقتضي للثواب والعذاب نفس العمل والقول وهما زايلان لزم بقاء المسبب مع زوال السبب وهو باطل وكيف يجوز
للحكيم ان يعذب عباده ابد الدهر لاجل المعصية في زمان قصير فاذن منشأ الخلود هو الثبات في النيات والرسوخ في الملكات
ومع ذلك فمن يعمل مثقال ذرة من الخير او الشر يرى اثره في صقع نفسه او في صحيفة اعلى وارفع من ذاته ابدا كما قال سبحانه في صحف
مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة والسر فيه ان الامر الذي يبقى معها الى حين مفارقتها من الدنيا ولم يرتفع عنها في دار
التكليف يبقى معها ابدا ولا يرتفع عنها اصلا لعدم تجددها بما يوجب زواله بعد مفارقتها عن عالم التكليف ثم الظاهر
ان هذا المذهب عند من قال به من اهل الشرايع بيان الكيفية الثواب والعقاب الروحانيين مع اذعانه بالجنة والنار
الجسمانيتين اذ لو كان مراده قصر اللذة والثواب والالم والعقاب في الجنات والقصور والغلمان والحور والنار والحميم والزقوم

والضيع وسايرها ورد في الشريعة القاهرة من امور القيم على ما ذكر فهو مخالف لضرورة الدين تنبيه الدنيا والاخرة متضادتان
فكلما يقرب العبد الى احديهما يبعد عن الاخرى وبالعكس كما دلت عليه البراهين الحكمية والشواهد الذوقية والادلة السمعية فكل ملكة او حركة
او قول او فعل يقرب العبد الى دار الطبيعة والغرور يبعده عن عالم البهجة والسرور وبالعكس فاسوء الناس حالا من لم يعرف حقيقة الدنيا
والاخرة وتضادهما ولم يخف سوء العاقبة ففني عمره في طلب الدنيا واصلاح امر المعاش وقصر سعيه على جر المنفعة لبدنه من نيل شهوة او
بلوغ لذة او اكتساب ترفع ورياسة او جمع المال من غير تصور لما يصل اليه من غاية كما هو عادة اكثر ابناء الدنيا ولم يعرف غير هذه الا
من المعارف الحقيقية والفضايل الخلقية والاعمال الصالحة المقربة الى عالم البقاء فكانه يعلم خلوده في الدنيا ولا يرجو بعد الموت ثواب
عمل والامراء فعل ولا يعتقد بما يرجوه المؤمنون ويؤمله المتقون من الخير الدايم واللذات الخالفة لهذه اللذات الفانية التي يشاركها
فيها السباع والبهائم فاذا ادركه الموت مات على حسرة وندامة ايسا من رحمة الله قايلا يا حسرتى على ما فرطت في جنب اعاذنا الله
من سوء الخاتمة ووفقنا لتحصيل السعادة الدائمة فصل المزاج مدخلية تامة في الصفات فبعض الامزجة في اصل الخلقة مستعد لبعض
الاخلاق وبعضها مقتض لخلافه فانا نقطع بان بعض الاشخاص بحسب جبلته عن الاسباب الخارجية بحيث يغضب ويخاف ويحزن
بادنى سبب وينفعل بادنى تعجب وبعضهم بخلاف ذلك وقد يكون اعتدال القوى فطريا بحيث يبلغ الانسان كامل العقل فاضل
الاخلاق غالبة قوة العاقلية على قوة الغضب والشهوة كما في الانبياء عليهم السلام وقد يكون تجاوز تقاعد عن الوسط كذلك بحيث يبلغ
ناقص العقل رذيل الصفات مغلوبة عاقلته تحت سلطان الغضب والشهوة كما في بعض الناس الا ان الحق كلما امكن تحليها بالمعالجات المقررة
في علم الاخلاق يجب السعي في ازالة نقايصها وتحصيل فضايلها وعجبا الاقوام يبالغون في اعادة الصحة الجسمانية الفانية ولا يجتهدون في
تحصيل الصحة الروحانية الباقية يطيعون قول الطبيب الجسماني في شرب الاشياء الكريهة ومزاولة الاعمال القبيحة لاجل صحة زايلة
ولا يطيعون امر الطبيب الالهي لتحصيل السعادة الدائمة وبقاء النفس على النقصان اما لعدم وقوفها على طلب المفصح للالات العوائق
والموانع او مزاولة النقص لتمكنه جهرا ولكثرة اشتغالها بالشواغل الهوسية او لضعف القوة العاقلة فان لم يدركها العناية الالهية
فلا يزال يتزايد النقصان ويبعد عن الكمال الذي خلق لاجله الى ان يدركها الهلاكة الابدية والشقاوة السرمدية نعوذ بالله من ذلك
وان ادركته الازلية فيصرف همه في ازالة النقايص واكتساب الفضايل فلا يزال يتصاعد من مرتبة من الكمال الى فوقها حتى يصير من
اهل مشاهدة الجلال العالجمال ويتشرف بجوار الرب المتعال ويصل الى السرور الحقيقي الذي لا عين رات ولا اذن سمعت
الذي اشير اليها في قوله سبحانه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وصل الخلق عبارة عن ملكة للنفس مقتضية لصدور
الافعال بسهولة من دون احتياج الى فكر وروية والملكة كيفية نفسانية بطيئة الزوال وبقيد الفكر خرج الحال لانها
كيفية نفسانية سريعة الزوال وسبب وجود الخلق اما المزاج كما مر او العادة بان يفعل فعلا بالروية والتكلف
ويصبر عليه الى ان يصير ملكة له ويصدر عنه بسهولة وان كان مخالفا لمقتضى المزاج واختلف الاوايل في امكان ازالة الاخلاق
وعدمه فقالت الاقوال ان بعضها طبيعي يمتنع زواله وبعضها غير طبيعي حاصل عن اسباب خارجية يمكن زواله ورجح
المتاخرون الاول وقالوا ليس شيء من الاخلاق طبيعيا ولا مخالفا للطبيعة بل النفس بالنظر الى ذاتها قابلة للاتصاف من طرفي التضاد
اما بسهولة ان كان موافقا للمزاج او بعسر ان كان مخالفا له فاختلاف الناس في الاخلاق لاختلافهم في الاختيار والمزاولة لاسباب خارجية
حجة القول الاول ان كل خلق قابل للتغيير وكل قابل للتغيير ليس طبيعيا فينتج لا شيء من خلق طبيعيا والكبرى بديهية والصغرى
وجدانية فانا نجد ان الشرير يصير خيرا بمصاحبة الخير والخير شريرا بمجالسة الشرير او منه ان التاديب غير تاثير عظيم في ذلك

فصل

الاخلاق ولولاه لم يكن للقوة الروية فايدة ولبطل التاديب والسياسات ولغت الشرايع والديانات ولما قال الله سبحانه قد افلح من زكيها
ولما قال النبي صلى الله عليه وآله حسنوا اخلاقكم ولما قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وستمنع كلية الصغرى فانا نشاهد ان بعض الاخلاق في بعض الاشخاص
غير قابل للتبديل سيما ما يتعلق بالقوة النظرية كالحدس والتحفظ وجودة الذهن وحسن التعقل ومقابلاتها كما هو معلوم
من حال بعض الطلبة فانه لا ينجح سعيهم في التبديل مع مبالغتهم في المجاهدة وما قيل من لزوم تعطل القوة المميزة وبطلان التاديب والسياسات و
مدفوع بان هذا اللزوم اذا لم يكن شيء من الاخلاق قابلا للتغيير واما مع قبول بعضها او اكثرها له فلا يلزم شيء مما ذكر ولو كان عدم
قبول بعض الاخلاق للتغيير موجبا لبطلان الشرايع والاخلاق لكان عدم قبول بعض الامراض للصحة مقتضيا لبطلان علم الطب مع انا نعلم
بديهة ان بعض الامراض لا يقبل العلاج وحجة القول الثاني ان الاخلاق باسرها تابعة للمزاج والمزاج لا يتبدل ولاختلاف امزجة الشخص
واحد في مراتب سنه لا ينافي ذلك لجواز تابعيته لجميع مراتب هذا المزاج وايد ذلك بقوله صلى الله عليه وآله الناس معادن كمعادن الذهب
والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام وبقوله صلى الله عليه وآله اذا سمعتم جبلا زال عن مكانه فصدقوه واذا سمعتم برجل زال
عن خلقه فلا تصدقوه فانه سيعود الى ما جبل عليه والجواب ان توابع المزاج من المقتضيات التي يمكن زوالها لا من اللوازم
التي يمتنع انفكاكها لما ثبت في الحكمة من ان النفوس الانسانية متفقة في الحقيقة وفي بدو فطرتها خالية عن جميع الاخلاق والاحوال كما هو
شأن العقل الهيولاني فلما يحصل لها منها اما من مقتضيات الاختيار والعادة او استعدادات الابدان في الامزجة والمقتضي ما يمكن زواله
كالبرودة للماء لا ما يمتنع انفكاكه كالزوجية للاربعة والخبر الاول لا يفيد المطلوب بوجه والثاني مع عدم ثبوته عندنا يدل على ان الاخلاق مطلوبهم
سيعود الى ما جبل عليه يفيد امكان ازالة الخلق بالاسباب الخارجية من التاديب والنصايح وغيرهما وبعد ازالته بها يعود بانقطاعها كبرودة
الماء التي تزول ببعض الاسباب ويعود بعد زوال السبب فلو داوم على حفظ الاسباب وابقائها لم يحصل العود اصلا واذ تبين بطلان القولين
الاولين فالحق القول بالتفصيل يعني قبول بعض الاخلاق بل اكثرها بالنسبة الى الاكثر للتبديل بالحس والعيان ولبطلان السياسات والشرايع
لولاه ولامكان تغير خلق البهائم اذ ينتقل الصيد من التوحش الى الانس والفرس من الجماح الى الانقياد والكلب عن الهراشة الى التاديب فكيف
لا يمكن في حق الانسان وعدم قبول بعضها بالنسبة الى البعض لما للمشاهدة والتجربة وهذا البعض مما لا يكون متعلق التكليف كالاخلاق
المتعلق بالقوة العقلية من الذكاء والحفظ وحسن التعقل وغيرها والتصحيح يعطي اختلاف الاشخاص والاخلاق في الانتقال والاتصاف
بالضد بالامكان والتعذر والسهولة والتعسر وبالتقليل والرفع بالمرة ولذا لو تصفحت اشخاص العالم لم تجد شخصين متشابهين
في جميع الاخلاق كما لا تجد اثنين متماثلين في الصورة وليشير الى ذلك قوله صلى الله عليه وآله اعملوا فكل ميسر لما خلق له وقال ارسطاليس يمكن صيرورة الاشرار
اخيارا بالتاديب الا ان هذا ليس كليا فانه ربما اثر في بعضهم بالزوال وفي بعضهم بالتقليل وربما لم يؤثر اصلا ثم المراد من التغير
ليس رفع الغضب والشهوة مثلا واماطتهما بالكلية فان ذلك غير ممكن لانهما خلقتا لفايدة ضرورية في الجبلة اذ لو انقطع الغضب
عن الانسان بالكلية لم يدفع عن نفسه ما يهلكه ويؤذيه وامتنع جهاد الكفار ولو انعدم عنه شهوة الطعام لم يبق حيوة ولو بطل عنه
شهوة الوقاع بالمرة لضاع النسل بل المراد ردهما من الافراط والتفريط الى الوسط فالمطلوب في صفة الغضب خلو النفس عن الجبن و
والتهور والاتصاف بحسن الحمية وهو ان يحصل الغضب اذا استحسن حصوله شرعا وعقلا ولا يحصل اذا استحسن عدمه كذلك وكذا الحال في صفة
الشهوة ولا ريب في ان وجد بعض الموجودات الناقصة من القوة وغيرها اذا وجد فيه قوة الكمال الى كماله لكن اذا كان له شرطا يرتبط
باختيار العبد فكما ان النواة يمكن ان يصير نخلا بالتربية لوجود قوة التخلية فيه وتوقف فعليتها على شرط التربية التي
بيد العبد فكذلك يمكن تعديل قوتي الغضب والشهوة بالرياضة والمجاهدة لوجود قوة التعديل فيهما وتوقف فعليته على

شرط ان تبط باختيار العبد اغنى الرياضة والمجاهدة وان لم يمكن لنا قلعها بالكلية كما لا يمكن لنا اعدام شيء من الموجودات او ايجاد شيء من المعدومات ثم شرائط الرد تختلف بالنسبة الى الاشخاص والاخلاق ولذا يرى ان التبديل يختلف باختلاف مراتب السياسات والتاديب فيمكن ان لا يقع في بعض من خلق مرتبة من التاديب وقد يقع بمرتبة منه ضعيفا والاسهل قبولا لكل خلق الاطفال لخلو نفوسهم من الاضداد المانعة من القبول فيجب على الاباء تاديبهم بالاداب الجميلة وصونهم من ارتكاب الاعمال القبيحة لتعتاد نفوسهم بترك الرذائل واكتساب الفضائل والمؤدب الاول هو الناموس الالهي والثاني اولو الاذهان القويمة من اهل المعارف والحكمة فيجب تقييدين بان تاديبها بالنواميس الربانية اولا وتنبيهم بالحكم والمواعظ ثانيا **فصل** لما عرفت ان الحيوة الحقيقية للانسان يتوقف على تهذيب الاخلاق الممكن بالمعالجات المقررة في هذه الصناعة تعرف انها اشرف العلوم وانفعها لان شرف كل علم انما هو بشرف موضوعه او غايته وشرف صناعة الطب على صناعة الدباغة بقدر شرف بدن الانسان واصلاحه على جلود البهائم واصلاحها وموضوع هذا العلم هو النفس الناطقة التي هي حقيقة الانسان وذاته وهو اشرف الانواع الكونية كما برهن عليه في العلوم العقلية وغايته كمال النفس اوليس من اول الانسان الى اخره ولكونه ذا عرض عريض متصلا اوله بافق البهائم واخره بافق الملائكة لا يكاد ان يوجد التفاوت الذي بين اشخاص هذا النوع وافراد ساير الانواع فانه اخس الموجودات ومنه اشرف الكائنات كما قيل ولم ار امثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد الف بواحد اي نقد ما صلاحه ندانم چه کوهری کز آسمان بلندتری از خاک کمتری والحمد لله الذي يشير الى سيد السلام الى ذوات باسمه فوجبت بهم ولا ريبة ان هذا التفاوت لاجل الاختلاف في الاخلاق والصفات لاشتراك الكل في الجسمية ولواحقها وهذا العلم هو الباعث للوصول الى اعلى مراتبها وبه يتم الانسانية ويعرج من حضيض البهيمية الى ذروة الرتب الملكية واي صناعة اشرف مما يوصل اخس الموجودات الى اشرفها ولذلك كان السلف من الحكماء لا يطلقون العلم حقيقة الا عليه ويسمونه بالاكسير الاعظم وكان اول تعاليمهم وبالغون في تدوينه وتعليمه والبحث عن اجماله وتفصيله ويعتقدون ان المتعلم ما لم يهذب اخلاقه لا ينفعه ساير العلوم وكان البدن الذي ليس بالنقي كلما غذوته فقد زدته شرا فكذا النفس التي ليست نقية عن ذمايم الاخلاق لا يزيده تعلم العلوم الا فسادا ولذا ترى اكثر المتشبهين بزي الحكماء اسوأ حالا من العوام مائلين عن وظايف الايمان والاسلام اما الشد قرصهم على جمع المال غافلين عن حقيقة المال او لغلبة حبهم الجاه والمنصب ظنا منهم انه ترويج للدين والمذهب او لوقوعهم في الضلالة والحيرة لكثرة الشك والشبهة او لشوقهم الى المراء والجدال الغالبة الجبلة اظهار التفوقهم على الاقران والامثال او لاطلاق السنتهم على الاباء المعنوية من اكابر العلماء واعاظم الحكماء او لعدم تقيدهم برسوم الشرع والملة ظنا منهم انه مقتضى قواعد الحكمة حيث لم يعلموا ان الحكمة الحقيقية ما اعطته النواميس الالهية والشرائع النبوية حتى كانهم لم يعلموا ان العلم بدون العمل ضلال ولم يتفطنوا لقول نبيهم قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك ولم يتذكروا ان لصاحب البلاهة ادنى الى الخلاص من فطانة بتراء وكل ذلك ليس الا لعدم سعيهم في تهذيب الاخلاق وتحسينها وعدم الامتثال لقوله سبحانه فاتوا البيوت من ابوابها **فصل** قد علمت من تجرد النفس انما هي التجرد في الذات دون الفعل لافتقارها فعلا الى الجسم والالة لحدها انها جوهر ملكوتي يستخدم في حاجته وهو حقيقة الانسان وذاته والاعضاء والقوى الالة التي يتوقف عليها ولها اسماء مختلفة بحسب اختلاف الاعتبارات فيسمى بها لتوقف حيوة البدن عليه وعقلا لادراك المعقولات وقلبا لتقلبه في الخواطر وقد يستعمل هذه الالفاظ في معان اخر يعرف بالقرائن وله قوى اربع قوة عقلية ملكية وقوة غضبية سبعية وقوة شهوية بهيمية وقوة وهمية شيطانية و الاولى شانها ادراك حقايق الامور والتمييز بين الخيرات والشرور والامر بالافعال الجميلة والنهي عن الصفات الذميمة والثانية موجبة لصدور افعال السباع من الغضب والبغضاء والتوثب على الناس بانواع الاذى والثالثة لا يصدر عنها الا افعال البهائم من عبودية الفرج والبطن والحرص على الجماع والاكل والرابعة شانها استنباط وجوه المكر والحيل والتوصل الى الاغراض بالتلبيس والخدع والقائدة في وجود

القوى الشهوية

في القوى الاربعة

6

القوة الشهوية بقاء البدن الذي هو الة لتحصيل كمال النفس وفي وجود الغضبية ان يكسر سورة الشهوية والشيطانية ويقهرها عند انهماكها في الخداع والشهوات واصرارها عليها لانها لتمردها لا يطيعان العاقلة بسهولة بخلاف الغضبية فانها يطيعها ويتادب بتاديبها بسهولة ولذا قال افلاطون ان القوة السبعية والبهيمية اما هذه اي السبعية فهي بمنزلة الذهب في اللين والانعطاف واما تلك اي البهيمية بمنزلة الحديد في الكثافة والامتناع وقال ايضا اصعب ان يصير الخائض في الشهوات فاضلا فلا يطيع الواهمة والشهوية في اوساط الوسط فليستعن بالقوة الغضبية المهيجة للغيرة والحمية حتى يقهرها فلو لم يتمكن مع الاستعانة ثم ان لم يحصل له ندامة بعد ارتكاب مقتضاهما لدلالة غلبتها على العاقلة ومقهورية العاقلة عنهما وقع لا يرجى صلاحه والا فالاصلاح ممكن فليجتهد فيه ولا ييأس من روح الله فان سبل الخيرات مفتوحة وابواب الرحمة الالهية غير مسدودة فمن جاهد فينا لنهدينهم سبلنا والفائدة في القوة الوهمية ادراك المعاني الجزئية واستنباط الحيل والدقائق التي يتوصل بها الى المقاصد الصحيحة وبيان ذلك ان الواهمة والخيال والمتخيلة ثلث قوى متباينة ومباينة للقوى الثلث الاول وشان الاولى ادراك المعاني الجزئية وشان الثانية ادراك الصور وشان الثالثة التركيب والتفاصيل بينهما وكل من مدركاتها اما مطابق للواقع او مخترع من عند انفسها من غير تحققها في نفس الامر وايضا اما من مقتضيات العقل والشريعة ومن الوسائل الى المقاصد الصحيحة او من دواعي الشيطان وما يقتضيه الغضب والشهوة وعلى الاول يكون وجودها خيرا وكمالا وان كان وجودها على الثاني شرا وفسادا والحال في جميع القوى كذلك هذا وقيل ما ورد في القران من النفس المطمئنة واللوامة والامارة بالسوء اشارة الى القوى الثلث الاول اعني العاقلة والسبعية والبهيمية وللحوالها او صاف ثلثة للنفس بحسب اختلاف احوالها فاذا غلبت قوتها العاقلة على الثلثة الاخر وصارت منقادة لها مقهورة منها وزال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سميت مطمئنة لسكونها تحت الاوامر والنواهي وميلها الى ملائماتها التي يقتضيه جبلتها واذا لم يتم غلبتها وكان بينهما تنازع وتدافع وكلما صارت مغلوبة عنها بارتكاب المعاصي حصلت للنفس لوم وندامة سميت لوامة واذا صارت مغلوبة منها مذعنة لها من دون دفاع سميت امارة بالسوء لانه لما اضمحلت قوتها العاقلة واذعنت للقوى الشيطانية من دون مدافعة فكانما هي الامرة بالسوء ثم مثل اجتماع هذه القوى في الانسان كمثل اجتماع ملك او حكيم وكلب وخنزير وشيطان في مربط واحد وكان بينها منازعة ومخاصمة فايها كان غالبا كان الحكم له ولم يظهر من الافعال والصفات الا ما يقتضيه جبلته فكان اهاب الانسان وعاء اجتمع فيه هذه الاربع فالملك او الحكيم هو القوة العاقلة والكلب هو القوة الغضبية فان الكلب ليس كلبا ومذموما للونه وصورته بل للروح التي فيه اعني الضراوة والتكالب على الناس بالعقر والجرح والقوة الغضبية موجبة لذلك فمن غلب عليه هذه القوى فهو الكلب وان اطلق عليه اسم الانسان والخنزير هو القوة الشهوية والشيطان هو القوة الوهمية والتقريب فيهما كما ذكر والنفس على تنازع هذه القوى وتدافعها الى ان يغلب احدها فالغضبية يدعو الى الظلم والايذاء والعداوة والبغضاء والبهيمية يدعو الى المنكر والفواحش والحرص على الماكل والمناكح والشيطانية يهيج غضب السبعية وشهوة البهيمية ويزيد فعلها ويغري احدها بالاخرى والعقل شانه ان يدفع غيظ السبعية بتسليط الشهوية عليها ويكسر سورة الشهوية بتسليط السبعية عليها ويرد كيد الشيطان ومكره بالكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونورانيته الباهرة فان غلب على الكل جعلها مقهورة تحت سياسته غير مقدم على فعل الا باشارته جرى الكل على المنهج الوسط وظهر العدل في مملكة البدن وان لم يغلب عليها وعجز عن قهرها قهروه واستخدموه فلا يزال الكلب في العقر والايذاء والخنزير في المنكر والفحشاء والشيطان في استنباط الحيل وتدقيق الفكر في وجوه المكر والخدع ليرضى الكلب و

يتبع الخنزير فلا يزال في عناء كلب عقور وخنزير هلوع اشقياء فيه وفيه تركه الهلاكة الابدية والشقاوة السرمدية ان لم يغثه العناية الالهية
والرحمة الازلية وقد يمثل اجتماع هذه القوى في الانسان براكب بهيمة طالب للصيد يكون معه كلب وعين من قطاع الطريق فالراكب هو العقل
والبهيمة هي الشهوة والكلب الغضب والعين هو القوة الوهمية التي من جواسيس الشيطان فان كان الكل تحت سلطنة الراكب فعل ما يصلح للكل ومال
الى مقصده وان كانت الغلبة والحكم للبهيمة او الكلب هلك الراكب بذهابه معهما فيما لا يصلح له من التلال والوهاد واقتحامه في موارد الهلكات
وان كان الكل تحت حكم العين وامره افتتنوا بخدعه ومكره لاضلهم بتلبيسه عن سواء السبيل حتى توصلهم الى ايدي السارقين وكذا لو كان
القوى باسرها تحت اشارة العقل وقهرها وغلب عليها وقع لانقيادها له المسالمة والممازجة بين الكل وصار الجميع كالواحد لان المدبر
والمؤثر ليس الا قوة واحدة ويستعمل كل واحد منها في المواضع اللائقة والاوقات المناسبة فيصدر عن كل منها ما خلق لاجله على ما ينبغي من
القدر والوقت والكيفية فيصلح النفس وقواها وقد افلح من زكيها ولو لم يغلب العقل حصل التدافع والتجاذب بينه وبين ساير القوى
ويتزايد ذلك الى ان يؤدي الى اختلال الالة والقوة ويصير العقل مغلوبا فيهلك النفس وقواها وقد خاب من دسيها **تتميم** لما بين ان
للنفس اربع قوى متخالفة ولها في اختلافها كما تبين في العلم الطبيعي بحسب غلبة بعض هذه القوى على بعض يحصل في النفس اختلاف عظيم و
الاختلاف في النفوس انما هو باختلاف صفاتها الحاصل من غلبة بعض قواها المتخالفة اذ هي في بدو فطرتها خالية عن جميع الاخلاق والملكات
وليس لها فعلية اصلا بل هي محض القوة ولذا ليس لها قوام بذاتها وانما يتقوم بالبدن ثم بتوسط قواها يكتسب العلوم والاخلاق وتتصور
بالصور والاعمال الى ان يتقوم بها ويصل الى ما خلق لاجله ولما كانت قواها متخالفة متنازعة فما لم يغلب احدها لم يدخل النفس في عالمها الذي يخصها
فلا يزال بين تنازعها معركة للاثار المختلفة والاحكام المتباينة الى ان يغلب احدها فيظهر في النفس اثاره ويدخل في عالمه الخاص وحيث كانت القوة
العاقلة من سنخ الملائكة والواهمة من حزب الابالسة والغضبية من افق السباع والشهوية من عالم البهائم فبحسب غلبة واحدة منها تكون
النفس اما ملكا او شيطانا او كلبا او خنزيرا فلو كانت الغلبة والسلطنة لقهرمان العقل ظهر في مملكة النفس احكامه واثاره وانتظم احوالها
ولو كانت لغيره من القوى ظهر فيها اثاره فيهلك النفس ويختل معاشها ومعادها ثم المنشأ في التنازع والتجاذب والبقاء في النفس الانسانية انما هو
قوتها العقلية لان التدافع انما هو بينها وبين ساير القوى فليس في نفوس ساير الحيوانات لفقدانها العاقلة تنازع من جانب وان اختلف
في غلبة ما فيها من القوى فان الغلبة في الشياطين للواهمة وفي السباع للغضب وفي البهائم للشهوة واما الملائكة فيخصصونها بالعاقلة وليس فيها ساير
القوى فلا يتحقق فيها تدافع وتنازع فالجامع لعوالم الكل هو الانسان وهو المخصوص من بين المخلوقات بالصفات المتقابلة ولذا صار مظهر الاسماء
المتقابلة الالهية وقابلا للخلافة الربانية وقائما بعمارة عالمي الصورة والمعنى والملائكة وان كانوا مخصوصين بالجنبة الروحانية
ولوازمها من الاشراقات العلمية وتوابعها من اللذات العقلية الا انه ليس لهم جهة جسمانية ولوازمها والاجسام الفلكية وان كان لها
نفوس ناطقة على قواعد الحكمة الا انها خالية عن الطبائع المختلفة والكيفيات المتباينة وليس لها سير في المدارج المختلفة والمراتب المتفاوتة
للتقلب في اطوار النقص والكمال والتحول في جميع التقاليب بخلاف الانسان فانه محيط بجميع المراتب المختلفة وساير في الاطوار المتباينة
من الجمادية والنباتية والحيوانية والملكية وليترقى عن جميع تلك المراتب بان يتحقق له مرتبة مشاهدة الوحدة الصرفة فيتجاوز
عن افق الملائكة فهو النسخة الجامعة لحقائق الملك والملكوت والمعجون المركب من عالمي الامر والخلق قال امير المؤمنين عم ان الله خص
الملائكة بالعقل دون الشهوة والغضب وخص الحيوانات بهما دونه وشرف الانسان باعطاء الجميع فان انقاد شهوته وغضبه لعقله صار افضل
من الملائكة لوصوله الى هذه المرتبة مع وجود المنازع والملائكة ليس لهم مزاحم **وصل** قد ظهر مما ذكر ان للانسان جنبة روحانية يناسب
بها الارواح الطيبة والملائكة القادسة وجنبة جسمانية يشابه بها السباع والانعام فبالجزء الجسماني يقيم في هذا العالم الحسي

مدة قصيرة

مدة قصيرة وبالجزء الروحاني ينتقل الى العالم العلوي ويقيم فيه ابدا في مصاحبة الارواح القدسية بشرط ان يتقوى بقواه حتى كان الامر بحيث
يغلب الجزء الروحاني على الجسماني ويتخلص من نقص كدورات الطبيعة ويظهر فيها الروحانية من العلم بحقائق الاشياء والانس بالله والحب له والتحلي بفضائل
الصفات حتى يقوم الغلبة روحانيا بين الملأ الاعلى ويستمد منهم لطائف الحكمة ويستنير بالنور الالهي ويتهيأ ذلك بحسب دفع العلائق الجسمية
حتى اذا ارتفع عنه حجب الغواسق الطبيعية باسرها وازيل عنه استار العوائق الهيولانية بتمامها تخلص عن جميع الالام والحسرات
وكان ابدا مسرورا بذاته مغتبطا لها مبتهجا بما يرد عليه من فيوضات النور الازلي ولا يسر الا بتلك اللذات ولا يغتبط الا بها ولا يهتش
الا لاهل الحكمة الحقة بين اهلها ولا يرتاح الا بمن ناسبه صاحب الاقتباس منه ولا يبالي بمفارقة الدنيا وما فيها ويرى جسمه وماله وجميع
خيرات الدنيا وبالا وكلا عليه الا ما هو ضروري يحتاج اليه بدنه بل لا يحب ما يفتقر اليه في تحصيل كماله ويحن ابدا الى مصاحبة الذوات النورية
ولا يفعل الا ما اراد الله ثم ضمه ولا يتعرض الا لما يقربه اليه ولا يميل الى متابعة الشهوات الردية ولا ينخدع بخدايع الطبيعة ولا يلتفت
الى ما يعوقه عن سعادته ولا يحزن عن فقد محبوب ولا فوت مطلوب واذا صفى من الامور الطبيعية بالكلية زالت عنه العوارض النفسانية
والخواطر الشيطانية باسرها وفني عنه ارادته المتعلقة بالامور الخارجة ويمتلئ من المعارف الالهية والبهجة الالهية والشوق اليه
ويتقرر الحقايق في عقله كتقرر القضايا الاولية فيه بل يكون علمه بها اشد انارة وظهورا من علمه بها واذا بلغ هذه الغاية فقد
استعد للوصول الى المرتبة القصوى ومجاورة الملأ الاعلى فيصل الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويفوز
بما اشير في الكتاب الالهي بقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **وصل** اعلم ان الغاية في تهذيب النفس عن الرذائل وتكميلها
بالفضائل هو الوصول الى الخير والسعادة والسلف من الحكماء على ان الخير على قسمين مطلق ومضاف والمطلق هو المقصود من ايجاد الكل و
الكل يتشوقه وهو غاية الغايات والمضاف ما يتوصل به الى المطلق والسعادة هو وصول كل شخص بحركته الارادية النفسانية الى كماله في جبلته
وعلى هذا فالفرق بين الخير والسعادة ان الخير لا يختلف بالنسبة الى الاشخاص والسعادة تختلف بالقياس اليهم ثم الظاهر من كلام ارسطاطاليس ان الخير
المطلق هو الكمالات النفسية والمضاف ما يكون معدا لتحصيلها كالتعلم والصحة او نافعا فيه كالمكنة والثروة واما السعادة فعند الاقدمين من
الحكماء راجعة الى النفوس فقط وقالوا ليس للبدن فيها حظ وحصروها في الاخلاق الفاضلة واحتجوا على ذلك بان حقيقة الانسان هو
النفس الناطقة والبدن آلة لها فلا يكون ما يعد كمالا له سعادة للانسان وعند المتأخرين منهم كارسطو ومن تابعه راجعة الى الشخص
من حيث التركيب سواء تعلقت بنفسه او ببدنه لان كل ما يلائم جزءا من شخص معين فهو سعادة جزئية بالنسبة اليه مع انه يتعسر صدور
الافعال الجميلة بدون اليسار وكثرة الاعوان والانصار والبخت السعيد وغير ذلك مما لا يرجع الى النفس ولذا قسموا السعادة الى ما يتعلق بالبدن
من حيث هو كالصحة واعتدال المزاج والى ما يتوصل به الى افعال الخير ويعمله مما يوجب استحقاق المدح كالمال وكثرة الاعوان والى ما يوجب حسن
الحديث وشيوع المحمدة والى ما يتعلق بنجاح المقاصد والاغراض على مقتضى الامل والى ما يرجع الى النفس من الحكمة والاخلاق المرضية وقالوا
كمال السعادة لا يحصل بدون هذه الجملة وبقدر النقصان فيها ينقص وقالوا وفوق ذلك سعادة محضة لا يدانيها سعادة وهو ما يفيض
الله سبحانه على بعض عباده من المواهب العالية والاشراقات العلمية والابتهاجات العقلية بدون سبب ظاهر ثم الاقدمون لذهابهم الى نفي السعادة
للبدن صرحوا بان السعادة العظمى لا يحصل للنفس ما دامت متعلقة بالبدن وملوثة بالكدورات الطبيعية والشواغل المادية بل حصولها
موقوف على مفارقتها عنها لان السعادة المطلقة لم تحصل لها ما لم يصر مشرقة بالاشراقات العقلية ومضيئة بالانوار الالهية بحيث يطلق
عليها اسم العقل التام وذلك موقوف على تخلصها التام عن الظلمة الهيولانية والكدورات المادية واما المعلم الاول ومن تابعه فقالوا ان السعادة
العظمى يحصل للنفس مع تعلقها بالبدن ايضا لبداهة حصولها لمن جمع الفضائل باسرها واشتغل بتكميل غيره وما قيل انه قبل تخلصه ناقص

واذا ما تيسر اتمام السعادة فلها مراتب تحصل للنفس التي في مدارجها بالمجاهدة الى ان تصل الى اقصاها وتحصل تماما وان كان قبل المفارقة
وتكون بعدها ايضا ثم المتأخرون من الطائفتين من حكماء الاسلام قالوا ان السعادة في الاشياء لا يتم الا باجتماع ما يتعلق بالروح والبدن وادناها ان يغلب
السعادة البدنية على النفسية بالفعل الا ان الشوق الى الثانية والحرص على اكتسابها يكون اغلب واقصاها ان يكون بالفعلية والشوق كلاهما
والتأخر الا انه يقع الالتفات الى هذا العالم وينتظم امور بالعرض ملاحظ الامور التي يختص بما يتعلق بالنفس فقط لاستغنائه عن الامور البدنية تختص
السعادة فيهم بالملكات الفاضلة الباقية والعلوم الحقة اليقينية والوصول الى مشاهدة جمال الابد ومعاينة جلال السرمد وقالوا ان الاولى
لشوبها بالزخارف الحسية والكدورات الطبيعية ناقصة كدرة واما الثانية فلخلوها تامة صافية لان المتصف بها ابدا مستنير بالانوار
الالهية مستضيئا بالاضواء العقلية مستبشرا بذكر الله وانسه مستغرقا في جمال عظمته وقدسه وليس له التفات الى ما سواه ذلك ولا يتصور الحسن على فقد
لذة او محبوب ولا شوق الى طبع مرغوب من الامور الدنيوية من وقوع محذور بل يكون منصرف الهمة العقل مقصورا همه على الامور الالهية
من غير التفات الى غيرها وهذا القول ترجيح بطريقة المعلم الاول من حيث اثبات سعادة للبدن والطريقة الاقدمين من حيث تخصيص السعادة العظمى للنفس
مادامت متعلقة بالبدن وهو الحق المختار عندنا اذ لا ريب في كون ما هو وسيلة الى السعادة المطلقة سعادة اضافية ومعلوم ان غرض القائل
بكون متعلقات الابدان كالصحة والمال والعون سعادة انها سعادة اذا جعلت آلة لتحصيل السعادة الحقيقية لا مطلقا اذ لا يقول عاقل ان الصحة
الجسمية والحطام الدنيوية سعادة ولو جعلت وسيلة الى اكتساب سخط الله وعقابه وحاجبة من الوصول الى دار كرامته وثوابه وكذا الذي ...
النفس مادامت متعلقة بالبدن مقيدة في سجن الطبيعة لا يحصل لها العقل الفعلي ولا ينكشف لها الحقائق كما هي عليه انكشافا تاما ولا يصل الى حقيقة
ما يترتب على العلم والعمل من الابتهاجات العقلية واللذات الحقيقية ولو حصلت لبعض المتجردين من جلباب البدن يكون في آن واحد غير كالبرق
الخاطف هذا وقد ظهر من كلام الجميع ان حقيقة الخير والسعادة ليست الا المعارف الحقة والاخلاق الطيبة والعمل وان كان كل من حيث ان حقيقتها
ما يكون مطلوبا بالذات وباقيا مع النفس ابدا وهما كذلك الا انه لا ريب في ان ما يترتب عليهما من حب الله وانسه والابتهاجات العقلية واللذات
الروحانية مغايرة لهما من حيث الاعتبار وان لم ينفك عنهما ومطلوبيته لذاته اشد فالحق ان يخص باسم الخير والسعادة ولو ان كان الجميع خيرا او
سعادة وبذلك يحصل الجمع بين اقوال ارباب النظر والاستدلال واصحاب الكشف والحال واخوان الظاهر من اهل المقامات حيث ذهب العرفاء
الى ان حقيقة السعادة هو العقل والعلم والثانية الى انها العشق والثالث الى انها الزهد وترك الدنيا **وصل** لا تحصل السعادة
الا باصلاح جميع الصفات والقوى دائما فلا تحصل باصلاح بعضها دون بعض ووقتا دون وقت كما ان الصحة الجسمية وتدبير المنزل
وسياسة المدن لا يحصل الا باصلاح جميع الاعضاء والاشخاص والطوائف في جميع الاوقات فالسعيد المطلق من اصلح جميع صفاته وافعاله
على وجه الثبوت والدوام بحيث لا يغيره تغير الاحوال والازمان فلا يزل ولا يضطرب بحدوث المصائب والفتن ولا يشكو بورود النوائب والمحن
ولا يقينه بكثرة الشبهات والرضا باعظم النكبات ولا احسانه بالاساءة ولا صداقته بالعداوة وبالجملة لا يحصل التفاوت في حاله ولو ورد عليه
ما ورد على ايوب النبي ص او على بليناس الحكيم لتشابه ذاته وسوع اخلاقه وصفاته وعدم مبالاته لعوارض الطبيعة وابتهاجه
بنور ذاته وملكاته الشريفة بل السعيد الواقعي لتجرده وتعاليه عن الجسمانيات خارج عن تصرف الطبايع الفلكية متعال عن تأثير الكواكب
والاجرام الاثيرية فلا يتأثر عن سعدها ونحسها ولا ينفعل عن قرانها وتسديسها واهل التسبيح والتقديس لا يبالون بالتثليث
والتسديس وبهما يبلغ بجدهم وقوة نفوسهم مرتبة يحصل لهم ملكة الاقتدار على التصرف في مواد الكائنات ولو في الافلاك وما فيها
كما حصل لخير الانبياء وسيد الاوصياء صلوات الله عليهما وعلى آلهما من شق القمر ورد الشمس وقد ظهر مما ذكر ان من يجزع بورود المصائب
الدنيوية ويضطرب من الكدورات الطبيعية ويدخل نفسه في معرض شماتة الاعداء وترحم الاحباء خارج عن زمرة السعداء لضعف

غريزته

غريزته وغلبة الجبن على طبيعته وعدم نيله بعد الى الابتهاجات التي يدفع عن النفس امثال ذلك ولو مثله لو كلف الصبر والرضاء وتشبه ظاهرا
بالسعداء الكاملين كان باطنه متألما مضطربا وهذا ليس بسعادة لان السعادة الواقعية انما هو من صفة الاخلاق الفاضلة والملكات الراسخة لا تغيرها
المغيرات ظاهرا او باطنا بلغنا الله وجميع الطالبين الى هذا المقام الشريف **وصل** صرح الحكماء بان الغاية المترتبة للسعادة ان يتشبه الانسان
في صفاته بالمبدأ بان يصدر عنه الجميل لكونه جميلا لا لغرض آخر من جلب منفعة او دفع مضرة وانما يتحقق ذلك اذا صار حقيقته المعبر عنها
بالعقل الالهي والنفس المطمئنة متجردا محضا بان يتطهر عن جميع الخباثات الجسمانية والقذارات الحيوانية ولا يحوم حوله شيء من العوارض الطبيعية والخواطر
النفسانية ويمتلئ من الانوار الالهية والمعارف الحقيقية ويتيقن بالحقائق الحقة الواقعية ويصير عقلا محضا بحيث يصير جميع معقولاته
كالقضايا الاولية بل يصير اظهر منها لاشتداد انكشافها ثم وجد الاسوة حسنة بالتشوق مضمون لا افعاله ويصير فعله الهية اي شبيهة
بافعال الله تع فانه لصدور احسنه يقتضي الحس ملحوضه بحاله يصدر عنه الجميل من غير داع خارجي فيكون بذاته غاية لفعله
وفعله غرضه بعينه وكلما يصدر عنه بالذات وبالقصد الاول فانما يصدر لاجل ذاته وذات الفعل وان ترتب منه الفوايد
الكثيرة على الغير بالقصد الثاني وبالعرض قالوا اذا بلغ الانسان هذه المرتبة فقد فاز بالبهجة الالهية واللذات الحقيقية الذاتية فيشمئز
طبعه من اللذات الحسية الحيوانية لان من ادرك اللذة الحقيقية العقلية علم انها اللذة الذاتية والحسية ليست لذة بالحقيقة لتوقفها
وتنوعها وكونها دفع الم وانت خبير بان هذا التصريح محل تأمل لمخالفته ظواهر الشرع فتأمل **وصل** لما ثبت ان القوى في الانسان اربعة
قوة نظرية عقلية وقوة وهمية خيالية وقوة سبعية غضبية وقوة بهيمية شهوية فاعلم ان بازاء كل واحدة منها لذة والم لان اللذة
ادراك الملائم والالم ادراك غير الملائم فلكل من الغرائز المدركة لذة هو مقتضى طبعه الذي خلق لاجله والم هو ادراك مقتضى طبيعته فغريزة
العقل لما خلقت لمعرفة حقايق الامور فلذتها في العلم والمعرفة والمها في الجهل وغريزة الغضب لما خلقت للتشفي والانتقام فلذتها
في الغلبة التي يقتضيها طبعها والمها في عدمها وغريزة الشهوة لما خلقت لتحصيل الغذاء الذي به قوام البدن فلذتها في نيل الغذاء
والمها في عدم نيله وهكذا في غيرها فاللذات والالام اي على اربعة اقسام العقلية والخيالية والغضبية والبهيمية فاللذة العقلية
كالابتهاج الحاصل من معرفة الاشياء الكلية وادراك الذوات المجردة النورية والالم العقلي كالانقباض الحاصل من الجهل واللذة الخيالية
كالفرح الحاصل من ادراك الصور والمعاني الجزئية الملائمة والالم الخيالي كادراك الملائم منها واللذة المتعلقة بالقوة الغضبية
كالانبساط الحاصل من الغلبة ونيل المناصب والرياسات والالم المتعلق بها كالانقباض الحاصل من المغلوبية والعزل والمرؤسية واللذة
البهيمية هي المدركة من الاكل والجماع وامثالها والالم البهيمي ما يدرك من الجوع والعطش والحر والبرد واشباههما وهذه اللذات
والالام يصل الى النفس وهي الملتذة والمتألمة حقيقة الا ان كلا منها يصل اليها بواسطة القوة التي يتعلق بها والفرق بين الكل
فالوهم ربما يشتبه بين ما يتعلق بالوهم والخيال وما يتعلق بالقوة الغضبية من حيث اشتراكهما والترتب على التخيل ويدفع الاشتباه
بان ما يتعلق بالغضبية وان توقف على التخيل الا ان المتأثر بالالتذاذ والتألم بعد التخيل هو الغضبية وبواسطتها يتأثر النفس
ففي هذا النوع من اللذة والالم ما لم تتأثر الغضبية لا تتأثر النفس واما ما يتعلق بالوهم والخيال فالمتأثر بالالتذاذ والتألم
هاتان القوتان ويصل التأثير منهما الى النفس من غير توسط القوة الغضبية ومما توضح الفرق ان الالتذاذ والتألم الخياليين
لا يتوقفان على وجود غالب ومغلوبية مثلا في الخارج واما الغضبيتان فيتوقفان عليهما ثم اقوى اللذات هي العقلية لكونها فعلية ذاتية
غير زائلة باختلاف الاحوال وغيرها من اللذات الحسية انفعالية عرضية منفعلة زائلة وهي في مبدأ الحال المرغوبة عند
الطبيعة ويتزايد بتزايد القوة الحيوانية ويضعف بضعفها الى ان ينتهي بالمرة ويظهر قبحها عند العقل واما العقلية

فهي في البداية منتفية لان ادراكها لا يحصل الا للنفوس الزكية المتحلية بالاخلاق المرضية وبعد حصولها يظهر حسنها وشرفها وشرايف بشرايط العقلية الى ان ينتهي الى اقصى المراتب ولا يكون لها نقص ولا زوال والعجب من ظن انحصار اللذة في الجسمية وجعلها غاية كمال الانسان وسعادته القصوى والمدعون منهم قصروا اللذات الاخروية على الجنة والحور والغلمان وامثالها والآلام على النار والعقارب والحيات واشباهها وجعلوا الوصول الى الاولى والخلاص عن الثانية غاية زهدهم وعباداتهم وكانهم لم يعلموا ان هذا عبادة الاجراء والعبيد تركوا قليل الشهوات ليصلوا الى كثيرها وليت شعري ان ذلك كيف يدل على الكمال الحقيقي والقرب من الله سبحانه وادعى ان البكاء خوفا من النار وشوقا الى اللذات الجسمية المطلوبة للنفس البهيمية كيف يعد من اهل التقرب الى الله ويستحق التعظيم ويوصف بعلو الرتبة وكانهم لم يدركوا الابتهاجات الروحانية واللذة المعنوية بالله وجوار انسه ولم يسمعوا قول سيد الموحدين ع الهي ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك ولكن وجدتك اهلا للعبادة فعبدتك وبالجملة لا ريب في ان الانسان واللذة الجسمية يشاركه الخنافس والديدان والهمج من الحيوان وانما يشاركه الملائكة في البصيرة الباطنة والاخلاق الفاضلة وكيف يرتضي العاقل ان يجعل النفس الناطقة الشريفة خادمة للنفس البهيمية الخسيسة والعجب من هؤلاء الجهلة مع هذا الاعتقاد يعظمون من يترفع عن الشهوات الحيوانية ويستهين باللذات الحسية ويخضعون له ويعدون انفسهم اشقياء بالنسبة اليهم ويذعنون انه اقرب الناس الى الله سبحانه واعلى رتبة منهم لتنزهه عن الشهوات الطبيعية وقد اتفق كلهم على تنزه مبدع الكل وتعاليه عنها مستدلين بلزوم النقص لولاه وكل ذلك يناقض رايهم الاول والسر فيه انهم وان ذهبوا الى هذا الراي الفاسد الا ان للكامنة في العقل فيهم بعض موجودة وان كانت ضعيفة فيرى ماهو كمال حقيقي لجوهرها كمالا ويحكم بنورانيتها الغالبة على كون ما هو فضيلة في الواقع فضيلة وما هو رذيلة في نفس الامر رذيلة ويضطرهم الى اكرام اهل التنزه عن الشهوات والاهانة بالمكبين عليها وما يدل على ان الرغبة الى اللذات الحيوانية انا اهلها يكتمونها ويخفون ارتكابها ويستحيون من اظهارها واذا وصفوا بذلك يتغير وجوههم كما هو ظاهر ويوصف الرجل بكثرة الاكل والجماع مع ان الجميل على الاطلاق يحسن اذاعته وصاحبه يحب ان يظهره ويوصف به هذا مع ان البديهة حاكمة بان هذه اللذات ليست لذات حقيقية بل هي دفع الآلام حادثة للبدن فان ما يحصل له عند الاكل والجماع انما هو راحة من الم الجوع ودفع المني ولذا لا يلتذ الشبعان من الاكل ومعلوم ان الراحة من الالم ليس كمالا وخيرا اذ الكمال الحقيقي والخير المطلق ما يكون كمالا وخيرا ابدا **فصل** لما عرفت ان الانسان واللذة العقلية يشابه الملائكة وفي غيرها من الحسية المتعلقة بالقوى الثلث اعني السبعية والبهيمية والشيطانية يشارك السباع والبهايم والشياطين فاعلم ان من غلب عليه احدى اللذات لا يبعد كان مشاركة لما ينسب اليه اكثر حتى اذا صارت الغلبة تامة لكان هو هو فانظر يا حبيبي اين تضع نفسك فان الغلبة لو كانت لقوتك الشهوية حتى يكون اكثر همك الى الشهوات الحيوانية كالاكل والشرب والجماع وساير الغرورات البهيمية كنت واحدا من البهايم وان كانت لقوتك الغضبية حتى يكون جل ميلك الى المناصب والرياسات الوهمية وايذاء الناس بالضرب والشتم وباقي الحركات السبعية كنت منازل السباع وان كانت لقوتك الشيطانية حتى يكون غالب سعيك في استنباط وجوه المكر والحيل للوصول الى مقتضيات قوتي الشهوة والغضب بانواع الخدع والتلبيسات الوهمية دخلت في حزب الابالسة وان كانت لقوتك العقلية حتى يكون جدك مقصورا على اقتناء المعارف اللهية واكتساب الفضايل الخلقية عرجت الى افق الملائكة القادسة فمن كان عاقلا عدو لنفسه وجب عليه ان يصرف جل همه لتحصيل السعادة العلمية والعملية وازالة النقايص الكائنة في نفسه وليقصر على الامور الشهوانية واللذات الجسمانية بقدر الضرورة بان يكتفي من الغذاء بما يحفظ اعتدال المزاج وقوام حيوته ولا يكون قصده منه الالتذاذ بل سد الضرورة ودفع الالم ولا يضيع وقته في تحصيل ازيد من ذلك فان تجاوز عنه فيقدر ما يحفظ زينته ولا يوجب حقارته وذلته ومن اللباس بقدر ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد فان تجاوز عنه فبقدر ما يحفظ لا يؤدي الى حقارته ولا يوجب السقوط بين اقرانه واهل طبقته ومن الجماع بقدر ما يحفظ نوعه ويبقي نسله وان تعدى فبقدر ما لا يخرج عن الستر ولا يجرى عن الانهماك في مقتضيات قوتي الشهوة والغضب لانه يوجب الشقاوة الدائمية والهلاك السرمدية فالله الله في نفوسكم معاشر الاخوان ادركوها قبل ان تغرق في بحار الهلاك وتنبهوا عن نوم الغفلة قبل ان ينسد عليكم السبل والمسالك

وبادروا الى

وبادروا الى تحصيل السعادات قبل ان يستحكم فيكم الملكات المهلكة والعادات المضلة فان ازالة الرذايل بعد استحكامها في غاية الصعوبة والمجاهدة مع احزاب الشياطين بعد الكبر قلما يفيد الاثر ولغلبة على النفس الامارة بعد ضعفها لهم في غاية الاشكال الا انه على حال لا ينبغي ان يياس من روح الله فاجتهدوا بقدر المقدرة والقوة والاستطاعة فانه خير من التمادي في الباطل فلعل الله بكرمه يعظم رحمته ولقد قال الشيخ الفاضل احمد بن محمد بن مسكويه وهو الاستاد في علم الاخلاق واقدم الاسلاميين في تدوينه اني تنبهت من نوم الغفلة بعد الكبر واستحكام العادة فوجهت لانفطام نفسي عن رذايل الملكات وجاهدت جهادا عظيما حتى وفقني الله لاستخلاصها منها كلها فلا ييأس احد من رحمة الله فان النجاة لكل طالب مرجوة وابواب الافاضة ابدا مفتوحة فبادروا اخواني الى تهذيب نفوسكم قبل ان يصير اليقين شكا وساد العقل مقهورا فيفسد جوهركم ويمسخ حقيقتكم ويرد كم الانتكاس في الخلق الذي هو خروج عن افق الانسان ودخول في زمرة البهايم او السباع او الشياطين نعوذ بالله من ذلك ونسئله العصمة من الخسران الذي لا نهاية له وقد شبه الحكماء من اهمل سياسة نفسه العاقلة بمن له ياقوتة شريفة رماها في نار مضطربة فبقيت صاحبه يصير كلا منفعة فيها ثم ولا تظنن ان ما يفوت عن النفس من الصفات البهجة لاجل ما يعتريها من الكدرة الحاصلة من معصية من المعاصي يمكن تداركه فان ذلك محال غاية الامر ان يتبع تلك المعصية بحسنة تمحو اثارها ويعيد النفس الى ما كانت عليه قبل تلك المعصية فلا يزداد بتلك الحسنة اشراقا وسعادة ولو جاء بها من غير سيئة لزاد بها نور القلب وبهجته وحصل له درجة في الجنة ولما تقدمت السيئة سقطت هذه الفائدة والخسرة فانها بقاء غيره عود القلب الى ما كان عليه قبلها ان المرآة التي تدنست بالخبث والصدأ اذا مسح بالمصقلة وان زال به هذا الخبث الا انه لا يزيد به جلاء وصفاء بخلاف ما اذا لم يتدنس اصلا فان التصقيل يزيد جلاء وصفاء والى ما ذكرنا اشار النبي ص بقوله من قارف ذنبا فارقه عقل لم يعد اليه ابدا

الباب الثاني في بيان تقسيم الاخلاق وتفصيل القوى فيها وفيه فصول

فصل قد تبين في العلم الطبيعي ان للنفس الناطقة قوتين قوة الادراك وقوة التحريك ولكل منها شعبتان الشعبة الاولى للاولى العقل النظري وهو مبدء التاثر من المبادي العالية بقبول الصور العلمية والشعبة الثانية لها العقل العملي وهو مبدء تحريك البدن في الافعال الجزئية بالروية وهذه الشعبة من حيث تعلقها بقوتي الشهوة والغضب مبدء لحدوث بعض الكيفيات الموجبة لفعل او انفعال كالخجلة والضحك والبكاء وغيرها ومن حيث استعمالها الواهمة والمتخيلة مبدء لاستنباط الآراء والصنايع الجزئية ومن حيث نسبتها بالعقل وحصول الازدواج بينهما سبب لحصول الآراء الكلية المتعلقة بالاعمال كحسن الصدق وقبح الكذب ونظايرهما والشعبة الاولى للثانية قوة الغضب وهي مبدء دفع غير الملايم على وجه الغلبة والشعبة الثانية لها قوة الشهوة وهي مبدء جلب الملايم ثم اذا كانت القوة الاولى غالبة على ساير القوى بل ولم ينفعل عنها بل كانت هي مقهورة منها مطيعة لها فيما يامرها وينهاها عنه كان تصرف كل منها على وجه الاعتدال وانتظم امور النشأة الانسانية وحصل تسالم القوى الاربع وتمازجها فتهذب كل واحد منها وحصل له ما يخصه من الفضيلة فيحصل من تهذيب العاقلة العلم وبتبعيته الحكمة ومن تهذيب العاملة العدالة ومن تهذيب الغضبية الحلم وبتبعيته الشجاعة ومن تهذيب الشهوية العفة وبتبعيته السخاوة وعلى هذا فيكون العدالة كمالا للقوة العملية وبطريق آخر قيل ان النفس لما كانت ذات قوى اربع العاقلة والعاملة والشهوية والغضبية فان كانت حركاتها على وجه الاعتدال وكانت الثلثة الاخيرة مطيعة للاولى واقتصرت من الافعال على ما تعين لها حصلت اولا فضايل ثلث هي الحكمة والعفة والشجاعة ثم يحصل من حصولها المترتب على تسالم القوى الاربع وانقياد الثلثة تحت الاولى حالة متشابهة هي كمال القوى الاربع وتمامها وهي العدالة

وعلى هذا لا يكون العدالة كمالا للقوة العملية فقط بل يكون كمالا للقوى باسرها وعلى الطريقين يكون اجناس الفضائل اربع الحكمة
وهي معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه في الوجود ان لم يكن وجودها بقدرتنا واختيارنا فالعلم المتعلق بها هو الحكمة النظرية وان
وجودها بقدرتنا واختيارنا فالعلم المتعلق هو الحكمة العملية والعفة وهي انقياد القوة الشهوية للعاقلة فيما يامرها به و
عنه حتى تكتسب الحرية وتتخلص من اسر عبودية الهوى والشجاعة وهي اطاعة القوة الغضبية للعاقلة في الاقدام على الامور الهائلة و
اضطرابها بالخوض فيما تقتضيه رايها حتى يكون فعلها جميلا وتفسير هذه الفضائل الثلث لا يتفاوت بالنظر الى الطريقين واما
تفسيرها على الطريق الاول هو انقياد العقل العملي للقوة العاقلة وتبعيته لها في جميع تصرفاته او ضبط الغضب والشهوة تحت
اشارة العقل والشرع الذي يحكم العقل ايضا بوجوب طاعته وسياسة قوتي الغضب والشهوة وحملهما على مقتضى الحكمة وضبطهما
في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها الى هذا يرجع تعريف الغزالي انها حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما
على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها اذ المراد من الحالة والقوة هاهنا الاستعلاء الذي للعقل
العملي لا نفس القوة العملية وتفسيرها على الطريق الثاني هو ايتلاف جميع القوى واتفاقها على امتثال العاقلة بحيث يرتفع التغالب والتجاذب
ويحصل لاجلها فضيلة مختصة به ولا يسع ان اتفاق جميع القوى وايتلافها هو كمال لجميعها لا للقوة العملية فقط اللهم الا ان
ان الايتلاف انما يتحقق باستعمال كل من القوى على الوجه اللائق واستعمال كل قوة ولو كانت نظرية انما يكون من القوة العملية لان
تعريف القوى في المحال اللائقة على وجه الاعتدال الحسن فيما لا يتحقق بصعد فعل عن قوة ثم العدالة على الطريق الاول يكون امرا
بسيطا مستلزما للملكات الثلث اعني الحكمة والعفة والشجاعة وعلى الثاني تحتمل البساطة والتركيب على الظاهر ان كان البساطة فبالنظر الى
الاعتدال الحاصل بمنزلة الاعتدال المزاجي الحاصل من ازدواج العناصر المتخالفة فحقيقتهم هنا اصول الحكمة ان المزاج كيفية بسيطة
وتفصيله على ما مر انه اذا حصلت الملكات الثلث حصل للعقل العملي قوة الاستعلاء والتدبير على جميع القوى بحيث كانت لجميع منقادة
له واستعمل كلا منها على ما يقتضيه رايه فان جعل العدالة عبارة عن نفس هذه القوة او نفس تدبير التصرف في البدن وامور المنزل
والبلد دون الملكات الثلث كانت العدالة بسيطة وكمالا للعقل العملي فقط وان جعلت نفس الملكات كانت مركبة ولا يجعلها
فضيلة على حدة معدودة في اعداد الفضائل لان جميع الاقسام لا يكون قسما منها وليس في الايتلاف والامتزاج هيئة وحدانية
عارضة للملكات الثلث حتى يكون شيئا على حدة ونوعا مركبا ثم على الطريقين يتحقق التلازم بين العدالة والملكات الثلث الا انه
على الطريق الاول يكون العدالة علة والملكات الثلث معلولة وعلى الطريق الثاني ينعكس ذلك لتوقف حصول العدالة على
وجود تلك الملكات ودامت اجمالها اجزاء للعدالة او بمنزلتها تكملة الحق ان حقيقة العدالة هو التفسير الاول المذكور في الطريق
الاول اعني انقياد العقل العملي للقوة العاقلة وسائر التفاسير المذكورة في الطريقين لازمة له اذ الانقياد المذكور يلزمه
اتفاق القوى وقوة الاستعلاء والسياسة للعقل العملي على قوتي الغضب والشهوة او نفس سياسته اياهما او ضبطهما تحت اشارة
العقل النظري وامثال ذلك وعلى هذا التفاسير اللازمة للاول يلزم ان يكون العدالة جامعة لجميع الفضائل وتحقق معناها
في كل فضيلة حتى يكون في الحادي تحقيق المقام ان انقياد العملي للعاقلة يستلزم ضبط قوتي الغضب والشهوة تحت اشارة العقل
وسياستها اياهما واستعلاءه عليهما وهذا يستلزم اتفاق جميع القوى وامتزاجها لجميع الفضائل الصادرة من قوتي
الغضب والشهوة بل من العاقلة ايضا انما يكون بتوسط العقل العملي وضبطه اياها الا ان ذلك لا يجعلها كمالا لا رجحة
بعض فضائلها وهو ظاهر لا يكون الضبط المذكور على التحقيق ان حقيقة العدالة هو مجرد انقياد العاملة للعاقلة

ومثل الضبط

ومثل الضبط والاستعلاء والسياسة من لوازمه والفضائل الصادرة من القوى الاخر بتوسط العقل العملي انما يندرج تحت
لازم العدالة لا عينها فمن ادرج جميع الفضائل تحت العدالة نظر الى اعتبار ما يلزمها ومن لم يدرج تحتها نظر الى عدم اعتباره
وعلى هذا لا باس ان يقال ان للعدالة اطلاقين احدهما العدالة بالمعنى الاخص وثانيهما العدالة بالمعنى الاعم ثم ان القوم ذكروا لكل واحد
من الفضائل الاربع انواعا كما ادرجوا تحت كل من الحكمة والعدالة والعفة والشجاعة انواعا فكذا ادرجوا تحت العدالة ايضا انواعا
كالوفاء والصداقة والعبادة وغيرها وانت تعلم بعد ما علمت ان العدالة بالتفسير الاول هو انقياد العاملة للعاقلة في استعمال
نفس العاملة قوتي الغضب والشهوة فعلم ان الفضائل باسرها انما تحصل باستعمال العاقلة القوى الثلث فكل فضيلة انما تتعلق
حقيقة باحد القوى الثلث وكون الاستعمال وان كان حصولها بتوسط العاقلة وضبطها الثلث وكون الاستعمال والضبط منها لا يقتضي
اسناد ما يحصل من الفضائل باستعمالها اليها صدورا وتعلقا حقيقة عن سائر القوى وكذا لا يقتضي استناد ما يحصل من الرذائل
لعدم انقيادها للعاقلة اليها ومعلوم انه لا يترتب على مجرد انقيادها او عدمه لها فضائل ورذائل لم يكن لها تعلق بالثلث
اصلا اذ كل فضيلة ورذيلة اما متعلق بالقوة العقلية او بقوتي الغضب والشهوة بتوسط العاقلة وليس لها في نفسها
فضيلة ورذيلة على حدة كالالتي مع انه لو كان الاستعمال والضبط منشأ الاستناد ما يحصل من الفضائل اليها لزم ان تستند اليها
جميع الفضائل فكان اللازم ادخال جميع الفضائل تحت العدالة وكذا الحال على تفسير العدالة بالطريق الثاني كما لا يخفى وعلى هذا
فيلزم من عد ذلك بعض الفضائل من انواع العدالة دون بعض اخر تخصيص بلا مخصص والفضائل التي جعلوها انواعا من جنس
العدالة بعضها من انواع الشجاعة ولوازمها وبعضها من انواع العفة وتوابعها وان كان للعاقلة من حيث التوسط مدخلية في حصول
الجميع فنحن لا نتابع القوم ونجري على مقتضى النظر ونجعل انواع الفضائل والرذائل واصنافها وتتليها متعلقة بالقوى الثلث
دون العقل العملي وادخال جميعها تحت اجناسها على ما ينبغي من دون ادخال شيء منها تحت العدالة ونضم هاهنا ان الفضائل والرذائل
مع مدخلية القوة العملية فيها بالاستعمال اما متعلقة بمجرد احدى القوى الثلث او باثنين منها او الثلث ومثال المتعلق باحديها
كالجهل والعلم المتعلقين بالعاقلة والغضبية والحرص والقناعة المتعلقين بالقوة الشهوية ولما يتعلق باثنين منها او الثلث فاما ان
ان يكون لها اصناف يتعلق بعضها ببعض وبعضها ببعض اخر كحب الجاه اعني طلب المنزلة في القلوب فانه ان كان المقصود منه الاستعلاء
على الخلق والتفوق عليهم كان من رذائل قوة الغضب وان كان المقصود طلب المال ليتوسل به الى شهوة البطن والفرج كان من رذائل قوة
وكذا الحسد اعني تمني زوال النعمة عن الغير ان كان باعثه العداوة كان من رذائل القوة الغضبية وان كان باعثه مجرد وصول النعمة اليه كان
من رذائل القوة الشهوية او يكون للثلث او الاثنين مدخلية بالاشتراك في نوع الرذيلة والفضيلة او بعض اصنافها كالحسد
باعثه العداوة وتوقع وصول النعمة اليه معا وكالغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل اليه لجهله من الشيطان فان
ان كانت مائلة بالطبع الى شيء من مقتضيات الشهوة واعتقدت جهلا كونه خيرا لها كان ذلك من رذائل قوتي العاقلة والشهوة وان كانت
مائلة الى شيء من مقتضيات قوة الغضب واعتقدت جهلا كونه خيرا له كان ذلك من رذائل قوتي العاقلة والغضب وان كانت مائلة الى شيء
من مقتضياتهما معا مع اعتقادها كونه خيرا لها كان من رذائل الثلث معا ثم مرادنا من تعلق صفة بالقوى المتعددة كونها
معدودة من رذائلها وفضائلها ان يكون لكل منها تاثير في صدورها ومدخلية في حصولها بحيث يكون من جملة عللها الفاعلة الموجبة بحيث لو
قطع النظر عن فعل واحد منها لم يتحقق هذه الصفة فان الغرور يتحقق بالميل والاعتقاد بمعنى ان كلا منهما جزء من ماهية الجادة و
اصلا ثم لو لم يكن الاعتقاد المتعلق بالعاقلة والميل المتعلق بالشهوة او الغضب لم يوجد فعلى كل مدخلية في وجود صفة بمجرد الباعثية

لكونها باعثة للقوة الاخرى على ايجاد هذه الصفة واحد المغالطات امكن تحقق هذه الصفة مع قطع النظر عن هذه
القوة باعثة اخرى لم يكن متعلقة بها ولم تعد هالمن رذايلها او فضايلها بل كانت متعلقة بالقوة الاخرى التى هى مباشرة لعدها
وايجادها مثلا الغضب الحاصل من فقد شئ من مقتضيات شهوة البطن والفرج وان كان باعثه قوة الشهوة الا انه ليس لقوة الشهوة
وفعلها شركة فى احداثه وايجاده بل الاحداث انما هو من القوة الغضبية ومدخلية الشهوية انما هو بتحريكها وتهيجها الغضبية
للاحداث والايجاد ولاريب فى ان للعاقلة هذه الباعثية فى صدد اكثر الصفات مع عدم عدها من رذايلها او فضايلها واذا
عرفت ذلك فاعلم انا نذكر اولا ما يتعلق بالعاقلة من الرذايل والفضايل ثم ما يتعلق بالقوة الغضبية منها ثم ما يتعلق بالقوة الشهوية
منها ثم ما يتعلق بجميعها او بالثلث **فصل** اعلم ان كل واحد من العقل العملى والعقل النظرى قد يطلق من وجوه اما الاول فمن حيث استعمال
جميع القوى العاقلة على النحو الاصلح موكول اليه واما الثانى فمن حيث ان السعادة القصوى وغاية الغايات اعنى التحلى بالحقايق الموجودات
مستند اليه ايضا اذ الاول ما هو الخير والصلاح من شانه هو المرشد الدليل للعقل العملى نعم ربما توقيل انا ادراك فضايل الاعمال
ونحو ذلك من شان العقل العملى كما صرح به الشيخ فى الشفا بقوله ان كمال العقل العملى استنباط الاراء الكلية فى الفضايل والرذايل من الاعمال
على وجه الابتناء على المشهورات المطابقة فى الواقع للبرهان فحقيقة ذلك البرهان متعلق بكمال القوة النظرية ولعل الحق ان مطلق الادراك و
الارشاد انما هو من العقل النظرى فهو بمنزلة المشير الناصح لا شان له سوى ما يفيد غير الاشارة وهو قوتا الغضب والشهوة دفع اشكال ان
قيل القوم قسموا الحكمة اولا الى النظرية والعملية ثم قسموا العملية الى ثلثة اقسام واحد منها علم الاخلاق المشتمل على الفضايل الاربع التى
احدها الحكمة فيلزم ان يكون الحكمة قسما من نفسها قلنا الحكمة التى هى المقسم هو العلم باعيان الموجودات سواء كانت موجودات الهية اى واقعة
بقدرة البارى سبحانه او موجودات انسانية اى واقعة بقدرتنا واختيارنا والحكمة التى هى احد العلم اعنى الحكمة التى هى المقسم اقسام الموجودات
بالمعنى الثانى فلا باس بالبحث عنه فى علم الاخلاق فان غاية ما يلزم ان تكون الحكمة موضوع المسئلة هى جزئها بان يحمل عنوانها عليها
كونها ملكة محمودة او طريق اكتسابها كذا او بالجملة لا مانع من ان يجعل علم يبحث فيه عن احوال الموجودات موضوع المسئلة فيبحث عنه فيه
صفة له بل لا مانع من الموجودات كما انه العلم الاعلى الذى يبحث فيه عن الموجودات من حيث وجودها يبحث عن نفس العلم لكونه من الموجودات
ويجعل موضوع المسئلة من مسائله ولا يلزم من هذا كون الشئ جزء لنفسه فان قيل يقول كان الحكمة العملية قسم من مطلق الحكمة لتعلق العمل
بالنظر فكذا المطلق قسم منها لتعلق النظر بالعملى كان العدالة من الحكمة باعتبار فكذا الحكمة من العدالة باعتبار آخر فيختلف الحيثية
ولا يلزم محذور وقيل فى الجواب ان المراد من الحكمة التى هى احد الفضايل الاربع استعمال العقل العملى على الوجه الصالح وفيه ان الاشكال
بعدم كون الحكمة بهذا المعنى عين المقسم للفاضل لا وفيه ان الحكمة بهذا المعنى هى العدالة سيما ما تقرر مع ان العدالة ايضا احد الفضايل
الاربع تنبيه قد صرح علماء الاخلاق بان صاحب الفضايل الاربع لا يستحق المدح ما لم يتعد فضايلها الى الغير ولذا لا يسمى صاحب ملكة السخاء
بدونه البذل سخيا بل منفقا ولا صاحب ملكة الشجاعة بدون ظهور آثارها شجاعا بل غيورا ولا صاحب ملكة الحكمة بدونه حكيما بل مستبصرا
والظاهر ان المراد باستحقاق المدح هو حكم العقل بوجوبه فان من تعدى اثره يرجى نفعه ويخاف ضره فيحكم العقل بلزوم مدحه جلبا للنفع
او دفعا للضرر واما من لا يرجى خيره وشره فلا يحكم العقل بوجوب مدحه وان بلغ فى الكمال ما بلغ **فصل** لاريب فى ان بازاء كل فضيلة رذيلة
هى ضدها والمعروف ان اجناس الفضايل اربعة فاجناس الرذايل ايضا فى بادى النظر اربعة الجهل وهو ضد الحكمة والجبن وهو ضد
الشجاعة والشره وهو ضد العفة والجور وهو ضد العدالة وعند التحقيق يظهر ان لكل فضيلة حدا معينا والتجاوز عنه بالافراط
والتفريط يؤدى الى الرذيلة فالفضايل بمنزلة الاوساط والرذايل بمثابة الاطراف والوسط حد معين لا يقبل التعدد والاطراف غير

متناهية

متناهية عددا فالفضيلة بمنزلة مركز الدائرة والرذايل بمثابة ساير النقاط المفروضة من المركز الى المحيط فان المركز نقطة معينة
مع كونها ابعد النقاط عن المحيط وساير النقاط المفروضة من جوانبه غير متناهية مع كون كل منها اقرب من طرفها اليه فعلى هذا يكون كل
فضيلة بازاء كل فضيلة رذايل غير متناهية لان الوسط محدود معين والاطراف غير محدودة ويكون الفضيلة فى غاية البعد من
الرذيلة التى هى نهاية الرذايل حيكون كل منها اقرب منها الى النهاية مجرد الانحراف عن الفضيلة من اى طرف اتفق يوجب الوقوع
فى رذيلة والثبات على الفضيلة والاستقامة فى سلوك طريقتها بمنزلة الحركة على الخط المستقيم وارتكاب الرذيلة كالانحراف عنه ولا ريب
فى ان الخط المستقيم وهو اقصر الخطوط الواصلة بين النقطتين وهو لا يكون الا واحدا واما الخطوط المنحنية بينهما غير متناهية فالاستقامة على
طريق الفضيلة والسلوك على نهج واحد والانحراف عنه يكون له مناهج غير متناهية ولذلك غلبت دواعى الشر على بواعث الخير وظهر
ما ذكر ان وجدان الوسط الحقيقى صعب والثبات عليه بعد الوجدان اصعب ولان الاستقامة على جادة الاعتدال فى غاية الاشكال وهذا
معنى قول الحكماء اصابة نقطة الهدف اعسر من العدول عنها ولزوم الصواب بعد ذلك حتى لا يخطيها اعسر ولذلك لما امر سيد الرسل
بالاستقامة فى قوله سبحانه فاستقم كما امرت قال شيبتنى سورة هود اذ وجدان الوسط الحقيقى فيما بين الاطراف الغير المتناهية
المتقابلة مشكل والثبات عليه بعد الوجدان اشكل وقال المحقق الطوسى ان ما ورد فى اشارات النواميس من ان الصراط المستقيم
ادق من الشعر واحد من السيف اشارة الى هذا المعنى ومخفى بان هذا التاويل جرأة على الشريعة القويمة وهتك لاستار السنة
الكريمة والواجب الاذعان لظاهر ما ورد من امور الآخرة نعم يمكن ان يقال ان الامور الاخروية التى حصل بها الوعد والوعيد
كلها امور محققة حقيقة على ما اخبر بها الا انها صور للاختلافات والصفات المكتسبة فى هذه النشأة قد ظهرت بتلك الصور فى دار
العقبى بحسب المرتبة وظهورات الاشياء مختلفة بحسب اختلاف المراتب والنشآت فوراء ما يوذيه ويبح من الصور فى موطن المعانى
انما هو الاخلاق والسيئات المكتسبة فى هذه النشأة وهذا المذهب مما استقرت عليه آراء اساطين الحكمة والعرفان وذكرنا
الظواهر الدالة عليه من الآيات والاخبار واشرنا الى حقيقة الحال فيه وعلى هذا فالصراط المستقيم كالحد وكالجسر على الجحيم صورة التوسط
الاخلاقى والجحيم صورة للاطراف فمن ثبت قدمه على الوسط هنا لم يزل عن الصراط هناك ووصل الى الجنة التى وعدها الله المتقين
ومن مال الى الاطراف فهنا سقط هناك فى جهنم التى احاطت بالكافرين ثم الوسط اما حقيقى وهو ما يكون نسبته على الى الطرفين
على السواء كالاربعة بالنسبة الى الاثنين والستة وهذا كالمعتدل الحقيقى الذى انكر الاطباء وجوده او اضافى وهو اقرب ما يمكن
تحققه للنوع او الشخص من الحقيقى ويتحقق كمالها الا يوجد لها وان لم يصل اليه والتشبيه بالوسط انما هو بالنسبة الى الاطراف كانه هى
ابعد من الحقيقى بالاضافة اليه وهذا كالاعتدالات النوعية والشخصية التى اثبتها الاطباء فان المراد منها الاعتدالات التى يمكن
تحققها للانواع والاشخاص وهو القدر الذى يليق بكل نوع او شخص ان يكون عليه وان لم يكن اعتدالا حقيقيا بمعنى تساوى الاجزاء
البسيطة العنصرية وتكافؤها فى القوة والا قربيته الى الحقيقى بالنسبة الى ساير الاطراف سمى اضافيا ثم الوسط المعتبر هنا هو الاضافى
لتعذر وجدان الحقيقى والثبات عليه ولذا يختلف الفضيلة باختلاف الاشخاص والاحوال والازمان فربما كان مرتبة من الوسط
الاضافى فضيلة بالنظر الى شخص او حال او وقت ورذيلة بالنسبة الى غيره وتوضيح الكلام انه لاريب فى ان الوسط الحقيقى فى الاخلاق كونه
فى حكم نقطة غير منقسمة لا يمكن وجدانه ولا الثبات عليه ولذا نرى من هو متصف بفضيلة من الفضايل لا يمكن الحكم بكون تلك الفضيلة
هى الوسط الحقيقى الا انه لما كانت تلك الفضيلة قريبة اليه ولا يمكن وجود الاقرب منها اليه يحكم كونها وسطا اضافيا لاقربيتها اليه بالنسبة
الى ساير المراتب فالاعتدال الاضافى له عرض وسطه الاعتدال الحقيقى وطرفاه طرفا الافراط والتفريط الا انه ما لم يخرج عن هذين الطرفين

تسمية بجهل

يكون اعتدالا حقيقيا اضافيا فكلما كان اقرب الى الحقيقي كان اكمل واقوى واذا خرج عنها دخل في الرذيلة لايق على هذا ينبغي ان يكون
الاعتدال الطبي في المزاج ايضا كذلك اي يكون له عرض وسطه الاعتدال الحقيقي وطرفاه خارجين عن الاعتدال الطبي اوضعف لقربه الى الحقيقي
بيان ذلك ان الاعتدال الحقيقي في المزاج ان يكون اجزاء العناصر متكافئة القوة والاعتدال الطبي في نوع الانسان او شخص من اشخاصه ان يكون
الاجزاء الحارة مثلا من عشرة الى اثني عشر والباردة من ثمانية الى تسعة واليابسة من سبعة الى ثمانية والرطبة من ستة الى سبعة
فاذا كانت الاجزاء الحارة ستة والباردة خمسة واليابسة اربعة والرطبة ثلثة كانت خارجة عن الاعتدال الطبي مع صيرورته اقرب الى الحقيقي
بل اذا فرضت تكافؤ اجزاء العناصر الاربعة حتى حصل نفس الاعتدال الحقيقي خرجت ايضا عنه فلا يكون الحقيقي وسط الطبي حتى كلما
يصير اليه اقرب يكون اقوى واكمل لانا نقول نحن لا ندعي ان الحقيقي وسط الطبي بل هو امر مغاير له في والحقيقي في طرفه الخارج فان له
طرفين احدهما ان يصير الاجزاء اقرب في التساوي مما كان للطبي الى ان يبلغ الى الحقيقي والثاني ان يصير ابعد عنه مما كان له الى حد النهاية
الا ان بعض مراتب الطرفين التي منها الاعتدال الحقيقي غير ممكن الوقوع فتامل فان قيل الوسط المعتبر هنا ان كان اضافيا لكان له عرض
كعرض المزاج فلا يناسب وصفه بالحدة والدقة فكما ان لعرض المزاج مرتبة هي افضل المراتب واقربها الى الاعتدال الحقيقي كل
في مراتب عرض الوسط للاكتساب مرتبة هي افضل المراتب واقربها هي المطلوبة بالذات ولا ريب ان خصوص هذه المرتبة ليس له عرض
وسعة فلا باس بوصفها بالدقة والحدة واما سائر المراتب المعدودة من الوسط ان لم يكن خالية من شوائب الافراط والتفريط
الا انه لما كان لها قرب ما بحده الى المرتبة المطلوبة بحيث يصلح معه النوع او الشخص بانتظام كماله اللايق به عدت من الاوساط والفضائل
كما ان غير الاقرب الى الاعتدال الحقيقي من مراتب عرض المزاج يعد من الاعتدال لكون النوع او الشخص معه باقيا بحفظ الحيات لا
يظهر خلل بين في افعاله وان لم يخل من انحراف ولو وصف هذه المراتب ايضا بالحدة والدقة مع سعتها فوجهه ان وجدان الثبات
عليها لا يخلو ايضا من صعوبة **فصل** قد ظهر مما ذكر انه بازاء كل فضيلة رذائل غير متناهية من طرفي الافراط والتفريط وليس لكل
منها اسم معين ولا يمكن عد الجميع ولا يجب على صاحب الصناعة حصرها لان وظيفته بيان الاصول والقوانين الكلية التي
تحصل العلم بالجزئية والقانون اللازم بيانه هو ان الخروج عن الوسط اما الى طرف الافراط او الى طرف التفريط فيكون بازاء كل فضيلة
جنسان من الرذيلة ولما كان اجناس الفضائل اربعة فيكون الرذائل ثمانية اثنان بازاء الحكمة الجربزة والبله والاول في طرف الافراط
وهو استعمال الفكر فيما لا ينبغي او في الزائد عما ينبغي والثاني في طرف التفريط وهو تعطيل الفكرة وعدم استعمالها فيما ينبغي
اقل منه والاولى ان يعبر عنهما بالسفسطة اي الحكمة المموهة والجهل البسيط منه لان حقيقة الحكمة هو العلم بحقايق الاشياء
على ما هي عليه وهو موقوف على اعتدال القوة العاقلة فاذا حصلت لها حدة خارجة عن الاعتدال لخرج عن الحد اللايق وتبحث في امور
دقيقة مطابقة للواقع والعلم بهذه الامور هو ضد الحكمة من طرف الافراط واذا حصل لها بلادة لا ينتقل الى شيء فلا يحصل
لها العلم بالحقايق فهذا هو الجهل وضدهما من طرف التفريط واثنان بازاء الشجاعة التهور والجبن الاول في طرف الافراط وهو
الاقدام على ما ينبغي الحذر عنه والثاني في طرف التفريط وهو الحذر عما ينبغي الاقدام عليه واثنان بازاء العفة وهما الشره والخمود الاول
في طرف الافراط وهو الانهماك في اللذات الشهوية بما لا يحسن شرعا وعقلا والثاني في طرف التفريط وهو سكون النفس عن طلب ما هو
ضروري للبدن واثنان بازاء العدالة وهما الظلم والانظلام والاول في طرف الافراط وهو التصرف في حقوق الناس واموالهم بدون حق
والثاني في طرف التفريط وهو تمكين الظالم من الظلم عليه وانقياده له فيما يريده من الجور والتعدي على سبيل المذلة هكذا قيل والحق ان
العدالة مع ملاحظة ما لا ينفك عنه من لوازمه لها طرف واحد يسمى جورا وظلما وهو يشمل جميع ذمائم الصفات والخصوص بالتصرف في حقوق

الناس واموالهم

الناس واموالهم بدون وجه شرعي لان العدالة بهذا المعنى كما عرفت عبارة عن ضبط العقل جميع القوى تحت اشارة العقل الظاهر فهو جامع
لكل الاثار وهذا الظلم الذي هو مقابله جامع للنقايص باسرها اذ حقيقة الظلم وضع الشيء في غير موضعه وهو يتناول جميع ذمائم الصفات والافعال
فتمكين الظالم من ظلمه لما كان صفة ذميمة يكون ظلما على ان من مكن الظالم من الظلم عليه وانقاد له فيه ذلة فقد ظلم نفسه والظلم على النفس ايضا
من اقسام الظلم هذا وبيان الطرفين لكل من الاجناس الاربعة للفضيلة ثم لكل واحد من اجناس الرذائل والفضائل انواع ولوازم من الخلق
والافعال ذكرها علماء الاخلاق في كتبهم وقد ذكروا العدالة ايضا انواعا وقد عرفت مما تقدم ان تخصيص بعض الصفات بالاندراج تحتها
مما لا وجه له اذ جميع الرذائل والفضائل الخارج عن التعلق بالقوى الثلث اعني العاقلة والغضبية والشهوية وان كان للقوة العملية
مدخلية في الجميع من حيث التوسط فنحن ندخل الجميع تحت اجناس القوى من غير ادراج شيء في صفات العدالة وقد عرفت ان بعضها متعلق
بالعاقلة فقط وبعضها بالشهوية فقط وبعضها بالاثنين منها او الثلث معا فنحن نذكر مقامات اربعة ولمزيد الاحاطة نشير هنا اجمالا
الى اسماء الاجناس والانواع واللوازم التي لكل جنس فنذكر اولا ما يتعلق بالعاقلة ثم ما يتعلق بالغضبية ثم ما يتعلق بالشهوية ثم ما
بالثلث او الاثنين منها فنذكر اولا الرذيلة ثم نشير الى ضدها من الفضيلة ان كان له اسم في باب المعالجات نذكر معالجة كل رذيلة من الاجناس
والانواع والنتايج فنذيلها بذكر ضدها من الفضيلة فنذكر اولا جنسي الرذيلة لكل قوة فنذيلها بضدهما الذي هو جنس فضيلتها
ثم نذكر الانواع والنتايج على النحو المذكور او نذكر اولا باحكامها ومعالجاتها ثم نشير الى ضدها وما ورد في مدحه ترغيبا للطالبين
على اخذه والاجتناب عن ضده ولكنا لم نتابع القوم في التفريق بين الرذائل والفضائل وذكر كل منها على حدة ثم بيان الانواع واللوازم
على ما ذكره القوم للتحرز عن الاختلال اما في التعريف والتفسير او في الفرق والتميز او في الادخال تحت ما جعلوه نوعا له او غير ذلك من وجوه الاختلال
نحن ان نتبعهم في ذلك وبينتها ادخالا وتميزا وتعريفا على ما يقتضيه النظر الصحيح فنقول اما جنسا الرذيلة للقوة العقلية فاولهما كما عرفت الجربزة
والسفسطة وهي من طرف الافراط وثانيهما الجهل البسيط وهو من طرف التفريط وضدهما العلم والحكمة واما الانواع واللوازم المترتبة
عليها فمنها الجهل المركب وهو من رذائل رداءة الكيفية ومنها الحيرة والشك وهو من طرف الافراط على ما قيل وضد الجهل المركب ادراك ما هو
الحق او مطلق العلم بانه يعلم وضد الحيرة الجزم باحد الطرفين وبذلك يظهر ان اليقين ضد لكل منهما لانه اعتقاد جازم مطابق للواقع من حيث
اعتبار الجزم فيه يكون ضد الحيرة ومن حيث اعتبار المطابقة للواقع يكون ضد الجهل المركب ومنشأ حصول اليقين هو استقامة الذهن و
صفائه مع مراعاة شرائط الاستدلال ومنشأ الجهل المركب اعوجاج الذهن او حصول الخطأ في الاستدلال او وجود مانع من افاضة الحق كالعصبية
او امثال ذلك ومنشأ الحيرة هو قصور الذهن وكثرة التعارض للموجب للحق او دفع النظر او عدم الاحاطة بمقدمات ومنها الشرك وضده
التوحيد ومنها الوساوس النفسانية والخواطر الباطلة الشيطانية وهذا يتضمن باب رداءة الكيفية وكان الظاهر ان يعد ذلك من
رذائل قوة الوهم والمتخيلة دون العاقلة اذ الغالب انه لا ينفك عن اختلال فيها الا انه لما جرت العادة في ذلك وضدها الخواطر
المحمودة التي من جملتها الفكر في بدايع صنع الله وعجايب مخلوقاته ومنها استنباط المكر والحيلة للوصول الى مقتضيات الشهوة والغضب
وهو من طرف الافراط واما جنسا الرذائل للقوة الغضبية فاولهما التهور وثانيهما الجبن وقد عرفت ان ضدهما من الفضيلة الشجاعة
واما الانواع واللوازم والنتايج المترتبة عليهما فمنها الخوف وهو هيئة نفسانية مؤذية من توقع مكروه او زوال مرغوب وهو مذموم
الا ما كان لاجل المعصية والجناية او من الله وعظمته والمذموم من رذائل تلك القوة من نتايج الجبن وضده الامن والطمأنينة والمدوح
من فضائلها لكونه مقتضى العقل وضده الامن من مكر الله وهو اي الممدوح من الخوف يلازم الرجاء وضده الياس من رحمة الله ومنها صغر
النفس او ملكة العجز عن تحمل الواردات وهو من نتايج الجبن وضده كبر النفس اي ملكة النفس التحمل لما يرد عليه كائنا ما كان ومن جملته التحمل

يكون اعتدالا حقيقيا اضافيا فكلما كان اقرب الى الحقيقي كان اكمل واقوى واذا خرج عنها دخل في الرذيلة لائق على هذا ينبغي ان يكون
الاعتدال الطبي في المزاج ايضا كذلك اى يكون له عرض وسط الاعتدال الحقيقي وطرفا خارجين عن الاعتدال الطبي او ضعفه لقربه الى الحقيقي
بيان ذلك ان الاعتدال الحقيقي في المزاج ان يكون اجزاء العناصر متكافئة القوة والاعتدال الطبي في نوع الانسان او شخص من اشخاصه ان يكون
الاجزاء الحارة مثلا من عشرة الى اثني عشر والباردة من ثمانية الى تسعة واليابسة من سبعة الى ثمانية والرطبة من ستة الى سبعة
فاذا كانت الاجزاء الحارة ستة والباردة خمسة واليابسة اربعة والرطبة ثلث كانت خارجة عن الاعتدال الطبي مع صيرورته اقرب الى الحقيقي
بل اذا فرضت تكافؤ اجزاء العناصر الاربعة حتى حصل نفس الاعتدال الحقيقي خرجت ايضا عنه فلا يكون الحقيقي وسط الطبي حتى كلما
يصير اليه اقرب يكون اقوى واكمل لانا نقول نحن لا ندعي ان الحقيقي وسط الطبي بل هو امر مغاير له والحقيقي في طرف الخارج فان له
طرفين احدهما ان يصير الاجزاء اقرب في التساوي مما كان للطبي الى ان يبلغ الى الحقيقي والثاني ان يصير ابعد عنه مما كان له الى غير النهاية
الا ان بعض مراتب الطرفين التي منها الاعتدال الحقيقي غير ممكن الوقوع فتامل فان قيل الوسط المعتبر هنا ان كان اضافيا كان له عرض
كعرض المزاج فلا باس بوصفه بالحدة والدقة وكما كان لعرض المزاج مرتبة هي افضل المراتب واقربها الى الاعتدال الحقيقي كان
في مراتب عرض الوسط للملكات مرتبة هي افضل المراتب واقربها هي المطلوبة بالذات ولا ريب ان خصوص هذه المرتبة ليس له
وسعة فلا باس بوصفها بالدقة والحدة واما سائر المراتب المعدودة من الوسط وان لم يكن خالية عن شوائب الافراط والتفريط
الا انه لما كان لها قرب مع بعد الى المرتبة المطلوبة بحيث يصدق معه النوع او الشخص باقتضاء كماله اللائق به عدت من الاوساط والفضائل
كما ان غير الاقرب الى الاعتدال الحقيقي من مراتب عرض المزاج يعد من الاعتدال لكون النوع او الشخص معه باقيا محفوظا بحيث لا
يظهر خلل بين في افعاله وان لم يخل من الخلاف ولو وصف هذه المراتب بالحدة والدقة مع سعتها في حصر ان يوجد لها والثبات
عليها لا يخلو ايضا من صعوبة **فصل** قد ظهر مما ذكر انه بازاء كل فضيلة رذائل غير متناهية من طرفي الافراط والتفريط وليس لكل
منها اسم معين ولا يمكن عد الجميع وليس على صاحب الصناعة حصرها لان وظيفته بيان الاصول والقوانين الكلية ؟
للعدد الجزئية والقانون اللازم بيانه هو ان الخروج عن الوسط اما الى طرف الافراط او الى طرف التفريط فيكون بازاء كل فضيلة
جنسان من الرذيلة ولما كان اجناس الفضائل اربعة فيكون الرذائل ثمانية اثنان بازاء الحكمة الجربزة والبله والاول من طرف الافراط
وهو استعمال الفكر فيما لا ينبغي او في الزائد على ما ينبغي والثاني في طرف التفريط وهو تعطيل الفكرية وعدم استعمالها فيما ينبغي
او اقل منه والاولى ان يعبر عنهما بالسفسطة اى الحكمة المموهة والجهل البسيط منه لان حقيقة الحكمة هو العلم بحقائق الاشياء
على ما هي عليه وهو موقوف على اعتدال القوة العاقلة فاذا حصلت لها حدة خارجة عن الاعتدال الى حد الخروج عن الحد اللائق
دقيقة مطابقة للواقع والعلم بهذه الامور هو ضد الحكمة من طرف الافراط واذا حصل لها بلادة لا ينتقل الى شيء فلا يحصل
لها العلم بالحقائق وهذا هو الجهل وهو ضدها من طرف التفريط واثنان بازاء الشجاعة التهور والجبن والاول في طرف الافراط وهو
الاقدام على ما ينبغي الحذر عنه والثاني في طرف التفريط وهو الحذر عما ينبغي الاقدام عليه واثنان بازاء العفة وهما الشره والخمود والاول
في طرف الافراط وهو الانهماك في اللذات الشهوية على ما لا يحسن شرعا وعقلا والثاني في طرف التفريط وهو سكون النفس عن طلب ما هي
ضرورية للبدن واثنان بازاء العدالة وهما الظلم والانظلام والاول في طرف الافراط وهو التصرف في حقوق الناس واموالهم بدون حق
والثاني في طرف التفريط وهو تمكين الظالم من الظلم عليه وانقياده له فيما يريده من الجور والتعدي على سبيل الذلة هكذا قيل والحق ان
العدالة بهذا المعنى لا ينفك عنه من انه لا طرف حاصلا يسمى جورا او ظلما وهو يشمل جميع رذائل الصفات والتخصيص بالتصرف في حقوق

الناس واموالهم

الناس واموالهم بدون وجه شرعية لان العدالة بهذا المعنى كما عرفت عبارة عن ضبط العقل جميع القوى تحت اشارة العقل النظري فهي جامعة
للكمالات باسرها فالظلم الذي هو مقابلها جامع للنقائص باسرها اذ حقيقة الظلم وضع الشيء في غير موضعه وهو يتناول جميع رذائل الصفات والافعال
فتمكين الظالم من ظلمه لما كان صفة ذميمة فيكون ظلما على ان من تمكن الظالم من الظلم عليه وانقاد له فيه ذلة فقد ظلم نفسه والظلم على النفس ايضا
من اقسام الظلم هذا هو بيان الطرفين لكل من الاجناس الاربعة للفضائل ثم لكل واحد من اجناس الرذائل والفضائل انواع ولوازم من الاخلاق
والافعال لعدها علماء الاخلاق في كتبهم وقد ذكروا للعدالة ايضا انواعا وقد عرفت مما تقدم ان تخصيص بعض الصفات بالاندراج تحتها
مما لا وجه له اذ جميع الرذائل والفضائل لا يخرج عن التعلق بالقوى الثلث اعني العاقلة والغضبية والشهوية وان كان للقوة العملية
مدخلية في الجميع من حيث التوسط فيجب ان يدخل الجميع تحت اجناس القوى من غير ادراج في سلك العدالة وقد عرفت ان بعضها متعلق
بالعاقلة فقط وبعضها بالشهوية فقط وبعضها بالاثنين منها او الثلث معا فنحن نذكرها في مقامات اربعة ولمزيد الاحاطة نشير هنا اجمالا
الى اسماء الاجناس والانواع واللوازم التي لكل جنس فنذكر اولا ما يتعلق بالعاقلة ثم ما يتعلق بالغضبية ثم ما يتعلق بالشهوية ثم ما
بالثلث او الاثنين منها فنذكر اولا الرذيلة ثم نشير الى ضدها من الفضيلة ان كان له اسم في باب المعالجات نذكر معالجة كل رذيلة من الاجناس
والانواع والنتائج فنشير اليها ونذكر ضدها من الفضيلة فنذكر اولا جنسي الرذيلة لكل قوة فنشير اليهما بضدهما الذي هو جنس فضيلتها
ثم نذكر الانواع والنتائج على النحو المذكور اى نذكر اولا باحكامها ومعالجاتها ثم نشير الى ضدها وعلو بعض ما ورد ترغيبا للطالبين
على الحصول على الاجتناب عن ضده ولما لم يتابع القوم في التفريق بين الرذائل والفضائل وذكر كل منها على حدة ثم بيان الانواع واللوازم
على ما ذكره القوم للتجنب عن الاختلال اما في التعريف والتفسير او في الفرق والتمييز او في الادخال تحت ما جعلوه نوعا له او غير ذلك من وجوه الاختلال
فنحن لا نتبعهم في ذلك ونبينها ادخالا وتميزا وتعريفا على ما يقتضيه النظر الصحيح فنقول اما جنسا الرذيلة للقوة العقلية فاولهما كما عرفت الجربزة
والسفسطة وهي من طرف الافراط وثانيهما الجهل البسيط وهو من طرف التفريط وضدهما العلم والحكمة واما الانواع واللوازم المترتبة
عليها فمنها الجهل المركب ومنها رداءة الكيفية ومنها الحيرة والشك وهو من طرف الافراط على ما قيل وضد الجهل المركب ادراكنا هو
الحق او ضد العلم بانه يعلم وضد الحيرة الجزم باحد الطرفين وحينئذ يظهر ان اليقين ضد لكل منهما لانه اعتقاد جازم مطابق للواقع ثابت فمن حيث
اعتبار الجزم فيه يكون ضد الحيرة ومن حيث اعتبار المطابقة للواقع يكون ضد الجهل المركب ومنشأ حصول اليقين هو استقامة الذهن و
صفائه مع مراعاة شرائط الاستدلال ومنشأ الجهل المركب اعوجاج الذهن او حصول الخطأ في الاستدلال او وجود مانع من فاحشة الحق لعصبية
او امثال ذلك ومنشأ الحيرة هو قصور الذهن عن كسب او الالتهاب الموجب للعجز عن المطلوب او عدم الضابطة فيمكن ان منها الشرك وضده
التوحيد ومنها الوساوس النفسانية والخواطر الباطلة الشيطانية وهذا يتضمن باب رداءة الكيفية وكان الظاهر ان يعد ذلك من
رذائل قوتي الوهم والمتخيلة دون العاقلة اذ الغالب انها لا ينفك عن اختلال منها الا انه لما عرفت العذر في ذلك وضدها الخواطر
المحمودة التي هي جولان الفكر في بدايع صنع الله وعجايب مخلوقاته ومنها استنباط المكر والحيلة للوصول الى مقتضيات الشهوة والغضب
وهو من طرف الافراط واما جنسا الرذائل للقوة الغضبية فاولهما التهور وثانيهما الجبن وقد عرفت ان ضدهما من الفضيلة الشجاعة
واما الانواع واللوازم والنتائج المترتبة عليها فمنها الخوف وهو هيئة نفسانية موذية من توقع مكروه او زوال مرغوب وهو مذموم
الا ما كان لاجل المعصية والجناية او من الله وعظمته والمذموم منه رذايل تلك القوة ومن نتائج الجبن وضده الامن والطمأنينة والممدوح
من فضايلها لكونه مقتضى العقل وضده الامن من مكر الله وهو اي الممدوح من الخوف يلازم الرجاء وضده اليأس من رحمة الله ومنها صغر
النفس او ملكة العجز عن تحمل الواردات وهو من نتائج الجبن وضده كبر النفس اى ملكة النفس التحمل لما يرد عليه كائنا ما كان ومن جملة التحمل

التحمل على الخوض في الاهوال الحقة والمقاومة مع الشدائد والآلام ويسمى بالثبات فهو اخص من كبر النفس وضده الاضطراب في الاهوال
والشدائد وهو من جملة الثبات والثبات في الايمان ومنها دناءة الهمة وهو القصور عن طلب معالي الامور وهو من لوازم ضعف النفس وصغرها
وضدها علو الهمة وهو من لوازم كبر النفس ومتعلقها اى السعي في تحصيل السعادة والكمال وطلب الامور العالية من دون
ملاحظة منافع الدنيا ومضارها ومن افراد علو الهمة الشهامة ومعانى تفسيرها ومنها عدم الغيرة والحمية اى الاهمال في محافظة
ما يلزم حفظه وهو ايضا من نتائج صغر النفس وضعفها وضده ظاهر ومنها العجلة وهو المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام على
الامور بمجرد الخاطر من دون توقف فيه وهو ايضا من نتائج صغر النفس وضعفها وضدها الاناة والتأني والتعسف قريب من العجلة
وضده اعني التوقف قريب من الاناة ويأتي الفرق بينهما والوقار يتناول التأني والتوقف وهو اطمينان النفس وسكونها عن الحركات
والافعال الغير اللائقة وهو من لوازم كبر النفس وشجاعتها ومنها سوء الظن بالله وبالمؤمنين وهو من لوازم الجبن وضعف
النفس وربما كان من باب رداءة الكيفية وضده اعني حسن الظن بهما من آثار الشجاعة وكبر النفس ومنها الغضب وهو حركة للنفس
يوجب حركة الروح من الداخل الى الخارج للغلبة وهو من باب الافراط وضده الحلم ومنها الانتقام وهو من نتائج الغضب وضده العفو
ومنها العنف وهو ايضا من نتائج الغضب وضده الرفق ومنها سوء الخلق بالمعنى الاخص وهو ايضا من نتايجه وضده حسن الخلق بالمعنى الاخص
ومنها الحقد وهو العداوة الكامنة اى ارادة الشر وقصد زوال الخير عن المسلم وهو ايضا من ثمرات الغضب ومنها العداوة الظاهرة ومنها
النصيحة اى ارادة الخير والصلاح ودفع الشر والفساد عن كل مسلم ثم للغضب والحقد لوازم هي الضرب والفحش واللعن والطعن ومنها العجب
وهو استعظام النفس وضده انكسارها واستحقارها ومنها الكبر وهو التعظيم الموجب لرؤية النفس فوق الغير وضده التواضع
وهو ان لا يرى لنفسه مزية على الغير ومنها الافتخار وهو المباهاة بما يظنه كمالا وهو من شعب الكبر ومنها البغي وهو عدم الانقياد لمن
يجب ان ينقاد له وهو ايضا من شعب الكبر وضده التسليم والانقياد لمن يجب اطاعته وقد يطلق على مطلق العلو والاستطالة ومنها تزكية النفس
وضده الاعتراف بنقايصها ومنها العصبية وهو الحماية عن نفسه او ما ينتسب اليه بالباطل والخروج عن الحق ومنها كتمان الحق وضدها
الانصاف والاستقامة على الحق ومنها القساوة وهو عدم التأثر عن مشاهدة تألم ابناء النوع وضده الرحمة واما اجناس الرذائل المتعلقة
بالقوة الشهوية فاصلها الشره وضدها العفة واما الانواع والنتائج واللوازم المتعلقة بها فمنها حب الدنيا ومنها حب المال وضدهما الزهد
ومنها الغنى وضده الفقر ومنها الحرص وضده القناعة ومنها الطمع وضده الاستغناء عن الناس ومنها البخل وضده السخاء ويندرج
تحته وجوه الانفاقات بأسرها ومنها طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه وضده الورع والتقوى بالمعنى الاخص ومنها الغدر والخيانة وضدهما
الامانة ومنها انواع الفجور من الزنا واللواطة وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي وامثالها ومنها الخوض في الباطل ومنها التكلم بما لا يعني وبالفضول
وضدهما الترك بالصمت او بالتكلم بما يعني بقدر الضرورة واما الرذائل والفضائل المتعلقة بالقوى الثلث او باثنتين منها فمنها الحسد
وضدها النصيحة ومنها الايذاء والاهانة والاحتقار وضدها كف الاذى والاكرام والتعظيم والايذاء قريب من الظلم بالمعنى الاخص
او اعم منه وضد الظلم بالمعنى الاخص العدالة بالمعنى الاخص ومنها اخافة المسلم وادخال الكرب في قلبه وضدها ازالة الخوف والكرب عنه
ومنها ترك اعانة المسلمين وضده قضاء حوائجهم ومنها المداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وضده السعي فيهما ومنها الهجرة
والتبلد عن الاخوان وضده التآلف والتزاور ومنها قطع الرحم وضده الصلة ومنها عقوق الوالدين وضده البر اليهما ومنها
تجسس العيوب وضده الستر ومنها افشاء السر وضده الكتمان ومنها الافساد بين الناس وضده الاصلاح بينهم ومنها النمامة
بمسلم ومنها المراء والجدال والخصومة وضدها طيب الكلام ومنها السخرية والاستهزاء ومنها الغيبة وضدها المدح ودفع

الذم

الذم ومنها الكذب وضده الصدق ولجميع آفات اللسان مما له ضد خاص وما ليس له ضد بخصوصه ضد عام هو الصمت
ومنها حب الجاه والشهرة وضده حب الخمول ومنها حب المدح وكراهة الذم وضده مساواتهما ومنها الرياء وضدها الاخلاص
ومنها النفاق وضده استواء السر والعلانية ومنها الغرور وضده الفطانة والعلم والزهد ومنها طول الامل وضده
قصره ومنها مطلق العصيان وضده الورع والتقوى بالمعنى الاعم ومنها الوقاحة وضده الحياء ومنها الاصرار على المعصية
وضده التوبة واقصى مراتبها الانابة والمحاسبة والمراقبة قريبة من التوبة وضدهما الاهمال ومنها الغفلة وضدها
النية ومنها عدم الرغبة وضده الشوق ومنها الكراهة وضده الحب ومنها الجفاء وضده الوفاء وهو من تمام الحب ومنها
البعد وضده الانس وهو من لوازم حب الخلوة والعزلة ومنها السخط وضده الرضا وقريب منه التسليم ويسمى تفويضا بل هو
فوق الرضا كما يأتي ومنها الحزن وضده السرور ومنها ضعف الوثوق والاعتماد على الله وضده التوكل ومنها الكفران وضده
الشكر ومنها الجزع والهلع وضده الصبر ومنها الفسق وهو الخروج عن طاعة الله تعالى وعبادته وضده الطاعة والعبادة
ويندرج تحتها العبادات الموظفة في الشرع من الطهارة والصلوة والذكر وتلاوة القرآن والزكوة والخمس والصوم والحج
والزيارات ونحن نذكر الزكوة والخمس في وجوه الانفاقات وما سواهما في العبادة تنبيه اعلم ان احصاء الفضائل والرذائل
وضبطها وادخال البعض في البعض والاشارة الى القوة الموجبة لها على ما فصلنا مما لم يتعرض له علماء الاخلاق بل انما تعرضوا
لبعضها ويظهر من كلامهم في بعض المواضع المخالفة في الادخال والتفريع ان كثيرا من الصفات لها جهات مختلفة كل منها يناسب قوة
كما اشرنا اليه والصواب في الادخال احتمال الاعتبارات للجهات وتعددها فان ما له جهات مختلفة يتعلق بالقوى المتعددة ويمكن
جعله من الجميع ونعده من رذائله وفضائله ولا نخصه بواحدة منها ثم بعض الصفات ربما كان ببعض الاعتبارات محمودا معدودا
من الفضائل وببعض الاعتبارات معدودا من الرذائل وذلك كالحب والخوف والرجاء فان الحب ان كان متعلقا بالدنيا ومتعلقاتها
كان مذموما معدودا من الرذائل وان كان متعلقا بالله وأوليائه كان محمودا معدودا من الفضائل والخوف ان كان مما لا ينبغي كان من
رذائل قوة الغضب وان كان من المعاصي او من عظمة الله كان من فضائلها والرجاء ان كان لم يكن في موقعه كان من الرذائل وان كان في موقعه
كان من الفضائل وقس عليها غيرها مما له الاعتبارات المختلفة فصل قد دريت اجمالا ان الفضائل المذكورة ملكات مخصوصة لها
آثار معلومة وربما صدر عن بعض الناس افعال شبيهة بالفضائل وليست بها فلابد من بيان الفرق بينهما لئلا يشتبه على العامل
فيضل فنقول قد عرفت ان فضيلة الحكمة عبارة عن العلم بأعيان الموجودات علما يقينيا وهو لا ينفك عن التمني والطمأنينة
فحافظ بعض المسائل وتقريرها على وجه لا يعرف صحته ووثوق النفس واطمينانها ليس حكيما والآخذ بمثله ليس حكيما اذ حقيقة الحكمة
لا تنفك عن الاذعان القطعي واليقين وهما مفقودان فيه فمثله كمثل الاطفال في التشبه بالرجال او بعض الحيوانات في محاكاة الانسان في الاقوال
والافعال واما فضيلة العفة فقد عرفت انها عبارة عن ملكة انقياد القوة الشهوية للعقل حتى يكون تصرفها مقصورا على امره
ونهيه فيقدم على ما فيه المصلحة وينزجر عما يتضمن المفسدة بتحريك منه ولا يخالفه في اوامره ونواهيه فينبغي ان يكون الباعث على الانقياد تلك
الملكة وصدور آثارها لمجرد كونها فضيلة وكمالا للنفس وحصول السعادة الحقيقية بها لا لشيء آخر من دفع ضرر او جلب نفع
او اضطرار او الجاء فالمعرض عن اللذات الدنيوية لتحصيل اللذة التي هي منها اعظم كما هو شأن بعض تاركي الدنيا للدنيا وكذا
الحالة التي تكون لجمود القوة وقصورها او ضعف الآلة وفتورها او لحصول النفرة من كثرة تعاطيها او لحذر من حدوث الامراض
والاسقام او اطلاع الناس وتوبيخهم او لعدم ادراك تلك اللذات كما هو شأن بعض اهالي الجبال والبوادي الى غير ذلك واما فضيلة الشجاعة

فقد عرفت انها ملكة انقياد القوة الغضبية للعقل حتى تكون تصرفها بامره ونهيه ولا يكون لاقدامها وصدورها داع
سوى كونها كمالا وفضيلة فالاقدام على الامور الهائلة والخوض في الحروب العظيمة وعدم المبالاة من الضرب والقطع لتحصيل الجاه و
المال او الظفر بامرأة ذات جمال او للحذر من السلطان ومثله او للشهرة بين ابناء جنسه ليست صادرة عن ملكة الشجاعة بل منشؤها
اما رذيلة الشره او الجبن كما هو شأن عساكر الجائرين وقطاع الطريق والسارقين فانهم اكثر خوضا في الاهوال واشد جرأة على الا
للوصول الى شيء من تلك الاغراض فهو اكثر جبنا وحرصا لا اكثر شجاعة وجلادة وقس على ذلك الوقوع في المهالك والاهوال تعصبا
عن الاقارب والاتباع وربما كان باعثه تكرر ذلك منه مع حصول الغلبة فاغتر بذلك ولم يبال بالاقدام اتكالا على العادة الجارية
ومثله مثل رجل ذي سلاح لم يبال بالمحاربة مع طفل اعزل فان عدم الحذر عنه ليس لشجاعته بل لعجز الطفل ومن هذا القبيل ما
يصدر عن بعض الحيوانات من الصولة والاقدام فانه ليس صادرا عن ملكة الشجاعة بل عن طبيعة القوة والغلبة وبالجملة الشجاع
الواقعي ملكات افعاله صادرة عن اشارة العقل ولم يكن له باعث سوى كونها جميلة حسنة وربما كان الحذر عن بعض الاهوال من
مقتضيات العقل فلا ينافي الشجاعة وربما لم يكن الخوض في بعض الاخطار موجبا لها فينافيها ولذا قيل عدم الفزع مع شدة الزلازل
وتواتر الصواعق من علائم الجنون دون الشجاعة وايقاع النفس في المهلكات بلا داع عقلا او شرعا كتعرضه للسباع المؤذية او القاء
نفسه من المواضع الشاهقة في البحار والسقوط الغامر من دون علم بالسباحة من امارات الحمق والحماقة ثم الشجاع الحقيقي من كان
حذره من العار والفضيحة اكثر من خوفه من الموت والهلاك فمن لا يبالي بذهاب شرفه وفضيحة اهله وحرمه فهو من اهل الجنون
الجنون والحماقة ولا يستحق اسم العقل والشجاعة كيف والموت مع الشجاع مع لقاء الفضيلة احسن من الحيوة بدونها ولذا
يختار الموت الجميل على الحيوة القبيحة على ان الشجاعة في المبادي وربما كانت موذية وانما يظهر لذتها في العاقبة سيما اذا حصل بها الحماية
عن الدين والملة والذب عن العقائد الحقة فان الشجاع بطبعه الجميل وثباته على الرأي الصحيح اذا علم ان عمره معرض للزوال و
الدنيوية وان الفعل الجميل باق على مر الدهور يختار الجميل الباقي على الزائل الفاني فيحامي عن دينه وشريعته ولا يبالي بما يلحقه من
منابذ الطبيعة لعلمه بان الجبان المقصر في حماية الدين ومقاومة جنود الشياطين انما يبقى اياما معدودة مع تنكد عيشه بالذل والصغار
يكون ذليلا ولا يرضى نفسه بالحرمان عن السعادة الباقية لاجل ذلك ولذا قال فخر الشجعان وسيد اهل العرفان علي صلوات الله
الملك المنان لاصحابه ايها الناس انكم ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف على الراس اهون من
ميتة على الفراش وبالجملة كل فعل يصدر عن الشجاع في اي وقت يكون مقتضى للعقل مناسبا لهذا الوقت فعله في موقعه وله قوة
التحمل على المصائب وملكة الصبر على الشدائد والنوائب فلا يضطرب من شدائد الامور ويستخف بما يستعظم الجمهور واذا غضب كان
غضبه بقدر مقتضى وكان انتقامه بقدر ما يستحسن عقلا وشرعا ولا يتعدى الى ما لا ينبغي وليس مطلق الانتقام مذموما بل
في بعض المواضع مستحسن عند العقل والشرع وقد صرح الحكماء بان عدم الانتقام ممن يستحقه يحدث في النفس ذبولا لا يدفع الا
بالانتقام وربما ادى هذا الذبول الى بعض الرذائل المهلكة واما العدالة فقد عرفت انها عبارة عن انقياد القوة العملية
للعاقلة او امتزاج القوى وتسالمها وانقياد الجميع تحت العاقلة بحيث يرتفع منها التنازع والتجاذب ولا يغلب بعضها
على بعض ولا يقدم على شيء بغير امر العاقلة وامارة ذلك اذا حصلت للانسان ملكة راسخة يصدر لاجلها جميع الافعال على نهج
الاعتدال بسهولة ولا يكون الغاية في ذلك سوى كونها فضيلة وكمالا فمن يتكلف اعمال العدول لحيلة او سمعة او طلب القلوب او تحصيل
الجاه والمال ليس عادلا وقس على ذلك جميع انواع الفضائل المندرجة تحت الاجناس المذكورة فان بازاء كل منها رذيلة شبيهة بها ينبغي

لطالب السعادة

لطالب السعادة ان يعرفها ويجتنب عنها فمثال السخاء عبارة عن ملكة سهولة بذل المال على المستحق مع كون الغاية الباعثة
له عليه مجرد كونه فضيلة وكمالا دون الاغراض الاخر فبذل المال لتحصيل الازيد او لدفع الضرر او نيل الجاه او الوصول الى
شيء من اللذات الحيوانية ليس سخاوة وكذا بذله لغير المستحق والاسراف في انفاقه فان المبذر جاهل بعظم قدر المال وانه مما يحتاج
اليه في حوائج لولاه لادى الى تضييع الاهل والعيال والعجز عن كسب العلوم والفضائل والاعمال وله دخل عظيم في ترويج احكام
ونشر الفضيلة والحكمة ولذا ورد في الصحيفة السليمانية ان الحكمة مع الثروة يقظان ومع الفقر نائم وربما كان منشأ
التبذير عدم العلم بصعوبة تحصيل الحلال منه وهذا يكون في الغالب لمن يظفر بمال بغتة من ميراث وغيره ولا احتياج الى كد وعمل
فان مثله غافل عن صعوبة كسب الحلال فان المكاسب الطيبة قليلة جدا وان تحملها للاحرار مشكل ولذا ترى افاضل الاحرار ناقصي
الحظوظ منه شاكين عن بختهم واضدادهم على خلاف ذلك لعدم مبالاتهم من تحصيله باي نحو كان ونعم ما قال بعض الحكماء
ان تحصيل المال بمنزلة نقل الحجر الى قلة الجبل وانفاقه كاطلاقه فصل العدالة اشرف الفضائل وافضلها اذ هي جامعة لها
كل الفضائل او هي تلزمها لان الجور كل الرذائل لانها هيئة نفسانية يقتدر بها على تعديل جميع الصفات والافعال
ورد الزوائد والنواقص الى الوسط وانكسار سورة التخالف بين القوى المتعادية بحيث يمتزج الكل ويتحقق بينها مناسبة
واتحاد يحدث في النفس فضيلة واحدة يقتضي حصول فعل متوسط بين افعالها المتخالفة وذلك كما يحصل من حصول الامتزاج
والوحدة بين الاشياء المتخالفة صورة وحدانية يصدر عنها فعل متوسط بين افعالها المتخالفة فجميع الفضائل مترتبة على
العدالة ولذا قال افلاطون الالهي العدالة اذا حصلت للانسان اشرق بها كل واحد من اجزاء نفسه ويستضيء بعضها من
بعض فينهض النفس لفعلها الخاص على افضل ما يكون فيحصل لها غاية القرب الى مبدعها سبحانه ومن خواص العدالة و
فضيلتها الخارجة من الصفات على الوحدة وسلطانها اخراج الواحد من الكثرات والتاليف بين المتباينات والتسوية بين المتخالفات
ورد الاشياء من القلة والكثرة والنقصان والزيادة الى الوسط الذي هو الوحدة فيصير المتخالفات في هذه المرتبة متحدة
نوع اتحاد ونحو مما يوجد اطرافه متخالفة متكاثرة ولا ريب في ان الوحدة اشرف من الكثرة وكلما كان الشيء اقرب اليها يكون
افضل واكمل والى البقاء ادوم ومن طرق البطلان والفساد ابعد فالمتخالفات اذا حصل بينها هيئة مناسبة واتحاد وحصل منها
هيئة وحدانية صادقة كل ما كان ولذا قيل كان الكل صح ان يقارب بعضها وكان الكل يحفظ ان يتصف بالصفات المتقابلة
بجعلها متناسبة متسالمة وتاثير الاشعار الموزونة والنغمات والايقاعات المتناسبة وجذب الصور الجميلة للنفوس
انما هو لوحدة التناسب ولنسبة المساواة في صناعة الموسيقى وغيرها اشرف النسب لقربها الى الوحدة وغيرها من النسب
يرجع اليها وبالجملة اختلاف الاشياء في الكمال والنقص بحسب اختلافها في الوحدة والكثرة فاشرف الموجودات هو الواحد الحقيقي
الذي هو موجد الكل وجاعل مبدأه ويفيض نور الوحدة على كل موجود بقدر استعداده كالفيض عليه نور الوجود كذلك
فكل وحدة من الوحدات جوهرية كانت او خلقية او فعلية او عددية او مزاجية فهي من وحدة الحق وكلما كان اقرب اليها
يكون اشرف وجودا ولولا الاعتدال والوحدة العرضية التي هي ظل الوحدة الحقيقية لم يتم دائرة الوجود لان توليد
المواليد من العناصر الاربعة يتوقف على حصول الاتحاد والاعتدال وتعلق النفس الربانية بالبدن انما هو لحصول
نسبة الاعتدال ولذا يزول تعلقها بزواله بل النفس لتلك النسبة الشريفة اينما حلت والتحقيق انها معنى و
وحدانية تختلف باختلاف محالها في الاجزاء العنصرية الممتزجة اعتدال مزاجي وفي الاعضاء حسن ظاهري وفي الكلام فصاحة

وفي الملكات النفسية عدالة وفي الحركات غنج ودلال وفي النغمات العباد شريفة لذيذة والنفس مائلة لهذا المعنى في اي مظهر ظهر وباي صورة تجلى وباي لباس تلبس فاني احب الحسن حيث وجدته وللحسن في وجه الملاح مواقع والكثرة والقلة والنقصان والزيادة بفصل الاشياء اذا لم يكن بينها مناسبة يحفظ عليها الاعتدال والوحدة بوجه ما وفي هذا المقام نفوح نفحات قدسية يهتز لها نفوس اهل الجذبة والشوق ويتعطر منها مشام اصحاب التأله والشوق فنتعرض لها ان كنا اهلا لذلك

واذ عرفت شرافة العدالة ولجائها للعمل بالمساواة ورد كل ناقص وزائد الى الوسط فاعلم انها متعلقة بالاخلاق والافعال او بالكرامات وقسمة الاموال او بالمعاملات والمعاوضات او بالاحكام والسياسات والعادل في كل واحد من هذه الامور من يحدث التساوي فيه برد الافراط والتفريط الى الوسط ولا ريب في انه مشروط بالعلم بطبيعة الوسط حتى يمكن رد الطرفين اليه وهذا العلم في غاية الصعوبة ولا يتيسر الا بالرجوع للميزان فيعرف للاوساط في جميع الاشياء وما هو الا ميزان الشريعة اللهية الصادرة عن منبع الوحدة الحقة الحقيقية فانها المعرف للاوساط في جميع الاشياء على ما ينبغي والمتضمنة لبيان تفاصيل جميع مراتب الحكمة العملية فالعادل بالحقيقة يجب ان يكون حكيما عالما بالنواميس الالهية وقد ذكر علماء الاخلاق ان انما العدول ثلثة الاول العادل الاكبر وهو الشريعة الالهية الصادرة من عند الله سبحانه لحفظ المساواة الثاني العادل الاوسط وهو الحاكم العادل التابع للنواميس الالهية والشريعة النبوية فانه خليفة الشريعة في حفظ المساواة الثالث العادل الصامت وهو الدينار لانه يحفظ المساواة في المعاملات والمعاوضات بيان ذلك ان الانسان مدني بالطبع فيحتاج بعض افراده الى بعض اخر ولا يتم عيشهم الا بالتعاون فيحتاج الزارع الى عمل التاجر وبالعكس والنجار الى عمل الصباغ وبالعكس فيقع بينهم معاوضات فلا بد من حفظ المساوات بينها دفعا للتنازع والتشاجر ولا يمكن حفظها بالاعمال لاختلافها بالزيادة والنقصان والقلة والكثرة وغير ذلك ربما كان ادنى عمل مساويا لعمل كثير كنظر المهندس وحكم صاحب الجيش فان نظرهما في لحظة واحدة ربما كان نعم لاكثر الى ... فيحفظ المساواة بينهما بالدينار والدرهم بان يقوم بهما الاعمال والاشياء ويتبين وجه الاخذ والاعطاء ويصح المشاركات والمعاملات على نهج لا يتضمن افراطا وتفريطا وقد اشير الى العدول الثلثة في الكتاب بقوله سبحانه وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس فان الكتاب اشارة الى الشريعة والميزان الى ما له معرفة للنسبة بين المختلفات وهو الدينار والحديد الى سيف الحاكم العادل المقوم للناس على الوسط هذا والمقابل للعادل الغير الجائر المبطل للتساوي ايضا اما جائر اعظم وهو الخارج عن حكم الشريعة ويسمى كافرا او جائر اوسط وهو من لا يطيع علو الحكام في الاحكام ويسمى طاغيا وباغيا او جائر اصغر وهو من لا يقوم على حكم الدينار فياخذ لنفسه اكثر من حقه ويعطي غيره اقل من حقه ويسمى سارقا وخائنا ثم العدالة على اقسام ثلثة الاول ما يجري بين العباد وبين خالقهم سبحانه فان العدالات عبارة عن العمل بالمساواة بقدر الامكان وفي الواجب سبحانه واهب الحيوة والكمالات وما يحتاج اليه كل حي من الارزاق والاقوات وهيألنا في عالم الاخرة من البهجة والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وفي كل يوم الا يتصل الينا من نعمه وعطاياه ما تكل الالسنة عن حصره وعده فيجب ان يكون له تعالى علينا حق نقابل به تلك النعم التي لا كثرة لها حتى تحصل العدالة في الجملة اذ من اعطى خيرا ولم يقابله بضرب من المقابلة فهو جائر ثم المقابلة والمكافاة تختلف باختلاف الاشخاص فان ما يؤدى به احسان السلطان غير ما يؤدى به احسان غيره فان مقابلة احسانه انما يكون بمثل الدعاء ونشر المحاسن ومقابلة احسان غيره يكون بمثل بذل المال والسعي في قضاء حوائجه وغير ذلك والواجب سبحانه غني

عن معونتنا ومساعينا ولا احتياج الى شيء من اعمالنا وافعالنا ولكن يجب علينا بالنظر الى شرع العدالة حقوق يحصل بها المساواة في الجملة كمعرفته ومحبته وتحصيل العقايد الحقة والاخلاق الفاضلة والاجتهاد في امتثال ما جاءت به رسله وسفراؤه من الصوم والصلوة والسعي الى المواقف الشريفة وغير ذلك وان كان التوفيق لادراك ذلك كله من جملة نعمائه الا ان العبد اذا ادى ما له فيه مدخلية واختيار من وظايف الطاعات وترك ما تقتضي القوة بتمكنه عن ارتكاب المعاصي والسيئات لخرج عن الجور المطلق ولم يصدق عليه انه جائر مطلق وان كان اصل تمكنه واختياره بل اصل وجوده وحيوته كلها من الله سبحانه الثاني ما يجري بين الناس بعضهم لبعض من اداء الحقوق وتادية الامانات والنصفة في المعاملات والمعاوضات وتعظيم الاكابر والرؤساء واعانة المظلومين والضعفاء وهذا القسم من العدالة يقتضي ان يرضى بحقه ولا يظلم احدا ويقيم كل واحد من ابناء نوعه على حقه بقدر الامكان ... بعضهم بعضا حتى يؤدي حق اخوانه المؤمنين بحسب استطاعته فقد ورد في الحديث النبوي ان للمؤمن على اخيه ثلثين حقا لا براءة له منها الا بادائها او العفو يغفر زلته ويستر عورته يقيل عثرته ويقبل معذرته ويرد غيبته ويديم نصيحته ويحفظ خلته ويرعى ذمته ويعود مرضته ويشهد ميتته ويجيب دعوته ويقبل هديته ويكافي صلته ويشكر نعمته ويحسن نصرته ويحفظ حليلته ويقضي حاجته ويشفع مسئلته ويسمت عطسته ويرشد ضالته ويرد سلامه ويطيب كلامه ويبر انعامه ويصدق اقسامه ويوالي وليه ولا يعاديه وينصره ظالما او مظلوما فاما نصرته ظالما فيرده عن ظلمه واما نصرته مظلوما فيعينه على اخذ حقه ولا يسلمه ولا يخذله ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ويكره له من الشر ما يكره لنفسه الثالث ما يجري بين الاحياء وذوي حقوقهم من الاموات من اداء حقوقهم وديونهم وانفاذ وصاياهم والترحم عليهم بالصدقة والدعاء وقد اشار خاتم الرسالة الى اقسام العدالة بقوله ... التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وبقوله خير الدين النصيحة قيل لمن قيل لله ولرسوله ولعامة المؤمنين

ايقاظ

قد ظهر مما ذكرنا ان الكمال كل الكمال للشخص هو العدالة والتوسط في جميع صفاته وافعاله الباطنة والظاهرة سواء كانت مختصة بذاته او متوسطة بينه وبين ابناء نوعه ولا يحصل النجاة والسعادة الا بالاستقامة على وسط الاشياء المتخالفة والتثبت على مركز الاطراف المتباعدة فكن يا حبيبي جامعا للكمالات متوسطا بين مراتب السعادات ومركزا لدائرة نيل الافاضات فكن اولا متوسطا بين العلم والعمل جامعا بينهما بقدر الامكان ولا تكتف باحدهما حتى تكون واحدا من الرجلين القاصمين ظهر النبي في التقليين وكن في العمل متوسطا في حفظ الظاهر والباطن فلا يكن باطنك خبيثا وظاهرك نقيا حتى تكون كشوهاء ملبسة بثوب حوراء متلبسة بانواع التلبيسات ولا بالعكس لتكون مثل درة ملوثة باقسام القاذورات بل ينبغي ان يكون ظاهرك مرآة لباطنك حتى يظهر من محاسنك بعد رعاية تصفية ملكاتك الفاضلة الباطنة وكن في جميع ملكاتك الباطنة وافعالك الظاهرة متوسطا بين الافراط والتفريط على ما يقرع سمعك في هذا الكتاب ثم كن في العلوم متوسطا بين العلوم الباطنة العقلية والعلوم الظاهرة الشرعية فلا تكن من الذين قصروا انظارهم على ظواهر الايات ولم يعرفوا حقايق البينات فيذمون علماء الحقيقة وينسبونهم الى الالحاد والزندقة ولا من الذين صرفوا اعمارهم في فضول اهل يونان وجحدوا ما جاء به حامل الوحي والقرآن يذمون علماء الشريعة فيثبتون لهم سوء القريحة ويدعون لانفسهم الذكاء والفطانة وينسبون حملة الانبياء الى الجهل والبطالة ثم كن في العقليات متوسطا بين طرق العقلاء من غير جمود على واحدة منها بحد التقليد والتعصب فتوسط بين الحكمة والكلام والاشراق والعرفان واجمع بين الاستدلال وتصفية النفس بالعبادة والرياضة فلا تكن متكلما صرفا

لا تعرف سوء الجهل ولا اشيائيا محضا اضاع الدين واهمل ولا متصوفا استراح بدعوى المشاهدة والعيان من دون بينة
وبرهان وكونوا في العلوم الشرعية متوسطا بين الاصول والفروع فلا تكن اخباريا تاركا للقواعد القطعية ولا اصوليا عاملا
بقياسات عامية وقس على ذلك جميع امورك الباطنة والظاهرة واعمل بما يسلك اما طريق السداد ويوفقك للكتاب
ناد المعاد **فصل** ان قيل قد تلخص مما ذكر ان الفضيلة في جميع الاخلاق والصفات انما هو المساواة من غير زيادة و دفع اشكال
نقصان مع انه قد ثبت ان التفضل محمود وهو زيادة فلا يدل على ان العدالة الراجعة الى المساواة قلنا التفضل احتياط
يقع لتحصيل القطع بعدم الوقوع في النقصان الذي لبس الوسط في طرفين من الاخلاق على نحو واحد فان الزيادة في العطاء اذا لم
يؤد الى الاسراف احسن من النقصان عنه واشبه بالمحافظة على شرائطه فالتفضل انما يصدر عن فضيلة العدالة لا لمها مبالغة
فيها والذي هو خارج عن حقيقتها اذ المتفضل من يعطي المستحق ازيد مما يستحقه وهذه الزيادة ليست مذمومة بل هي العدالة مع الاحتياط
فيها ولذا قيل ان المتفضل افضل من العادل والمذموم ان يعطي غير المستحق او يترك المساواة بين المستحقين لانه انفق فيما لا ينبغي
او على ما لا ينبغي وصاحبه لا يسمى متفضلا بل مضيعا ولكون التفضل احتياطا انما يحسن من الرجل بالنسبة الى صاحبه في المعاملة
التي بينهما فلو كان بين الجماعة ولم يكن له نصيب فيما يحكم فيه لم يسعه الا العدل المحض والا لزم التفضل **فصل** قد تلخص ان حقيقة
العدالة اولا ان يحال ان يغلب العقل الذي هو خليفة الله على جميع القوى حتى المحض ولم يلزم التفضل يستعمل كلا منها فيما يقتضي
رأيه فلا يفسد نظام العالم الانساني فان الواجب سبحانه لما ركب الانسان لحكمة الحقة ومصلحته التامة من القوى الكثيرة المتضادة تتميم
فاذا تهاجت وتغالبت ولم يقهرها قاهر حتى حدث بينهما تهاوش واضطراب انواع الشر وجذبه كل واحد منها الى ما يقتضيه
ويشتهيه كما هو الشأن وكل مركب حقيقيا شبهه المعلم الاول مثله عن يجذب من جهتين حتى ينقطع ويشق بنصفين او من جهات كثيرة
فينقطع حسبها فيجب على كل انسان ان يجاهد حتى يغلب عقله الذي هو الحكم العدل والخليفة المطلق على قواه المختلفة ويرفع اختلافها
وتجاذبها ويقيم الجميع على الصراط القويم ثم كل من لم يعدل قواه وصفاته لم يتمكن من اجراء احكام العدالة بين شركائه في المنزل والبلد
اذ العاجز عن اصلاح نفسه كيف يقدر على اصلاح غيره فان السراج الذي لا يضيء قريبه كيف يضيء بعيده فمن عدل قواه وصفاته اولا
واجتنب عن الافراط والتفريط واستقر على جادة الوسط كان مستعدا لسلوك هذه الطريقة بين ابناء نوعه وهو خليفة الله في ارضه
واذا كان متكلما بين الناس وكان زمام مصلحتهم في قبضة اقتداره لتنورت البلاد باهلها وصلحت امور العباد باسرها ودام الحرث و
النسل ودامت بركات السماء والارض وغير خفي ان اشرف وجوه العدالات واهمها وافضل صنوف السياسات واعمها هو عدالة السلطان
اذ غيرها من العدالات مرتبطة بها ولولاه لم يتمكن احد من رعاية العدالة كيف وتهذيب الاخلاق وتدبير المنزل يتوقف على فراغ
البال وانتظام الاحوال ومع جور السلطان امواج الفتن متلاطمة وافواج المحن متراكمة وعوائق الزمان متزاحمة وبوائق الحدثان
متصادمة وطالبوا الكمال كالحيارى في الصحارى لا يجدون الى مقاصدهم سبيلا ولا يجدون لهم مرشدا ودليلا وعرصات العلم والعمل
دارسة الآثار ومنازلها مظلمة الارجاء والاقطار فلا يحصل ما هو الملاك في تحصيل السعادات اعني فراغ الخاطر والاطمينان وانتظام
امر المعاش الضروري لافراد الانسان ولذا لو تصفحت في امثال زماننا هذا المدن والبلاد واطلعت على بواطن فرق العباد لم تجد
من الالوف واحدا تمكن من اصلاح نفسه او يكون يوما من ايام مواسيه بل لا تجد دنيا او صوابا على وفق الاسلام اهلا ولا طالبا الا
وهو لعدم المكنة باق على جهله ولعمري ان هذا الزمان هو الزمان الذي اخبر عنه سيد الانام وعترته الابرار الكرام عليه وعليهم افضل التحية
والسلام من انه لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا درسه وبالجملة المناط لتحصيل الكمالات واخراج النفوس من الجهالات هو عدالة

السلطان

السلطان واعتنائه باعلاء الكلمة وسعيه في ترويج احكام الدين والملة ولذا ورد في الاخبار ان السلطان اذا كان عادلا
شريكا في ثواب كل طاعة تصدر عن كل رعية وان كان جائرا كان شريكا في معاصيهم وقال سيد الرسل ص اقرب الناس يوم
القيمة الى الله الملك العادل وابعدهم منه الملك الظالم وورد عنه ص عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة
والسر ان اثر عدل ساعة واحدة ربما يصل الى جميع المدن والامصار ويبقى على ممر الدهور والاعصار وقال بعض الاكابر لو
علمت ان تستجيب لي دعوة واحدة لخصصتها باصلاح حال السلطان حتى يعم نفعه **تتميم** لو استحكمت رابطة المحبة والمودة وعلاقة تنبيه
بين الناس لم يحتاجوا الى سلسلة العدالة فان اهل الوداد والمحبة في مقام الايثار ولو كان بهم خصاصة فكيف يجوز
بعضهم على بعض والسر ان رابطة المحبة اتم واقوى من رابطة العدالة لان المحبة وحدة طبيعية جبلية والعدالة وحدة قهرية
قسرية على انها لا ينتظم بدون المحبة لكونها باعثة للايجاد كما اشير اليه في الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان
اعرف فالمحبة هو السلطان المطلق والعدالة نائبها وخليفتها **فصل** لاكتساب الفضائل ترتيب ينبغي ان لا يتعدى عنه
وبيان ذلك ان مبادي الحركات المؤدية الى الكمالات اما طبيعية كحركة النطفة في الاطوار المختلفة الى بلوغ كمال الحيوانية
او صناعية كحركة الخشب بتوسط الالات الى بلوغ كمال السريرية ثم الطبيعة وتحريكاتها لاستنادها الى المبادي العالية يكون
متقدمة على الصناعة المستندة الى الانسان ولما كان كمال التالي ان يتشبه بالاوايل فينبغي ان يقتدي الصناعة في تحريكاتها
المؤدية الى كمالها بالطبيعة واذا ثبت ذلك فاعلم ان تهذيب الاخلاق لما كان امرا صناعيا لزم ان يقتفي في تحصيله من حيث
الترتيب بافعال الطبيعة في ترتيب حصولها فنقول لا ريب في ان اول ما يحصل في الطفل قوة طلب الغذاء واذا زادت تلك القوة
يبكي ويرفع صوته لاجل الغذاء واذا قويت حواسه وتمكن من حفظ بعض الصور يطلب صورة الام او الظئر جميع ذلك
متعلق بالقوة الشهوية وغاية هذه القوة ان يتم ما يتعلق بالشخص من الامور الشهوية وينبعث منه الميل الى استبقاء
النوع فيحدث ميل النكاح والوقاع ثم يظهر فيه اثار القوة الغضبية حتى يدفع عن نفسه ما يؤذيه ولو بالاستعانة الى غيره
وغايته كمال هذه القوة حصول التمكن من حفظ الشخص والاقدام على حفظ النوع فيحدث فيه الميل الى التحصيل بالتفوق من اصناف
الرياسات والكرامات ثم يظهر فيه اثار قوة التميز ويتزايد الى ان يتمكن من تعقل الكليات وههنا تم ما يتعلق بالطبيعة من
التدبير والتكميل ويكون ما بعد ذلك التكميل الصناعي فلو لم يحصل الاستكمال بالكسب والصناعة بقي على هذه الحالة ولم يبلغ
الى الكمال الحقيقي الذي خلق الانسان لاجله لانه لم يخلق احد مجبولا على الاتصاف بجميع الفضائل الخلقية الا من ايد من عند
الله بالنفس القدسية وان كان بعض الناس اكثر استعدادا لتحصيل بعض الكمالات من بعض ومن هنا يحتاج الانام في تكميل
نفوسهم من الكسب والاستعلام وظهر مما ذكر ان الطبيعة تولد اولا القوة الشهوية ثم قوة الغضب ثم قوة التميز فيجب ان يقتدي
في التكميل الصناعي بتهذيب اولا القوة الاولى ليكتسب العفة ثم الثانية ليتصف بالشجاعة ثم الثالثة ليتحلى بالحكمة فمن حصل
بعض الفضائل على الترتيب الحكمي كان تحصيل الباقي له في غاية السهولة ومن حصلها لا على الترتيب فلا يظن ان تحصيل الباقي
متعذر بل هو ممكن وان كان اصعب بالنسبة الى تحصيله بالترتيب فان عدم الترتيب يوجب عسر الحصول لا التعذر كما ان
الترتيب يوجب يسره للعجز وامكانه فلا يترك السعي والجد على حاله ولا ييأس من رحمة الله الواهب المتعال وليشمر ذيل الهمة
على منطقة الطلب حتى ييسر له الوصول الى ما هو المقصد والمطلب ثم الفضيلة ان كانت حاصلة لزم السعي في حفظها و
ابقائها وان لم يكن حاصلة بل كان ضدها حاصلا لوجب تحصيلها بازالة الضد ولذا كان فن الاخلاق على قسمين احدهما

الباب الثالث

رابع للحفظ الفضايل وثانيهما نافع في دفع الرذايل ويكون شبيها بعلم الطب من حيث انقسامه الى قسمين احدهما في حفظ الصحة وثانيهما
في دفع المرض ولذا يسمى روحانيا كما ان الطب المتعارف يسمى طبا جسمانيا ومن هنا لقب جالينوس ... الاسم من طبيب الابدان
طبيب النفوس ثم ان لكل من حفظ الصحة ودفع المرض في الطب الجسماني علاجا خاصا فكذا لكل من حفظ الفضايل وازالة الرذايل في
الطب الروحاني معالجات معينة كما نذكرها ثم نعقد الباب الثالث في طريق حفظ اعتدال الاخلاق المحمودة واستيصالها بالعلاج
نقايضها المذمومة وفيه فصول **فصل** قد تقرر في الطب الجسماني ان حفظ الصحة بايراد المثل وملايم المزاج فيجب ان يكون حفظ اعتدال
الفضايل ايضا بذلك وايراد المثل لحفظ اعتدالها يكون باحد منها اختيار مصاحبة الاخيار والمعاشرة مع اولي الفضايل النقية
واستماع كيفية سلوكهم مع الخلايق والخليقة والاجتناب عن مجالسة الاشرار وذوي الاخلاق السيئة والاحتراز عن استماع قصصهم
وحكاياتهم وما صدر عنهم من الافعال الردية فانهم فان المصاحبة مع كل احد اقوى باعث على الاتصاف باوصافه فان الطبع يسرق
من الطبع كلا من الخير والشر والسر ان النفس الانسانية ذات قوى بعضها يدعو الى الخيرات والفضايل وبعضها يقتضي الشرور والرذايل
والرذايل فكل احد من الاحدهما الحي بلعث لما يقتضيه جبلته مال اليه وغلب على صاحبه ولكون دواعي الشر في القوى اكثر من بواعث
الخير فيها يكون الميل الى الشر اسرع واسهل بالنسبة الى الميل الى الخير ولذا قيل ان تحصيل الفضايل بمنزلة الصعود الى الاعالي
وكسب الرذايل بمثابة النزول منها والى ذلك يشير قوله ص حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات ومنها اعمال
القوى في تحصيل الصفات والمواظبة على الافعال التي هي اثار فضايل الملكات وحمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الحال
الذي يريد حفظه فالحافظ لملكة الجود يجب ان يواظب على انفاق المال وبذله على المستحقين ويهجم على نفسه مهما وجد ان
ميلها الى الامساك والحافظ لملكة الشجاعة يجب ان لا يترك الاقدام في الاخطار والاهوال بشرط اشارة العقل ويغضب على
نفسه عند حصول الجبن منها وهكذا الحال في ساير الصفات وهذا بمثابة الرياضة الجسمانية في حفظ الصحة البدنية
ومنها التامل فيما يفعله لئلا يصدر منه غفلة خلاف ما يقتضيه الفضيلة ولو صدر عنه احيانا خلاف مقتضاها فليؤدب
نفسه بارتكاب ما يضادها ويشدد عليها عقوبة بعد تعييرها وتوبيخها كما اذا اكل ما يضره من المطاعم فليؤدبها بالصوم
واذا صدر منه غضب على من لا يستحقه في واقعة فليؤدبها بايقاعها في مثلها مع الصبر عليها او يعرضها لاهانة السفهاء حتى يكسر
جاهه او يؤدبها بارتكاب ما يشق عليها من النذر والصدقة وغير ذلك وينبغي ان لا يترك الجد والسعي في التحصيل والحفظ
وان بلغ الغاية لان التعطيل يؤدي الى الكسالة وهي الى انقطاع فيوضات عالم القدس فينسلخ الصورة الانسانية ويحصل
الهلاكة الابدية فالسعي ... يجتهد النفس وصفايها والانس بالحق والالف بالصدق فيتنفر عن الكذب والباطل
فيترقى اعلى مدارج الكمالات ومراتب السعادات حتى ينكشف عليه الاسرار الالهية والغوامض الربانية ويتشبه بالروحانيات
القادسة وينخرط في سلك الملائكة المقدسة ويجب ان يكون سعيه في امور الدنيا بقدر الضرورة ويحتم على نفسه
تحصيل الزوايد لانه لا شقاوة من صرف الجوهر الباقي النوراني في تحصيل الخزف الفاني الظلماني الذي يفوت عنه وينتقل
الى العلائق من الوارث وغيرهم ومنها ان يحترز عن تهييج الشهوة والغضب بتذكر وسماعها وتخيلا ومن هيجهما لكن هيج
كلما ... ثم يضطر الى تدبير الخلاص منه واذا تحركتا بالطبع فيقتصر في تسكينهما بما يبيح الخلقة و
لا يناقض حفظ الصحة وهو القصد الذي جوزه العقل والشريعة ومنها ان يستقصي في طلب خفايا عيوب نفسه
واذا عثر على شيء منها اجتهد في ازالته ولما كانت النفس عاشقة لصفاتها وافعالها فكثيرا ما يخفى عليها بعض عيوبها

فليلزم على

فليلزم على كل طالب للصحة وحافظها ان يختار بعض اصدقائه ليتفحص عن عيوبه ويخبره بما اطلع عليه واذا اخبره بشيء منها
فليفرح ويبادر الى ازالته ... بقوله وليعلم ان اهداء شيء من عيوبه اليه احسن عنده من كل ما يحبه ويهواه وربما
كان العدو في هذا الباب انفع من الصديق لان الصديق يداهن ويستر العيب ولا يظهره والعدو يصر على اظهاره بل ربما يتجاوز
الى البهتان فاذا اظهر الاعداء عيوبه فليشكر على ذلك وليبادر الى دفعها ورفعها ومما ينفع في المقام ان يجعل صور الناس مرايا
لعيوبه ويتفقد عيوبهم واذا اعترض على عيب منهم تامل في قبحه ويعلم ان هذا العيب اذا صدر عنه يكون قبيحا مثله فيدعي عن
هذا القبيح ويجتهد في ازالته وينبغي ان يحاسب نفسه في اخر كل يوم وليلة ويتفحص عن جميع ما صدر منه من الافعال فيها
فان لم يصدر عنه شيء من القبايح والذمايم فليحمد الله على حسن تاييده وان صدر عنه شيء من ذلك فليعاتب نفسه ويتوب
ويجتهد ان لا يصدر عنه بعد ذلك مثله تنبيه قد تبين ان للطب الروحاني اسوة بالطب الجسماني والقانون في معالجة الامراض
الجسمانية ان يعرف جنس المرض اولا ثم الاسباب ثم تبين كيفية العلاج والعلاج فيها اما كلي يتناول جميع الامراض او جزئي يختص بمرض
مرض فكذلك الحال في الطب الروحاني حتى نشير الى ذلك في فصول **فصل** الامراض النفسانية هي انحرافات الاخلاق عن الاعتدال
وطريق معرفتها انك قد عرفت ان القوى الانسانية محصورة في انواع ثلثة احدها قوة التميز وثانيها قوة الغضب ويعبر عنها
بقوة الدفع وثالثها قوة الشهوة ويعبر عنها بقوة الجذب وانحراف كل منها اما في الكمية او في الكيفية والانحراف في الكمية
اما الزيادة عن الاعتدال او النقصان عنه والانحراف في الكيفية انما يكون برداءتها فامهات امراض كل قوة اما الافراط او التفريط
او الجنس وانما رداءة الكيفية فالافراط في قوة التميز كالجربزة والدهاء والتجاوز عن حد النظر والمبالغة في التفكر والتوغل في
موضع التشبه الواهية والحكم على الجزئيات بقوة الوهم واعمال الذهن في ادراك ما لا يمكن دركه والتفريط فيها كالبلاهة وقصور
النظر عن معقلها الواجب كاجراء الحكم المحسوسات على المجردات واما الرداءة فيها كالسفسطة في الاعتقاد والميل الى الغير لعلوم
الغير اليقينية كعلم الجدل والخلاف انه يلمس على اليقينيات واستعمالها في مقام اليقينيات والتوق الى علم الكهانة والشعبذة
وامثالها للوصول الى الشهوات الخسيسة واما الافراط في قوة الدفع ككثرة الغضب والغيظ وفرط الانتقام فيما كالغيظ
على الجمادات والبهايم بحيث يتشبه بالسباع والتفريط كعدم الغيرة والحمية والتشبه بالاطفال والنسوان في الاطلاق
والصفات واما الرداءة فيها كالغيظ على الجمادات والبهايم او على الناس لا بسبب موجب للانتقام واما الافراط في قوة
الجذب فكالحرص على الاكل والجماع ازيد من قدر الضرورة والتفريط فيه فكالفتور عن تحصيل الاقوات الضرورية وتضييع العيال
والجمود عن الشهوة حتى ينقطع عنه النسل واما الرداءة فيها فكشهوة اكل الطين والميل الى مقاربة الذكور ثم انك قد
عرفت ان اجناس الفضايل اربعة فاجناس الرذايل بحسب الكمية ثمانية لكل فضيلة ضدان كل منهما ضد للاخر وبحسب الكيفية
اربعة ويحصل من تركيبها وامتزاجها انواع واصناف لا يعد كثرة كما عرفت اكثرها **فصل** اعلم ان اسباب الانحراف في الاخلاق
اما نفسية حاصلة في النفس في بدو فطرتها او حادثة من مزاولتها للاعمال الردية او جسمية وهي الامراض الموجبة لبعض
الملكات الردية والسر في ذلك ان النفس لما كانت متعلقة بالبدن علاقة ارتباطية فيتاثر كل منهما بتاثر الاخر وكل
كيفية تحصل في احدهما يسري في الاخر كان غضب النفس او عشقها يوجب اضطراب البدن وارتعاشه وتاثر البدن
بالامراض سيما اذا حصلت في الاعضاء الرئيسة يوجب النقص في ادراك النفس وفساد تخيلها وكثيرا ما يحدث من بعض
الامراض السوداوية فساد الاعتقاد والجبن وسوء الظن ومن بعضها التهور ويحصل من اكثر الامراض سوء الخلق

فصل سبيل الانحراف ان كان مرضا جسمانيا فيجب ان يبادر الى ازالته بالمعالجات الطبية وان كان نفسانيا فالمعالجة الكلية هنا كالمعالجة الكلية في الطب الجسماني والمعالجة الكلية فيه ان يعالج المرض اولا بالغذاء الذي هو ضد المرض طبعا كان يعالج المرض البارد بالغذاء الحار فان لم ينفع فبالدواء وان لم ينفع فبالسموم وان لم يحصل بها البرء فبالكي والقطع وهو اخر العلاج فالقانون الكلي في المعالجة هنا ايضا كذلك وهو ان يبادر بعد معرفة الانحراف الى تحصيل الفضيلة التي هي ضده والمواظبة على الافعال التي هي اثارها وهذا بمنزلة الغذاء المضاد للمرض فكما ان حصول الحرارة في المزاج يرفع البرودة الحادثة فيه فكذا كل فضيلة حدثت في النفس يزيل الرذيلة التي هي ضدها فان لم ينفع فليوبخ النفس ويعيرها على هذه الرذيلة فكرا وقولا وعملا ويعاتب ويخاطب بلسان الحال والمقال ايتها النفس الامارة قد هلكت وتعرضت لسخط الله وغضبه وعنقريب تعذبين في النار مع الشياطين والاشرار فان لم يؤثر ذلك فليرتكب اثار الرذيلة التي هي ضد هذه الرذيلة بشرط حالة التعديل فصاحب الجبن مثلا يتعمل اعمال المتهورين في ورود المخاوف والاهوال ويلقي نفسه في موارد الخطر والاخطار وصاحب البخل يكثر من بذل الاموال بشرط ان يكف اذا قرب زوال الجبن والبخل لئلا يقع في التهور والاسراف وهذا بمنزلة المداواة بالسم فان لم ينفع ذلك لقوة استحكام المرض فليعذب النفس بانواع التكاليف الشاقة والرياضات المتعبة المضعفة للقوة الباعثة على هذه الرذيلة وهذا بمثابة الكي والقطع وهو اخر العلاج تنبيه لما عرفت المعالجة الكلية الشاملة لجميع الرذائل باجناسها وانواعها واصنافها فنشتغل الان لبيان معالجة كل من الرذائل بخصوصه وقد عددنا قبل ذلك ما يتعلق بالقوى الثلث من الرذائل واضدادها من الفضائل ما له اسم مشهور فيحسن ان نذكر معالجة كل رذيلة بخصوصه ونذيله بذكر ما يضاده من الفضيلة وما ورد في مدحه عقلا ونقلا لان العلم بمدح كل فضيلة وحسنه اعون شيء على ازالة ما يضاده من الرذيلة وربما كان جملة من الرذائل المختلفة في الاسم مشتركة في المعالجة وربما كان للرذائل او الفضائل المتعددة صنف واحد منها فنحن نشير الى ذلك ونشير ايضا في تلو كل رذيلة وفضيلة الى ما يتعلق بهما من افعال الجوارح مع معالجته ان كان له ذلك ونراعي الترتيب المذكور في مقام الاجمال فنذكر اولا ما يتعلق بالقوة العاقلة من الجنسين وانواعهما ثم ما يتعلق بالشهوية ثم ما يتعلق بالثلث او الاثنين منها فهنا اربع مقامات المقام الاول في معالجة الرذائل المتعلقة بالقوة العاقلة اما جنسا رذائلها البسيط فاولهما الجربزة الموجبة للخروج في الفكر عن الحد اللائق وعدم استقامة الذهن على شيء بل لا يزال يستخرج امورا دقيقة غير مطابقة للواقع فيتجاوز عن الحق ولا يستقر عليه وربما ادى في العقليات الى الالحاد وافساد الاعتقاد بل الى نفي حقائق الاشياء كالسوفسطائية وفي الشرعيات الى الوسواس وعلاجها بعد تذكر قبحه وايجابه للهلاك ان يكلف نفسه الاستقامة على مقتضى الادلة المعتبرة عند اولي الافهام والايقاف على معتقدات اهل والمعروفين بالتحقيق والاستقامة ولا يزال يكلف نفسه على ذلك حتى يعتاد القيام على الوسط ومما له الاشتغال بالتعليميات ينفع في ذلك وثانيهما الجهل البسيط وقد عرفت انه من باب التفريط وهو خلو النفس عن العلم من دون اعتقاد بكونها عالمة وهو في البداية غير مذموم لتوقف التعلم عليه اذ ما لم يعتقد النفس جهلها بالمعارف لم تتنهض لتحصيلها واما الثبات عليه فهو من المهلكات العظيمة والطريق في ازالته امور الاول ان يتذكر ما يدل على قبحه ونقصه عقلا وهو ان يعلم ان الجاهل ليس انسانا بالحقيقة وانما يطلق عليه الانسان مجازا اذ فضل الانسان عن سائر الحيوانات انما هو الادراك الكلي المعبر عنه بالعلم لمشاركتها معه في سائر الامور من الجسمية والقوة الغضبية والشهوية والصوت وغير ذلك فلولا علم بحقائق الاشياء وخواصها لكان حيوانا بالحقيقة ولذا ترى ان من كان في محاورة

العلماء فكان

العلماء وكان جاهلا باقيا في الجهل لم يكن فرق بينه وبين البهائم بالنسبة اليهم واي هلاك اعظم من الخروج عن حد الانسانية والدخول في حد البهيمية الثاني ان يتذكر ما ورد في الشريعة من الذم عليه مثل قوله ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة وعد منهم اهل الرساتيق بالجهالة الثالث ان يتذكر ما يدل على فضيلة العلم عقلا ونقلا كما نذكره واذا وقف على جميع ذلك فليتيقظ عن سنة الغفلة ويعرف انه آفة الجهل ويجتهد لتحصيل العلم عن اهاليه ويصرف فيه ايامه ولياليه فصل قد علم ان ضد الجنسين له اي الجربزة والسفسطة والجهل هو الحكمة اعني العلم بحقائق الاشياء فلنذكر بعض ما يدل على شرافته عقلا ونقلا ترغيبا للطالبين على السعي في تحصيله وازالة الجهل عن نفوسهم فنقول لا ريب في ان العلم افضل الفضائل الكمالية واشرف النعوت الجمالية بل هو اجل الصفات الربوبية واجمل السمات الالوهية وهو الموصل الى جوار رب العالمين والدخول في افق الملائكة المقربين وهو المؤدي الى دار المقامة التي لا تزول ومحل الكرامة التي لا تحول وقد تطابق العقل والبرهان واجماع ارباب الاديان على ان السعادة الابدية والقرب من الله سبحانه لا يتيسر الا بدونه واي شيء افضل مما هو ذريعة اليها ايضا قد ثبت في الحكمة المتعالية ان العلم والتجرد متلازمان فكلما يزداد النفس علما يزداد تجردا ولا ريب في ان التجرد اشرف الكمالات المتصورة للانسان اذ به يحصل التشبه بالملاء الاعلى والوصل الى القرب من الله ثم ومن جملة العلوم معرفة الله التي هي السبب الكلي لايجاد العالم العلوي والسفلي كما دل عليه الخبر القدسي كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق على ان العلم لذيذ في نفسه محبوب لذاته وما يحصل من اللذة والابتهاج فلا يحصل من غيره والسر فيه ان ادراك الاشياء والاحاطة بها نوع تملك وتصرف لها اذ يتقرر في ذات المدرك حقايقها وصورها ومثل هذا التملك لكونه للعالم وجزئية المدرك للمدرك اقوى من ملكية الاعيان المباينة عن ذات المالك والزائلة عنه بالتحقيق ان اطلاق الملكية عليه مجازي والنفس لكونها من سنخ عالم الربوبية تحب التفرد والاستيلاء على الاشياء والمالكية لها باسرها اذ معنى الربوبية التوحد بالكمال والاستعلاء والغلبة على الاشياء ثم من فوائد العلم في الدنيا العز والاعتبار عند الاخيار والاشرار ونفوذ الحكم على الملوك وارباب الاقتدار فان طباع الانام من الخاص والعام مجبولة على تعظيم اهل العلم وتوقيرهم ووجوب اطاعتهم واحترامهم بل جميع الحيوانات من البهائم والسباع مطيعة للانسان مسخرة له لاختصاصه بمزية التمييز ولو تصفحت احاد الناس لم تجد احدا له تفوق وزيادة على غيره في جاه او مال او غير ذلك الا وهو راجع الى اختصاصه بمزيد تمييز وادراك ولو كان من باب المكر والحيل هذا وما يدل على شرافة العلم من الايات والاخبار اكثر من ان يحصى فيكفيه منها قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وقوله وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقول النبي ص العلماء ورثة الانبياء وقوله ص اللهم ارحم خلفائي قيل يا رسول الله من خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي وقوله ص لابي ذر الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم احب الى الله من قيام الف ليلة يصلى في كل ليلة الف ركعة واحب اليه من الف غزوة ومن قراءة القرآن كله اثني عشر الف مرة وخير من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها ومن خرج من بيته ليلتمس بابا من العلم كتب الله عز وجل له بكل قدم ثواب نبي من الانبياء وثواب الف شهيد وبنى واعطاه الله بكل حرف يسمع او يكتب مدينة في الجنة وطالب العلم يحبه الله ويحبه الملائكة والنبيون ولا يحب العلم الا السعيد فطوبى لطالب العلم والنظر الى وجه العالم خير من عتق الف رقبة ومن احب العلم وجبت له الجنة ويصبح ويمسي في رضى الله ولا يخرج من الدنيا حتى يشرب من الكوثر ويأكل من ثمرة الجنة ولا يأكل الدود جسده ويكون في الجنة رفيق خضر وقال امير المؤمنين ع

في فضيلة العلم

ان كان الدين طلب العلم والعمل به وان طلبه اوجب عليكم من طلب المال ان المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وقد
ضمنه وسيفي لكم والعلم مخزون عند اهله فاطلبوه وقوله اذا مات مؤمن وترك ورقة واحدة عليها علم تكون تلك الورقة سترا بينه
وبين النار واعطاه الله بكل حرف عليها مدينة اوسع من الدنيا سبع مرات وقول سيد الساجدين علي بن الحسين لو يعلم الناس
ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج وقول الباقر عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد وقول الصادق لو يعلم
الناس ما في فضل معرفة الله ما مدوا اعينهم الى ما متع به الاعداء من زهرة الحيوة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم اقل عندهم مما يطؤن
بارجلهم ولتنعموا بمعرفة الله تعالى وتلذذوا بها تلذذ من لم يزل في روضات الجنان مع اولياء الله ان معرفة الله تعالى انس من كل وحشة
وصاحب من كل وحدة ونور من كل ظلمة وقوة من كل ضعف وشفاء من كل سقم قد كان قوم قبلكم يقتلون ويحرقون وينشرون ويضيق
عليهم الارض برحبها فما يردهم عما هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا اذى بل ما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله
العزيز الحميد فاسئلوا ربكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم وعن الرضا عن ابائه عن النبي صلعم انه قال طلب
العلم فريضة على كل مسلم فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة والمذاكرة به تسبيح والعمل
به جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة الى الله لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل الجنة والمونس في الوحشة
والصاحب في الغربة والوحدة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به
اقواما ويجعلهم في الخير قادة تقتبس اثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى ارائهم ترغب الملائكة في خلتهم وباجنحتها تمسحهم وفي صلوتها
يباركون عليهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه ان العلم حيوة القلوب من الجهل
وضياء الابصار من الظلمة وقوة الابدان من الضعف يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار والدرجات العلى في الاخرة
والاولى الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الرب ويعبد وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام
والعلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه تنبيه لكل من التعلم والتعليم اداب و
شروط اما اداب التعلم فمنها ان يجتنب المتعلم من اتباع الشهوات والهوى والاختلاط بابناء الدنيا ونقل عن بعض الاكابر
كما ان الحاسة الجليدية اذا كانت مأوفة ببعض الافات محرومة من الاشعة الفائضة من الشمس كذلك البصيرة اذا كانت مأوفة
بمتابعة الشهوات والهوى والمخالطة بابناء الدنيا فمحرومة من ادراك الانوار القدسية محجوبة عن ذوق اللذات الانسية
ومنها ان يكون تعلمه لمجرد التقرب الى الله والفوز بالسعادات الاخروية فلم يكن باعثه شيئا من المراء والمجادلة والمباهات
والمفاخرة او الوصول الى جاه ومال او التفوق على الاقران والامثال قال الباقر ع من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري
به السفهاء او يصرف به وجوه الناس فليتبوء مقعده من النار ان الرياسة لا تصلح الا لاهلها وقال الصادق ع طلبة العلم
ثلثة فاعرفهم باعيانهم وصفاتهم صنف يطلبه للجهل والمراء وصنف يطلبه للاستطالة والختل وصنف يطلبه للفقه والعقل
فصاحب الجهل والمراء موذ ممار متعرض للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع وتخلى من
الورع فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ذو خب وملق يستطيل على مثله من
اشباهه ويتواضع للاغنياء من دونه فهو لحلوائهم هاضم ولدينه حاطم فاعمى الله على هذا خبره وقطع من اثار
العلماء اثره وصاحب الفقه والعقل ذو كابة وحزن وسهر قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه يعمل ويخشى
وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شانه عارفا باهل زمانه مستوحشا من اوثق اخوانه فشد الله من هذا اركانه واعطاه يوم القيمة امانه

ومنها

ومنها ان يعمل بما يفهم ويعلم فان من عمل بما تعلم ورثه الله علم ما لم يعلم قال النبي صلعم العلم مقرون بالعمل فمن علم عمل ومن
عمل علم والعلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه وعن السجاد مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا
بما علمتم فان العلم اذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه الا كفرا ولم يزدد من الله الا بعدا وعن النبي صلعم من اخذ العلم من اهله وعمل
بعلمه نجى ومن اراد به الدنيا فهي حظه وعنه العلماء رجلان رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك وان
اهل النار ليتاذون من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعى عبدا الى الله فاستجاب
له وقبل منه فاطاع الله فادخله الجنة وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى فيصد عن الحق
وطول الامل ينسي الاخرة ومنها ان يحافظ شرائط الخشوع والادب للمعلم فلا يرد عليه شيئا بالمواجهة ويكون مجالسته بقلبه
ولا ينسى حقوقه لانه والده المعنوي الروحاني وهو اعظم الاباء الثلثة قال النبي صلعم اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار
وتواضعوا لمن تعلمونه العلم وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم ولا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم هذا
مضافا الى ما سبق ان اللازم لكل متعلم ان يطهر نفسه اولا من رذائل الاخلاق ويحذو مائر الاوصاف باسرها اذا لم يطهر
نفسه عن الصفات الردية لم يشرق عليه لمعات انوار العلم والحكمة من الواح العقول الفعالة القدسية واما اداب
التعليم فمنها ان يخلص المعلم تعليمه لله ولم يكن له فيه باعث دنيوي من طمع مال او جاه ورياسة وشهرة بين الناس
بل يكون الباعث مجرد التقرب الى الله والوصول الى المثوبات الابدية فانه من علم غيره علما كان شريكا في ثواب تعليم
هذا الغير لاخر في ثواب تعليم هذا الاخر لغيره وهكذا الى غير النهاية فيحصل بتعليم واحد المثوبات الغير
المتناهية وكفى بهذا له فضيلة وشرفا ومنها ان يكون مشفقا على المتعلم ناصحا له مقتصرا في الافادة على قدر فهمه
متلطفا معه باللين والهشاشة لا بالغلظة والفظاظة ومنها ان لا يمنع العلم من اهله ويمنعه عن غير اهله فان بذل
الحكمة للجهال ظلم عليها ومنعها عن اهلها ظلم عليهم كما ورد في الخبر ومنها ان يقول لما تعلم ويسكت عما لا يعلم حتى يرجع اليه ويعلمه
ولا يجيب المتعلمين بما بيانه خلاف الواقع وهذا الشرط لا يختص بالمعلمين بل يعم كل من يسئل عنه المسائل العلمية كالمفتي
والمسئول قال الباقر ع حق الله على العباد ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون وقال الصادق ع ان الله خص عباده بايتين
من كتابه ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق وقال
بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله وعنه اذا سئل الرجل منكم عما لا يعلم فليقل لا ادري ولا يقل الله اعلم فيوقع في قلب
صاحبه شكا واذا قال المسئول لا ادري فلا يتهمه السائل وعنه اياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك اياك ان تفتي الناس
برايك او تدين بما لا تعلم وعن الباقر ع من افتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
ولحقه وزر من عمل بفتياه هذه بما كان لكل من المتعلم والمعلم اداب اخر يظهر لمن وقف على فن الاخلاق ثم العارف باهل زمانه
يعلم ان اداب التعلم والتعليم كساير الاداب والفضائل فيهم مفقودة والى مثل هذا الزمان كما قاله وصفه بعض اهل العرفان
قد فسد الزمان وتصدى للتدريس من قل علمه وكثر جهله فانحطت مرتبة العلم واصحابه واندرست مراسمه بين طلابه
تتميم العلم كله وان كان للنفس كمالا الا ان فنونه متفاوتة في الشرافة والحاجة ووجوب التحصيل وعدمه فان بعضها كالطب
والهندسة والعروض والموسيقى وامثالها مما يرجع غايته الى الدنيا والتحصيل لها ازيد نجح وسعادة العقبى ولذا عدت
من علوم الدنيا دون الاخرة والطلب لتحصيلها وربما يجب تحصيل بعضها كفاية وما هو علم الاخرة الواجب تحصيله واشرف العلوم

احسنها هو علم الكلام المعرف للاصول الدين وعلم الاخلاق المعرف لمنجيات النفس ومهلكاتها وعلم الفقه المعرف لكيفية العبادات والمعاملات
والعلوم التي مقدمات لهذه الثلثة كالعربية والمنطق وغيرهما تتصف بالحسن ووجوب التحصيل من باب المقدمة وهذه العلوم
الثلثة وان وجب اخذها اجمالا الا انها في كيفية الاخذ مختلفة فعلم الاخلاق يجب اخذه عينا على كل احد على ما بينه الشريعة واوضحه
علماء الاخلاق وعلم الفقه يجب اخذ بعضه عينا اما بالدليل او التقليد من مجتهد حي والتارك للطريقين غير معذور ولذا ورد
الحث الاكيد على التفقه في الدين قال الصادق ع عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعرابا فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر اليه يوم القيمة
ولم يزك له عملا وقال ع ليت السياط على رؤوس اصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام وقال ان الكذا بي ليخبرك بما بين السماء والارض في
المشرق والمغرب فاذا سئل عن حرام الله وحلاله لم يكن عنده شيء واما اصول العقايد فيجب اخذها عينا من الشرع والعقل وهما متلازمان
لا يتخلف مقتضى احدهما عن مقتضى الاخر اذ العقل هو حجة الله الواجب امتثاله والحاكم العدل الذي يطابق احكام الواقع ونفس الامر
فلا يرد حكمه ولولاه لما عرف الشرع ولذا ورد انه ما اداه العبد من فرائض الله حتى عقل عنه ولا يبلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ
العاقل فهما متعاضدان احدهما ظاهر والاخر باطن وما يحكم به احدهما يحكم به الاخر ايضا وكيف يكون مقتضى الشرع مخالفا لمقتضى ما هو حجة قاطعة
واحكامه للواقع مطابقة فالعقل هو الشرع الباطن والنور الداخل والشرع هو العقل الظاهر والنور الخارج وما يترائ في بعض
المواضع من التخالف بينهما انما هو لقصور العقل او لعدم ثبوت ما ينسب الى الشرع منه فان كل عقل ليس تاما وكلما ينسب الى الشرع ليس
ثابتا منه فالمناط هو العقل الصحيح وما يثبت من الشريعة واصح العقول واقويها واتمها واصفاها هو عقل صاحب الوحي ولذا
يدرك بنور نبوته ما لا سبيل لامثال عقولنا الى دركه كتفاصيل احوال النشاة الاخرة فاللازم في مثلها ان ناخذ منه اذعانا
وان لم نعرف بعقولنا ثم ما اجمعت الامة المختارة عليه من اصول العقايد هو ان الواجب سبحانه موجود وانه واحد في الالوهية
وبسيط عن شوايب التركيب ومنزه عن الجسمية وعوارضها وان وجوده وصفاته عين ذاته وانه متقدم على الزمان والمكان
ومتعال عنهما وانه قديم ازلي قادر مريد عالم بجميع الاشياء ويعلم بها بعد ايجادها كعلمه بها قبله ولا يزداد باحداثها
علما وان قدرته عامة بالنسبة الى جميع الممكنات وانه يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد ولا يكون شيء الا بمشيته وانه عدل حكيم صادق
في وعده وبالجملة مستجمع لجميع الصفات الكمالية وليس كمثله شيء ولا يتصوره وهم ولا عقل مثله بل هو تام فوق التمام وان القران كلامه
ومحمدا ص رسوله وما اتى به من امور النشاة الاخرة من الجنة والنار والحساب والثواب والعقاب والصراط والميزان والشفاعة
وغير ذلك مما ثبت من شريعته المقدسة حق ثابت فيجب على كل مؤمن ان يذعن بجميع ذلك ويتشبث به ويجرد باطنه بحيث
لو اورد عليه ما ينقضه لم يقبله ولم يعرضه شك وريب ثم ان المكلفين مختلفون في كيفية التصديق والاذعان بالعقايد
المذكورة فبعضهم فيها على يقين مثل ضوء الشمس بحيث لو كشف عنهم الغطاء ما ازدادوا يقينا وبعضهم على يقين دون ذلك
واقل هؤلاء رتبة ان تصل مرتبة يقينهم الى طمانينة لا اضطراب فيها وبعضهم على مجرد تصديق ظني يتزلزل من الشبهات
والقاء النقيض والى هذا الاختلاف اشار الامام محمد بن علي الباقر ع بقوله ان للمؤمنين على منازل منهم على واحدة ومنهم
على اثنين ومنهم على ثلث ومنهم على اربع ومنهم على خمس ومنهم على ست ومنهم على سبع فلو ذهبت تحمل على صاحب الواحدة
ثنتين لم يقو وعلى صاحب الثنتين ثلثا لم يقو الحديث والامام ابو عبد الله ع بقوله ان للايمان حالات ودرجات
وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزايد رجحانه ولا يسوغ للتحصيل
ما يطمئن القلب في العقايد الواجبة اخذها ما لا بد منه لكل مكلف مجرد التصديق من غير اطمينان القلب غير كاف

للنجاة الاخروية

للنجاة الاخروية والوصول الى مراتب المؤمنين ومع حصول الاطمينان تحصل النجاة والفوز بالفلاح وان لم يكن حصوله
من تفاصيل البراهين الحكمية والدلايل الكلامية بل كان حاصلا من دليل اجمالي برهاني او اقناعي اذ الشرع لم يكلف
باكثر من التصديق الجازم بظاهر العقايد المذكورة ولم يكلف البحث والتفتيش عن كيفياتها وحقايقها وعن تكلف ترتيب
الادلة ونظمها فلو حصل لاحد طمانينة في اتصاف الواجب بجميع الصفات الكمالية وبرائته عن الصفات السلبية بمجرد
ان عدم الاتصاف بالاولى والاتصاف بالثانية نقص لا يليق بذاته الاقدس كان كافيا له في النجاة والدخول في زمرة
المؤمنين وكذا اذا حصل له ذلك بمجرد ان هذا مما اتفق عليه فرق الانبياء واساطين الحكماء والعلماء ودقة عقولهم ودقة
افهامهم يابى عن اتفاقهم على محض الخطاء وقس على ذلك غيره مما يفيد الاطمينان كائنا ما كان قال العلامة الطوسي في تصانيفه
اقل ما يجب اعتقاده على المكلف ما ترجمه قول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغي ان يصدقه في صفات
الله واليوم الاخر وتعيين الامام المعصوم كل ذلك مما يشتمل عليه القران من غير مزيد برهان اما في صفات الله سبحانه
فانه حي قادر عالم مريد متكلم ليس كمثله شيء وهو السميع البصير واما في الاخرة فبالايمان بالجنة والنار والصراط والميزان والحساب
والشفاعة وغيرها ولا يجب عليه ان يبحث عن حقيقة الصفات وان الكلام والعلم وغيرها حادث او قديم بل لو لم يخطر بباله حتى
مات مات مؤمنا فان غلب على قلبه شك او اشكال لغاية ما يمكن ازالته بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قويا عند المتكلمين ولا
مرضيا فذلك الكافي ولا حاجة الى تحقيق الدليل فان الدليل لا يتم الا بذكر الشبهة والجواب عنها ومتى ذكرت الشبهة لا يؤمن ان تتشبث
بالخاطر والقلب فيظنها حقة لقصوره عن ادراك جوابها اذ الشبهة قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمله عقله ولذا ورد
الزجر عن البحث والتفتيش والكلام وانما زجر ضعفاء العوام واما ائمة الدين فلهم الخوض في غمرة الاشكالات ومنع العوام
عن الكلام يجري مجرى منع الصبيان عن شاطئ الدجلة خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة
السباحة الا ان هيهنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله يظن انه يقدر على ادراك الحقايق كلها وانه من
جملة الاقوياء فربما يخوضون ويغرقون في بحر الجهالات من حيث لا يشعرون فالصواب منع الخلق كلهم الا الشاذ النادر الذي لا
تسمح الاعصار الا بواحد منهم او اثنين من تجاوز سلوك اهل السلف في الايمان المرسل والتصديق المجمل بكل ما انزل الله واخبر به
رسول الله ص فمن اشتغل بالخوض فقد اوقع نفسه في شغل شاغل اذ قال رسول الله ص حيث راى اصحابه يخوضون بعد ان غضب
حتى احمرت وجنتاه ابهذا امرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا فيما امركم الله فافعلوا وما نهيكم عنه فانتهوا فهذا
تنبيه على منهج الحق ثم انه لا ريب ان نور الله نيرة اليقين ووضوحه بل واطمينان القلب وسكونه لا يحصل من مجرد صنعة الجدل والكلام
كما لا يحصل من محض التلقين وتقليد العوام بل الاول اعني الاستضاءة بنور اليقين يتوقف على ملازمة الورع والتقوى وفطام
النفس عن الهوى وازالة كدوراتها وصداها وقد افلح من زكيها وتطهيرها عن ذمايم الصفات والاشتغال بمشاق الرياضة و
المجاهدات حتى يقذف في قلبه نور الهي يكشف به الحجب والاستار عن حقايق هذه العقايد وهو غاية الطالبين وقرة عيون
الصديقين والمقربين وله درجات ومراتب والناس فيه مختلفون بحسب اختلافهم في القوة والاستعداد والسعي والاجتهاد
كما هم مختلفون في ادراك انواع العلوم والصنايع وكل ميسر لما خلق له واما الثاني اعني مجرد الاطمينان الراسخ بظواهر
تلك العقايد فيمكن ان يحصل ما دون ذلك بان يشتغل بعد تلقين هذه العقايد والتصديق بها بوظايف الطاعات
ويصرف همته في معرفة شرايف العبادات ويواظب على تفسير القران وتلاوته ودرس الحديث ودرايته ويحترز عن

يخالط اهل المذاهب الفاسدة وذوي الاراء الباطلة بل يجتنب كل الاجتناب عن مرافقة ارباب الهوى واصحاب الشرور والمعاصي
التبع فيختار مصاحبة اهل الورع واليقين ومجالسة الاتقياء والصالحين ويلاحظ ايامهم وحيلهم في المنع لله فالا
لم يكن التلقين كالقاء البذر في الصدر وهذه الامور كالسقي والتربية لم ينمو ذلك البذر ويتقوى ويزداد رسوخا ويصح
شجرة طيبة راسخة اصلها ثابت وفرعها في السماء ثم من وصل الى مقام العقيدة الجازمة ان اشتغل بالشواغل الدنيوية ولم يشتغل
بالرياضة والمجاهدة لم ينكشف له غيره ولكن اذا مات مات مؤمنا على الحق وسلم في الاخرة وان اشتغل بتصقيل النفس في
الشرع وصدره وانفتح لارباب الافاضة الى الامتثال الاولى واما الانواع المتعلقة بالعاقلة فمنها الجهل المركب وهو خلو
عن العلم اصلا واذعانها بما هو خلاف الواقع مع اعتقاد كونها عالمة بما هو الحق فصاحبه لا يعلم ولا يعلم انه لا يعلم ولذا سمي
مركبا وهو اشد الرذائل واصعبها وازالته في غاية الصعوبة كما هو ظاهر من حال بعض الطلبة وقد اعترف اطباء النفوس
بالعجز عن معالجته كما اعترف اطباء الابدان بالعجز عن معالجة بعض الامراض المزمنة ولذا قال عيسى ع انا لا اعجز عن معالجة الاكمه
والابرص واعجز عن معالجة الاحمق والسر فيه انه مع مقصود النفس بهذا الاعتقاد الفاسد فلا يتنبه على نقصانها فلا يترك الطلب
فيبقى في الضلالة والردى مادام باقيا في دار الدنيا ثم المنشأ ان كان اعوجاج السليقة فما نفع العلاج لم يخص صاحبه بتعلم
العلوم الرياضية من الهندسة والحساب لاستقامة الذهن لا لغرض الاجلها بالبقينيات فيتنبه على خلل اعتقاده فيصير
جهله بسيطا فيستعد للطلب وان كان خطأ في الاستدلال فليؤمن ان استدل لا يستدل الا اهل التحقيق والمنصورين بالسعادة
القدسية ويعرض ادلة الخصم على القواعد الميزانية باحتياط تام واستقصاء بليغ حتى يظهر وان كان وجود مانع من عصبية
او تقليد فليجتهد في ازالته ومنها الشك والحيرة وهو عجز النفس عن تحقيق الحق وابطال
الباطل في المطالب الخفية والغالب حصوله من تعارض الادلة ولا ريب في انه مما يهلك النفس ويفسدها اذ الشك ينافي
اليقين الذي لا يتحقق الايمان بدونه قال امير المؤمنين ع في بعض خطبه لا ترتابوا فتشكوا ولا تشكوا فتكفروا وان كان الارتياب
في مبدأ الشك وقال الباقر لا ينفع مع الشك والجحود عمل وقال الصادق ان الشك والمعصية في النار ليسا منا ولا الينا وسئل ع عن قوله
الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم قال بشك وقال من شك في الله بعد مولده على الفطرة لم يفئ الى خير ابدا وقال ع
من شك اوظن فاقام على احدهما احبط الله عمله ان حجة الله هي الحجة الواضحة وقال ع من شك في الله وفي رسوله فهو كافر وبمضمون
اخبار اخر وغيرها ان المراد بالشك ما يضعف الاعتقاد ويزيل اليقين لا مجرد الوسوسة وحديث النفس بما ذكر انه لا ينافي
الايمان بل الظاهر من بعض الاخبار ان الحاصل بالشك للكفر اذا الجر الى الجحود كما روي ان ابا نصر سئل عن الصادق ع ما تقول فيمن شك
في الله تعالى قال كافر قال فمن شك في رسوله قال كافر ثم التفت الى زرارة فقال انما يكفر اذا جحد ثم علاجه ان يتذكر اولا قضية
بديهية هي ان النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان ومن يعلم اجمالا ان احد الشقوق العقلية المتصورة في المطلب ثابت
في الواقع ونفس الامر والبواقي باطلة ثم يتصفح المقدمات المناسبة للمطلب ويعرضها على الاقيسة المنطقية باستقصاء بليغ و
احتياط تام في محل طرح حتى يقف على موضع الخطأ فيجزم بحقية احد الشقوق وبطلان الاخر والغرض من وضع المنطق سيما
قياسات السوفسطائية المشتملة على المغالطات ازالة هذا المرض ولو كان ممن لا يقتدر على ذلك فالعلاج في حقه ان
يواظب على العبادة وقراءة القران ويشتغل بمطالعة الاحاديث وسماعها من اهلها ويجالس اهل الصلاح والمتقين واصحاب
الورع واهل اليقين ليكتسب نفسه بذلك نورانية يدفع بها ظلمة شكه فصل ومنها نصف الجهل المركب والحيرة والشك

هو اليقين

هو اليقين واوله ابتداء اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع غير زائل بتشبيه وان قويت والاعتقاد الذي لا يطابق الواقع ليس يقينا
وان جزم به صاحبه واعتقد مطابقته للواقع بل هو كما اشير اليه جهل مركب ناشئ عن اعوجاج القريحة او خطأ في الاستدلال او وجود
مانع من افاضة الحق كتقليد او عصبية او غير ذلك فاليقين من حيث اعتبار الجزم فيه يكون ضد الحيرة والشك ومن حيث اعتبار
المطابقة للواقع فيه يكون ضد الجهل المركب ثم العلم ان لم يعتبر فيه المطابقة للواقع فهو غير اليقين فلا فيتساويان في
المراتب المتفرقة لليقين هنا ومتعلق اليقين اما اجزاء الايمان ولوازمه من وجود الواجب وصفاته الكمالية وسائر المباحث
الالهية من النبوة ودخول النشأة الاخرة وغيرها من حقائق الاشياء التي يتم الايمان بدونها ولا ريب في ان مطلق اليقين
اقوى اسباب السعادة وان كان اليقين في المباحث الالهية ادخل في تكميل النفس وتحصيل السعادة الضرورية لتوقف الايمان
عليه بل هو اصله وركنه ومنزلة من المراتب وغضبه والنجاة في الاخرة للحصول الابد والفاقد له خارج من زمرة المؤمنين
داخل في حزب الكافرين وبالجملة اليقين اشرف الفضائل الخلقية واهمها وافضل الكمالات النفسية واعظمها وهو الكبريت
الاحمر الذي لا يظفر به الا وحده من اعاظم العرفاء او المعين من اكابر الحكماء ومن وصل اليه فاز بالرتبة القصوى والسعادة
العظمى قال سيد الرسل ص ما قل ما اوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اوتي حظه منهما لم يبال ما فاته من صيام النهار وقيام الليل
وقال اليقين الايمان كله وقال ص ما من ادمي الا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم يضره الذنوب لانه
كلما اذنب ذنبا تاب واستغفر الله وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وقال الصادق ع ان العمل الدائم القليل
على اليقين افضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين وعنه ع ان الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا
وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه و
لا يقصر عامل حتى ينقص يقينه ثم لصاحب اليقين علامات منها ان لا يلتفت في اموره الى غير الله سبحانه ولا يكون التفاته ومقصده
الا عليه ولا ثقته في مطالبه الا به فيتبرأ من كل حول وقوة سوى حول الله وقوته ولا يرى لنفسه ولا لابناء جنسه قدرة على
شيء ولا مدخلية لاثر ويعلم ان ما يرد عليه من نعمة ومما قدر له وعليه من الخيرات والشرور سيساق اليه فيستوي عنده حالتا
الوجود والعدم والزيادة والنقصان والمدح والذم والفقر والغنى والصحة والمرض والعزة والذل لعلمه بكون الجميع
وجاء الامر تعالى والترجيح انه يرى الاشياء كلها من عين واحدة هو مسبب الاسباب ولا يلتفت الى الوسائط التي هي مسخرة
تحت حكمه قال الامام ابو عبد الله ع من ضعف يقينه تعلق بالاسباب ورخص لنفسه بذلك واتبع العادات واقاويل الناس
بغير حقيقة والسعي في امور الدنيا وجمعها وامساكها مقرا باللسان انه لا مانع ولا معطي الا الله وان العبد لا يصيب
الا ما رزق وقسم له والجهد لا يزيد في الرزق وينكر ذلك بفعله وقلبه قال الله سبحانه يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم والله
اعلم بما يكتمون وقال ع ليس شيء الا وله حد قيل فما حد التوكل قال اليقين قيل فما حد اليقين قال ان لا تخاف مع الله شيئا
وعنه من صحة يقين المرء المسلم ان لا يرضي الناس بسخط الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله فان الرزق لا يسوقه حرص حريص
ولا يرده كراهية كاره ولو ان احدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت ومنها ان يكون في
جميع الاحوال خاضعا لله سبحانه خاشعا له قائما بوظائف خدمته في السر والعلن مواظبا على امتثال ما اعطيه
من الفرائض والسنن منتهيا بما شاء الله اليه سبحانه متضعا متذللا بين يديه معرضا عن جميع ما علاه مفرغا قلبه عما سواه
منصرفا بفكره الى جناب قدسه مستغرقا في لجة حبه وانسه والسر ان صاحب اليقين عارف بالله وبعظمته وبقدرته

وبان الله مشاهد لاعماله وافعاله ومطلع على خفايا ضميره وهواجس خطراته وان من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا يره فيكون دائما في مقام الشهود لديه والحضور بين يديه فلا ينفك لحظة عن الحياء والخجلة والاشتغال بوظايف الادب
والخدمة فيكون سعيه في تخلية باطنه من الرذايل وتحليته بالفضايل لعين الله الكالئة واشد من تزيين ظاهره لابناء نوعه ومن جملة
من يقينه بمشاهدته تعالى لاعماله الباطنة والظاهرة وبالجزاء والحساب يكون ابدا في مقام امتثال الاوامر واجتناب النواهي و
من يقينه بان فعل الله في حقه من اعطاء ضروب النعم والاحسان يكون دائما في مقام الانفعال والخجلة والشكر للمنعم الحقيقي ومن يقينه
بما يعطيه المؤمنين في الدار الاخرة من البهجة والسرور مما اعد لخلص عبيده مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
احد يكون دائما في مقام الطمع والرجاء ومن يقينه باستناد جميع الامور اليه سبحانه وبان ما يصيبه في العالم انما يكون
بالحكمة والمصلحة والعناية الازلية الواصلة الى نظام الخير يكون ابدا في مقام الصبر والتسليم والرضاء بالقضاء من دون عروض تغير و
تفاوت في حاله ومن يقينه بكون الموت داهية من دواهي العظمى وما بعده اشد دواهي يكون ابدا محزونا مهموما ومن يقينه
بخساسة الدنيا وفنائها لا يركن اليها قال الصادق عم كان في الكنز الذي قال الله تعالى وكان تحته كنز لهما بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن ايقن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن ايقن بالدنيا وتقلبها باهلها كيف يركن اليها ومن
يقينه بعظمة الله الباهرة وقوته القاهرة يكون دائما في مقام الهيبة والدهشة وقد ورد ان سيد الرسل صلعم كان من شدة خضوعه
وخشوعه لله وخشيته منه تعالى بحيث اذا كان يمشي يظن انه ليسقط على الارض ومن يقينه بكمالاته الغير المتناهية وكونه فوق
التمام يكون دائما في مقام الشوق والوله والحب وحكايات اصحاب اليقين من الانبياء والمرسلين والاولياء والكاملين في الهوى والشوق
وما يعتريهم من الاضطراب والتلون والتالم لاجل الصلوة وغيرها مشهورة في كتب التواريخ والسير مسطورة وكذا ما يحصل لهم من
الوله والاستغراق والابتهاج والانبساط بالله سبحانه وحكاية حصول تكرر الغشيات لمولانا امير المؤمنين عم في اوقات الخلوات
والمناجات وغفلته عن نفسه في الصلوات مما تواترت عند الخاصة والعامة وكيف يتصور لصاحب اليقين الواثق بالله وبعظمة
جلاله باطلاعه على دقايق امور الذي يعصيه في حضوره ولا يحصل له الانفعال والخشية والدهشة وحضور القلب والتوجه التام
اليه عند القيام لديه والمثول بين يديه مع انا نرى ان الحاضر عند من له ادنى شوكة مجازية من الملوك والامراء مع رذالته
وخساسته لو امر لحصل له من الانفعال والدهشة والتوجه اليه بحيث يغفل عن ذاته ومنها ان يكون مستجاب الدعوات
بل صاحب الكرامات وخرق العادات والسر فيه ان النفس كلما ازدادت يقينا ازدادت تجردا فيحصل لها ملكة التصرف في مواد الكاينات
قال الامام ابو عبد الله عم اليقين يوصل العبد الى كل حال سني ومقام عجيب كذلك اخبر رسول الله صلعم من عظم شان اليقين
حين ذكر عنده ان عيسى بن مريم كان يمشي على الماء فقال لو زاد يقينه لمشى في الهواء فدل بهذا الخبر على ان الكرامات تزداد بازدياد
اليقين وان الانبياء مع جلالة محلهم من الله متفاوتون في قوة اليقين وضعفه وقد ظهر بما ذكر ان اليقين جامع لجميع الفضائل ولا ينفك
عن شيء منها ثم له مراتب اولها علم اليقين وهو اول مراتبه وهو اعتقاد ثابت جازم مطابق للواقع كامر هو حصيل من الاستدلال
باللوازم والملزومات ومثاله اليقين بوجود النار من مشاهدة الدخان وثانيها عين اليقين وهو مشاهدة المطلوب ورؤيته بعين البصيرة
والباطن وهو اقوى في الوضوح والجلاء من المشاهدة بالبصر والى هذه المرتبة اشار امير المؤمنين عم بقوله لم اعبد ربا لم اره بعد
سؤال العجب اليه ارأيت ربك وبقوله رأى قلبي ربي وهو انما يحصل من الرياضة والتصفية وحصول التجرد التام للنفس
ومثاله اليقين بوجود النار بمشاهدتها عيانا وثالثها حق اليقين وهو ان يحصل وحدة معنوية وربط حقيقي بين العاقل والمعقول بحيث

يرى العاقل

يرى العاقل ذاته رشحة من المعقول ومرتبطا به غير منفك عنه ويشاهد دائما ببصيرته الباطنة فيضان الانوار والاثار
منه اليه ومثاله اليقين بوجود النار بالدخول فيها من غير احتراق وانما يكون هذا لكمل العارفين بالله المستغرقين في لجة بحر حبه وانسه
المشاهدين ذواتهم بل ساير الموجودات رشحات من فيض الاقدس وهم الصديقون الذين قصروا انظارهم الباطنة على ملاحظة
جماله ومشاهدة انوار جلاله وحصول هذه المرتبة يتوقف على مجاهدات شاقة ورياضات قوية وترك رسوم العادات وقلع
اصول الشهوات وقلع الخواطر النفسانية وقمع الهواجس الشيطانية والطهارة عن ادناس جيفة الطبيعة وخارق النزعة عن
الدنيا الدنية وبدون ذلك لا يحصل هذا النوع من اليقين والمشاهدة وكيف ترى ليلى بعين ترى بها سواها وما طهرتها
بالمدامع ثم فوق ذلك مرتبة اثبتها بعض اهل السلوك ويعبرون عنه بحقيقة حق اليقين والفناء في الله وهو ان يرى
العارف ذاته مضمحلا في انوار الله محترقا من سبحات جماله بحيث لا يرى لها استقلالا ولا حصولا اصلا ومثال اليقين بوجود
النار بدخوله فيها واحتراقه منها ثم لا ريب في ان اليقين الحقيقي النوراني المبرء عن ظلمات الاوهام والشكوك ولو كان من المرتبة الاولى
لا يحصل بمجرد الفكر والاستدلال بل يتوقف حصوله على الرياضة والمجاهدة وتصقيل النفس وتصفيتها عن كدورات ذمايم
الاخلاق وصداها ليحصل لها التجرد التام فيتحاذى شطر العقل الفعال فيتضح بها جلية الحق حق الاتضاح والسر ان
النفس بمنزلة مرآة ينعكس اليها صور الموجودات من العقل الفعال ولا ريب في ان انعكاس الصور من ذوات الصور الى
المرآة يتوقف على تمامية شكلها وصقالة جوهرها وحصول المقابلة وارتفاع الحايل بينهما والظفر بالجهة التي فيها الصورة
المطلوبة فيجب في انعكاس حقايق الاشياء من العقل الى النفس عدم نقصان جوهرها فلا يكون كنفس الصبي الذي لا يتجلى لها
المعلومات لنقصانها وصفائها عن كدورات ظلمة الطبيعة وخباثات المعاصي وهو بمنزلة الصقالة عن الخبث والصداء
وتوجهها التام وانصراف فكرها الى المطلوب فلا يكون مستوعب الهم بالامور الدنيوية واسباب المعيشة وغيرها من الخواطر
المشوشة لها وهو بمنزلة المحاذاة وتخليها عن التعصب والتقليد وهو بمثابة ارتفاع الحجاب واستحصال المطلوب من تاليف
مقدمات مناسبة للمطلوب على الترتيب المخصوص والشرايط المقررة وهو بمنزلة العثور على الجهة التي فيها الصورة ولولا هذه الاسباب
المانعة للنفوس عن ادراك الحقايق اليقينية لكانت عالمة بجميع الاشياء المرتسمة في العقول الفعالة اذ كل نفس لكونها
امرا ربانيا وجوهرا ملكوتيا في اصل الفطرة صالحة لمعرفة الحقايق ولذا امتازت عن ساير المخلوقات من السماوات والارض
والجبال وصارت قابلة لحمل امانة الله التي هي المعرفة والتوحيد فحرمان النفس عن معرفة اعيان الموجودات انما هو لاحد هذه
الموانع وقد اشار سيد الرسل صلعم الى مانع التعصب والتقليد بقوله كل مولود يولد على الفطرة وابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه والى مانع كدورات المعاصي وصداها بقوله صلعم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت
السماوات والارض فلو ارتفعت عن النفس حجب السيئات والتعصب وتحاذت شطر الحق الاول لتجلت لها صورة عالم الملك
والشهادة باسره اذ هو متناه يمكن لها الاحاطة به وصورة عالمي الملكوت والجبروت بقدر ما يتمكن من جنس مرتبته
لان الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار والمختصة بادراك البصاير وان كانت غير متناهية لكن ما يلوح منها للنفس متناه
وان كانت في نفسها بالاضافة الى علم الله سبحانه غير متناهية ومجموع تلك العوالم يسمى بالعالم الربوبي اذ كل ما في الوجود من
البداية الى النهاية منسوب اليه سبحانه وليس في الوجود سوى الله فلا يمكن للنفس ان تحيط بكله بل يظهر لها منه بقدر
قوتها واستعدادها ثم بعد ما يحصل للنفس من التصفية والتزكية وما يتجلى لها من الحقايق والاسرار ومن عظمة الله

ومعرفة صفات جلاله ونعوت جماله يحصل لها السعادة والبهجة واللذة والنعمة في نعيم الجنة ويكون سعة مملكته فيها
بحسب سعة معرفته بالله وبعظمته وبصفاته وافعاله وكل منها لا نهاية له ولذا لا يستقر النفس في مقام من المعرفة والتبحر
والكمال والتقوى والعلبة يكون غاية طلبها ولا يكون طالبة لما فوقه وما اعتقده جماعة من ان المحصل للنفس من المعارف
الالهية والفضايل الخلقية في الجنة بعينها هي عندنا باطل بل هي موجبة لاستحقاق الجنة التي هي دار السرور والبهجة ومنها
الشرك وهو ان يرى في الوجود مؤثرا غير الله سبحانه فان قبل هذا الغير سواء كان صنما او كوكبا او انسانا او شيطانا كان في
عبادة وان لم يعبده ولكن لاعتقاده كونه منشأ اثر اطاعه فيما لا يرضى الله فهو ترك الطاعة والاول يسمى بالشرك الجلي
والثاني يسمى بالشرك الخفي واليه الاشارة بقوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وكون الشرك اعظم الكباير
الموبقة وموجبا للخلود في النار مما لا ريب فيه وقد انعقد عليه اجماع الامة والايات والاخبار الواردة به خارجة عن حد الاحصاء ثم
للشرك مراتب غير متناهية بحسب ضده الذي هو التوحيد والشرك وان كان شعبة من الجهل كان التوحيد الذي هو ضده
من افراد اليقين والعلم فذكرهما على حدة لم يكن لان ما هذا الا انه لما كان المتعارف ذكر التوحيد في كتب الاخلاق تعرض اليه
وذكرنا الشرك ايضا عليحدة تاسيا بهم واشرنا الى المعرفة تيسيرة منه اذ الاستقصاء فيه والخوض في غمراته مما ليس في وسعنا ولا يليق
بما ان التوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له فصل ضد الشرك التوحيد وهو اما توحيد في اصل الذات بمعنى عدم
تركيب خارجي وعقلي في ذاته تعالى وعينية وجود صفاته لذاته ويلزمه كونه تعالى صرف الوجود وبحته او توحيد في وجوب وجوده بمعنى
نفي الشريك في وجوب الوجود عنه تعالى وما اشتمل على اثبات هذين القسمين تشبيهما في الحكمة المتعالية او توحيد في الفعل والتاثير والايجاد
بمعنى ان لا فاعل ولا مؤثر الا هو وهو الذي يذكر هنا مراتبه وما يتعلق به فنقول لهذا التوحيد على ما قيل له اربع مراتب قشر وقشر القشر
ولب ولب اللب كالجوز الذي له قشرتان وله لب وللب دهن هو لب اللب فالمرتبة الاولى ان يقول الانسان باللسان لا اله الا الله
وقلبه منكر وغافل عنه كتوحيد المنافقين وهذا توحيد بمجرد اللسان ولا فايدة فيه الا حفظ صاحبه في الدنيا من السيف والسنان
والثانية ان يصدق بمعنى اللفظ قلبه كما هو شأن عموم المسلمين وهو اعتقاد وصاحبه موحد بمعنى انه معتقد بقلبه خال عن التكذيب
بما انعقد عليه وهو عقد على القلب لا يوجب انشراحا وانفتاحا وصفا له ولكنه يحفظ صاحبه عن العذاب في الاخرة ان مات عليه ولم يضعف
بالمعاصي والثالثة ان يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وذلك بان يرى اشياء كثيرة ولكن يراها بكثرتها صادرة عن
الواحد الحق وهو مقام المقربين وصاحبه موحد بمعنى انه لا يشاهد الا فاعلا ومؤثرا واحدا لانه انكشف له الحق كما هو عليه والرابعة
ان لا يرى في الوجود الا واحدا ويسميه اهل المعرفة الفناء في التوحيد لانه من حيث لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا واذا لم ير
نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني عن رؤية نفسه وهو مشاهدة الصديقين وصاحبه
موحد بمعنى انه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه الغاية القصوى في التوحيد
فالمرتبة الاولى كالقشرة العليا من الجوز كما ان هذه القشرة لا خير فيها اصلا بل ان اكلت فهي مر المذاق وان نظرت الى باطنها فهي
كريه المنظر وان اتخذت حطبا اطفأت النار واكثرت الدخان وان تركت في البيت ضيقت المكان فلا يصلح الا ان يترك مدة
على الجوز لحفظ القشرة السفلى ثم يرمى فكذلك التوحيد بمجرد اللسان عديم الجدوى كثير الضرر مذموم الظاهر والباطن لكن ينفع
مدة في حفظ المرتبة الثانية الى وقت الموت والمرتبة الثانية كالقشرة السفلى وكما ان هذه القشرة ظاهرة النفع بالاضافة الى القشرة
العليا فانها تصون اللب عن الفساد عند الادخار واذا فصلت امكن ان ينتفع بها حطبا لكنها نازلة القدر بالاضافة

الى اللب

الى اللب فكذلك مجرد الاعتقاد من غير كشف كثير النفع بالنسبة الى مجرد نطق اللسان اذ يحصل به النجاة في الاخرة لكنه ناقص القدر
بالاضافة الى كشف العيان الذي يحصل بانشراح الصدر وانفساحه واشراق نور الحق فيه والمرتبة الثالثة كاللب وكما ان اللب
نفيس في نفسه بالاضافة الى القشر وكانه المقصود لكنه لا يخلو عن شوب عصارة بالاضافة الى الدهن فكذلك توحيد الفعل على
طريق الكشف مقصد عال للسالكين الا انه لا يخلو عن شوب ملاحظة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد
سوى الواحد الحق والمرتبة الرابعة كالدهن المستخرج من اللب كما ان اللب هو المطلوب لذاته والمرغوب في نفسه فكذلك قصر النظر
على مشاهدة الحق الاول هو المقصود لذاته والمحبوب تنبيه ان قيل كيف يمكن تحقق المرتبة الرابعة من التوحيد لتوقفها على عدم
مشاهدة غير الواحد مع ان كل احد يشاهد الارض والسماء وساير الاجسام المحسوسة وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا قلنا
من تيقن ان الممكنات باسرها اعدام صرفة في انفسها وان ما به تحققها من الله سبحانه ثم احاط على قلبه نور عظمته وجلاله بحيث
بهره وغلب على قلبه الحب والانس عليه مع عدمية الكثرة ووحدة ما به التحقق تحققها من الله سبحانه ثم احاط على قلبه عظمته ورسوخ
ذلك واستكانه في قلبه ان لا يرى في نظر شهوده الا هو ويغفل عن غيره ويقصر نظر بصيرته الباطنة على ما هو الحقيقة والواقع
وما يكسر سورة استبعادك ان المشغول بالسلطان والمستغرق في ملاحظة سطوته ربما غفل عن مشاهدة غيره وان العاشق
قد يستغرق في مشاهدة جمال معشوقه ويبهره حبه بحيث لا يبصر غيره مع تحقق الكثرة عنده وان الكواكب موجودة في النهار مع
انها لا ترى لمغلوبية انوارها واضمحلالها في جنب نور الشمس واذا جاز ان يغلب نور الشمس على نور الكواكب ويقهرها بحيث
يضمحل ويغيب عن بصر الظاهر فاي استبعاد في ان يغلب نور الوجود الحقيقي القاهر على الوجودات الضعيفة الامكانية ويقهرها
بحيث يغيب عن نظر العقل والبصيرة ثم هذه المشاهدات لا يظهر فيها الا الله الواحد الحق لا يدوم بل هي كالبرق الخاطف والدوام
فيها نادر فصل اعلم انه لا يمكن التوكل على الله في الامور حق التوكل الا بالبلوغ الى المرتبة الثالثة من التوحيد وهي التي يرتبط
بها التوكل دون غيرها من المراتب اذ المرتبة الرابعة لا يتوقف ولا يبتني عليها التوكل والاولى مجرد نفاق لا يفيد شيئا والثانية اعني
مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل كما ينبغي فانه موجود في عموم المسلمين مع عدم وجود التوكل كما ينبغي فيهم فالمناط
في التوكل هو ثالث المراتب في التوحيد وهو ان ينكشف للعبد بنور الحق ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق
وعطاء ومنع وغنى وفقر وصحة ومرض وعز وذل وحياة وموت الى غير ذلك مما يطلق عليه اسم فالمتفرد بابداعه واختراعه
هو الله تعالى لا شريك له فيه فاذا انكشف له هذا لم ينظر الى غيره بل كان منه خوفه واليه رجاؤه وبه ثقته وعليه اتكاله فانه الفاعل
بالانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة في ملكوت السموات والارض واذا انفتحت ابواب المعارف اتضح
له هذا اتضاحا اتم من المشاهدة بالبصر وانما يصده الشيطان عن هذا التوحيد ويوقع في قلبه شائبة الشرك بالالتفات الى بعض الوسايط
الاختيارية وغيرها اي مبادي الاثار في النظر منشائيتها لبعض الامور كالاعتماد على الغيم في نزول المطر وعلى المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه
وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وعلى بعض اوضاع الكواكب والاتصالات في حدوث بعض الحوادث في الارض كالالتفات الى
اختيار الحيوانات وقدرتها على بعض الافعال فيوسوس الشيطان في قلبه ويقول كيف ترى الكل من الله وهذا الانسان يعطيك
رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء منع وهذا الشخص قادر على حز رقبتك بسيفه فان شاء جز وان شاء عفا فكيف
لا تخافه ولا ترجوه وامرك بيده وانت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ولا ريب ان امثال هذه الالتفات تجعل الحقايق الامور ومن
مكن الشيطان في نفسه وسلطه على نفسه حتى يوقع هذه الوساوس وغلبه فهو من الجاهلين بابواب المعارف اذ من انكشف له امر العالم

كما هو عليه علم ان السماء والكواكب والريح والغيم والمطر والانسان والحيوان وغير ذلك من المخلوقات كلهم مقهورون مسخرون للواحد الحق
الذي لا شريك له فيعلم ان الريح مثلا هواء والهواء لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وهذا المحرك لا يحرك الهواء ما لم يحركه محرك
اخر وهكذا الى ان ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له ولا هو متحرك في نفسه وكذا الحال في توسط غيره من الافلاك والنجوم وما كان
الموجود على الارض من الجماد والنبات والحيوان فالتفات العبد في نجاته الى بعض الاشياء من الرياح والامطار والانسان
والحيوان يضاهي التفات من اخذ ليحز رقبته فامر الملك كاتبا بان يكتب توقيعا بالعفو عنه وتخليته فاخذ العبد يشتغل بمدح
الحبر والكاغذ او القلم او الكاتب ويقول لولا الحبر او القلم او الكاغذ او الكاتب ما تخلصت فيرى نجاته من الحبر والكاغذ دون القلم
او من القلم دون محركه اعني الكاتب او من الكاتب دون الملك الذي هو محرك الكاتب ومسخره ومن علم ان القلم لا حكم له في نفسه
وانما هو مسخر في يد الكاتب وكذا الكاتب لا حكم له وانما هو مسخر تحت يد الملك لم يلتفت الى القلم والكاتب ولم يشكر الا الملك بل ربما
يدهشه فرح النجاة وشكر الملك عن ان يخطر بباله الكاغذ والحبر والقلم والكاتب والسبب فان جميع المخلوقات من الشمس والقمر
والنجوم والغيم والمطر والارض وكل حيوان وجماد مسخرة في قبضة القدرة كتسخير القلم في يد الكاتب وتسخير الكاتب في يد السلطان بل
هذا تمثيل في حق العبد لاعتقاده ان الملك الموقع هو الكاتب حقيقة وليس الامر كذلك في الحق ان الكاتب هو الله كما قال تعالى وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى فمن انكشف له ان جميع ما في السموات والارض مسخرات للواجب الحق لم يبق في الوجود موثر الا هو
وانصرف عنه الشيطان خائبا وايس عن مزج توحيده بهذا الشرك اما من لم يشرح بنور الله صدره فقصرت بصيرته عن ملاحظة جبار
السموات والارض ومشاهدته كونه وراء الكل فوقف في الطريق على بعض المسخرات وهو جهل محض وغلطه في ذلك كغلطة النملة
مثلا لو كانت تدب على الكاغذ فنظرت الى راس القلم يسود الكاغذ ولم يمتد بصره الى الاصابع واليد فضلا عن صاحب اليد
وظنت ان القلم هو المسود للبياض وذلك لقصور بصره عن مجاوزة راس القلم لضيق حدقته **وصل** قال بعض العارفين
ارباب القلوب المشاهدات قد انطق الله في حقهم كل ذرة في الارض والسموات بقدرته التي انطق بها كل شيء حتى سمعوا
تقديسها وتسبيحها وشهادتها على انفسها بالعجز بلسان الواقع الذي يعبر عنه بالعجمي والعربي بغير حرف وصوت ولا يسمعه
الا بالسمع العقلي الملكوتي دون السمع الظاهري الحسي الناسوتي ومن هنالك لنطق الذي لكل ذرة من الارض والسموات
مع ارباب القلوب مناجاة السر وذلك مما لا ينحصر ولا يتناهى فانها كلمات تستمد من بحر كلام الله الذي لا نهاية له ولو كان البحر
مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ثم انها لما كانت مناجية باسرار الملك والملكوت وليس كل
واحد موضع السر بل صدور الاحرار قبور الاسرار واختصت مناجاتها بالاحرار من ارباب القلوب وهم ايضا
لا يحكون هذه الاسرار لغيرهم اذ افشاء السر لوم فهل رايت قط امينا على اسرار الملك قد يوحى بخفاياه فينادي بها
على الملاء من الخلق ولو جاز افشاء كل سر لما نهى النبي صلعم عن افشاء سر القدر ولما قال صلعم في بعض الاسرار
لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا بل كان يذكر لهم ذلك حتى يبكوا ولا يضحكوا فاذن عن حكايات مناجات
ذرات الملك والملكوت لقلوب ارباب المشاهدة مانعان احدهما المنع عن افشاء السر وثانيهما خروج كلماتها عن الحصر والنهاية ولكن نحكي فعل
الكتابة فيه يسيرا من مناجات بعض ماهي اسباب ووسايط اوردها بالحجر على الفهم لتقاس عليها جميع الافعال الصادرة من
جميع الاسباب والوسايط المسخرة تحت قدرة الله ويدل على الاجمال كيفية ابتناء التوكل عليه ونرد بضرورة التفهيم كلماتها الملكوتية
الى الحروف والاصوات وان لم يكن اصواتا وحروفا فنقول قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله للكاغذ وقد راى وجهه اسود

بالحبر المسودة وجهك وقد كان ابيض مشرقا فقال ما سودت وجهي وانما سوده الحبر فسل عنه لم فعل كذا فسال الحبر عن
ذلك فقال هذا السوال على القلم الذي اخرجني من مستقري فسال القلم فاحاله الى اليد والاصابع وهي الى القدرة والقوة
وهي الى الارادة معترفا كل واحد بعجز نفسه وبكونه مقهورا مسخرا تحت قهر الحاكم عليه من دون استطاعة لمخالفته ولما سال
الارادة فقالت ما انتهضت بنفسي بل بعثت على انتهاض القدرة وانهاضها لحكم رسول قاهر هجم علي من حضرة القلب
بلسان العقل وهذا الرسول هو العلم فالسوال عن انتهاضي على العقل والقلب والعلم ولما سال العقل قال اما
انا سراج ما اشتعلت بنفسي ولكني اشتعلت وقال القلب اما انا فلوح ما انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم انما انا
نقش نقشت في لوح القلب لما اشرق سراج القلب وما انتقشت بنفسي بل نقشني غيري فسل القلم الذي نقشني و
رسمني على لوح القلب بعد اشتعال سراج العقل وعند هذا تحير السايل وقال ما هذا القلم وهذا اللوح وهذا الخط
وهذا السراج فاني لا اعلم قلما الا من القصب ولا لوحا الا من الحديد والخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار
واني اسمع في هذا المنزل حديث اللوح والقلم والخط والسراج ولا اشاهد من ذلك شيا فقال له العلم ما اذن بضاعتك
مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف واعلم ان الطريق الذي توجهت اليه كثيرة فان كنت دليلا فاستمام الطريق
الى المقصد فاعلم ان العوالم في طريقك ثلثة اولها عالم الملك والشهادة ولقد كان الكاغذ والحبر والقلم واليد والاصابع
من هذا العالم وقد جاوزت تلك المنازل على سهولة وثانيها عالم الملكوت الاسفل وهو تشبيه السفينة التي بين الارض
والماء فلا هو في حد اضطراب الماء ولا هو في حد سكون الارض وثباتها والقدرة والارادة والعلم من منازل هذا
العالم وثالثها عالم الملكوت الاعلى وهو من وراي فاذا جاوزتني انتهيت الى منازله واول منازله القلم الذي يكتب
به العلم على لوح القلب وفي هذا العالم المظلمة الفسيحة والجبال الشاهقة والبحار المغرقة فقال له السايل السالك قد
تحيرت في امري ولست ادري اني اقدر على قطع هذا الطريق المخوف ام لا فهل لذلك علامة اعرفها تمكنني على قطع هذا الطريق
فقال نعم افتح بصرك واجمع ضوء عينك وحدقه نحوي فان ظهر لك القلم الذي يكتب في لوح القلب فتيسر ان تكون اهلا
لهذا الطريق فان كل من جاوز الملكوت الاسفل وقرع اول باب من ملكوت الاعلى كوشف بالقلم اما ترى ان النبي صلعم كوشف
بالقلم في اول ما انزل عليه قوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق الى قوله تعالى اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم
وهذا القلم هو قلم الله ليس بقصب ولا خشب اما سمعت ان متاع البيت يشبه رب البيت وقد علمت ان الله تعالى
لا يشبه ذاته سائر الذوات فليس في ذاته بجسم ولا هو في مكان فكذلك لا يشبه يده سائر الايدي ولا قلمه سائر الاقلام
ولا كلامه سائر الكلمات ولا خطه سائر الخطوط بل هذه امور الهية من عالم الملكوت الاعلى فليس يده من لحم وعظم ودم
ولا قلمه من قصب ولا لوحه من خشب ولا كلامه من صوت وحرف ولا خطه سائر ~~الخطوط بل هذه امور الهية من~~ نقش
ورسم ورقم والاجرة من ذلك وغيره فان كنت لا تشاهد هذا هكذا فما انت الا مخنث بين فحولة التنزيه وانوثة التشبيه والتجسيم وما عرفت ربك
اذ لو نزهت ذاته وصفاته عن ذوات الاجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن الحروف والاصوات فما بالك تتوقف
في يده وقلمه ولوحه وخطه ولا يتنزه عن الجسمية والتشبيه بغيرها فلما سمع السالك السائل عن العلم ذلك استشعر
قصور نفسه وفتح بصيرته بعد الابتهال الى ربه فانكشف له القلم الالهي فاذا هو كما وصف العلم ما هو من خشب ولا
قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر اصناف العلم فشكر العلم وودعه وسار الى حضرة

القلم الالهي وقال له ايها القلم الذي يخط علم الالهام في القلوب من العلوم ما ينبعث به الارادات الى اقتضاء القدرة واستخدامها
وصرفها الى المقدورات فقال له القلم الالهي اما نسيت ما رايت في عالم الملك وسمعته من جواب القلم الادمي حين سالته فحوله الى
مثل جوابه فاني مسخر تحت يد الله تعالى المسمى بيمين الملك فاسأله عن شأني فاني في قبضته وهو الذي يرددني وانا مقهور مسخر
فلا فرق بين القلم الالهي والقلم الادمي في معنى التسخير وانما الفرق في ظاهر الصورة فقال السائل من يمين الملك قال الملك اما سمعت
قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه قال نعم سمعته قال فالاقلام ايضا في قبضته وهو الذي يرددها فسافر السالك من عند القلم الى
اليمين حتى شاهده وراه من عجائبه ما يزيد على عجائب القلم وراى انه يمين لا كالايمان ويد لا كالايدي واصابع لا كالاصابع فراى
القلم متحركا في قبضته فسأله عن سبب تحريكه القلم فقال الجواب ما سمعته من اليمين التي رايتها في عالم الشهادة وهو الحوالة على
القدرة اذ اليد لا حكم لها في نفسها وانما محركها القدرة فسافر الى عالم القدرة وراى فيها من العجائب ما استحقر لاجلها ما
قبلها فسأله عن سبب تحريكها اليمين فقال انما انا صفة فسل القادر اذ العهدة على الموصوف
وعند هذا كاد ان يزيغ قلب السائل وينطلق بالجراءة لسان السؤال فثبت بالقول الثابت ونودي من وراء سرادقات الحضرة
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فغشيته هيبة الحضرة فخر صعقا وغشيته مدة فلما افاق قال سبحانك سبحانك ما اعظم شانك
واعز سلطانك تبت اليك وتوكلت عليك وامنت بانك الملك الجبار الواحد القهار فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك
ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك وبرضاك من سخطك ومالي الا ان اسالك واتضرع اليك واقول اشرح لي صدري لاعرفك
واحلل عقدة من لساني لاثني عليك فنودي من وراء الحجاب اياك ان تطمع في الثناء فان سيد الانبياء ما زاد في هذه الحضرة
على ان قال سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك واياك ان تطمع في المعرفة فان سيد الاوصياء قال العجز عن درك
الادراك ادراك والفحص عن سر ذات السر اشراك فيكفيك نصيبا من حضرتنا انك عاجز عن ملاحظة جلالنا وجمالنا
وقاصر عن ادراك دقائق حكمنا وافعالنا فعند هذا رجع السائل واعتذر عن سؤالاته ومعاتباته وقال للقدرة واليمين
والقلم والعلم والارادة والقدرة وما بعدها اقبلوا عذري فاني كنت غريبا جديد العهد بالدخول في هذه البلاد والان
قد صح عندي وانكشف لي ان المتفرد بالملك والملكوت والعزة والجبروت هو الواحد القهار فما انتم الا مسخرون
تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الاول بالاضافة الى الوجود اذ صدر منه الكل على ترتيبه واحدا بعد واحد وهو الاخر
بالاضافة الى سير المسافرين اليه فانهم لا يزالون مترقين من منزل الى منزل الى ان يقع الانتهاء الى حضرته فهو اول في الوجود واخر
في المشاهدة وهو الظاهر بالاضافة الى من يطلبه بالسراج الذي اشتعل في قلبه بالبصيرة الباطنة النافذة في عالم الملكوت وهو
الباطن بالاضافة الى العاكفين في عالم الشهادة الطالبين لادراكه بالحواس وهذا التوحيد في الفعل للسالكين الذين
انكشف لهم وحدة الفاعل بالمشاهدة واستماع كلام ذرات الملك والملكوت وهو موقوف على الايمان بعالم الملكوت و
التمكن من المسافرة اليه واستماع الكلام من اهله ومن كان اجنبيا عن هذا العالم ولم يكن له استعداد الوصول اليه ولم يمكنه
ان يسلك السبيل الذي ذكرناه فينبغي ان يرد مثله الى التوحيد الاعتقادي الذي يوجد في عالم الشهادة وهو ان يعلم ببعض
وحدة الفاعل مثل ان يقال له ان كل احد يعلم ان المنزل يفسد بصاحبين والبلد يفسد باميرين فخالق العالم وصانعه واحد
اذ لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فيكون ذلك على ذوق ما راه في عالم الشهادة فينغرس اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا
الطريق بقدر عقله واستعداده وقد كلف الانبياء ان يكلموا الناس على قدر عقولهم ثم لما كان هذا التوحيد الاعتقادي

اذاقه يصلح

اذاقه يصلح ان يكون عماد التوكل واصلا فيه اذ الاعتقاد اذا قوي عمل عمل الكشف في اثارة الاحوال الا انه في الغالب يضعف ويتسارع
اليه الاضطراب فيحتاج الى من يحرسه بكلامه واما الذي يشاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف له الغطاء
لما ازداد يقينا وان كان يزداد وضوحا تنبيه اعلم ان ما يشتمل عليه التوحيد المذكور من كون جميع الاشياء من الاسباب والوسايط
مقهورات مسخرات تحت القدرة الازلية وساير ما اوردنا في هذا المقام مما ذكره ابو حامد الغزالي وتبعه بعض اصحابنا ولا ريب
في لزوم الاشكال في افعال الانسان وحركاته فان البديهة يشهد بثبوت نوع اختيار له لانه يدرك ان شاء يسكن ان شاء ومع انه لو كان
مسخرا مقهورا في جميع افعاله وحركاته لزم الجبر ولم يصح التكليف والثواب والعقاب وتحقيق هذه المسالة اجل ان يليق ذكرها
هنا والحق ان كلا منهما لا يخلو عن قصور ونقصان والاولى فيها السكوت والتادب بادب الشرع ومنها الخواطر النفسانية والوساوس
الشيطانية اعلم ان الخاطر ما يعرض في القلب من الافكار فان كان مذموما داعيا الى الشر سمي وسوسة وان كان محمودا داعيا الى الخير
سمي الهاما وتوضيح ذلك ان مثل القلب بالنسبة الى ما يرد عليه من الخواطر مثل هدف يتوارد عليه السهام من الجوانب او حوض ينصب
اليه مياه مختلفة من الجداول او قبة ذات ابواب يدخل منها اشخاص مختلفة او مرآة منصوبة يجتاز اليها صور متباينة فكما ان
هذه الامور لا ينفك عن تلك السوانح فكذا القلب لا ينفك عن واردات الخواطر فلا يزال هذه اللطيفة الالهية مضمارا لتطاردها
ومعركة لجولانها وتراجمها الى ان يقطع علاقتها عن البدن ولذاته ويتخلص عن لدغ عقارب الطبع وحياته ثم لما كان الخاطر امرا
حادثا فلا بد له من سبب فان كان سببه شيطانا فهي الوسوسة وان كان ملكا فهو الالهام وما يستعد به القلب لقبول الوسوسة
يسمى اغواء وخذلانا وما يتهيأ به لقبول الالهام يسمى لطفا وتوفيقا والى ذلك اشار سيد الرسل صلعم بقوله في القلب لمتان
لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من الشيطان ايعاد بالشر وتكذيب بالحق وبقوله صلعم قلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن فصل الخاطر ينقسم الى ما يختلج بالبال من دون ان يكون مبدأ للفعل وهي الاماني الكاذبة والافكار الفاسدة والمحرك
للارادة والعزم على الفعل اذ كل فعل مسبوق بالخاطر والمبدأ الاول للافعال الخواطر وهي محركة الرغبة والرغبة العزم والعزم النية
والنية يبعث الاعضاء على الفعل والثاني كما عرفت ان كان مبدأ للخير يكون الهاما محمودا وان كان مبدأ للشر يكون وسواسا مذموما
والاول له انواع كثيرة منها ما يرجع الى التمني سواء كان حصول ما يتمناه ممكنا او محالا وسواء كان للمتمني حسنا محمودا او قبيحا مذموما وسواء
كان عدمه مستندا الى قضاء الله وقدره او الى التقصير وسوء تدبيره فيخطر بباله انه ياليت لم يفعل كذا او فعل كذا ومنها ما يرجع
الى تذكر الاحوال الغالبة اما بلا حسن اختياره او مع اختياره بان يتصور ما له من النفايس الفانية فيسر به او يتخيل فقدها فيحزن
لاجله او يتفكر فيما اعتراه من العلل والاسقام واختلال امر المعاش وسوء الانتظام او يتذكر حساب المعاملين وجواب
المعاندين وتصويره هلاك الاعداء بالانواع المختلفة من دون تاثير وفائدة ومنها ما يرجع الى التطير وربما بلغ حدا يخيل
كثيرا من الامور الاتفاقية على وقوع مكروه بنفسه او بما يتعلق به ويضطرب بذلك وان لم يكن مشهورة بين الناس و
ربما حدث في القوة الوهمية جبانة وشيطنة تذهب غالبا الحمايق ذيله ويكرهه ولا يذهب الحماية بيده وبيره فيتخيل ذهاب
امواله واولاده وابتلائه بالامراض والاسقام ووصول المكروه من الغير ومغلوبيته من عدوه وربما حصل لنفسه نوع
اذعان لهذه التخيلات المغلوبة العاقلة عن الوهم فيعرضه نوع اضطراب وانكسار وقلما ينجب ميل هذه القوة الوهمية فيما
يشاء ويريد من تخيل الغلبة وحصول التوسع في الاموال والاولاد بحيث يحصل لنفسه نوع اذعان لها فينبسط ويبتهج
وهذا اشد الوساوس وادوءها وربما كان المنشأ لبعضها نوع اختلال في الدماغ وجميع الانواع المذكورة باقسامها مفسدة

للنفس حدثت فيها نوع ذبول وانكسار وتصيدها لما خلقت لاجله ومنها ما يرجع الى التفأل وهذا اليس مذموما وقد ورد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يحب التفأل لكن كثيرا ما يتفأل ببعض الامور ومنها الوساوس في العقايد بحيث لا يؤدي الى الشك المزيل لليقين
فانه قادح في الايمان كما تقدم ومرادنا بالوسوسة وحديث النفس في العقايد هنا ما لا يضر بالايمان ولا يؤاخذ به كما يأتي تفصيله وقد ظهر
مما ذكرنا ان اكثر جولان الخاطر انما يكون في فايت لا تدارك له او في مستقبل لا بد وان يحصل منه ما هو مقدر وكيف ما كان هو تضييع
اذ آلة العمل قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به انسا بالله او عن فكر يستفيد معرفة بالله
ليستفيد بالمعرفة حبا لله فهو مغبون هذا ان كان فكره ووسواسه في المباحات مع ان الغالب ليس كذلك بل يتفكر في وجوه الحيل
لقضاء الشهوات اذ لا يزال ينازع في الباطن كل من خالفه في غرض او من يتوهم انه ينازعه ويخالفه في دايرة بل يقدر المخالفة
من اخلص الناس صحبة في اهله وولده ثم يتفكر في كيفية زجرهم وقهرهم وجوابهم عما يتعللون في مخالفتهم فلا يزال في شغل دايم
مضيع لدينه ودنياه **فصل** قد عرفت ان الوسواس من الشيطان الخناس والالهام على الملائكة الكرام ولا ريب ان كل نفس في بدء فطرتها
قابلة لاثر كل منهما على التساوي وانما يترجح احدهما بمتابعة الهوى وملازمة الورع والتقوى فاذا مالت النفس الى مقتضى شهوة
او غضب وجد الشيطان مجالا فيدخل بالوسوسة واذا انصرفت الى ذكر الله وضاق مجاله فيدخل حينئذ الملك بالالهام فلا يزال
التطارد بين جنده الملائكة والشياطين في معركة النفس الى ان يغلب احدهما لانه وجوده لوقابليتها للامرين بتوسط قوتيها العقلية
والوهمية الى ان يغلب احد الجندين ويتم مملكة النفس ويستوطن فيها ويكون اجتياز الثاني على سبيل الاختلاس وحصول الغلبة
انما هو لغلبة الهوى او التقوى فان غلبت عليها الهوى وخاضت فيها صارت عش الشيطان ومرتعه وكانت من حزبه وان
غلبت عليها الورع والتقوى صارت مستقر الملك ومهبطه ودخلت في حزبه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الانس ثلثة اصناف
صنف كالبهايم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها وصنف اجسادهم اجساد بني ادم و
ارواحهم ارواح الشياطين وصنف كالملائكة في ظل الله يوم لا ظل الا ظله ولا ريب في ان اكثر القلوب قد فتحها جنود الشياطين
وملكوها ويتصرفون فيها بضروب الوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة والسر فيه ان سلطنة الشيطان
سارية في لحم الانسان ودمه ومحيطة بمجامع قلبه وبدنه كما ان الشهوات ممتزجة بجميع ذلك ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم وقال الله سبحانه حكاية عن لسان اللعين لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم من بين
ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم والخلاص عن ايدي الشياطين يحتاج الى مجاهدة عظيمة ورياضة شاقة ومن لم يقم
في مقام المجاهدة كانت نفسه هدفا لسهام وساوسهم وداخلة في احزابهم **فصل** لما كان طرق الباطل كثيرة وطريق الحق
واحدة فالابواب المفتوحة للشيطان الى القلب كثيرة وباب الملائكة واحدة ولذا روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خط يوما لاصحابه خطا فقال
هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا قوله سبحانه ان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ثم لخصوص ميل النفس الى الباطل وعسر انقيادها للحق يكون
الطرق المؤدية الى الباطل التي هي ابواب الشيطان جلية ظاهرة فكان ابواب الشيطان مفتوحة ابدا والطريق المؤدية الى الحق
التي هي باب الملائكة خفية فكان باب الملائكة مسدودا دائما فما اصعب المسكين ابن ادم ان يسد هذه الابواب الكثيرة الظاهرة
المفتوحة ويفتح بابا واحدا خفيا مسدودا على ان اللعين ربما يلتبس بين طريق الحق والباطل ويعرض الشر في موضع الخير بحيث
يظن انه من الملك والالهام لا وسوسة الشيطان واغوائه فيهلك ويضل من حيث لا يعلم كما يلقي في قلب العالم ان الناس

لكثرة

لكثرة غفلتهم اشرفوا على الهلاكة وهم من الجهل موتى ومن الغفلة هلكى اما لك رحم على عباد الله اما لك تريد الثواب والسعادة
في العقبى فما بالك لا تنبههم عن رقدة الغفلات بوعظك ولا ينقذهم من الهلاكة الابدية بتفضلك وقد من الله عليك
بقلب بصير وعلم كثير ولسان ذلق ولهجة مقبولة فكيف تغمر الله تعالى ولا يظهرها فلا يزال يوسوسه بامثال ذلك الى ان يقتنصها
في نوع نفسه الى ان يجره بلطائف الحيل وتشيغل بالوعظ فيدعوه الى التزين والتصنع بتحسين اللفظ والسرور بتملق الطاعة
والفرح بمدحهم اياه والانبساط بتواضعهم لديه وانكسارهم بين يديه ولا يزال في اثناء الوعظ يقرر في قلبه شوائب الرياء
وحب قبول العامة ولذة الجاه وحب الرياسة والعزة بالعلم والفصاحة والنظر الى الخلق بعين الحقارة فيهلك الناس ويضل
نفسه ويعمر يومه ويخرب امسه فيهلك نفسه ويظن انه في طاعة وهو في معصيته ويحسب انه في عبادته فيدخل في جملة من قال الله
فيهم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فلابد من مصايد الشيطان
ومكايده الا ببصيرة باطنة نورانية وقوة قدسية ربانية كما لا نجاة للمسافر الحيران في بادية كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليلة
مظلمة الا بعين بصيرة صحيحة وطلوع شمس مشرقة منيرة **فصل** من تمكن من معرفة الخير والشر سهل عليه التفرقة بين
الالهام والوسوسة وقد قيل ان الالهام الملك ووسوسة الشيطان يقع في النفوس على وجوه ومعلامات احدها كالعلم واليقين
الحاصلين من جانب النفس ويقابله الشهوة والهوى الحاصلين من جانب شمالها وثانيها كالنظر الى آيات الافاق والانفس على سبيل
النظام والاحكام المزيل للشكوك والاوهام والمحصل للمعرفة والحكمة في القوة العاقلة التي هي جانب الايمن من النفس ويقابله
النظر اليها على سبيل الاشتباه والغفلة والاعراض عنها الناشية منها الشبه والوساوس في الواهمة والمتخيلة التي على الجانب الايسر
منها فان الايات المحكمات بمنزلة الملائكة المقدسة من العقول والنفوس الكلية لانها مبادي العلوم اليقينية والمتشابهات الوهميات
بمنزلة الشياطين والنفوس الوهمانية لانها مبادي المقدمات السفسطية وثالثها كطاعة الرسول المختار والائمة الاطهار في مقابلة
اهل الجحود والانكار وارباب التعطيل والتشبيه من الكفار فكل من سلك سبيل الهداية فهو بمنزلة الملائكة الملهمين للخير ومن
سلك سبيل الضلال فهو بمنزلة الشياطين المغوين بالشرور ورابعها كتحصيل العلوم والادراكات التي هي الموضوعات العالية
والاعيان الشريفة كالعلم بالله وملائكته ورسله واليوم الاخر والبعث وقيام الساعة ومثول الخلايق بين يدي الله وحضور
الملائكة والنبيين والشهداء والصالحين في مقابلة تحصيل العلوم والادراكات التي من باب الحيل والخديعة والسفسطة و
التأمل في امور الدنياوية الغير الخارجة عن دار الحس وسكان الاول يشبه الملائكة الروحانية وجنود الرحمن الذين هم سكان
العالم السماوي والثاني يشبه الابالسة المطرودة من باب الله الممنوعة من عروج السموات المحبوسة في الظلمات المحرومة في
الدنيا عن الارتقاء والمحجوبة في الاخرة عن دار النعيم **فصل** الوساوس لما كانت بواعث الشرور والمعاصي فالعلاج في دفعها
ان يتذكر سوء عاقبة العصيان ووخامة خاتمته في الدنيا والاخرة ويتذكر عظيم حق الله وجسيم ثوابه وعقابه ويتذكر ان القلب
عاجز عن الميل الى هذه الوساوس السهل من الصبر على نار لو قذف بشررة منها الى الارض احرقت نبتها وجمادها فاذا تذكر هذه
وعرف حقيقتها بنور المعرفة والايمان خنس عنه الشيطان وقطع عنه وساوسه اذ لا يمكنه ان ينكر عليه هذه الامور الحقة
اذ يقينه الحاصل من قواطع البرهان يمنعه عن ذلك ويحجبه بحيث يرجع ربما ضاربا فان نيران البراهين بمنزلة رجوم للشياطين
فاذا قوبلت وساوسهم قرب فرار الخيبر من الاسد وان كان تخلية البال بالارادة واختيار من دون ان يكون مبادي الافعال
مقطوعة بالكلية في غاية الصعوبة والاشكال وقد اعترف اطباء النفوس بانها الداء العضال ويتعسر دفعه بالمرة وربما قيل

ويكون حاضرا من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر

ولكن الحق خلافه لقول النبي صلى الله عليه وآله من صلى ركعتين لم يحدث فيهما بشيء غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولولا امكانه لم يتصور ذلك والسر في صعوبة قطعها بالكلية ان للشيطان جندين جند يطير وجند يسير والواهمة جنده الطيار والشهوة جنده السيار لانهما غالبا خلقتا من النار التي خلق منها الشيطان فالمناسبة اقتضت تسلطه عليهما وتعلقه بهما ثم لما كان النار بذاتها مقتضية للحركة اذ لا يتصور نار مشتعلة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبعها اقتضى ذلك ما للشيطان والقوتين ان يتحرك ولا يسكن الا ان الشيطان لما خلق من النار الصرفة من دون امتزاج بشيء آخر يقتضي دوام الحركة والتحريك للقوتين بالوسوسة والهيجان والقوتان لما امتزج بهما مادة تمامية أُخر من الطين لم يكونا بمثابة ما خلق من صرف النار في الحركة الا انهما استعدتا لقبول الحركة منه فلا يزال الشيطان ينفخ فيهما ويحركهما بالوسوسة والهيجان او تطير وتهيج فيهما اثر الشهوة لكون النارية فيهما اقل فلو فرضا ممكن فيحتمل ان ينكف تسلط الشيطان عن الانسان فيهما فيمكن بالكلية من الهيجان نعم لما الواهمة فلا يمكن ان يقطع تسلطه عنها فيمتنع قطع وساوسه من الانسان اذ لو امكن قطعها لبلغ لعبادة اللعين منقادا للانسان مسخرا له وانقياده له هو بعينه ذلة اذ مع النسبة حقيقة هو الانقياد والاطاعة ووضع الجبهة قال الرجل متى كيف يتصور ان يسجد الملعون لاولاد آدم مع عدم سجوده لابيهم واستكباره من ان يطعن من حركته ساجدا له معللا بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين فلا يمكن ان يتواضع لهم بالكف عن الوسوسة بل هو من المنظرين لاغوائهم الى يوم الدين فلا يخلص منه احد الا من اصبح وهمومه هم واحد فيكون قلبه مشتغلا بالله وحده فلا يجد الملعون مجالا فيه ومثله من المخلصين الداخلين في الاستثناء عن سلطنة هذا اللعين فلا تظنن انه يخلو منه قلب فارغ بل هو سيال يجري من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدح فانك ان اردت ان يخلو القدح من غير ان تشغله بمثل الماء فقد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما يخلو عن غيره لا يخلو عن الهواء فكذا القلب اذا كان مشغولا بفكر مهم كان الذي يمكن ان يخلو عن جولان هذا اللعين واما لو غفل عن الله ولو لحظة فليس له في تلك اللحظة قرين الا الشيطان كما قال سبحانه ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله يبغض الشاب الفارغ لان الشاب اذا تعطل عن عمل مباح يشغل باطنه لابد ان يدخل في قلبه الشيطان ويعشش فيه ويبيض ويفرخ ثم يزوج افراخه ايضا وتبيض مرة اخرى وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا اسرع من توالد الحيوانات لان الشيطان طبعه من النار والشهوة في نفس الشاب كالحلفاء اليابسة فاذا وجدها كثر تولده وتولدت من النار والنار ولم ينقطع اصلا فظهر ان وسواس الخناس لا يزال يجاذب قلب كل انسان من جانب الى جانب ولا علاج له الا قطع العلايق كلها ظاهرا وباطنا والفرار عن الاهل والمال والولد والجاه والرفقاء ثم الاعتزال الى زاوية وجعل الهموم هما واحدا هو الله وهذا ايضا لم يكن كافيا ما لم يكن له مجال في الفكر وسير في الباطن في ملكوت السموات والارض وعجايب صنع الله فان استيلاء ذلك على القلب واشتغاله يدفع مجاذبة الشيطان ووسواسه وان لم يكن سير في الباطن فلا ينجيه الا الاوراد المتواصلة المترتبة في كل لحظة من الصلوات والاذكار والادعية والقراءة ويحتاج مع ذلك الى تكليف القلب الحضور اذ الاوراد الظاهرة لا تستغرق القلب بل التفكر بالباطن هو الذي يستغرقه واذا فعل كل ذلك لم يسلم له من الاوقات الا بعضها اذ لا يخلو في بعضها عن حوادث تتجدد وتشغله عن الفكر والذكر كمرض او خوف او ايذاء او طغيان ولو من مخالطة لا يستغنى عنه في الاستعانة به في بعض اسباب المعيشة

فصل لو امكن العلاج في القطع الكلي للوساوس فانما هو بامور ثلثة الاول سد الابواب العظيمة للشيطان في القلب وهي الشهوة والغضب والحرص والحسد والعداوة والحقد والعجب والكبر والطمع والبخل والخفة والجبن وحب الحطام الدنيوية او لذاته والشوق الى التزين بالثياب الفاخرة والعجلة وخوف الفاقة والفقر والتعصب لغير الحق وسوء الظن بالخالق والخلق وغير ذلك من رذايل الصفات ورذايل الملكات فانها ابواب عظيمة للشيطان فاذا وجد بعضها مفتوحا يدخل منه في القلوب بالوساوس المتعلقة به واذا انسدت لم يكن اليه سبيل الا

طريق

طريق الاختلاس والاجتياز الثاني عمارة القلب باضدادها من فضايل الاخلاق وشرايف الاوصاف والملازمة للورع والتقوى والمواظبة على العبادة في الاعمال الثالث كثرة الذكر بالقلب واللسان فاذا انقلعت عن القلب اصول رذايل الصفات المذكورة التي هي بمنزلة الابواب العظيمة للشيطان التي عنه وجوه سلطنته وتصرفاته سوى خطراته واجتيازاته والذكر يمنعها ويقطع تسلطه وتصرفه بالكلية ولو لم يسد ابوابه اولا لم ينفع مجرد الذكر اللساني اذ حقيقة الذكر لا يتمكن في القلب الا بعد تخليته عن الرذايل وتحليته بالفضايل ولولاهما لم يظهر على القلب سلطانه بل كان مجرد حديث نفس لا يندفع به كيد الشيطان وتسلطه فان مثل الشيطان مثل كلب جايع ومثل هذه الصفات المذمومة مثل لحم او خبز او غيرهما من مشتهيات الكلب ومثل الذكر مثل قولك له اخسأ ولا ريب في ان الكلب اذا قرب اليك ولم يكن عندك من مشتهياته شيء ينزجر عنك بمجرد قولك اخسأ وان كان عندك شيء منها لم يعد يندفع عنك بمجرد هذا القول ولم يصل الى مطلوبه فالقلب الخالي عن قوت الشيطان يندفع بمجرد الذكر واما القلب المملو منه فيدفع الذكر الى حواشيه ولا يستقر في سويدائه لاستقرار الشيطان فيه وايضا الذكر بمنزلة الغذاء المقوي فكما لا ينفع الاغذية المقوية ما لم ينق البدن عن الاخلاط الفاسدة ومواد الامراض الحادثة كذلك لا ينفع الذكر ما لم يطهر القلب عن الاخلاق الذميمة التي هي مواد الوساوس فالذكر انما ينفع للقلب اذا كان مطهرا عن شوائب الهوى ومنورا بانوار الورع والتقوى كما قال الله سبحانه ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال سبحانه ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ولو كان مجرد الذكر مطردا للشيطان لكان كل احد حاضر القلب في الصلوة ولم يخطر بباله فيها الوساوس الباطلة والهواجس الفاسدة اذ منتهى كل ذكر وعبادة انما هو في الصلوة مع ان من راقب قلبه يجد ان خطور الخواطر في صلوته اكثر من ساير الاوقات وربما لا يتذكر ما نسيه من فضول الدنيا الا في صلوته بل يزدحم عنده جنود الشياطين على قلبه ويصير مضمار الجولانهم ويقلبونه شمالا ويمينا لا يجد فيه ايمانا ولا يقينا فيجاذبونه الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين ويمرون به في اودية الدنيا ومهالكها ومع ذلك لا تظنن ان الذكر لا ينفع في القلوب الغافلة اصلا فان الامر ليس كذلك اذ الذكر عند اهله اربع مراتب كلها ينفع الذاكرين الا ان لبه وروحه والغرض الاصلي منه المرتبة الاخيرة الاولى اللساني فقط الثانية اللساني والقلبي مع عدم تمكنه من القلب بحيث احتاج القلب الى مراقبته لحضوره مع الذكر ولو خلي وطبعه استرسل في اودية الخواطر الثالثة القلبي الذي تمكن من القلب واستولى عليه بحيث لم يمكن صرفه عنه بسهولة بل احتاج ذلك الى سعي وتكلف كما احتيج في الثانية اليها في قراره معه ودوامه عليه الرابعة القلبي الذي يتمكن المذكور من القلب بحيث انمحى عنه الذكر فلا يلتفت القلب الى نفسه ولا الى الذكر بل يستغرق بشراشره في المذكور واهل هذه المرتبة يجعلون الالتفات الى الذكر حجابا شاغلا وهذه المرتبة هي المطلوبة بالذات والبواقي مع اختلاف مراتبها مطلوبة بالعرض لكونها طرقا الى ما هو المطلوب بالذات

فصل السر في توقف قطع الوساوس بالكلية على التصفية والتخلية ثم المواظبة على ذكر الله ان بعد حصول هذه الامور للنفس تحصل لقوتها العاقلة ملكة الاستيلاء والاستعلاء على القوى الشهوية والغضبية والوهمية فلا يتأتى لها ان تميل الا على وفق المصلحة فيتمكن من ضبط الواهمة والمتخيلة بحيث لو ارادت صرفهما عن الوساوس لامكنها ذلك ولم تتمكن القوتان من الذهاب الى اودية الخواطر بدون اذنها واذا حصلت للنفس هذه الملكة توجهت الى ضبطهما كلما ارادتا الخروج عن انقيادها والذهاب الى اودية الوساوس وتكرر منها هذا الضبط حصل لهما ثبات الانقياد بحيث لم يخطر فيهما خاطر سوء مطلقا بل لم يخطر فيهما الا خواطر الخير من خزاين الغيب وحينئذ يستقر النفس على مقام الاطمينان وينسد منها ابواب الشيطان وينفتح فيها ابواب الملائكة ويصير مستقرها فيتجلى الشروق انوار القدسية من مشكوة الربوبية ويشملها خطاب يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية ومثل هذه احسن النفوس واشرفها ويقابلها النفس المنكوسة المملوة من الخبائث الملوثة بانواع الذمايم والرذايل وهي التي انفتح فيها ابواب الشيطان وانسد منها

الملكة ويتصاعد منها دخان مظلم اليها فيملأ حواشيها ويطفئ نور اليقين ويضعف سلطان الايمان فيختفي انواره بالكلية ولا يخطر فيها
خاطر خير ابدا ويكون دائما محل الوساوس الشيطانية ومثلها لا يرجع الى الخير ابدا ولا يتصلح بعدم تأثر هذا من النصائح والمواعظ لو اسمع
عميت عن الفهم وصمت عن السمع والى مثلها اشير بقوله سبحانه افرايت من اتخذ الهه هواه فانت تكون عليها وبقوله ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة وبقوله ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا وبقوله سواء عليهم وانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون
وبقوله لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون وبين هاتين النفسين نفس متوسطة في السعادة والشقاوة مظهر ابتداء فكرة في
اتصافها بالفضائل حال الرذائل بحسب الكم والكيف والزمان فيختلف فيها فتح ابواب الملائكة والشياطين بالجهات المذكورة فتارة يبتدئ
فيها خاطر الهوى فيدعوها الى الشر وتارة يبتدئ فيها خاطر الايمان فيبعثها على الخير ومثلها معركة تطارد جنود الشياطين والملائكة
وتجاذبها فتارة يصول الملك على الشيطان فيطرده وتارة يحمل الشيطان على الملك فيغلبه ولا تزال التجاذب بين الحزبين الى ان تصل
الى ما خلقت لاجله بسابق القضاء والقدر ثم النفس الاولى في غاية الندرة وهي نفوس الكمل من المؤمنين الواصلين والثانية في غاية الكثرة
وهي نفوس الكفار باسرهم ونفوس اكثر المسلمين ولها اقسام شتى ودرجات لا تحصى ولها عرض عريض يتصل احد طرفيه بالنفس الاولى والاخر
بالثانية **فصل** وقد عرفت ان الوساوس باقسامها مشتركة في كونها ظلمة وكدورة في النفس الا ان مجرد الخواطر وحديث النفس وما
يتولد عنه بلا اختيار كالميل وهيجان الرغبة لا مؤاخذة عليها ولا يكتسب بها معصية لعدم دخولها تحت الاختيار فالمؤاخذة
عليها ظلم والنهي عنها تكليف بما لا يطاق واما الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل هذا فيؤاخذ به لكونه اختياريا وكذا الهم بالفعل
والعزم عليه الا انه ان لم يفعل مع الهم خوفا من الله وندم عنه كتبت له حسنة وان لم يفعل لمانع منعه لا لخوف الله سبحانه كتبت له سيئة
والدليل على هذا التفصيل اما على عدم المؤاخذة على مجرد الخاطر فلما روي في الكافي انه جاء رجل الى النبي ص فقال يا رسول الله هلكت فقال
له اتاك الخبيث فقال لك من خلقك فقلت الله تعالى فقال لك الله من خلقه فقال له اي والذي بعثك بالحق لكان كذا فقال رسول
الله ذاك والله محض الايمان ومثله ما روي ان رجلا اتى رسول الله فقال يا رسول الله نافقت فقال له والله ما نافقت ولو نافقت ما اتيتني
تعلمني ما الذي رابك واظن ان العدو الحاضر اتاك فقال من خلقك فقلت الله خلقني فقال لك من خلق الله فقال اي والذي بعثك
بالحق لكان كذا فقال ان الشيطان اتاكم من قبل الاعمال فلم يقو عليكم فاتاكم من هذا الوجه لكي يستزلكم فاذا كان كذلك فليذكر احدكم الله تعالى
وحده وقريب منه ما روي ان رجلا كتب الى ابي جعفر ع يشكو اليه لمما يخطر على باله فاجابه في بعض كلامه ان الله ان شاء ثبتك فلا يجعل
لابليس عليك طريقا قد شكا قوم الى النبي ص لمما يعرض لهم لان تهوي بهم الريح او يقطعوا احب اليهم من ان يتكلموا به فقال رسول الله ص اتجدون
ذلك قالوا نعم قال والذي نفسي بيده ان ذلك لصريح الايمان فاذا وجدتموه فقولوا امنا بالله ورسوله ولا حول ولا قوة الا بالله وسئل
الصادق ع عن الوسوسة وان كثرت فقال لا شيء فيها تقول لا اله الا الله وعن جميل بن دراج قال قلت للصادق ع انه يقع في قلبي امر عظيم
فقال قل لا اله الا الله قال جميل فكلما وقع في قلبي وسوسة قلت لا اله الا الله فذهب عني وما يدل على عدم المؤاخذة على الميل و
هيجان الرغبة اذا لم يكونا داخلين تحت الاختيار ما روي انه لما نزل قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جاء
ناس من الصحابة الى رسول الله ص وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب بذلك فقال
ص لعلكم تقولون كما قال بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بذلك بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا
الا وسعها وما روي عن امير المؤمنين في قوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ان هذه الاية عرضت على الانبياء والامم السابقة
فابوا ان يقبلوها من ثقلها وقبلها رسول الله ص وعرضها على امته فقبلوها فلما راى الله عز وجل منهم القبول على انهم لا يطيقونها قال اما اذا

الاية بتشديدها

الا

الاية بتشديدها وعظم ما فيها وقد عرضتها على الامم فابوا ان يقبلوها وقبلتها امتك فحق علي ان ارفعها عن امتك وقال لا يكلف الله نفسا
الا وسعها وما روي عن النبي ص انه قال وضع عن امتي تسع خصال الخطا والنسيان وما لا يعلمون وما لا يطيقون وما اضطروا اليه وما استكرهوا
عليه والطيرة والوسوسة في التفكر في الخلق والحسد ما لم يظهر بلسان او يد وما روي انه سئل الصادق ع عن رجل يجيء منه الشيء على حد الغضب
لا يؤاخذه الله تعالى به فقال الله اكرم من ان يستغلق على عبده والمراد من الغضب غير الغضب الذي بسبب الاختيار بل الجبلة القطع حاصل بعدم
المؤاخذة والمعصية على ما لا يدخل تحت الاختيار من الخواطر والميل وهيجان الرغبة اذ النهي عنها مع عدم كونها اختيارية تكليف بما لا يطاق
وان لم ينفك عن احداث خباثة في النفس واما على انه يكتسب سيئة على الاعتقاد والهم بالفعل والتصميم عليه مع تركه لمانع لا للخوف من الله فهو
ان كلا من الاعتقاد والهم بالمعصية فعل من الافعال الاختيارية للقلب وقد ثبت في الشريعة ترتب الثواب والعقاب على فعل القلب اذا كان اختياريا
قال الله سبحانه ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وقال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت
قلوبكم وقال رسول الله ص انما يحشر الناس على نياتهم وقال ص اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار فقيل يا رسول الله هذا
القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وقال ص لكل امرئ ما نوى والاخبار الواردة في ترتب العقاب على الهم بالمعصية كثيرة ولولاها
لحكم على صورة الترك خوفا من الله لما يأتي من ان هذه الصورة تكتب بها حسنة وكيف لا يؤاخذ على اعمال القلوب مع ان المؤاخذة
على الملكات الردية من الكبر والعجب والرياء والنفاق والحسد وغيرها قطعي الثبوت من الشرع مع كونها افعالا قلبية وقد ثبت في الشريعة
ان من وطئ امرأة ظانا انها اجنبية كان عاصيا وان كانت زوجته واما على انه يكتب حسنة على الترك بعد الهم خوفا من الله فلما روي
عن النبي ص انه قال قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد ان يعمل سيئة وهو ابصر فقال ارقبوه فان عملها فاكتبوها عليه بمثلها وان
تركها فاكتبوها له حسنة انما تركها من اجلي وما روي عن الامام محمد بن علي الباقر ع ان الله تعالى جعل لادم في ذريته من هم بحسنة ولم
يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة وعملها كتب له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم يكتب عليه وقوله لم يكتب عليه محمول على صورة
عدم العمل خوفا من الله لما تقدم من انه ان لم يعملها لمانع غير خوف الله كتبت عليه سيئة وما روي عن الصادق ع انه قال ما من مؤمن
الا وله ذنب يهجره زمانا ثم يلم به وذلك قوله الا اللمم وقال اللمام الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه وورد بهذا المضمون اخبار اخر
فصل قد عرفت ان ضد الوسوسة الخاطر المحمود المستحسن شرعا وعقلا لان القلب اذا كان مشغولا بشيء لا يمكن ان يشغله شيء اخر
فاذا كان مشغولا بالخواطر المحمودة لا سبيل للخواطر المذمومة اليه وربما كان للغفلة التي هي ضد النية تقابل لكل من الوسوسة والخاطر المحمود
اذ عند الغفلة لا يتحقق شيء منها الا خلو القلب عن كل نية وخاطر بحيث يكون ساذجا في غاية الندرة على ان الظاهر ان مرادهم من الغفلة
خلو الذهن عن القصد الباعث وان كان مشغولا بالوساوس الباطلة كما ياتي تحقيقه ثم الخاطر المحمود ان كان تحضرا دينيا لفعل جميل
معين كان متعلقا بالقوة التي يتعلق هذا الفعل بها والا كان راجعا الى الذكر القلبي او الى التدبر في العلوم والمعارف والتفكر
في عجائب صنع الله وغرائب عظمته او الى التدبر في الجملة الكلي فيما يقربها العبد الى الله سبحانه او ما يبعده عنه تعالى ولعل مرداء ذلك خاطر
محمود متعلق بالدين او غير ذلك من الخواطر المذمومة المتعلقة بالدنيا واذا عرفت ذلك فاعلم انه من معالجات مرض الوسواس معرفة شرافة
ضده الذي هو الخاطر المحمود ليبعثه على المواظبة عليه الموجبة لدفع الوساوس وفضيلة الخواطر المحمودة الباعثة على الافعال الجميلة ياتي
ذكرها في باب النية وربما يعلم من بيان فضيلة نفس هذه الافعال ايضا كما ياتي وفضيلة الذكر القلبي يعلم في باب مطلق الذكر واما بيان
شرافة التفكر وبعض مجاريه من افعال الله والاشارة الى كيفية التفكر فيها وفيما يقربها العبد الى الله وفيما هو يبعده عنه فلنشير
الى جملة منه هنا لتعلقه بالقوة النظرية فنقول التفكر هو سير الباطن من المبادئ الى المقاصد والمبادئ هي ايات الافاق والانفس والمقصد

هو الوصول الى معرفة موجدها ومبدعها والعلم بقدرته القاهرة وعظمته الباهرة ولا تمكن للانسان يترقى من حضيض النقصان الى اوج
الكمال الا بهذا السير وهو مفتاح الاسرار ومشكوة الانوار ومنشأ الاعتبار ومبدأ الاستبصار وشبكة المعارف الحقيقية ومصيدة
الحقايق اليقينية وهو اجنحة النفس للطيران الى ذكره الاقدس ومطية الروح للمسافرة الى حضرته المقدسة وبه ينكشف ظلم الجهل واستار
ويتجلى انوار العلم واسراره ولذا ورد مدحه والحث عليه في الايات والاخبار كقوله سبحانه اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض
وما بينهما الا بالحق وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وقوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار وقوله قل سيروا في
الارض كيف فانظروا كيف بدأ الله الخلق وقوله ان في خلق السموات والارض لايات لاولى الالباب وقوله وفي الارض ايات
للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات
والارض وقول رسول الله صلى الله عليه وآله التفكر حياة قلب البصير وقوله صلى الله عليه وآله فكرة ساعة خير من عبادة سنة ولا ينال منزلة الله الا بالتفكر
من حضرته اهمّ بنوها التوحيد والمعرفة وقوله افضل العبادة ادمان التفكر في الله وفي قدرته ومراده من التفكر
في الله في قدرته وصنعه وفي عجايب افعاله ومخلوقاته وغرايب ابداعه ومبدعاته لا التفكر في ذاته لكونه ممنوعا عنه في الاخبار معللا
بانه يورث الحيرة والدهشة واضطراب العقل وقد ورد اياكم والتفكر في الله ولكن اذا اردتم ان تنظروا الى عظمته فانظروا
الى عظيم خلقه واشتهر عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال تفكروا في الاء الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره وقول امير المؤمنين عليه السلام التفكر
يدعو الى البر والعمل به وقوله عليه السلام نبه بالتفكر قلبك وجاف عن الليل جنبك واتق الله ربك وقول الباقر عليه السلام باجالة الفكر يستدل
الرأي المعشب وقول الصادق عليه السلام الفكر مرآة الحسنات وكفارة السيئات وضياء للقلوب وفسحة للخلق واصابة في صلاح المعاد واطلاع
على العواقب واستزادة في العلم وهي خصلة لا يعبد الله بمثلها وقول الرضا عليه السلام ليس العبادة كثرة الصلوة والصوم انما العبادة
التفكر في امر الله تعالى ثم الموجودات باسرها مجاري التفكر ومطارح النظر اذ كل ما في الوجود سوى واجب الوجود رشح من رشحات
وجوده واثار فيضه وجوده وكل موجود مخلوق من جوهر او عرض مجرد او مادي فلكي او عنصري بسيطا او مركب فعل الله
وصنعه وما من ذرة من ذرات العالم الا وفيها ضروب من عجايب حكمته وغرايب عظمته بحيث لو تشمر عقلاء الاقطار وحكماء الامصار
مدى الاعصار لاستنباطها لانقضت اعمارهم دون الوقوف على عشر عشيرها وقليل من كثيرها ثم ان الموجودات المخلوقة منقسمة الى
ما لا يعرف اصله فلا يمكننا التفكر فيه والى ما يعرف اصله وجمله من دون معرفة تفاصيله فيمكننا التفكر في تفصيله ليزداد لنا معرفة
وبصيرة بخالقه وهو اما لا يدرك بحس البصر وهو يسمى بالملكوت كالملائكة والجن والشياطين وعوالم العقول والنفوس المجردة ولها
اجناس وطبقات لا يحيط بها الا موجدها والى ما يدرك به والاجناس ثلثة عالم السموات المشاهدة بكواكبها وافلاكها ودورانها
في طلوعها وغروبها وعالم الارض المحسوسة بجبالها وبحارها ومعادنها وانهارها وفيها نباتها واشجارها وحيوانها
وجمادها وعالم الجو المدرك بسحبه وغيومه وامطاره وثلوجه وشهبه وبروقه ورياحه ورعوده وكل من هذه الاجناس الثلثة
ينقسم الى انواع وينشعب كل نوع الى اقسام واصناف غير متناهية مختلفة في الصفات والهيئات واللوازم والاثار والخواص والمعاني
الظاهرة والباطنة وليس شيء منها الا وموجده هو الله سبحانه وفي وجوده وحركته وسكونه حكم ومصالح للخلق وكل ذلك مجاري التفكر
والتدبر لتحصيل المعرفة والبصيرة بالقادر الحكيم وموجدها القيوم العليم اذ كلها شواهد عدل وبينات صدق على وحدانيته وحكمته
وكمال كبريائه وعظمته فمن قوي قدم حقيقته وداخل عالم الوجود وفتح عين بصيرته وشاهد مملكته من الوجود يظهر له في كل ذرة
من ذرات الخلق عجايب حكم وغرايب قدرة يعجز عن ضبطها عقله ووهمه وحسه ويقصر عن فهمها فهمه ثم لا ريب في ان طبقات العالم المنتظمة المترتبة

على النحو الاصلح

على النحو الاصلح والنهج الاحسن بامر موجدها الحكيم ومبدعها العليم مبتدئا في الصعود من الاشرف فالاشرف حتى ينتهي الى اسفل العوالم
واخسّها وهو عالم الارض بما فيه وكل عالم اسفل لا قدر له بالنسبة الى ما فوقه فلا قدر للارض بالنظر الى عالم الجو ولا للجو بالقياس الى عالم السموات
ولا للسموات بالنسبة الى عالم المثال ولا للمثال بالنظر الى عالم الملكوت بالقياس الى الجبروت ولا للجميع بالنسبة الى ما لا سبيل لنا الى ذكره تفصيلا
واجمالا من عوالم الالوهية كما ظهر لعلماء الطبيعة واهل الرصد والهندسة ووضح لارباب الكاشفة والعرفان واصحاب المشاهدة والعيان
ثم اخس العوالم الذي عرفت حاله اعني الارض لا قدر لها على ظهرها من الحيوان والنبات والجماد بالنظر الى نفسها ولذا ينفد من ادنى تغير
لها اجل ما عليها ولكل جنس مما عليها انواع واقسام واصناف غير متناهية واضعف انواع الحيوان البعوضة والنحل واشرفها نوع الانسان
فنحن نشير الى نبذة يسيرة من الحكم والعجايب المودعة فيها وكيفية التفكر فيها ليقاس عليه البواقي اجمالا اذ بيان مجاري التفكر باسرها غير ممكن
والمال ما لم يمكن منه خارج عن حيطة الضبط والتعيين ولذا ترى البارعين من الحكماء الفائقين من اجلة العرفاء بذلوا وسعهم في بيان
مجاري التفكر ومطارحه وشرح مجال النظر ومسارحه فسطروا في الاساطير ملأوا منها الطوامير وخاضوا في غمرات بحار الافكار وغاصوا
في تيار لجج الانظار ومع ذلك لم يعودوا بالنظر الى ما هو الواقع الا صفر اليدين ورجعوا الى الاعتراف بالعجز حين حاولوا احصاء شيء مما يمكن لنا ذكره
من الحكم والغرايب المودعة في عضو واحد من اعضائها على التفصيل لم يحتمله وضع الكتاب وادى تكثيرا ما يمل الناظرين من الاطناب فنشير
اجمالا الى بعض ما فيها من الحكم والعجايب ليتنبه الطالبين على كيفية التفكر في الصنايع الالهية فنقول اما البعوض فانظر كيف خلقه الله
على صغر قدره على شكل الفيل الذي هو اعظم الحيوانات اذ خلق له خرطوما كخرطومه وخلق له مع صغره جميع الاعضاء التي خلقها للفيل بزيادة
جناحين فقسم اعضائه الظاهرة فانبت جناحيه واخرج يديه ورجليه وشق سمعه وبصره ودبر في باطنه اعضاء الغذاء وركب فيها من القوى
الغاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والهاضمة ما ركب في الحيوانات العظيمة كما يأتي في الانسان ثم هداه الى غذائه الذي هو دم الانسان
وغيره من الحيوانات العظيمة فانبت له الطيران الى الانسان وخلق له الخرطوم الطويل وهو محدد الراس وهداه الى الامتصاص من مسام بشرة الانسان
حتى يضع خرطومه في واحد من مسامها ويغرز فيه ويمص الدم ويتجرعه وخلق خرطومه مع دقته مجوفا حتى يجري فيه الدم الصافي الرقيق وينتهي الى باطنه
وينتشر في سائر جرمه ان الانسان يقصده بيده فعلمه حيلة الهرب وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد
مع كونها بعيدة منه فيترك المص ويهرب واذا سكنت اليد يعود وخلق له حدقتين حتى يبصر مواضع اغذائه فيقصدها مع صغر حجم
وجهه ولما كانت حدقة كل حيوان صغير بحيث لا يحتمل الاجفان لصغرها وكانت الاجفان مصقلة لمرآة الحدقة عن القذى والغبار خلق
للبعوض والذباب وغيرهما من الحيوانات الصغيرة يدين وعلمه ان يمسح بهما حدقته بيديه واما الانسان وغيره من الحيوانات العظيمة فخلق لحدقته
الاجفان حتى ينطبق على الاخر واطرافها حادة فجمع الغبار الذي يلحق تلك الحدقة ويرميها الى اطراف الاهداب فهذه لمعة يسيرة من
عجايب صنع الله فيه وفيها من العجايب الظاهرة والباطنة ما لو اجتمع الاولون والاخرون على الاطلاع بكنهها لعجزوا ولم يدركوا حقيقتها ا
النحل فانظر كيف اوحى الله تعالى اليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون واستخرج من لعابها الشمع والعسل وجعل ا
ضياء والاخر شفاء وانظر في عجايب امرها في تناولها الازهار والانوار واجتنابها من النجاسات والاقذار وفي طاعتها وانقيادها لواحد
من جملتها هو اكبرها شخصا وهو اميرها ثم انظر الى بناء بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الاشكال المسدس فلا يبني مستديرا ولا
مربعا ولا مخمسا بل مسدسا والمسدس لخاصية يقصر عن دركها افهام المهندسين وهو ان اوسع الاشكال واحوجها المستدير ثم ما يقرب
منه فان المربع يخرج منه زوايا ضايعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك المربع حتى لا يضيع الزوايا فيبقى فارغة ولو بناها
مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضايعة لان الاشكال المستديرة اذا اجتمعت لم تجتمع متراصة ولا شكل في الاشكال

ذات الزوايا يقرب في الوسعة والاحتوا من المستدير لم يتراص لحلبة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة الا المسدس فهذه خاصية هذا
الشكل فانظر كيف علم الله النحل مع صغر جرمها ولطافتها عناية بوجودها التي هي منفعتها سبحانه ما اعظم شانه وما ذكرناه فقليل يسير
من عجايب الحكمة المودعة فيها وما فيها من العجايب الظاهرة والباطنة مما لا يمكن الاحاطة به اما الانسان فنقول الا يتعجب ان اول الانسان
قطرة من ماء قذرة لو خليت بنفسها لانتفت الحوا و افسدها وكانت متفرقة في جميع اجزاء بدن الذكر فالق الله بلطايف حكمة بجيبة
بينه وبين الانثى وقادهما بسلاسل الشوق الى الاجتماع واستخرج هذه النطفة المنتشرة المنتشبة بحركة الوقاع واعطى لآلة الرجل قوة
دافعة ولرحم الانثى قوة جاذبة حتى جذبتها من الاحليل الى نفسها وامتزجت بمني الانثى حتى صارتا واحدة واستقرت في الرحم وجعل
مبدء عقد الصورة في مني الذكر ومبدء انعقادها في مني الانثى فهما بالنظر الى الجنين كالانفحة واللبن بالقياس الى الجبن والحيوان
لكل من المنيين القوة العاقدة والمنعقدة الا ان الاولى في الذكورية والثانية في الانوثة اقوى والا لم يصيرا شيئا واحدا ولم تنعقد الذكورية
حتى يصير جزءا منا ولعله لو كان مزاج الانثى قويا ذكوريا كما في النساء الشريفة النفوس القوية القوى وكان مزاج كبدها حارا كان
المني المنفصل عن كليتها اليمنى احر كثيرا من المنفصل من كليتها اليسرى فاذا اجتمعا في الرحم وكان مزاج الرحم قويا في الامساك والجذب
قام المنفصل عن الكلية اليمنى مقام مني الذكر في شدة قوة العقد والمنفصل من اليسرى مقام مني الانثى في قوة الانعقاد فيخلق الولد
ولعل هذا يصحح ولادة مريم البتول حيث تمثل لها روح القدس بشرا سويا احسن الصورة فيتحقق ما ذكرنا تاييد به ايضا كسهام
اتصالها به الى الطبيعة والبدن وتغير مزاجها مع جميع القوى في افعالها بالمدد الروحاني فصارت اقدر على افعالها بما لا ينضبط
بالقياس ثم ابتداء خلق الجنين في استقرار المائين في الرحم وشبه بالبخين لان الصق بالتنور فيغيره امه سبحانه من حال الى حال كالبذر
اذا انبت من الارض فصارت نطفة فاستجلب دم الحيض من افواه العروق اليها حتى ظهرت فيها نقط دموية منه وصارت علقة ثم
اظهر فيها حمرة ظاهرة حتى صار شبيها بالدم الجامد وتصيح فيها روح حارة فصارت مضغة ثم اظهر فيها رسوم الاعضاء وشكلها
فاحسن شكلها وصورها فاحسن تصويرها فقسم اجزائها المتشابهة الاجزاء مختلفة من العظام والاعصاب والعروق والاوتار و
اللحم والشحم وركب الاعضاء الظاهرة والباطنة من اللحم والعروق والاعصاب فدور الراس وشق البصر والسمع والفم والانف
وساير المنافذ ومد اليد والرجل وقسم رؤوسها بالاصابع وقسم الاصابع بالانامل وخلق كل واحد من القلب والدماغ والكبد
والطحال والمعدة والرية والرحم والمثانة والامعاء فجعل هذه الاعضاء على شكل مخصوص وجعل لكل منها عملا معينا وفعلا مخصوصا
وجميع ذلك لتحصيل الجنين وهو في ظلمات الاحشاء محبوس وغذاء دم الحيض مغموس منضم في سرة كفاه على خديه ومرفقاه على ركبتيه اجتمعت
ركبتاه على صدره وذقنه على راسه وركبتيه وهو كشبه نائم سرته متصلة بسرة امه يمتص منها الغذاء ووجهه الى ظهرها ان كان
انثى والى ظهرها ان كان ذكرا فيتولد عليه تلك النقوش العجيبة والتصاوير الغريبة فيخرج منها الشعر واللحم والا لابد والا كم
ولا يرى داخل النطفة والرحم ولا خارجهما نقاش يعمل اليها ان نقشه فكان الجنين بلسان حاله ينادي على العارفين بنغمات
يعجبها ويرقصها بقصوده في ظلمات الاحشاء مغموسا بدم الحيض كيف يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فينقش النقاش اجملا ومدحا
ويصير المصور بعد شيء شيئا ولا يزال يظهر على نفش بعد نقش صورة بعد صورة ولا ارى نقاشا ولا مصورا ولا تتعجبون من هذا
النقاش الذي لا يحتاج الى ماس ومزاولة ولا يفتقر الى آلة ومباشرة او لا تتعقلون من عجيب صنعه الى عظيم قدرته وجسيم عظمته او ليس
لكم اعين تبصرون او قلوب بها تفقهون فكيف تنظرون الى المكون لهذا الاعضاء وعجايبها ولا تعترفون فانظر الان يا حبيبي في بعض من العجايب
والحكم المودعة في بعض من هذه الاعضاء فتامل في العظام التي هي اجسام قوية كيف خلقها من نطفة سخيفة رقيقة واحكمها وصلبتها في

الرحم بين المياه

في الرحم بين المياه مع ان صلابتها المانع في الاشغال عادة وجعلها قواما ودعامة للبدن ولذا صلبها واحكمها لئلا تنكسر من الحركات
العنيفة وقدرها مقادير مختلفة وشكلها على اشكال متفاوتة فمنها صغير وكبير وطويل وقصير ومستقيم ومستدير ودقيق وعريض
ومجوف ومصمت على ما اقتضته الحكمة والمصلحة ولما كان الانسان محتاجا الى الحركة تارة بجملة بدنه وتارة ببعض اعضائه لم يخلقه
من عظم واحد بل جعل له عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر له الحركة بجملة بدنه وببعض اعضائه وقدر شكل واحد منها على وفق الحركة
المطلوبة بها وما لم يكن فيه فايدة سوى كونه عمادا للبدن خلقه مصمتا وان جعل فيه المسام والخلل التي لا بد منها وما يحتاج اليه
للحركة ايضا زاد تجويفه ليكون اخف وجعل تجويفه في الوسط واحدا لئلا يحتاج الى وصل الغذاء اليه الى التقاويف والخلل المتفرقة فيصير
رخوا بل صلبه مع تجويفه لئلا يتكسر عند الحركات العنيفة ولما كانت الحاجة الى الوثاقة اشد جعل تجويفه اقل وكان الاحتياج فيه الى الخفة
اكثر جعل تجويفه انبل وجمع غذاءه وهو المخ في حشوه ليغذيه ويرطبه دائما لئلا يتفتت بتجفيف الحركة ثم وصل مفاصلها وربط
بعضها بالبعض باوتار انبتها من احد العظمين والصقها بالاخر كالرباط وخلق في احدهما زوايد خارجة منه وفي الاخر
حفرا غايصة فيه موافقة لشكل الزوايد ليدخل فيها وينطبق عليها ولذلك لو اراد الانسان ان يحرك جزءا من بدنه دون ساير
اعضائه لم يتعسر عليه ولولا المفاصل لتعذر عليه ذلك ثم وسط بين العظام الصلبة واللحوم الرخوة الغضاريف وهي من العظم
الين ومن اللحم اصلب ليحسن اتصال الصلب باللين ولا يتاذى منه عضو ما عند الضربة والضغطة وليحسن به مجاورة المفاصل
المتحاكة فلا تتراض لصلابتها ثم انظر يا اخي في العروق وما فيها من العجايب والحكم فانها خلقت على نوعين احدهما الشرايين وهي
العروق الضوارب المتحركة ومنبتها القلب ولما كان القلب ينبوع الحيوة ومنبع الروح والحرارة الغريزية خلقت هذه العروق
منبثة منه متفرقة في ساير الاعضاء لايصال الروح والحيوة اليها ولها حركتان انقباضية تنفض بها اللطخة الدخانية عن القلب
وانبساطية يجذب بها صافي النسيم اليه فيستريح ولولا هذا النفض والجذب لاختنق القلب بالبخار الدخاني وخلقت ذات صفاقين
لئلا ينشق بقوة حركتها ولئلا يتحلل ما فيها من الروح وجعل الصفاق الداخل اصلب لانه الملاقي لقوة الحرارة الغريزية ومصادم حركة
الروح فاوجب الحكمة الالهية زيادة احكامه حفظا بها عن الانشقاق لقوة حركة الروح وتقوية لحمل الحرارة الغريزية لئلا يتحلل
شيء منها بخلل محلها وواحد من هذه الشرايين وهو الشريان الوريدي لما كان حاملا الغذاء الرية لا نفوذ لها من القلب فيغوص
فيها ويصير شعبا خلق لذلك ذا صفاق واحد لئلا يتاذى بصلابته الرية لرخاوتها وليتسامح عدم مصادمة لحملها عند الحركة لكثرة
لينه ورخاوته لم يكن حاجة اما زيادة استحكام على ان الرية تحتاج الى الغذاء على سبيل الترشح بسرعة وسهولة وكثرة الصلابة منافية
لذلك وثانيتها العروق الساكنة وتسمى الاوردة وشانها جذب الغذاء من المعدة الى الكبد ومنها الى ساير الاعضاء وهي ذات صفاق
واحد لانها ساكنة فلا يخشى انشقاقها وجعل واحد منها وتسمى الوريد الشرياني ذا صفاقين لنفوذه في التجويف الايمن من القلب فكان اللائق
زيادة وثاقته لئلا يعتريه انشقاق بقوة حركة القلب وصلابته وهو الذي يوصل الغذاء الى الرية الى القلب واذا خلص عن القلب صار من
يلحق الشريان الوريدي من الغذاء ويذهب به الى الرية فانظر يا اخي الى عجيب حكمة سبب ان محل غذاء الرية ما دام كان داخلا في القلب
ومصادما للحركة خلق صلبا ذا صفاقين واذا خلص عن الرية التي لا يحتمل الصلب جعل رقيقا ذا صفاق واحد فسبحانه ما اجل شانه واعظم برهانه
ثم انظر الى المتفكر في الراس وعجيب خلقه تجده مركبا من عظام مختلفة الاشكال والصور والف بعضها الى بعض حتى استوت كرة كانت اوعية وجعله مجمع
الحواس ولذا جعله مستديرا لان المستدير ابعد من الآفات بالقياس الى ذي الزاوية واعظم مساحة من مربع تساويه احاطتها
وجعل استدارته الى الطول لان منابت الاعصاب الدماغية موضوعة في الطول فلو لم يتسع منبتها واضغطت والف تحفة من

نسبة اعظم اثنان بمنزلة السقف والاربعة بمثابة الجدران وصل بعضها ببعض بالدروز والشؤون وجعل الجدران اصلب من اليافوخ
الذي هو السقف لان الصدمات عليها اكثر وتخلخل اليافوخ مما لابد منه لخروج الابخرة المتحللة من الدماغ وغاية الدروز ان يخرج منها الابخرة
المتحللة في الدماغ لئلا يؤدي مكثها الى الصداع وغيره من الامراض الدماغية وجعل اصلب الجدران مؤخرها لانه غايب عن البصر فلا يحرسه فاحتاج
الى زيادة وقاية وخلق فيه الدماغ لينا دسما ليستطيع فيه المحسوسات بسهولة وليكون للاعصاب النابتة منه لئلا ينكسر وجعل مقدمه رطبا
باردا لينفعل القوى المودعة فيه عن مدركاتها لئلا يشتغل بالحرارة الحاصلة من الحركات الفكرية وجعل مقدمه الذي هو منبت الاعصاب الحسية
الين من مؤخرها وغشاه بغشائين احدهما رقيق لين ملاصق لجوهره وثانيهما غليظ صلب ملاصق للقحف وهو مثقب بثقب كثيرة لاندفاع
الفضول منه وانتسج منه شعب دقاق تصعد من دروز القحف الى ظاهره ليتشبث بها هذا الغشاء بالقحف ولا ينفصل عنه وجعل بين جرم
الدماغ المقدم والمؤخر غشاء لطيفا ليحجب عن مماسة الالين بالاصلب فيتاذى منه وخلق تحت الدماغ بين الغشاء الغليظ نسجة شبيهة
بالشبكة وقد تكونت من الشرايين الصاعدة من القلب والكبد الى الدماغ وقد فرشت هذه الشبكة تحت الدماغ ليبرد فيها الدم الشرياني
والروح ويتشبه بالمزاج الدماغي بعد النضج ثم يتخلص الى الدماغ على التدريج ولولاه لم يصلح الدم الكبدي والروح القلبي لكثرة حرارتهما
لتغذية الدماغ ولم يناسبا جوهره وجعل الفرج التي بين فروع هذه الشريانات محشوة بلحم غددي لئلا يبقى وليعتمد عليه تلك الفروع
ويبقى على اوضاعها ثم لما كان الدماغ منبع الحس والحركة ولم يكن لساير الاعضاء حس وحركة بذاتها وكان اللازم ايصالهما اليها ولم يكن
ذلك ممكنا بلا واسطة في الايصال خلق الاعصاب من جوهره ووصلها منه الى ساير الاعضاء من العظام وغيرها ليفيدها الدماغ بتوسطها
حسا وحركة وليشد ويتقوى بها اللحم والبدن ايضا ولم يجعلها متصلة بالعظم مفردة بعد اختلاطها باللحم والرباط لئلا يتاذى
من صلابته ثم لما كان نقل جميع الاعصاب التي يحتاج اليها من الدماغ موجبا لثقل الراس وعظمه خلق الله من جوهر الدماغ اخر شيء
وهو النخاع وجعل في اسفل القحف ثقبا واخرجه منها وحفظه بالعنق والصلب واخرج منه كثيرا من الاعصاب المحتاج اليها الى الاعضاء
فالدماغ بمنزلة العين والينبوع للحس والحركة والنخاع بمثابة النهر العظيم الجاري منه والاعصاب كالجداول والمنبع الذي من
النهر والنهر الذي من الجداول ثم انظر يا حبيبي كيف خلق العين ونحتها واحسن شكلها ولونها وهيئتها ورتبها سبع طبقات وثلث
رطوبات كل منها على شكل خاص ولون مخصوص لو تغير شيء منها عما عليه لاختل امر الابصار وتامل كيف اظهر في صفحتها التي بمقدار العدسة
صورة السماء مع اتساع اكنافها وتباعد اقطارها وحماها بالاجفان ليسترها ويحفظها ويصقلها وجعلها وقاية لها يدفع بها الاقذاء
عنها ويمنعها من وصول الغبار والدخان والشعاع اليها عند انطباقها وجعل الجفن الاسفل اصغر من الاعلى لان الاعلى يستر الحدقة
تارة ويكشفها اخرى بتحركه واما الاسفل فغير متحرك فلو بقي على هذا القدر ليستر شيئا من الحدقة دائما ويجمع فيه الفضول ولا
يسيل ثم زين الاجفان بالاهداب ليمنع من الحدقة بعض الاشياء التي لا يمنعها الاجفان مع انفتاح العين كالذي عند هبوب
الرياح التي تاتي بالقذاء فيفتح العين ادنى فتح ويتصل الاهداب الفوقانية بالسفلانية فيحصل شبه شباك ينظر من ورائه فيحصل
الرؤية مع دفع القذاء ثم انظر كيف شق الاذن واودعها ماء لحفظ سمعها ويدفع الهوام عنها وجعل ثقبتها حافظة بصلابة من قمعه
لئلا يتاذى من الحر والبرد وغيرهما مما يؤذيه وليجتمع فيها الهواء المتحرك من الاصوات فينفذ فيها فيحرك الهواء الذي في داخلها ويجري في منفذها
كالذي من دوائر الماء اذا وقع فيه شيء حتى يصل الى العصبة المفروشة على الصماخ التي فيها قوة السمع فيدرك الصوت وجعل
تحريفات واعوجاجات كثيرة ليكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقها وينتبه صاحبها اذا قصدته دابة موذية فيدفع شرها وخلق
في صماخها رطوبة متعفنة لينفر عنه الدواب الموذية ولا يدخلها ثم تامل كيف زين الوجه بالحاجبين وحسنها بدقة الشعر و

استقواس الشكل

استقواس الشكل وزين وجه الرجل باللحية ووجه المرأة بعدمها والمتامل يعرف ان اللحية زين للرجل وشين للمرأة وهذا من
عجايب الحكمة وزين الوجه ايضا برفع الانف من وسطه وحسن شكله وفتح منخريه واودع فيهما حاسة الشم ليستدل باستنشاق
الروايح على مطاعمه واغذيته وليستنشق الهواء الطيب الصافي ويدفع الهواء الحار الدخاني ترويحا للقلب وجعل له منخرين ليسيل
الفضلات النازلة من الدماغ الحاصلة في احدهما ويبقى الاخر مفتوحا فلا ينسد طريق الاستنشاق باسرها ثم انظر الى الفم وعجايبه والى
اللسان وغرايبه فانه سبحانه بعظيم حكمته وقدرته فتح الفم واودع اللسان وجعله ناطقا معربا عما في القلب ومكنه من التكلم باللغات المختلفة
وتقطيع الاصوات واخراج الحروف المتباينة وجعل له القدرة على الحركة في مخارج مختلفة يختلف بها الحروف ليتسع طريق النطق بكثرتها
وخلق الفكين وركب فيهما الاسنان ليكون آلة للطحن والقطع والكسر واحكم اصولها وحسن لونها وبيضها فجعلها متساوية الرؤوس متناسقة
الترتيب كالدر المنظوم مختلفة الاشكال باختلاف الاغراض والمقاصد متفاوتة الاوضاع بتفاوت الغايات والفوايد ولما كان الطعام
يحتاج تارة الى الكسر وتارة الى القطع واخرى الى الطحن قسم الاضراس الى عريضة طواحن كالاضراس والى حادة قواطع كالرباعيات والثنايا ويصلح
للكسر كالانياب والاضراس في الفك الاعلى لما كانت معلقة جعل اصولها ثلثة او اربعة والتي في الفك الاسفل اكتفى في اصولها باثنين او
ثلثة لعدم الاحتياج وجعل لساير الاسنان اصلا واحدا لعدم ثقل فيها ثم جعل مفصل الفكين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الاسفل
ويتاخر ويدور على الفك الاعلى دوران الرحى وهو ثابت لا يتحرك ليتم بذلك فانظر الى عجيب صنع الله في هذه الرحى حيث يدور الاسفل
منطبقا على الاعلى على خلاف ساير الارحية لان الاعلى منطبق على الاسفل والحكمة في تحرك الاسفل دون الاعلى ان الاعلى مجمع الدماغ والحواس
فتحركه كان موجبا لاذيتها واضطرابها وايضا هو مفصل الراس والعنق فلو تحرك لم يستحكم مع ان الوقاية فيه لازمة ثم لما كان مضغ الطعام محتاجا
الى تحركه فيما بين الاسنان فاعطى الله سبحانه قوة اللسان بان يطوف في جوانب الفم ويرد الطعام من الوسط الى الاسنان بحسب الحاجة ولما
كان الطعام يابسا فلم يمكن ابتلاعه الا بنوع رطوبة فخلق تحت اللسان عينا جارية يفيض منها اللعاب وينصب بقدر الحاجة حتى يعجن
به الطعام فيقدر على ابتلاعه ثم تفكر كيف خلق الحناجر وهياها لخروج الاصوات وجعلها مختلفة الاشكال في الضيق والسعة و
الخشونة والملاسة والطول والقصر وصلابة الجوهر ورخاوته حتى اختلفت بها الاصوات فلا يتشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين
فرق حتى يميز السامع احاد الناس بمجرد اصواتهم في الظلمة والغيبة ثم مد العنق وجعله مركبا للراس وركبها من سبع خرزات مجوفات م
مستديرات فيها تحريفات وزيادات ونقصانات لينطبق البعض على البعض ولما كان اكثر منافعه في الحركة جعل سلسة ولم يجعل
ولم يجعل زوايدها المفصلية كبيرة كزوايد خرزات الصلب ليكون حركاته اسرع وتدارك تلك السلاسة بالاعصاب وعضلات
كثيرة محيطة به ثم انظر الى عجايب حالاتها التي يتم بها الاكل فجعل سطح الفم متصلا بفم المعدة بحيث كانهما سطح واحد حتى لا يحصل او لا يقع
الطعام انهضام بالمضغ ثم هيا المرئ والحنجرة وجعل عليها طبقات ينفتح لاخذ الطعام ثم ينطبق وينضغط حتى يهوي الطعام
منحدرا في المرئ الى المعدة اذا ورد عليها لا يصلح لان يصير غذاء للحم والعظام بل لابد ان ينطبخ انطباخا تاما ليتشابه اجزاؤه خلق
الله المعدة على هيئة قدر يقع فيه الطعام ويتعلق على الابواب وخلق فيها حرارة صالحة للطبخ ومع ذلك جعلها محاطة من
جوانبها الاربع بالحرارة المنضجة من الكبد والطحال والثرب ولحم الصلب فمن هذه الحرارات ينطبخ الطعام في المعدة وينهضم
احدهما العروق م — حتى يصير كيلوسا او جوهرا سيالا يشبه ماء الكشك الثخين ثم خلق الله بحكمته وقدرته لايصال صفو ما طبخ في المعدة ص
ينضم الى الكبد قسمين من العروق المخلوقة في تحت المعدة المتصلة بالامعاء المسماة ماساريقا وجعل لها فوهات كثيرة
لينصب لطيف المطبوخ فيها وثانيهما العرق المسمى بباب الكبد النافذ فيه بعد تفرقه بعروق مثل شعرة ليفيد منتشرة ه

وأجزائه وجعل الماساريقا متصلا بباب الكبد فاذا انفصل خالص الكيلوس في الماساريقا يوصله الى باب الكبد وينصب منه الى العروق الليفية
المتفرقة في جوهر الكبد فيستولي عليه الكبد على هذا الكيلوس بحيث يلاقي كله كله ولذا يصير بعد نفوذه اشد واسرع فينتشر حينئذ به الى نفسه
فيطبخه ويفيد له الحرارة والحمرة حتى يصبغ بلون الدم ومن هذا الطبخ يحصل منه كله كالرغوة وهي الصفراء وشيء كالدردي وهو السوداء
وشيء كبياض البيض وهو البلغم وهو كما يكون من هذا الطبخ يتكون من الطبخ الاول الذي في المعدة وقد يصير شيء من هذا البلغم الى الكبد مع
عصارة الطعام ويبقى المصفى من هذه الجملة دما نضيجا ورطوبة مائية منتشرة في العروق الشعرية فلو بقيت الصفراء والبلغم والمائية
مختلطة بالدم ولم ينفصل عنه لفسد مزاج البدن فخلق الله بحكمته الكليتين والمرارة والطحال وجعل لكل منها عنقا ممدودا الى الكبد
وجعل عنق الاخريين داخلا في تجويف الكبد ولم يجعل عنق الكليتين داخلا في تجويفه بل جعلهما متصلين بالعروق الطالعة من حدبة
الكبد حتى يجذب مائيتها بعد الطلوع من العروق الدقيقة التي في الكبد اذ لو اجتذب قبل ذلك لغلظت ولم تخرج بسهولة
عن العروق الدقيقة الشعرية ثم اذا انجذب المائية من جانب حدبة الكبد من طريق العروق الطالعة منه الى الكليتين حملت مع نفسها
من الدم ما يكون يصلح كما وكيفا لغذائهما فيغتذيان بالدسومة والدموية من تلك المائية ويندفع باقيها الى المثانة ومنها الى الاحليل
فيأخذ الرغوة الصفراوية من جانب الكبد بعنقها الذي اتصل بالكبد ويبقى فيها من منفذ آخر الى الامعاء [illegible]
ودفع الاثقال التي بقيت من الكيلوس بعد ذهاب صفوه الى الكبد فتنضغط حتى يندفع عنها الاثقال وجعل الخرج تلك الرغوة الصفراوية و
صفوتها لذلك واما الطحال فيأخذ بعنقه المتصل بحدبة الكبد هذا الرسوب الشبيه بالسوداء ويحيلها حتى يكتسب قبضا وحموضة ثم يرسل منه في كل
يوم شيئا الى فم المعدة ليتنبه بالجوع فتتحرك الشهوة بحموضته وقبضه ثم يخرج لخروج الثفل اليه واما الدم فيتوجه الى الاعضاء فيتوزع عليها
في شعب العرق الاجوف العظيم النابت من حدبة الكبد فيسلك في الاوردة المتشعبة منه جداول اولا ثم في سواقي الجداول ثم في رواضع السواقي
ثم في العروق الشعرية الليفية ثم يترشح منها في خلال الاعضاء بتقدير خالق الارض والسماء ولو لحقت بواحد من المرارة والطحال
والكليتين آفة فسد الدم وحصل امراض الخلط الذي يجذبه من الكبد فلو عرضت آفة بالمرارة حدثت الامراض السوداوية ولو حلت آفة
بالطحال حصلت الامراض السوداوية ولو لم يندفع المائية الى الكلى بعروض آفة لها حصل مرض الاستسقاء واما البلغم فما يتكون في الكبد
او يصير اليه مع عصارة الطعام المنهضم فيه وصار دما وما بقي منه في الامعاء ولم ينجذب الى الكبد انغسل بمرارة الصفراء التي شأنها غسل الامعاء
من الفضول لئلا يتقاصر انحداره ويسيل اليها عن البلغم ما يبقى في البدن لاحتياج اليه في حركة المفاصل وترطيب الامعاء ومنه ما يخرج من الفم
بالنفث والبصاق او يتحلل من الاسافل الى الفم فيخرج منه بالتنحنح ثم انظر يا اخي في القلب وعجائبه حيث خلقه جسما صنوبريا وجعله منبعا لروح الحيوة
ولذلك خلقه صلبا ليكون محفوظا من الواردات وجعل هذا الروح جوهرا حارا لطيفا نورانيا شفافا وجعله مطية للنفس وقواها وانا طبه حيوة
الانسان وبقائه فيبقى ببقائه ويفنى بفنائه فكل عضو يفيض عليه من سلطان نوره يكون حيا والا كان ميتا ولذا لو حصل لعضو سدة
مانعة من نفوذه فيه بطل حسه وحركته ويتوزع هذا الروح من القلب الذي هو منبعه الى ساير الاعضاء العالية والسافلة بتوسط تجاويف
الشرايين والاوردة فما يصعد منه الى الدماغ بايدي خوادم الشرايين ويعتدل بكسب البرودة من جوهر الدماغ ثم يفيض على الاعضاء
المدركة والمحركة منبثا في جميع البدن يسمى روحا نفسانيا وما ينزل منه بصحابة امناء الاوردة الى الكبد الذي هو مبدأ القوى النباتية
ومنه يتفرق الى ساير الاعضاء يسمى روحا طبيعيا فقد خلق الله سبحانه هذا الروح من لطايف الامشاج الاربعة كما خلق الاعضاء من
كثايفها وهذا الروح مثاله في الجسم نار السراج والقلب الذي هو محله كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب ويتكون منه هذا البخار اللطيف
منه بمنزلة الفتيلة ثم الغذاء كالزيت والحيوة الظاهرة في جميع اعضاء البدن بسببه كالضوء للسراج في جملة البيت وكما ان السراج

اذا انقطع

اذا انقطع زيته انطفى فسراج الروح ايضا ينطفي بها انقطع مدده وكما ان الفتيلة قد تحترق وتصير رمادا بحيث لا يقبل الزيت
فكذلك الدم الاسود الذي في باطن القلب قد يحترق بحيث لا يقبل الغذاء الذي يبقى الروح كما لا يقبل الرماد الزيت قبولا يتشبث
النار به وكما ان السراج ينطفي تارة بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كهبوب ريح او اطفاء انسان فكذا اطفاء الروح
تارة يكون بسبب من داخل وتارة يكون بسبب من خارج كالقتل وكما ان انطفاء السراج هو منتهى وقت وجوده كذلك انطفاء
الروح هو منتهى وقت وجود الانسان وهو اجله الذي اجل في علم الكتاب وكما ان السراج اذا انطفى اظلم البيت كله كذلك الروح اذا
انطفى اظلم البدن كله وفارقته انواره التي كان يستفيدها من الروح وهي انوار الاحساسات والفكر والارادات وساير ملحقها
معنى الحيوة ثم انظر يا حبيبي ان كنت من اهل اليقظة في اليدين وحكمتهما حيث طولهما ليمتد الى المقاصد وعرض الكف ووضع عليها
الاصابع الخمس وقسم كل اصبع بثلث انامل وجعل الابهام في جانب والبواقي في جانب ليدور عليها ولو اجتمع الاولون والآخرون
على ان يستنبطوا بدقيق الفكر وجها آخر في وضع الاصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الابهام من الاربع وترتيبها في صف
واحد وتفاوتها في الطول والقصر على ان يكون هذا الوجه ازين واصلح منه او مثله وشبيهه في الزينة والمصلحة لم يقدروا عليه اذ بهذا
الترتيب صلحت للقبض والاعطاء فان بسطتها كانت لك طبقا تضع عليها ما تريد وان جمعتها كانت لك آلة للضرب وان نشرتها
ثم ضممتها كانت آلة للقبض وان ضممتها ضما غير تام كانت لك مغرفة وان وضعت الابهام على السبابة كانت لك مخرقة وان بسطت الكف
وجمعت عليها الاصابع كانت محرفة الى غير ذلك من المنافع ثم خلق الاظفار على رؤس الانامل زينة للانامل وعمادا لها من ورائها
حتى لا تنفصم وليلتقط بها الاشياء الدقيقة التي لا يتناولها الانامل وليحك بها بدنه عند الحاجة فالظفر الذي هو اخس الاعضاء
لو عدمه الانسان وحدثت به حكة لكان اضعف الخلق واعجزهم ثم هدى اليد الى موضع الحك حتى يمتد اليه ولو في حالة النوم
والغفلة من غير حاجة الى الفحص والطلب ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك ثم خلق الرجلين مركبتين من الفخذ والساق والقدم
كل منهما على شكل خاص وتركيب خاص ليتيسر بهما للانسان المشي الى اي موضع اراد ولو تغير شيء من الشكل او الوضع او التركيب في جزء من اجزائهما
لاختل امر الحركة ووضع عليهما جملة البدن وجعلهما دعامة واساسا له وحاملين لثقله مع خفتهما وصغر جثتهما بالنسبة اليه اذ حسن التركيب
وسهولة الحمل والحركة في مثل هذا الخلق لا يتصور بدون ذلك فانظر في عجيب حكمة مبدعه حيث جعل الاخف والادق والاصغر اساسا
وحاملا للاثقل والاغلظ والاكبر مع ان كل بناء يكون اساسه اكبر واغلظ ما يبنى عليه وكل حامل يكون اعظم جثة من المحمول فسبحان من خالق
لا نهاية لعجايب حكمته وغرايب قدرته ثم خلق جميع ذلك في النطفة في جوف الرحم في ظلمات ثلث ولو كشف عنها الغطاء وامتد اليها البصر
لكان يرى التخطيط والتصوير يظهر عليها شيئا فشيئا ولا يرى المصور ولا آلته فسبحان من مصور فاعل يتصرف في مصنوعه من دون احتياج الى
مباشرة آلة ولا افتقار الى مكاوحة عمل تذنيب ثم تأمل ايها المتأمل في عجايب حكم مبدعه انه لما كبر الصبي وضاق عنه الرحم كيف هداه
السبيل الى الخروج حتى تنكس وتحرك وخرج من ذلك المضيق كانه عاقل بصير بما احتاج ولكن محتاجا الى الغذاء ولم يحتمل بدنه الاغذية
الكثيفة للينه ورخاوته خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين الفرث والدم خالصا سائغا وخلق الثديين وجمع فيهما هذا اللبن
وانبت منهما الحلمتين على قدر ما ينطبق فم الصبي ووصله الى التقامهما وفتح فيها ثقبا ضيقة جدا حتى لا يخرج اللبن الا بعد المص تدريجا
لان الطفل لا يطيق منه الا القليل ثم هداه الى الامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة الجوع
ولم يخلق الاسنان الى تمام الحولين لانه لا يحتاج فيها الى التغذي بغير اللبن وما دام مغتذيا به لما كان في دماغه رطوبة كثيرة
سلط عليه البكاء ليسيل به تلك الرطوبة فلا ينزل الى بصره او الى غيره من اعضائه فيفسده ثم لما كبر ولم يوافقه اللبن السخيف

وانتقل الى الاغذية الغليظة المحتاجة الى المضغ والطحن انبت له الاسنان عند الحاجة من دون تقديم وتاخير وحنن عليه قلوب الوالدين
بالقيام على تربيته وحفظه وتكفل حاله ما دام عاجزا عن تدبير نفسه ثم رزقه الادراك والفهم والقدرة والعقل على التدريج حتى بلغ ما بلغ
واودع في نفسه المجردة وقواها الباطنة اسرار عجيبة تحير طوامح العقول وتدهش منها ثواقب الانظار والفهوم فانظر الى القوة الخيالية
بعرضيتها الغير المنقسمة كيف يطوي السماء والارض ويجول من المشرق الى المغرب في آن واحد والى القوة الوهمية كيف تستنبط كثرة
المعاني الجزئية في لحظة واحدة وتحيط بها من جهات الاشياء والى المتخيلة كيف يركب بعضها بالبعض ويلخص منها ما فيه الصلاح والرشاد
في امر المعاش والمعاد ثم انظر في عجايب النفس وما لها من احاطتها بالبدن وتدبيرها له مع تنزهها عن موقع المكان واتصافها
بالعلم والفكر وسلبها الصفات الكمالية وتمكنها من الاطلاع على حقايق الاشياء باسرها وتصرفها في الملك والملكوت بقوتها العقلية
والعملية ومع ذلك عاجزة عن معرفة ذاتها وحقيقتها ومن تطورها في الاطوار المختلفة وتقلبها في النشآت المتباينة وترقيها
بحسب درجاتها ومقاماتها حتى لا يحصل تعلقها بالنطفة القذرة الى مصير وتعقلها المبادي وتحيط بحقايق الاشياء متصلا بالملكوت الاعلى
ومن اجتماع عوالم السباع والبهائم والشياطين والملائكة فيه وطاعة جميع الموجودات له حتى السباع تخضع لديه والطيور تخفض اجنحة
الذلة بين يديه ويستخدم الجن ويسخر الكواكب وروحانياتها ومن عجايب عالم الطبع الموزون والصوت الحسن وعلم صناعة
الموسيقى واستنباط انواع الصنايع العجيبة والحرف الغريبة ومنام الرؤيا واخباره بالمغيبات لاتصاله بالجواهر الروحانية
وتاثيره في مواد الاكوان بنزع صورة والباس اخرى فيؤثر بانقطاعه الى الله في استحالة الهواء والى الغيم ونزول الامطار وازالة
انواع الامراض واهلاك قوم وانجاء آخرين وتمكنه من فعل ما يخرج عن وسع مثله ولامساكه عن القوت مدة غير معتادة واقتداره على
الظهور بعينه المثالية في مواضع مختلفة في وقت واحد واحضاره ما يريد من المطاعم والملابس ومصاحبته مع الملائكة واخذ العلوم منهم فانظر
يا اخي ان كنت من اهل اليقظة الى قدرة ربك العظيم حيث اودع جميع ذلك فيما صرفت حاله من النطفة السخيفة القذرة وهذه النطفة
هي التي قد تصير ملكا تسخر له الجن والبطش ويسخر الربع المسكون بحيث ينوط به انتظام النوع واختلاله وقد تصير بحيث يظهر خوارق
العادات وغرايب المعجزات في عالم الارض وقد يتعدى الى عالم الافلاك فيشق القمر ويرد الشمس وليت شعري ان الناس كيف يتعجبون من
صيرورة الميت حيا مع انه جسد كانت موجودة وانما افيض عليه مجرد حس وحركة ولا يتعجبون من بلوغ نطفة ماء قذرة الى المراتب التي عرفتها وليس
ذلك الا لكثرة مشاهدتهم لذلك وتكرر ملاحظتهم له مع ان هذا لا يدفع التعجب والغرابة لو نظروا بعين العبرة والبصيرة اذ مقتضاها
ان اعظم الصنع وحسن الابداع فيما في بلوغ النطفة الى المراتب المذكورة اقوى واشد من احياء ميت او دلالة هذا الصنع والفعل
على صانع حكيم وفاعل عليم فلا ينبغي ان دلالة الاول على ذلك اشد من دلالة الثاني عليه اذ كل من رزق ادنى حظ من البصيرة يعلم ان
بلوغ نطفة ماء قذرة الى المراتب المذكورة ليس الا من قدرة قادر حكيم وصنع صانع عليم او من حدوث الفعل من دون مشاهدة سبب مباشر
فهذا في امر النطفة وعلى التقدير كان مكونه اولى بالتعجب والغرابة في بلوغ النطفة السخيفة القذرة الى المراتب المذكورة اشد و
اغرب من التعجب في احياء ميت او ابراء اكمه وابرص او تكلم حيوان او نبات او جماد او غير ذلك من خوارق العادات وغرايب المعجزات
فالنظر الذي لا يفضي من العجائب الا هو نظرة حمقاء لم ينشأ عن حقيقة الروية والاتقان ولم يصدر عن ذي قلب يقظان وبالجملة
العجايب والحكم المودعة في النشاة الانسانية اكثر من ان تحصى وانما اشرنا الى نبذة قليلة منها تبصرة لمن استبصر وتنبيها على كيفية
في سلوك مجاري الفكر والنظر قال الامام ابو عبد الله الصادق ع ان الصورة الانسانية اكبر حجج الله على خلقه وهي الكتاب الذي كتبه بيده
وهي الهيكل الذي بناه بحكمته وهو مجموع صور العالمين وهو المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ وهو الشاهد على كل غايب وهو

الحجة

وهي الحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم الى كل خير وهي الصراط الممدود بين الجنة والنار واذا عرفت نبذا من عجايب نفسك وبدنك فقس
عليه عجايب الارض التي هي مقرك بوهادها وتلالها وسهلها وجبالها وانجادها واغوارها وبحارها وبراريها وانهارها واشجارها
وامصارها ومعادنها وجمادها وحيوانها ونباتها فان كل ما نظرت اليه منها وجدته مشتملا على غرايب حكم لا تعد وعجايب مصالح لا تحد
ودلالة وآية باهرة على عظمة مبدعه وحجة قاطعة على جلالة موجده فانظر اولا الى رواسي الجبال وشوامخ الصم الصلاب كيف احكم جوانب
الارض واودع المياه تحتها فانفجرت من هذه الاحجار اليابسة والبرية الكدرة مياه عذبة صافية واودع فيها الجواهر
النفيسة العالية وهدى الناس الى استخراجها واستعمالها فيما ينبغي وخلق في الارض معادن يحتاج اليها نوع الانسان ولو فقد
واحد منها لم يتم انتظامه ولم يترك معمورة لم يكن فيها هذه المعادن وجعل ما يكون الاحتياج اليه اشد واكثر اعم وجودا واقرب
مسافة كالملح ومثله ثم انظر الى انواع النبات بكثرتها واختلافها في الاشكال والالوان والطعوم والروايح والخواص والمنافع فهذا
يغذيه وهذا يقويه وهذا يحييه وهذا يقتل وهذا يسخن وهذا يبرد وهذا يجفف وهذا يرطب وهذا يسهل وهذا ينوم وهذا يحزن
وهذا يفرح الى غير ذلك من المنافع المختلفة والفوايد المتباينة مع اشتراكها في السقي من ماء واحد والخروج من ارض واحدة فان
تلك اختلافها الاختلاف الذي عددناها فلنا حينئذ كانت في النواة نخلة مطوقة بعناقيد الرطب فمتى كانت في حبة واحدة سبع سنابل في
كل سنبلة مائة حبة ثم انظر الى كل شجرة ونبت اذا انزل عليه الماء كيف يهتز ويربو ويزيد وينمو جميع اجزائه من الاصول والاغصان
والاوراق والاثمار على نسبة واحدة من غير زيادة جزء على آخر لوصول الماء اليها على نسبة واحدة وقسمته عليها بالسوية فمن هذا
المقسم القاسم العدل في فعل ما ليس له شعور ولا درك فتبا للاقوام يسندون هذه الحكم المتنوعة الظاهرة والمصالح المحكمة
الباهرة الى ما لا يشعر بوجوده وذاته ولا بافعاله وصفاته ثم انظر الى انواع الحيوانات واصنافها وكثرتها واختلافها من الطيور
والوحوش والسباع والبهائم كيف هدى الله كل واحد منها الى ترتيب المنزل وتحصيل القوت وجعل ما لا يتم معاش الانسان بدونه
من الانعام والبهائم مانوسا به غير متوحش منه وغيره متوحشا عنه الا قليلا وجعل لكل منها من عجايب الحكم وغرايب المصالح ما يتحير
منه العقول فمن ذا الذي يقدر ان يحيط بعجايب خلق العنكبوت والنحلة بل البقة والنملة وغرايب افعالها مع كونها من صغار
الحيوانات من صنع منازلها وجمع اقواتها وادخارها لنفسها وهدايتها الى حوايجها فاي مهندس يقدر على رسم بيوت النحل والعنكبوت
على هذا التناسب الهندسي فانظر كيف جعل العنكبوت من نسجه شبكة يصيد بها البق والذباب وبالجملة كل شخص من الحيوان اودع فيه
من العجائب ما لا يمكن وصفه وكل احد انما يعرف منه بمقدار ما يصل اليه فهمه ثم انتقل من عالم الارض الى عالم البحر وعجايبه من الحيوانات والجواهر
والنفايس فان العجايب المودعة فيه اضعاف عجايب الارض كما ان سعته اضعاف سعتها وكل حيوان يوجد في الارض يوجد
فيه وفيه حيوانات ليس لها نظير في البر اصلا وقد يوجد فيه من الحيوانات ما لعظمه يظن جزيرة عظيمة وكثيرا ما ينزل الركبان عليه
فيتحرك ومن عجايبه خلق اللؤلؤ في صدفه تحت الماء وانبات المرجان من صم الصخور تحته مع كونه على هيئة شجرة نابتة نامية و
قس عليها العنبر وسائر النفايس التي يقذفها البحر ويستخرج منه وبالجملة عجايب البحر اضعاف عجايب البر وقد صنف جماعة فيها
مجلدات من الكتب ومع ذلك لم ياتوا الا باليسير ولم يذكروا الا قليلا من كثير ثم انتقل الى عالم الجو وعجايبه من السحب والغيوم
والامطار والثلوج والشهب والبروق والصواعق والرعود فانظر الى السحاب الخفيف مع رخاوته كيف يحمل الماء الثقيل ويمسكه في
جو هواء لا يهبط الى ان ياذن الله سبحانه في ارسال الماء وتقطيع القطرات كل قطرة بالقدر الذي شاء واراد فينزل قطرات
متفاصلة لا تدرك قطرة منها اخرى ولا يتقدم المتاخر ولا يتاخر المتقدم حتى يصيب الارض قطرة قطرة وعين كل قطرة لجزء من الارض

اوفوقها الحيوان معين ولو كنت يا حبيبي ذا قلب لشاهدت في كل قطرة منها الحيا مكتوبا بخط الالهي انه تعيد الجزء الفلاني من الارض او ينفع الحيوان الفلاني في الموضع الفلاني ثم ارفع راسك الى هذا السقف الاخضر قائلا ربنا ما خلقت هذا باطلا وانظر الى هذه الاجرام النورية و عجائبها واصف بمن هو من دونك في الحس من حقائق غرائبها من الشمس واضائتها عالم الاكوان والقمر واختلاف تشكلاته في الزياده و النقصان وساير النجوم الدايرة والكواكب الثابتة والسايرة واختلاف صورها واشكالها ومقاديرها واوضاعها وتفاوت مشارقها ومغاربها وتباين منازلها ومواضعها واجتماعها واتصالها وتفرقها وانفصالها وطلوعها وافولها وكسوفها وخسوفها وانتظام حركاتها واتساق دورانها وحسن وضعها وترتيبها وعجيب تنضدها وترصيعها بحيث يحصل من كيفية تنضدها ووضعها صور جميع الحيوانات من العقرب والحمل والثور والاسد والجدي والانسان والحوت والسرطان بل صور غير الحيوان من السنبلة والميزان والقوس والدلو وغير ذلك حتى ما من صورة في الارض الا ولها مثال في السما ايظن عاقل ان وضع هذه الكواكب على هذه الصورة او اختلافها في اللون ككمودة زحل وحمرة المريخ وقلب العقرب وصفرة عطارد وبصاصية الزهرة والمشتري بمجرد الاتفاق وليس لها في ذلك حكمة ومصلحة فما اشد جهالة وحمقا من توهم ذلك ثم انظر الى حركة الشمس في سير فلكها وتمامها الدور بهذا السير في سنة وبه تقرب عن وسط السما وتبعد عنه وبسير اخر تطلع وتغرب في كل يوم وبه تم الدور بيوم وليلة فلولا سيرها الاول الموجب لغاية قربها الى وسط السما مرة وغاية بعدها منه تارة وتوسطها بين الغايتين مرتين لم تحصل الفصول الاربعة الموجبة لنشو النباتات والثمار ونضجها وبلوغها الى غاياتها المطلوبة ولولا سيرها الثاني لم يختلف الليل والنهار فلم يتميز وقت المعاش عن وقت الاستراحة ولم يعرف المواقيت من الشهور والاعوام والساعات والايام فتامل في انه لو لم يكن السماوات مستديرة وحركاتها دورية لم يتم شيء من الفوايد والحكم المطلوبة من الحركة والازمنة وما ارتبط بها من امور العالم السفلي ثم انظر الى عظم الاجرام السماوية حتى لا تقيس جميع العوالم السفلية من الارض والبحار وعالم الجو بالنسبة اليها فلا يمكن ان يقال جميع ذلك بالنسبة اليها الا بالنسبة الى فلك الشمس فقط مثلا كنسبة قطرة الى البحر المحيط فقد قال المهندسون ان جرم كوكب الشمس فقط مائة وستون ونيف ضعفا للارض جميعها بل قال بعضهم اكثر من ذلك ومع ذلك بينوا ان ثخن الشمس فلك البروج ثلثة امثال غلظ فلك الشمس مع ما فيه من افلاك الزهرة والعطارد والقمر والعناصر الاربعة ثم اصغر كوكب تراها في السما هو مثل جميع الارض ثماني مرات واكبرها ينتهي الى قريب من مائة وعشرين مثلا للارض ثم انظر مع هذا العظم الى سرعة حركتها وخفتها فان شدة سرعة حركتها ما لا يمكن دركها الا انك لا تشك في ان كل جزء من الفلك في لحظة يسير بقدر عرض كوكب لان زمان من طلوع اول جزء من كوكب الى تمامه في غاية القلة وقد علمت ان هذا الكوكب اما مثل الارض مائة ونيف وستين مرة او اكثر او مائة وعشرين مرة او مائة مرة والاقل قدرا ان يكون مثلها ثماني مرات فقد دار كل جزء من الفلك في هذه اللحظة مثل الارض مائة وسبعين مرة او مائة وعشرين مرة وهكذا وقد عبر روح الامين عن سرعة حركة الفلك اذ قال له سيد الرسل صلوات الله عليه وآله هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال له كيف تقول نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام فتيقظ يا اخي من نوم الصبية وتامل من ذا الذي حرك هذه الاجسام الثقيلة العظيمة بهذه الحركة السريعة الخفيفة وادخل صورتها مع اتساعها في الكلها في حدقة العين مع صغرها وتفكر من ذا الذي سخرها وادارها فقل بسم الله مجريها ومرسيها ولو نظرت اليها بعين البصيرة لعلمت انها عباد طائعون خاضعون وعشاق الهيون والهون في باشارة مدبرهم الحي القيوم رقاصون دايرون وبالجملة لو نظرت بعين العبرة في ذرات الوجود لا تجد ذرة من ملكوت السموات والارض الا وفيها غرايب حكم يكل البيان عن وصفها لو كان لك قلب او القيت السمع وانت شهيد لعلمت ان جميع ذرات الكائنات

شواهد

شواهد متظاهرة وايات متظافرة على عظم جلال الاعلى وما من ذرة الا وهي بلسان حالها ناطقة وعن جلال ربانيتها مفصحة قائلة لاصحاب الشهود بكلمات سكناتها ومنادية لارباب القلوب بنغماتها او تنظرون الى خلقي وتكويني وصورتي وتركيبي واختلاف حالاتي وكثرة الطواري وتقلباتي اولا تشاهدون كثرة فوايدي ومنافعي وغرايب حكمي ومصالحي اتظنون اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي اوما تستحيون تنظرون الى كلمة مرقومة من ثلثة احرف فتجزمون ان صنعة آدمي حي عالم ومتكلم قادر ثم تنظرون الى عجائب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي والعجائب الربانية المودعة في ظاهري وباطني ومع ذلك عن عظم ربها تغفلون وعن علمه وحكمته ذاهلون تتميم قد دريت اجمالا ان التفكر لا يخرج عن التفكر في صفات الله وعجائب افعاله والتفكر فيما يقرب العبد الى الله ليفعله وفيما يبعده عنه ليتركه وغير ذلك من الافكار ليس نافعا ولا متعلقا بالدين ومثال ذلك ان حال السالك الى الله الطالب للقائه كحال العاشق المستهتر فكما ان تفكره لا يتجاوز عن التفكر في معشوقه وجماله وصفاته وافعاله وفي افعال نفسه التي تقربه منه وتحببه اليه ليتصف بها او التي تبعده منه وتسقطه عن عينه ليتنزه عنها ولو تفكر في غير ذلك كان ناقص العشق كذلك المحب الخالص لله ينبغي ان ينحصر فكره في الله وفي صفاته وافعاله وفيما يقربه منه ويحببه اليه او يبعده عنه ولو تفكر في غير ذلك كان كاذبا فيما يدعيه من الحب والشوق ثم التفكر في ذات الله بل في بعض صفاته الجلالية قد منع الشريعة الحقة الالهية والحكمة المتعالية الحقيقية لان ذاته اجل من ان يكون مرمى لسهام الافهام او محط لحواسم الاوهام فطول النظر اليه يورث اختلاط الذهن والحيرة وجولان الفكر فيه يوجب اضطراب العقل والدهشة وبعض الصديقين المجردين عن جلباب البدن لو اطاقوا اليه مد البصر فانما هو كالبرق الخاطف ولو تجاوز عن ذلك لاحرقوا من سبحات وجهه وحال الصديقين في ذلك كحال الانسان في النظر الى الشمس فانه وان قدر مد البصر اليها الا ان اوله تورث الضعف والعمش بل لا مشابهة بين الحالين وانما هو مجرد تقريب وتفهيم فان المناسبة بين نور البصر ونور الشمس في الجملة ثابتة واين مثل هذه المناسبة بين نور البصيرة ونور الانوار القاهرة على كل نور بالسلطنة والغلبة وما من نور الا وهو ظل من نوره ومترشح من ظهوره فكل نور في مرتبة نوره زائل وكل ظهور عند شروقه مضمحل باطل ولما كان التفكر في ذاته تعالى ممنوعا فالحري التفكر المحمود في التفكر في عجائب صنعه وبدايع خلقه وقد تقدم وفيما يقرب العبد الى الله من الفضايل الخلقية والطاعات العضوية وما يبعده عنه من الملكات الباطنة والمعاصي الظاهرة وهذه الملكات والافعال هي المعبر عنها بالمنجيات والمهلكات والطاعات والسيئات التي تذكر في هذا الكتاب وفي غيره من كتب الاخلاق والمراد بالتفكر فيها هيهنا ان يتفكر العبد في كل يوم وليلة في وقت واحد او اوقات متعددة في اخلاقه الباطنة واعماله الظاهرة ويتفحص عن حال قلبه واعضائه فان وجد قلبه مستقيما على جادة العدالة متصفا بجميع الفضايل الخلقية مجتنبا عن الرذايل الباطنة ووجد اعضاءه ملازمة للطاعات والعبادات المتعلقة بها تاركة للمعاصي المنسوبة اليها فليشكر الله على عظيم توفيقه وان وجد قلبه مشتملا على الرذايل او خاليا عن بعض الفضايل فليبادر الى العلاج بالقوانين المقررة بعد التفكر في سوء خاتمته وادائه الى مقت الله وهلاكه وكذا ان عثر بالتفكر على صدور معصية او ترك طاعة منه فليتداركه بالندم والتوبة وقضاء تلك الطاعة ولا ريب في ان هذا القسم من التفكر لما كان متسع المجال والقدر المقدور منه يستغرق اليوم بليلته والاستقصاء فيه خارج عن حيطة شهر وسنة اذ اللازم منه ان يتفكر في كل يوم وليلة في كل واحد من الملكات المهلكة من البخل والكبر والعجب والرياء والحقد والحسد والجبن وشدة الغضب والحرص والطمع وشره الطعام والوقاع وحب المال والجاه والنفاق وسوء الظن والغفلة والغرور وغير ذلك ويلاحظ جنود الفكرة والبصيرة في زوايا قلبه ويتفقد منها هذه الصفات فان وجد باطنه خالية عنها فليتفكر في كيفية امتحان القلب بالاستشهاد بالعلامات الدالة

على البراءة اليقينية فان النفس قد تلبس الامر على صاحبها فان ادعت البراءة من الكبر فينبغي ان تمتحن بحمل قربة ماء او حزمة
حطب في السوق وان ادعت البراءة من الغضب فلتجرب بما يقع لها في معرض اهانة السفهاء وهكذا تمتحن في غيرها من الصفات بالامتحانات التي
كان الاولون والسلف الصالحون يجربون بها انفسهم حتى يطمئن بانقطاع اصولها وفروعها من قلبه ولو وجد بالامتحان او بصريح المشاهدة
والعيان شيئا منها في قلبه فليتفكر في كيفية الخلاص من المعالجة بالضد او بالموعظة والنصيحة او التوبيخ والملامة او ملازمة
اولي الاخلاق الفاضلة ومجالسة اصحاب الورع والتقوى او بالرياضة والمجاهدة وغير ذلك فان نفع شيء منها في الازالة بسهولة
فليحمد الله على ذلك والا فليواظب على هذه المعالجات ويكررها حتى يوفقه الله للخلاص بمقتضى وعده ثم يتفكر في كل واحد من الفضائل
المنجية كاليقين والتوكل والصبر على البلاء والرضا بالقضاء والشكر على النعماء واعتدال الخوف والرجاء والشجاعة والسخاء والزهد والورع
والاخلاص في العمل وستر العيوب والندم على الذنوب وحسن الخلق مع الخلق وحب الله والخشوع له وغير ذلك فان وجد قلبه متصفا
بالجميع فليختبر بالعلامات حتى يطمئن من تلبيس النفس كما علمت طريقه وان وجد قلبه خاليا من شيء منها فليتفكر في طريق تحصيله كما اشير اليه
ثم يتوجه الى كل واحد من اعضائه ويتفكر في المعاصي المتعلقة به مثلا ان ينظر في لسانه ويتفكر في انه هل صدر منه شيء من الغيبة او الكذب
او الفحش او فضول الكلام او النميمة او الثناء على النفس او غير ذلك ثم ينظر في سمعه ويتفكر في انه هل سمع شيئا من ذلك ثم ينظر في بطنه هل عصى الله
باكل حرام او شبهة او كثرة مانعة عن صفاء النفس وغير ذلك وهكذا يفعل في كل عضو عضو ثم يتفكر في الطاعات المتعلقة بكل واحد منها و
فيما خلق هذا العضو لاجله من الفرائض والنوافل فان وجد بعد التفكر عدم صدور شيء من المعاصي من شيء منها واتيانها بالطاعات
المفروضة عليها باسرها وبالنوافل المرغبة اليها بقدر الميسور والاستطاعة فليحمد الله على ذلك وان عثر على صدور شيء من المعاصي او
ترك شيء من الفرائض فليتفكر اولا في الاسباب الباعثة لذلك من الاشتغال بفضول الدنيا او مصاحبة اقران السوء وغير ذلك فليبادر
الى قطع السبب ثم التدارك بالتوبة والندم لئلا يكون غده مثل يومه وهذا القدر من التفكر في كل يوم وليلة لازم لكل دين
معتقد بالنشأة الاخرة وقد كان ذلك عادة وديدن السلف والمتقين في صبيحة كل يوم او عشية كل ليلة بل كان لكل منهم جريدة يكتبون فيها
رؤوس المهلكات والمنجيات ويعرضون في كل يوم وليلة صفاتهم عليها ومهما اطمأنوا بقطع رذيلة او الاتصاف بفضيلة يخطون عليها
في الجريدة ويدعون الفكر فيها ثم يقبلون على البواقي وهكذا يفعلون حتى يخطوا على الجميع ومن كان اقل مرتبة منهم من الصلحاء يثبتون
في جريدتهم بعض المعاصي الظاهرة من اكل الحرام والشبهة واطلاق اللسان بالكذب والغيبة والمراء والنميمة والمداهنة
مع الخلق بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك ويفعلون بمثل ما مر وبالجملة كان اخواننا السالفون وسلفنا الصالحون
لا يغفلون عن هذا النوع من التفكر ويرونه من لوازم الايمان بالحساب فالحذر علينا حيث تركنا التأسي والاقتداء وخضنا في غمرات الغفلة
ولعمري انهم لو ارادوا ان يحكموا بكفرنا وعدم ايماننا بيوم الحساب كيف واعمالنا لا تشابه اعمال من يؤمن بالجنة والنار فان من خاف شيئا
هرب منه ومن رجا شيئا طلبه ونحن ندعي الخوف من النار ونعلم ان الهرب منها بترك المعاصي ومع ذلك منهمكون فيها وندعي الشوق الى
الجنة ونعلم ان الوصول اليها بكثرة الطاعات ومع ذلك مقصرون فيها ثم هذا النوع من التفكر انما هو تفكر العلماء والصالحين و
اما تفكر الصديقين فاجل من ذلك لانهم مستغرقون في غلبة الحب والانس منقطعون بشراشرهم الى جناب القدس ففكرهم مقصور
على جلال الله وجماله وقلوبهم مستهترة به بحيث فنيت عن نفسه ونسي صفاته وافعاله فحالهم ابدا كحال العشاق المستهترين عند لقاء المعشوق
ولا تظنن ان هذا التفكر بل ادنى مراتبه التلذذ فان التفكر في عظمة الله وجلاله ممكن الحصول بدون الانفكاك عن جميع الرذائل المهلكة
والاتصاف بجميع الفضائل المنجية فان حال المتفكر في جلال الله وعظمته مع اتصافه بالاخلاق الرذيلة كحال العاشق الذي خلى بمحبوبه

ولكن تحت

ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب يلدغه مرة بعد اخرى فيمنعه عن لذة المشاهدة والانس ولا يتم ابتهاجه الا باخراجها عن ثيابه ولا
ريب ان الملكات الرذيلة كلها كالحيات والعقارب موذيات مشوشات فمن كان له ادنى معرفة وتوجه الى مناجاة ربه وكان في نفسه شيء منها
لا يدرك كيف يتشوش ويصده عن الابتهاج ثم ان لدغ هذه الصفات لا يظهر ظهورا بينا للمنهمكين في علائق الطبيعة وبعد مفارقة النفس
عن البدن يشتد الم لدغها بحيث يزيد على الم لدغ الحيات والعقارب بمراتب شتى فنصيحة تيقظ يا حبيبي من نوم الغفلة والتفكر لعلك
قبل ان ينشب مخالب الموت في جسدك ولا تغفل قوتك العاقلة عن التفكر في صفاتك واحوالك واعلم على سبيل القطع واليقين
ان كل ما في نفسك من فضيلة او رذيلة وكل ما يصدر عنك من طاعة او معصية يكون بازائه جزاء عند رحلتك عن هذه
الدار الفانية واسمع قول سيد الرسل ص ولو كنت ذا قلب لكفاك ايقاظا وتنبيها حيث قال ان روح القدس نفث في روعي
احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به ولعمري انك ان كنت بالمبدء والمعاد مؤمنا
لكفاك هذا الكلام واعظا وحايلا بينك وبين الالتفات الى الدنيا واهلها وبالجملة ينبغي للمؤمن ان لا يخلي كل يوم وليلة عن
التفكر في صفاته وافعاله واذا صرف برهة من وقته في هذا التفكر يصرف برهة اخرى في التفكر في عجائب قدرة ربه حتى صار ذلك
معتادا له حصل لنفسه كمال قوتيها العقلية والعملية وخلصت عن الوساوس الشيطانية والخواطر النفسانية وفقنا الله بعظيم
فضله للوصول الى ما خلقنا لاجله ومنها المكر وهو من رذائل القوة العاقلة استنباط وجوه المكر والحيل للوصول الى المقتضيات
قوتي الشهوة والغضب اعلم ان المكر والحيلة والخدعة والنكر والدهاء الفاظ مترادفة موضوعة في اللغة قد يطلق على اشد الفطانة
وارباب العقول يطلقونها على استنباط بعض الامور من المآخذ الخفية البعيدة على ملجأ ونحو مقتضى استقامة الفطرة ولذا
جعلوها مثل الدهاء وهي من الفهم والعرف خصصها باستنباط هذه الامور اذا كانت موجبة لاصابة مكروه الى الغير من حيث
لا يعلم وربما فسر بذلك في اللغة ايضا وهذا المعنى هو المراد هنا والتركيب من اصابة المكروه الى الغير من التلبيس عليه يكون بضده
استنباط الامور المؤدية الى الخيرية والنصيحة لكل مسلم واستواء العلانية للسريرة ثم فرق المكر ومرادفه عن التلبيس
والغش والغدر وامثالها اما باعتبار خفاء المقدمات وبعد ما فيها وبعضها بتخصيص الاولى بنفس استنباط الامور المذكورة
والثانية بارتكابها ولذا علمت الاولى من رذائل القوة الوهمية او العاقلة للقدر المذكور والثانية من رذائل الشهوية
وربما كان استعمالها على الترادف واطلق كل منها على ما يطلق عليه الاخر هذا وللمكر مراتب شتى ودرجات من حيث الظهور
والخفاء فربما لم يكن فيه كثير دقة وخفاء فيشعر به من له ادنى شعور وربما كان في غاية الغموض والخفاء بحيث لم يتفطن به الاذكياء
ومن حيث الموارد والمواضع كالباعث لظهور الصداقة والمحبة واظهار انه عاقل ثم اتهم عليه بالايذاء والمكر وهو الباعث
لظهور الامانة والديانة وتسليم الناس اموالهم ونفائسهم اليه على سبيل الوديعة او المشاركة او المعاملة ثم اخذها وسرقتها
على وجه من وجوه المكر وكالباعث لظهور الورع والعدالة والتقوى حتى يولي الناس اياه اماما او اميرا فيفسد عليهم باطنا دينهم ودنياهم
وقس على ذلك غيره من المواضع والموارد ثم المكر من المهلكات العظيمة لانه اظهر صفات الشيطان والمتصف به اعظم جنوده ومعصيته
اشد من معصية اصابة المكروه الى الغير في العلانية اذ المطلع بارادة الغير ايذاء يحتاط ويحافظ نفسه عنه ويدفع اذيته
واما الغافل فليس في مقام الاحتياط لظنه ان هذا الماكر المحيل محب ناصح له فيصل اليه ضرره وكيده في لباس الصداقة و
المحبة فمن احضر طعاما مسموما عند الغير مريدا اهلاكه فهو اخبث نفسا واشد معصية ممن شاهر سيفه بالعلانية مريدا
قتله اذ الثاني اظهر ما في باطنه واعلم هذا الغير بارادته فيعلم بانه عدو غاشم فيتعرض لدفع شره ومنع ضرره فربما تمكن

من دفعه واما الاول فظاهره في مقام الاحسان وباطنه في مقام الايذاء والعدوان والغافل المسكين لاجل اطلاعه عن خباثة
باطنه فيقطع بانه يحسن اليه فلا يكون معه في مقام الدفع بل في مقام المحبة والوداد فيقتله وهو يعلم انه يحسن اليه ويحفظه وهو في
مقام الحيلة عنه وبالجملة هذه الرذيلة اخبث الرذائل واشدها معصية ولذلك قال رسول الله صلعم ليس منا من ماكر مسلما
وقال امير المؤمنين ع لولا ان المكر والخديعة في النار لكنت امكر الناس وكان ع كثيرا ما يتنفس الصعداء ويقول واويلاه يمكرون بي
ويعلمون اني بمكرهم عالم واعرف منهم بوجوه المكر ولكني اعلم ان المكر والخديعة في النار فاصبر على مكرهم ولا ارتكب ما ارتكبوا و
طريق علاج المكر ان يتامل في سوء خاتمته ووخامة عاقبته وتاديته الى النار ومجاورة الشياطين والاشرار ويعلم
ان وبال كل مكر وحيلة يرجع الى نفسه في الدنيا الى صاحبه كما نطقت به الايات والاخبار وشهدت به التجربة والاعتبار ثم يتذكر
فوايد ضد المكر ومحاسنه اعني استنباط ما يوجب النصيحة والخيرية للمسلمين وموافقة ظاهره لباطنه في افعاله واقواله
في عمله وبعد ذلك لو كان عاقلا مشفقا على نفسه لاجتنب عنه كل الاجتناب وينبغي ان يقدم التروي في كل فعل يصدر عنه
لئلا يكون له مكر وحيلة واذا عرض فعل يتضمن فيه مكرا معاتبا لنفسه واذا تكرر ذلك يزول عن نفسه اصول المكر
وفروعه بالجملة بعون الله وتوفيقه **فصل** في بيان ما يتعلق بالقوة الغضبية من الرذائل والفضائل وكيفية العلاج
فنقول انه جنسا رذائلها فاحدهما التهور كما علم وهو من طرف الافراط في الاقدام على ما لا ينبغي والخوض فيما منع العقل والشرع
من المهالك والمخاوف ولا ريب في انه من المهلكات في الدنيا والاخرة ويدل على ذمه كل ما ورد في وجوب محافظة النفس في المنع
عن القائها في المهالك كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وغير ذلك من الايات والاخبار والحق ان من لم يحافظ نفسه على حكم العقل
بلزوم المحافظة عنه لم يخل عن مشابهة المجنون وكيف يستحق اسم العقل من القى نفسه من الجبال الشاهقة ولم يبال بالسيف
الشاهر او وقع في الشطوط الغامرة الجارية ولم يخف من السباع الضارية كيف من القى نفسه فيما يظن من العطب فيهلك
كان قاتل نفسه بحكم الشريعة وهو يوجب الهلاكة الابدية والشقاوة السرمدية وعلاجه بعد تذكر مفاسده في الدنيا والاخرة
ان يقدم التروي في كل فعل يريد الخوض فيه فان جوزه العقل والشرع فليحلك بالحذر عن ارتكابه والا تركه ولم يقدم عليه وربما
احتاج في علاجه ان يلزم نفسه الحذر والاجتناب عن بعض ما حكم العقل بعدم الحذر عنه حتى تقع في طرف التفريط واذا تعلم من
نفسه زوال التهور وركن الى الوسط الذي هو الشجاعة وثانيتها الجبن وهو سكون النفس عن الحركة الى الانتقام او غيره مع كونها
اولى والغضب افراط في تلك الحركة فلا ضدية للغضب باعتبار وللتهور باعتبار اخر وعلى الاعتبارين هو في طرف التفريط
ومن المهلكات العظيمة ويلزمه من اللوازم الذميمة مهانة النفس والذل وسوء العيش وطمع الناس فيما يملكه وقلة ثباته
في الامور والكسل وحب الراحة وهو يوجب الحرمان عن السعادات باسرها وتمكين الظالمين من الظلم عليه وتحمله
الفضايح في نفسه واهله واستماع القبايح من الشتم والقذف وعدم مبالاته بما يوجب الفضيحة والعار وتعطيل مقاصده
ومهماته ولذلك ورد في الشريعة ما ورد قال رسول الله صلعم لا ينبغي للمؤمن ان يكون بخيلا ولا جبانا وقال صلعم اللهم
اني اعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر وعلاجه بعد تنبيه نفسه على نقصانها وهلاكها ان يحرك القوة
الغضبية فيما يحصل به الجبن فان القوة الغضبية موجودة في كل احد ولكنها تضعف وتنقص في بعض الناس فيحدث
فيهم الجبن واذا حركت وهيجت على التواتر تقوى وتشتد كما ان النار الضعيفة تتوقد وتلتهب بالتحريك المتوالي
وقد نقل عن بعض الحكماء انهم يلقون انفسهم في المخاطرات العظيمة والمواقف الشديدة دفعا لهذه الرذيلة ومما ينفع

من المعالجات

من المعالجات ان يكلف نفسه على المخاصمة مع من يامن غوائله تحريكا لقوة الغضب واذا وجد من نفسه حصول ملكة الشجاعة
فليحافظ نفسه لئلا يتجاوز ويقع في طرف الافراط **فصل** قد عرفت ان ضد هذين الجنسين هو الشجاعة فنذكر مدحها وشرافتها
وكلف نفسك المواظبة على اثارها فلو ان صاحبه يصير ما تكلفه طبعا وملكة فيرتفع عنك اثار الضدين بالكلية وقد عرفت ان الشجاعة
طاعة قوة الغضب للعاقلة في الاقدام على الامور الهائلة وعدم اضطرابها بالخوض فيما يقتضيه رايها ولا ريب في انها اشرف الملكات النفسية
وافضل الصفات الكمالية والفاقد لها بريء عن الفحولية والرجولية وهو بالحقيقة من النسوان دون الرجال وقد وصف الله خيار
الصحابة بها بقوله اشداء على الكفار وامر الله نبيه بها على بقوله واغلظ عليهم اذ الشدة والغلظة من لوازمها واثارها والاخبار
مصرحة باتصاف المؤمن بها قال امير المؤمنين ع في وصف المؤمن نفسه اصلب من الصلد وقال الباقر ع المؤمن اصلب من الجبل اذ الجبل
يستقل منه والمؤمن لا يستقل من دينه شيء واما الانواع ولوازمها المتعلقة بالقوة الغضبية فمنها الخوف وهو تالم القلب واحتراقه
بسبب توقع مكروه ممكن الحصول في الاستقبال مشكوك الوقوع فلو علم او ظن حصوله سمى توقعا انتظار مكروه وكان تالمه اشد من الخوف وكلاهما
في كليهما او فرد اخص من الجبن على ما قررناه من حدهما اذ ان الجبن هو سكون النفس عما يستحسن عقلا وشرعا من الحركة الى الانتقام
او شيء اخر وهذا السكون قد يتحقق من غير حدوث التالم الذي هو الخوف مثلا من الجري على الدخول في السفينة او النوم في البيت
وحده والتعرض للدفع عن من يظلم ويتعرض له يمكن اتصافه بالسكون المذكور مع عدم تالمه بالفعل فيسمى جبانا وليس بخائف ومن كان
له ملكة الحركة الى الانتقام وغيره من الافعال التي يجوزها الشرع والعقل بما حصل له التالم المذكور من توقع حدوث بعض المكاره
كان ادعى السلطان بقتله فتلك خائف وليس بجبان ثم الخوف على نوعين احدهما مذموم بجميع اقسامه وهو الذي لم يكن من الله
ولا من صفاته المقتضية للهيبة والرعب ولا من معاصي العبد وجناياته بل يكون لغير ذلك من الامور التي ياتي تفصيلها وهذا
النوع من رذائل قوة الغضب من طرف التفريط من نتائج الجبن وثانيهما محمود وهو الذي يكون من الله ومن عظمته ومن
خطأ العبد وجنايته وهو من فضائل القوة الغضبية اذ العاقلة يامر به وحبسه فهو حاصل من انقيادها ولنفصل القول في
في اقسام النوعين وبيان العلاج في ازالة اقسام الاول وتحصيل الثاني **فصل** للنوع الاول اقسام يقبحها العقل باسرها ولا يجوزها
فلا ينبغي للعاقل ان يتطرقها الى نفسه بيان ذلك ان باعث هذا الخوف يقتصر على اقسام الاول ان يكون ضروريا لازم
الوقوع ولم يكن دفعه في مقدرة البشر ولا ريب في ان الخوف من مثله خطأ محض ولا يترتب عليه فائدة سوى تعجيل العقوبة
يفيد من تدبيره مصالحه الدينية والدنيوية والعاقل لا يتطرق على نفسه مثل ذلك بل يسلي نفسه ويرضيها بما هو كان
ادرك فواتح العاجل وسعادة الاجل الثاني ان يكون امرا ممكنا لم يجزم بشيء من طرفيه ولم يكن لهذا الشخص مدخلية في وقوعه
فلا دفعه ولا ريب في ان الجزم لو قوع مثله والتالم لاجله خلاف مقتضى العقل بل اللازم ابقاؤه على الامكان من دون جزم
بحصوله فلعل لم يحدث بعد ذلك امر او هذا القسم مع مشاركته للاول واستلزامه تعجيل العقوبة بلا سبب لعدم مدخلية
لاختياره فيه يمتاز بعدم الجزم بوقوعه فيقتضي بعدم الخوف بالوجه الثالث ان يكون امرا ممكنا فاعله هذا الشخص وهو
ناش عن سوء اختياره فعلاجه ان لا يرتكبه ولا يقدم على فعل يخاف من سوء عاقبته وانه اما فعل غير قبيح من شانه التادي
الى ما يضره ولا ريب في ان ارتكاب مثله خلاف حكم العقل فلو ظهر التادي بعد اقدامه فيكون من التادي او فعل قبيح لو ظهر اوجب
الفضيحة والمؤاخذة واما فعله ظنا منه انه لا يظهر فيخاف من الظهور فلا ريب في ان هذا الظن ناش عن الجهل اذ كل فعل
يصدر عن كل فاعل ولو خفية يمكن ان يظهر واذا ظهر يمكن ايجابه للفضيحة والمؤاخذة والعاقل العالم بطبيعة الممكن

ينقل صـ

لاين تكب مثله فبلغت الرجفي الثاني هو الحكم على الممكن بالوجوب بحق هذا الحكم عليه بالامتناع او حكم عليه بما يقتضي ذاتا من الموضع الرابع ان يكون
ما يتوحش منه الطباع بلا داع عقل وباعث نفس امره كالميت والجن واشباههما سيما في الليل مع وحدته ولا ريب ان هذا ناش عن خمود العقل
ومقهوريته عن الواهمة فيتحرك القوة الغضبية وطيشها ليغلب بالعاقلة على الوهم وربما ينفع الزام نفسه على الوحدة في الليالي المظلمة
والصبر عليها حتى يزول عنه هذا الخوف على التدريج ثم لما كان خوف الموت اشد اقسام هذا النوع واعمها فلنشر الى علاجه بخصوصه فنقول
باعث خوف الموت يحتمل امورا الاول تصوره فناء ذاته بالكلية وصيرورته عدما محضا بالموت ولا ريب في كونه ناشيا عن محض الجهل اذ الموت
ليس الا قطع علاقة النفس عن البدن وهي باقية ابدا كما دل عليه القواطع العقلية والشواهد الذوقية والظواهر السمعية ولعل ما تقدم
يكفي لاثبات هذا المطلب ومع قطع النظر عن ذلك نقول كيف يحسن لادنى بصير ان يجتمع عظماء نوع الانسان بحذافيرهم كاهل الوحي والالهام
واساطين الحكمة والعرفان على محض الكذب وصرف الباطل فمن تامل ادنى تامل يتخلص من هذا الخوف الثاني تصور الما جسمانيا عظيما لا يتحمل مثله
ولم يدرك في الحيوة شبهه وهذا ايضا من الخيالات الفاسدة لان الالم فرع الحيوة والالم الجسماني ما دام الحيوة لا يكون ناشيا الا [illegible]
من الادراك مقطع الاتصال وبعد زوال الحيوة لا معنى لوجوده اذ كل جسماني ادراكه بواسطة الحيوة وبعد انقطاعها لا ادراك فلا الم الثالث
تصوره حصول نقصان لاجله وهو ايضا غفلة عن حقيقة الموت والانسان اذ من علم حقيقتهما يعلم ان الموت متمم الانسانية واثارها والمائت
جزء حد الانسان ولذا قال اوايل الحكماء الانسان حي ناطق مائت وحصول الشيء يوجب كماله لا نقصانه فبالموت يحصل التمامية دون النقصان
نشنيده كه هركه بمرد او تمام شد فالانسان الكامل يشتاق الموت لاقتضائه تماميته وكان خروجه عن ظلم الطبيعة ومجاورة الاشرار
الى العالم الانوار ومرافقة الاخيار من العقول القادسة والنفوس الطاهرة واي عاقل [illegible] الحيوة العقلية والابتهاجات الحقيقية
الموحشة [illegible] الهيولانية المشوبة بانواع الالام والمصايب واصناف الاسقام والنوايب فيا حبيبي تيقظ من نوم الغفلة وسكر
الطبيعة واستمع النصيحة ممن هو احوج منك الى النصيحة حرك الشوق الكامن في جوهر ذاتك الى عالمك الحقيقي ومقرك الاصلي وكن منسلخا
عن القشور الهيولانية وانفض عن روحك القدسية ما لزقه من الكدورات الجسمانية وطهر نفسك الزكية عن ادناس دار الغرور
وارجاس عالم الزور واكسر قفس الترابي الظلماني وطر بجناح همتك الى وكرك القدسي النوراني وارتفع عن حضيض الجهل والنقصان
الى اوج العزة والعرفان وخلص نفسك عن مضيق سجن الناسوت وسيرها في فضاء قدس اللاهوت فابلك نسيت عهود الحمى فرضيت
بمصاحبة من لا ثبات لها ولا وفا [illegible] طاير قدسم [illegible] كه در اين دامگه حادثه [illegible] الرابع صعوبة قطع علاقته من الاولاد
والاموال والمناصب والاحباب ومعلوم ان هذا ليس خوفا من الموت في نفسه بل هو حزن على مفارقته بعض الزخارف الفانية وعلاجه
ان يتذكر ان الامور الفانية مما لا يليق بالعاقل ان يرتبط بها قلبه وكيف يحب العاقل [illegible] علم الطبيعة ويطمئن اليها مع علمه بانه
عنقريب يفارقها فليعلم ان الانزعاج [illegible] عن قلبه ليتخلص من هذا الالم الخامس تصوره سرور الاعداء وشماتتهم بموته وهذا وسوسة
شيطانية صادرة عن محض التوهم اذ سرور الاعداء وشماتتهم لا يوجب ضررا في ايمانه ودينه ولا الما في جسمه على ان ذلك لا يختص
بالموت اذ العدو يشمت ويفرح بما يرد عليه في حال الحيوة ايضا من البلايا والمحن فمن كره ذلك فيجتهد في قطع العداوة وازالتها
بالملكات المقربة للقلب والحسد السادس تصور تضييع الاولاد والعيال وهلاكة الاعوان والانصار وهذا ايضا من الوساوس
الباطلة الشيطانية والخواطر الفاسدة النفسانية اذ ذلك لا يوجب [illegible] لاستكمال العلم معرفته ومن خليته في تردد
ترددته وذلك ناش من جهله بالله وبقضائه وقدره اذ فيضه الاقدس مقتضي ايصال كل ذرة من ذرات العالم الى ما يليق به و
ابلاغه الى ما خلق لاجله وليس لاحد ان يغير ذلك او يبدله وكذا نرى اكثر من الافاضل يجتهدون في تربية اولادهم ولا ينجح سعيهم اصلا

دنتهيني

ونشاهد غير واحد من الاغنياء اخلفوا لاولادهم اموالا كثيرة فطرحتها عواديهم في مدة قليلة وترى كثيرا من ايتام الاطفال لا تنبت لهم لا اموال
ومع ذلك يبلغون بالتربية الازلية مدارج الكمال او يحصلون من الاحمر من الاموال والغالب ان الايتام الذين ذهب عنهم الاباء في حالة
الصغر يكونون ترقيا في الاخرة والدنيا اكثر من الاولاد الذين نشاوا في حجر الاباء والتجربة شاهدة بان من اطمئن من اولاده بما خلف لهم او
ذي قوة يفوض امورهم اليه اعترام لعدهم الفقر والفاقة والذلة والمهانة وربما صار ذلك سبب هلاكهم وانقراضهم
ومن فوض امورهم الى رب الارباب وخالق العباد وان دادلهم نعمه عزا وقوة وكثرة وثروة فاللائق بالعقلاء ان يفوضوا
امور الاولاد وغيرهم من الاقارب والانصار الى من خلقهم ورباهم ويكلهم الى موجدهم ومولاهم وهو نعم المولى ونعم الوكيل
وقد ظهر ان الخوف من الموت لاجل البواعث المذكورة لا وجه له ثم ينبغي للعاقل ان يتفكر ان كل كائن فاسد البتة كما تقرر في الحكمة
وهو من الكائنات والفساد ضرورة فمن اراد وجوده بدون فساده اللازم له فتمنى دوام الحيوة من الخيالات الممتنعة والعاقل
لا يحوم حولها ولا يتمنى مثلها بل يعلم يقينا ان ما يوجد في النظام الكلي هو الاصلح الاكمل وتغيره ينافي الحكمة الخيرية فيرضى بما هو واقع
على نفسه وغيره من غير الم وكدورة ثم من يتمنى طول عمره فمقصوده منه ان كان حب اللذات الجسمية وامتداد زمانها فليعلم ان الشيب اذا
ادركه ضعف الاعضاء واختلت القوى وزالت عنه الصحة التي هي عمدة لذاته فضلا عن غيرها فلا يلتذ بالاكل والجماع وساير اللذات الجسمية
ولا يخلو لحظة عن مرض والم ويتراجع جميع احواله فيتبدل قوته وعزه بالذلة وكذا ساير احواله كما اشير اليه في الكتاب الالهي بقوله ومن نعمره
ننكسه في الخلق ومع ذلك لا يخلو كل يوم من مفارقة حبيب او شفيق او مهاجرة قريب او رفيق وربما ابتلى بانواع المصايب فيهجم عليه الفقر
والحاجة والنكبات فطالب العمر للحقيقة طالب هذه الرجات وان كان مقصوده منه اكتساب الفضايل العلمية والعملية فلا ريب ان
في تحصيل الكمالات بعد ما ان الشيخوخة في غاية الصعوبة فمن لم يحصل الفضايل الخلقية الى ان ادركه الشيب واستحكم فيه الملكات المهلكة
من الجهل وغيره فاني يمكنه بعد ذلك ازالتها وتبديلها بمقابلاتها اذ ضعف ما يستحق النفس مع الشيخوخة التي لا يقتدر معها على
الرياضات والمجاهدات غير ممكن ولذا ورد في الاثار ان الرجل اذا بلغ اربعين سنة ولم يرجع الى الخير جاء الشيطان ومسح وجهه
وقال بابي وجه من لا يفلح ابدا على ان الطالب للسعادة ينبغي ان يكون مقصوده المهم في كل حال على تحصيلها ومن جملتها ترك طول
الامل والرضا بما قدر له من طول العمر وقصره ويكون سعيه ابدا في تحصيل الكمالات الابقى والاعداد للتخلص عن مزاحمة الزمان والمكان
وقطع علاقته من الدنيا وزخارفها الفانية والميل الى الحيوة واللذات الباقية والاهتمام في كسب الابتهاجات والاتصال التام
بالحضرة الالهية حتى يتخلص عن سجن الطبيعة ويرتقي الى اوج عالم الحقيقة فيتحقق له الموت الارادي الموجب للحيوة الطبيعية كما قال
معلم الاشراق مت بالارادة تحيى بالطبيعة فينتقل الى مقعد صدق هو مستقر الصديقين ويصل الى جوار رب العالمين
ومن يشتاق للموت ولا يبالي بتقدمه وتاخره ولا يركن الى ظلمات البرزخ الذي هو منزل الاشقياء والفجار ومسكن الشياطين والاشرار
ولا يتمنى الحيوة الفانية اصلا وينطق بلسان الحال خرم ان روز كزين منزل ويران بروم راحت جان طلبم از پي جانان بروم
بهواي لب او ذره صفت رقص كنان تا لب چشمه خورشيد درخشان بروم السابع تصور العذاب الجسماني والروحاني المترتب
على ذمايم الاعمال وقبايح الافعال ولا ريب ان الخوف من ذلك ممدوح وهو معدود من اقسام النوع الثاني الا ان البقاء عليه
وعدم السعي فيما يدفعه من ترك الخطيئات وكسب الطاعات جهل وبطالة اذ هذا الخوف ناش من سوء الاختيار وقد بعث الله الرسل
واوصياءهم لاستخلاص الناس عنه فعليهم ترك المعاصي وتحصيل معالي الاخلاق ومعلوم ان المنهمك في المعاصي ويخوف من العذاب
كالملقي نفسه في النار ويخاف من الغرق والحرق ولا ريب ان ازالة هذا الخوف باختياره فليترك ما يهلكه في كسب وظايف الطاعات

ليتخلص منه واهتمام اكابر الدين من الانبياء والمرسلين والحكماء والصديقين في وظايف الطاعات وجرهم على مشاق العبادات ومجاهدتهم
مع جنود الشياطين انما هو لدفع هذا الخوف عن نفوسهم فهو بالحقيقة ناشئ منه ومن سعى لخيار فبادر الى تقليله بالمواظبة على
صوالح الاعمال وفضايل الاخلاق ومعالي الامور فقد يأتي ان هذا الخوف هو سوط الله الباعث على العمل ومعه لو كان مفرطا فليعالج باسباب الرجاء
وبعد فلا بد ان يكون نصب بعينه عليه على انه مع عظم جرمه وقصوره بلمعرض تداركه فلا ييأس ينبغي ان ييأس من روح الله فلعل
واسع الرحمة السابقة على الغضب يدركه بسابقة من القضاء والقدر فصل والنوع الثالث من الخوف اقسام الاول ان يكون من
الله سبحانه ومن عظمته وكبريائه وهذا هو المسمى بالخشية او الرهبة في عرف ارباب القلوب الثاني من جناية العبد بارتكاب المعاصي او اقتراف
الثالث ان يكون منهما جميعا وكلما ازداد المعرفة بجلال الله وعظمته وتعاليه وبعيوب نفسه وجناياته ازداد الخوف اذ
ادراك القدرة القاهرة والعظمة الباهرة والقوة القوية والعزة الشديدة يوجب الاضطراب والدهشة ولا ريب في ان
عظمة الله وعزته وسائر صفاته الجلالية والجمالية غير متناهية شدة وقوة وظهورها على كل نفس بما يطيقه ويستعد له
واني لاحد من اولي المدارك ان يحيط بصفاته على ما هي عليه فان المدارك عن ادراك غير المتناهي قاصرة نعم لبعض المدارك العالية
ان يدرك على الاجمال مع انما يظهر للعقلاء من صفاته ليس هو من حقيقته بل هو غاية ما يتأدى اليه عقولهم ويتصورونه كالاولى
لو ظهر قدر ذرة من حقيقة بعض صفاته لاقتضى العقول واعلى المدارك لاحترق من سبحات وجهه وتقرضت اجزاؤه من نور ربه
ولو انكشف من بعضها الغطاء لزهقت النفوس وتقطعت القلوب فغاية ما للمدارك العالية من العقول والنفوس
القادسة ان يتصور عدم تناهيها في الشدة والقوة وكونها في الكمال والبهاء غاية ما يمكن ويتصور ويحتمل ظرف الواقع
ونفس الامر كما هو الشان في ذاته سبحانه وادراك هذه الغاية ايضا يختلف باختلاف علو المدارك فمن كان في الادراك اقوى
واقدم كان بربه اعرف فمن كان منه اخوف ولذا قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال سيد الرسل انا اخوفكم من الله
وقد تقرع سمعك حكايات خوف زمرة المرسلين ومن بعدهم من فرق الاولياء والعارفين وعروض الغشيات المتواترة في كل ليلة
لمولانا امير المؤمنين وهذا يقتضي كمال المعرفة الموجب لشدة الخوف كمال المعرفة يوجب احتراق القلب فيفيض اثر الحرقة من القلب
الى البدن بالنحول والصفار والغشية والبكاء والى الجوارح بكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط في جنب الله ومن
لم يجتهد في ترك المعاصي وكسب الطاعات فليس له شيء من الخوف ولذا قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل من يترك ما يخاف
ان يعاقب عليه وقال بعض الحكماء من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب اليه وقال بعض العرفاء لا يكون العبد خائفا حتى ينزل
نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام والخوف الصادق يقمع الشهوات ويكدر اللذات فيصير المعاصي المحبوبة عنده
مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف كونه مسموما فيحترق الشهوات بالخوف ويتأدب الجوارح ويحصل في القلب
الذبول والذلة والخشوع والاستكانة ومفارقة ذمايم الصفات ويصير مستوعب الهم لخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره
ولا يكون له شغل الا المجاهدة والمحاسبة والمراقبة والضنة بالانفاس واللحظات ومؤاخذة النفس في الخطرات والكلمات
ويشتغل ظاهره وباطنه بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره كان من وقع في مخالب ضاري السبع يكون مشغول الهم به ولا شغل
له بغيره وهذا حال من غلب الخوف واستولى عليه كما جرى على جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف الصالحين
فقوة المجاهدة والمحاسبة بحسب شدة الخوف الذي هو حرقة القلب وتألمه وهو بحسب قوة المعرفة بجلال الله وعظمته وساير
صفاته وافعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الاخطار والاهوال واقل درجات الخوف مما يظهر اثره في الاعمال ان يكف عن

عن المطلوبات

باعرف كان

عن المطلوبات وتسمى الكف منها ورعا فان زادت قوته كف عن الشبهات ويسمى ذلك تقوى اذ التقوى ان يترك ما يريبه
الى ما لا يريبه وقد يحمله على ترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فاذا انضم اليه التجرد للخدمة وصار ممن
لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت الى دنيا يعلم انه يفارقها ولا يصرف الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق
ويسمى صاحبه صديقا فيدخل في الصدق التقوى وفي التقوى الورع وفي الورع العفة لانها عبارة عن الامتناع من مقتضى
الشهوات فاذن يؤثر الخوف في الجوارح بالكف والاقدام فصل اعلم ان الخوف لا يتحقق الا بانتظار مكروه والمكروه اما
ان يكون مكروها في ذاته كالنار او مكروها لافضائه الى المكروه في ذاته كالمعاصي المفضية الى المكروه لذاته في الاخرة ولا بد
لكل خائف ان يتمثل في نفسه مكروه من احد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يتألم قلبه بسبب استشعاره ذلك المكروه
ويختلف مقام الخائفين فيما يغلب على قلوبهم من المكروهات المحذورة فالذين يغلب على قلوبهم خوف المكروه لذاته
فاما ان يكون خوفهم من سكرات الموت وشدته او سؤال النكيرين وعظمته او عذاب القبر وحده او هول المطلع ووحشته
او من الموقف بين يدي الله وهيبته والحياء من كشف سريرته او من الحساب ودقته والصراط وحدته او من النار واهوالها وجحيمها
واغلالها او الحرمان من دار النعيم وعدم وصوله الى الملك المقيم او من نقصان درجاته في العليين وعدم مجاورته المقربين
او من الله سبحانه بان يخاف جلاله وعظمته والبعد والحجاب منه ويرجو القرب منه وهذا اعلى المراتب وهو خوف ارباب القلوب
العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والعالمين بلذة الوصال وألم البعد والفراق والمطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم
الله نفسه وقوله واتقوا الله حق تقاته وقيل ذلك خوف العابدين والزاهدين وكافة العاملين واما الذين غلب على
قلوبهم خوف المكروه لغيره فاما ان يكون خوفهم من الموت قبل التوبة او نقضها قبل انقضاء المدة او من ضعف القوة عن الوفاء
بتمام حقوق الله او تخليته من حسناته التي اتكل عليها او تعرضه لها في عباد الله او من الميل عن الاستقامة او الى اتباع الشهوات
المألوفة استيلاء للعادة او من تبديل رقة القلب الى القساوة او تبعات الناس عنده من الغش والعداوة او من الاشتغال عن
الله بغيره او حدوث طلب الجاه في بقية عمره او من البطر والاستدراج بتواتر النعم او انكشاف غوايل طاعته حتى يبدو له من الله
ما لم يحتسب او من الاغترار بالدنيا وزخارفها الفانية او تعجيل العقوبة في الدنيا وافتضاح بالعلانية او من اطلاع الله على
سريرته وهو عنها غافل وتوجهه الى غيره وهو اليه ناظر او من الختم له عند الموت بسوء الخاتمة او ما سبق له في الازل من السابقة
وهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد منها خصوص فائدة هو الحذر عما يفضي الى المخوف فالخائف من تبعات الناس يجتهد في
براءة ذمته عنها ومن استيلاء العادة يواظب على فطام نفسه عنها ومن اطلاع الله على سريرته يشتغل بتطهير قلبه عن الوساوس
وهكذا في بقية الاقسام والغالب هذه الحال على المتقين خوف سوء الخاتمة الذي تمزق منه قطع قلوب العارفين اذ الامر فيه خطر كما يأتي
واعلى الاقسام وادلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة فرع السابقة وتترتب عليها بتعقب تخلل اسباب كثيرة ولذا قال
العارف الانصاري الناس يخافون من اليوم الاخر وانا اخوف من اليوم الاول يعني خاتمتهم مما سبق به القضاء في ام الكتاب واليه اشار
النبي في المنبر حيث رفع يده اليمنى قابضا على كفه ثم قال اتدرون ايها الناس ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم قال اسماء اهل
الجنة واسماء آبائهم وقبايلهم الى يوم القيمة ثم رفع يده اليسرى فقال ايها الناس اتدرون ما في كفي قالوا الله ورسوله اعلم فقال
اسماء اهل النار واسماء آبائهم وقبايلهم الى يوم القيمة ثم حكم الله وعدل حكم الله فريق في الجنة وفريق في السعير وقال م يسلك بالسعيد
في طريق الاشقياء حتى يقول الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه السعادة وقد يسلك بالشقي طريق السعداء حتى يقول

في الجنة

الناس ما اشبهه بهم بل هو منهم ثم يتداركه الشقاء ان من كتبه الله سعيدا وان لم يبق من الدنيا الا فواق ناقة ختم له بالسعادة

فصل

في فضيلة الخوف

الخوف منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين وهو افضل الفضائل النفسانية اذ فضيلة الشيء بقدر اعانته على السعادة و
لا سعادة كسعادة لقاء الله والقرب منه ولا وصول اليها الا بتحصيل محبته والانس به ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة ولا يحصل المعرفة الا
بدوام الفكر ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر ولا يتيسر المواظبة على الفكر والذكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب ولا ينقلع
ذلك الا بقمع لذاتها وشهواتها واقوى ما ينقمع به الشهوة هو نار الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فاذن فضيلته بقدر
ما يحرقه من الشهوات ويكفه من المعاصي ويحثه على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما مر وقيل ما انس بالله وملك الحق قلبه
وبلغ مقام الرضا وصار مشاهدا لجمال الحق لم يبق له الخوف بل يتبدل خوفه بالامن كما يدل عليه قوله سبحانه اولئك لهم الامن وهم مهتدون
اذ لا يبقى له التفات الى المستقبل ولا كراهية من مكروه ولا رغبة الى محبوب فلا يبقى له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى منهما نعم لا يخلو عن
الخشية اي الرهبة من الله ومن عظمته وهيبته واذا صار الى محبوب متجليا بنظره والوحدة لم يبق فيه اثر من الخشية ايضا لانه من لوازم
التكثر وقد زال ولذا قيل الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقيل ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضل لخوف ولا رجاء
وقيل ايضا المحب اذا اشتغل قلبه بمشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك له نقصا في دوام الشهود الذي هو غاية المقامات والتحقيق
بان هذه الاقوال مما لا التفات لنا اليها فلنرجع الى ما كنا بصدده من بيان فضيلة الخوف فنقول الايات والاخبار الدالة عليه اكثر من
ان تحصى وقد جمع الله للخائفين العلم والهدى والرحمة والرضوان وهي مجامع مقامات اهل الجنان فقال انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكثير من الايات مصرحة بكون
الخوف من لوازم الايمان كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقوله وخافون ان كنتم مؤمنين ومدح الخائفين
بالتذكر في قوله سيذكر من يخشى ووعدهم الجنة وجنتين بقوله ومن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان وفي الخبر القدسي وعزتي لا اجمع على عبدي خوفين ولا اجمع له امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة
واذا خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال رسول الله ص راس الحكمة مخافة الله وقال ص من خاف الله اخاف الله منه كل شيء ومن لم يخف
الله اخافه الله من كل شيء وقال لابن مسعود ان اردت ان تلقاني فاكثر من الخوف بعدي وقال ص اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا وعن
الليث بن ابي سليم قال سمعت رجلا من الانصار يقول بينما رسول الله ص مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر اذ جاء رجل فنزع ثيابه
ثم جعل يتمرغ في الرمضاء ويكوي ظهره مرة وبطنه مرة وجبهته مرة ويقول يا نفس ذوقي فما عند الله اعظم مما صنعت بك ورسول الله
ينظر اليه ما يصنع ثم ان الرجل لبس ثيابه ثم اقبل فاومى اليه النبي ص بيده ودعاه فقال له يا عبد الله لقد رايتك صنعت شيئا
ما رايت احدا من الناس صنعه فما حملك على ما صنعت فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله فقلت لنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله
اعظم مما صنعت بك فقال النبي ص لقد خفت ربك حق مخافته وان ربك ليباهي بك اهل السماء ثم قال لاصحابه يا معشر من
حضر ادنوا من صاحبكم حتى يدعو لكم فدنوا منه فدعا لهم وقال اللهم اجمع امرنا على الهدى واجعل التقوى زادنا والجنة مآبنا
وقال ص ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة وان كانت مثل راس الذباب من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار
وقال اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تتحات من الشجر ورقها وقال لا يلج النار احد بكى من خشية الله
حتى يعود اللبن في الضرع وقال سيد الساجدين في بعض ادعيته سبحانك عجبا لمن عرفك كيف لا يخافك وقال الباقر ع صلى امير المؤمنين
بالناس الصبح بالعراق فلما انصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله ثم قال اما والله لقد عهدت اقواما على عهد خليلي رسول الله

وانهم ليصبحون

وانهم ليصبحون ويمسون شعثا غبرا خمصا بين اعينهم كركب المعزى يبيتون لربهم سجدا وقياما يراوحون بين اقدامهم
وجباههم يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار والله لقد رايتهم مع هذا خائفون مشفقون وفي رواية اخرى وكان زفير النار
في اذانهم اذا ذكر الله عندهم مادوا كما يميد الشجر كانما القوم باتوا غافلين ثم قام فما رؤي بعد ذلك ضاحكا حتى قبض قال الصادق ع من
عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا وقال ع ان من العبادة شدة الخوف من الله يقول انما يخشى الله من عباده العلماء
وقال فلا تخشوا الناس واخشون وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقال ع ان حب الشرف والذكر لا يكونان في قلب الخائف الراهب وقال ع
المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك فهو لا يصبح الا خائفا ولا يصلحه
الا الخوف وقال ع خف الله كانك تراه وان كنت لا تراه فانه يراك وان كنت ترى انه لا يراك فقد كفرت وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له
بالمعصية فقد جعلته من اهون الناظرين اليك وقال ع لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا
لما يخاف ويرجو وقال ع مما حفظ من خطب النبي ص انه قال ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى
نهايتكم الا ان المؤمن يعمل بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليأخذ
العبد المؤمن من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر وفي الحيوة قبل الممات فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا
من مستعتب وما بعدها من دار الا الجنة او النار ثم الاخبار الواردة في فضل العلم والتقوى والورع والبكاء والرجاء يدل على فضل
الخوف لان جملة ذلك متعلقة به تعلق السبب او تعلق المسبب اذ العلم سبب للخوف والتقوى والورع يحصلان منه ويترتبان عليه
كما ظهر مما سبق والبكاء ثمرته ولازمه والرجاء يلازمه ويصاحبه اذ كل من رجا محبوبا فلا بد ان يخاف فوته اذ لو لم يخف فوته لم يحبه فلا ينفك
احدهما عن الاخر اذ من شرطهما تعلقهما بالمشكوك لان المعلوم لا يرجى ولا يخاف فالمحبوب المشكوك فيه تقدير وجوده يروح القلب
وهو الرجاء وتقدير عدمه يولمه وهو الخوف والتقديران متقابلان نعم احد طرفي الشك قد يترجح بحضور بعض الاسباب ويسمى ذلك
ظنا ومقابله وهما فاذا ظن وجود المحبوب قوي الرجاء وضعف الخوف بالاضافة اليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان
ولذلك قال الله سبحانه ويدعوننا رغبا ورهبا وقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقد ظهر ان ما يدل على فضل احدهما يدل على فضيلة الاخر
وكذا ما ورد في ذم الامن من مكر الله يدل على فضيلته لانه ضده وذم الشيء مدح لضده الذي ينفيه ومما يدل على فضيلته ما ثبت
بالتواتر من كثرة خوف الملائكة والانبياء وائمة الهدى كخوف جبرئيل وميكائيل واسرافيل وحملة العرش وغيرهم من الملائكة المهيمنين
والمرسلين وكخوف نبينا ص وابراهيم وموسى وعيسى وداود ويحيى وغيرهم وخوف امير المؤمنين وسيد الساجدين وسائر
الائمة الهدى وحكاية خوف كل منهم في كتب المحدثين مذكورة وفي بعضها مسطورة فليراجع اليها من اراد ومن الله العصمة والسداد

فصل اعلم ان الخوف محمود الى حد فان جاوزه كان مذموما وبيان ذلك ان الخوف سوط الله الذي يسوق به العباد الى المواظبة
على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب اليه ولذة المحبة والانس به وكما ان السوط الذي يساق به البهيمة ويؤدب به الصبي له
حد في الاعتدال لو قصر عنه لم يكن نافعا في التاديب ولو تجاوز عنه في المقدار او الكيفية والمبالغة في الضرب كان مضرا
لادائه الى هلاكة الدابة والصبي فكذلك الخوف الذي هو سوط الله يسوق به عباده له حد في الاعتدال الاوسط وهو ما
يوصل فان كان قاصرا عنه كان قليل الجدوى وكان كقضيب ضعيف يضرب به دابة قوية فلا يسوقها الى المقصد ومثل هذا الخوف
يجري مجرى رقة النساء عند سماع شيء محزن يورث فيضان البكاء وبمجرد انقطاعه يرجعن الى حالتهن الاولى او يجري مجرى خوف
بعض الناس عند مشاهدة سبب هائل واذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع الى الغفلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى

فالخوف كونه لا يؤثر في الجوارح بكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات حدثت نفس وحركة خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا
ولو كان مفرطا بان جاوز الى القنوط وهو ضد الرجاء ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون او الى الياس وهو كفر ولا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون ولا ريب ان الخوف المتجاوز الى الياس والقنوط يمنع عن العمل لرفعهما نشاط الخاطر الباعث على الفعل
والجائهما كسالة الاعضاء المانعة من العمل ومثل هذا الخوف محض الفساد والنقصان ومبين القصور والخسران ولا رجحان له في نظر
العقل والشرع مطلقا اذ كل خوف بالحقيقة نقص لكونه منشأ العجز لانه ستعرض لمحذور لا يمكنه دفعه وباعث الجهل بعدم اطلاعه
على عاقبة امره اذ لو علم ذلك لم يكن خائفا لما عرفت ان الخوف هو تألم متوقع كما مر فبعض افراد الخوف انما يصير كمالا بالاضافة
الى نقص اعظم منه باعتبار دفعه المعاصي وافضائه الى ما يترتب عليه من الورع والتقوى والمجاهدة والذكر والعبادة وسائر الاسباب
الموصلة الى القرب بالله والانس به ولو لم يؤد اليها كان في نفسه نقصا اذ الكمال في نفسه هو ما يجوز ان يوصف الله تعالى به
كالعلم والقدرة وامثالهما وما لا يجوز وصفه به ليس كمالا في ذاته وانما يصير كمالا بالاضافة الى غيره بالنظر الى بعض فوائده
فما لا يفضي الى فوائده المقصودة منه لافراطه من موت او مرض او فساد العقل فهو كالضرب الذي يقتل
الصبي او يهلك الدابة او يمرضها او يكسر عضوا من اعضائهما فامدح صاحب الشرع الرجاء وكلف الناس به ليعالج به صدمة الخوف
المفرط المفضي الى الياس او الى احد المذكورة فالخوف المحمود ما يفضي الى العمل مع بقاء الحياة وصحة البدن وسلامة العقل فان جاوز
الى ازالة شيء منها فهو مرض يجب علاجه ولذا كان بعض مشايخ العرفاء يقول للمريدين من تلامذته الملازمين للجوع اياما كثيرة
احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل وما قيل ان من مات من خوف الله مات شهيدا فمعناه ان موته بالخوف افضل
من موته في هذا الوقت بدونه فهو بالنسبة فضيلة لا بالنظر الى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وتحصيل المعارف اذ للمريد
في درجات المعارف والطاعات في كل لحظة ثواب شهيد او شهداء فافضل السعادات طول العمر في تحصيل العلم والعمل فكل ما يبطل
العمر او العقل والصحة فهو خسران ونقصان **فصل** لتحصيل الخوف الممدوح طريقان الاول ان يحصل له تحصيل اليقين اي قوة
الايمان بالله واليوم الآخر والجنة والنار والحساب والعقاب ولا ريب في كونه مهيجا للخوف من النار والرجاء للجنة ثم
الخوف والرجاء يقويان الى الصبر على المكاره والمشاق وهو الى المجاهدة والتجرد لذكر الله والفكر على الدوام وبقوة دوام الذكر
على الانس وبدوام الفكر على كمال المعرفة ويؤدي الى الانس وكمال المعرفة الى المحبة وتبعها الرضا والتوكل وسائر المقامات وهذا
هو الترتيب في سلوك منازل الدين فليس بعد اصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بعدهما مقام سوى الصبر ولا
بعده سوى المجاهدة والتجرد لله ظاهرا وباطنا ولا بعده سوى الهداية والمعرفة ولا بعدها سوى الانس والمحبة ومن ضرورة
المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل فاليقين هو سبب الخوف فيجب تحصيل السبب ليؤدي الى المسبب الثاني
ملازمة في احوال القيمة واصناف العذاب في الآخرة واستماع المواعظ المخوفة والنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة
احوالهم واستماع حكاياتهم وهذا ما يجلب الخوف من عذابه تعالى وهو خوف عموم الخلق ويحصل بمجرد اصل الايمان بالجنة والنار
وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية وانما يضعف للغفلة او ضعف الايمان ويزول الغفلة والضعف بما ذكر واما الخوف
من الله بان يخاف البعد والحجاب ويرجو القرب والوصال وهو خوف ارباب القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف
المطلعين على سر قوله يحذركم الله نفسه وقوله اتقوا الله حق تقاته فالعلاج في تحصيله الارتقاء الى ذروة المعرفة
اذ هذا الخوف ثمرة المعرفة بالله وبصفات جلاله وجماله ومن لم يمكنه ذلك فلا يترك سماع الاخبار والآثار وملاحظة احوال

الخائفين

الخائفين من هيبته وجلاله كالانبياء والاولياء وزمرة العرفاء فانه لا يخلو عن تاثير الثالث ان يتامل في ان الوقوف على
كنه صفات الله تعالى من المحال لعدم الاحاطة بكنه الامور الا في مقدرة البشر اذ هي مرتبطة بالمشية ارتباطا خارجا عن حد
المعقول والمألوف فمن عرف ذلك على التحقيق يعلم ان الحكم على امر من الامور الآتية غير ممكن بالحدس والقياس فضلا عن
القطع والتحقيق ويعظم خوفه وليتذكر المرء ان كانت الخيرات كلها بصيرة ونفسها عن الدنيا بالمرة منقطعة الى الله
بشراشرها مفتقرة الى خطر الخاتمة وعسر الثبات على الحق مما لا يمكن دفعه وكيف يحصل الاطمينان من تغير الحال وقلب المؤمن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وانه اشد تقلبا من القدر في غليانها وقد قال مقلب القلوب ان عذاب ربهم غير مأمون فانى
للناس ان يطمئنوا وهو ينادي بالتحذير ولذا قال بعض العرفاء لو حال بيني وبين من عرفته بالتوحيد خمسين سنة اسطوانة فمات
لم اقطع له بالتوحيد لاني لا ادري ما ظهر له من التقليب **فصل** قد اشير الى ان اعظم المخاوف خوف سوء الخاتمة وله اسباب مختلفة
الاول وهو الاعظم ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الجحود او الشك فيقبض الروح في تلك الحالة ويصير
عقدة الجحود او الشك حجابا بينه وبين الله تعالى وذلك يقتضي البعد الدائم والحرمان اللازم والخسران الابدي والعذاب المخلد
ثم هذا الجحود او الشك اما يتعلق ببعض العقائد الاصولية كالتوحيد والعلم ونحو ذلك من صفات الكمالية او ببعض مباحث
امر الآخرة والنبوة وكل واحد من ذلك كاف في الهلاك فذهوق النفس على الزندقة او يتعلق بجميعها اما اصالة او سراية و
المراد بالسراية ان الرجل ربما اعتقد في ذاته وصفاته وافعاله خلاف ما هو الحق والواقع اما برأيه ومعقوله او بالتقليد فاذا
قرب الموت وظهر سكراته واضطرب القلب بما فيه ربما انكشف بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الكشف الغطاء فيكون ذلك سببا لبطلان
الموت حال
بقية اعتقاداته اذ الشك فيها وان كانت صحيحة مطابقة للواقع اذ لم يكن عنده فرق بين هذا الاعتقاد الفاسد الذي
انكشف فساده وبين سائر عقايده الصحيحة فاذا علم خطاءه في البعض لم يبق له اليقين والاطمينان في البواقي كما نقل
ان الفخر الرازي بكى يوما فسئل عن سبب بكائه فقال اعتقدت في مسئلة منذ سبعين سنة على نحو انكشف اليوم بطلانه فما
ادري لعل سائر عقايدي كذلك وبالجملة ان اتفق زهوق روحه في هذه الحالة اي قبل ان يثيب ويعود الى اصل
الايمان فقد ختم له بالسوء وخرج روحه على الشرك اعاذنا الله عليه وثبتنا على الاعتقاد الحق لديه وهم المقصودون من
وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ومن قوله هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون
انهم يحسنون صنعا والبله عن الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا بمعزل عن هذا الخطر ولذا ورد
ان اكثر اهل الجنة البله وورد المنع عن البحث والنظر والخوض في الكلام والاخذ بظواهر الشرع مع اعتقاد كونه تعالى منزها عن
النقص متصفا بما هو الغاية والنهاية من صفات الكمال والسر في ذلك ان البله اذا اخذوا بما ورد من الشرع واعتقدوه يثبتون عليه
لقصور اذهانهم عن درك الشبهات وعدم اعتيادهم بالتشكيك فلا يختلج ببالهم شك وشبهة لو عند الموت واما
الخائضون في غمرات البحث والنظر والآخذون عقايدهم من عقولهم المزجاة فليس تثبت على عقائدهم اذ العقول
عن درك صفات الله وسائر العقائد الاصولية على ما هي عليه قاصرة والادلة التي يستخرجها مضطربة متعارضة وابواب
الشكوك والشبهات بالخوض والبحث عليهم مفتوحة فاذهانهم دائما محل تعارض العقائد والشكوك فربما تثبت
لهم عقيدة بملاحظة بعض دلائله فيحصل لهم فيها طمانية ثم يعرض لهم شك يرفعها او يضعفها فهم دائما في غمرات الحيرة
والاضطراب فاذا كان حالهم هذا فاحضرهم سكرات الموت واستبعد ان يختلج لهم شك في بعض عقايدهم ومثله

مثل من كسر انكسرت سفينته وهو في ملتطم الامواج فيتحير موج الى موج الغالب في مثله الهلاك وان اتفق نادرا ان يرميه موج الى الساحل

وقد نقل عن فخر الدين الرازي وهو من اعاظم المتكلمين انه قال اني تفكرت في العلوم العقلية سبعين سنة وصنفت فيها من الكتب ما لا يحصى

ولم يظهر لي منها شيء سوى ان لهذا المصنوع صانعا فصح ذلك بعجائز القوم في ذلك اشد يقينا منه فالصواب تلقي الكل اصل الايمان

والعقايد من صاحب الوحي مع تطهير الباطن عن خبائث الاخلاق والاشتغال بالطاعات وصالح الاعمال وعدم التعرض لما هو خارج عن

طاقتهم من التفكر في حقايق المعارف الا من ايده الله تع بالقوة القدسية والقريحة المستقيمة واشرق نور الحكمة في قلبه وشمله

الالطاف من ربه فله الخوض في غمرات العلوم وما لغيره فينبغي ان ياخذ منه اصول عقايده الواردة من الشرع ولا يشتغل بغيره حتى يشمله بركات

فان العاجز عن المجاهدة في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وان كان خاذلا الدرجة الثاني

ضعف الايمان في الاصل ومعاضعف الايمان ضعف حب الله وقوي حب الدنيا في القلب واستولى عليه بحيث لم يبق في القلب موضع لحب

الايمان الا من حيث حديث النفس فلا يظهر له اثر في مخالفة النفس والشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب

ويسود ويتراكم ظلمة الذنوب عليه ولا يزال يطفي ما فيه من نور الايمان حتى ينطفي بالكلية فاذا جاء سكرة الموت ازداد حب الله ضعفا

وربما عدم بالمرة لما يستشعر من فراق محبوبه الغالب على قلبه وهو الدنيا فيتالم ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدره

الله له من الموت وربما يحدث في باطنه بغض الله بدل الحب لما يرى ان موته من الله كان من جملة من يحب حبا ضعيفا اذا مضى

ماله الذي هو احب اليه من ذلك فان القلب حينه بغضا فان اتفق خروج في النفس وقع في تلك اللحظة التي خطر فيها هذه الخطرة

فقد ختم له بالسوء نعوذ بالله من ذلك وقد ظهر ان السبب المفضي الى ذلك غلبة حب الدنيا مع ضعف الايمان الموجب لضعف

حب الله فمن وجد في قلبه حب الله اغلب من حب الدنيا فهو ابعد من هذا الخطر وان حب الدنيا ايضا ومن وجد في قلبه عكس ذلك فهو قريب من

هذا الخطر والسبب في قلة حب الله قلة المعرفة به اذ لا يحب الله الا من عرفه والى هذا القسم من سوء الخاتمة اشير في الكتاب الالهي بقوله

قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب

اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره فمن خاف تقديره وقوع حالته كي يحب ما فعل الله وبعضه لهذه تفريقه

تفريقه بينه وبين اهله وماله وساير محابه فيكون موته قدوما على ما يبغضه وفارقا لما احبه فيقدم على الله قدوم العبد المبغض الابق

اذا قدم على مولاه فلا يخفى ما يستحق مثله من الخزي والنكال واما الذي يموت على حب الله والرضا بفعله كان قدومه قدوم العبد

المحسن المشتاق الى مولاه ولا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور الثالث كثرة المعاصي وغلبة الشهوات وان قوي الايمان وبيان

ذلك ان مقارفة المعاصي سببها غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الالف والعادة وجميع ما الفه الانسان في عمره يعود

ذكره في قلبه عند موته فان كان اكثر ميله الى الطاعات كان اكثر ما يحضره عند الموت طاعة الله وان كان اكثر ميله الى المعاصي غلب ذكرها على قلبه

عنده وان كان اكثر شغله السخرية والاستهزاء والمزاح وامثال ذلك كان الغالب على قلبه عند الموت ذلك وهكذا الحال في جميع

الاشتغال والاعمال الغالبة في عمره فانها يغلب على قلبه عند موته فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية

من المعاصي فيعقد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى وهو المراد بالختم على السوء فالذي غلبت عليه المعاصي والشهوات وكان قلبه اميل

اليها منه الى الطاعات فهذا الخطر قريب في حقه ومن لا يميل اصلا فهو بعيد منه جدا ومن غلبت عليه الطاعات ولم يقارف المعاصي الا نادرا

فلعل الرجا في حقه النجاة منه وان امكن حصوله ومن لم يغلب شيء من طاعاته ومعاصيه على الاخر فامره في هذا الخطر الى الله لا يمكن لنا الحكم

بشيء من القرب والبعد في حقه والسر في ذلك ان الغشية المتقدمة على الموت شبيهة بالنوم فكان الانسان يرى في منامه جملة من

من الاحوال

من الاحوال التي عهدها طول عمره والفرجاحة انه لا يرى في منامه الا ما يماثل مشاهداته في اليقظة وحتى ان المراهق الذي يحتلم لا

يرى صورة فكذلك حاله عند سكرات الموت وما يتقدمه من الغشية لكونه شبيها بالنوم وان كان فوقه فيقتضي ذلك تذكر المالوفات

وعودها الى القلب فربما يكون غلبة الالف سببا لان يتمثل صورة فاحشة في قلبه ويميل نفسه اليها فيقبض عليها روحه ويكون

ذلك سوء خاتمته وان كان اصل الايمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها بعناية الله وفضله وكما ان ما يخطر بالبال في اليقظة انما يخطر بسبب

خاص لا يعلم بحقيقته الا الله فكذلك ما يرى في احاد المقامات المنامات وما يختلج في القلب عند سكرات الموت له اسباب عند الله لا يعرف بعضها

فيه مما يتمكن من معرفة بعضها فانا نعلم ان الخاطر ينتقل من الشيء الى ما يناسبه اما بالمشابهة بان ينظر الى جميل فيتذكر جميلا اخر

واما بالمضادة بان ينظر الى جميل فيتذكر قبيحا واما بالمقارنة بان ينظر الى فرس قد راه من قبل مع انسان فيتذكر ذلك الانسان

وقد ينتقل الخاطر من شيء الى شيء لا يدري وجه مناسبته له وربما ينتقل الى شيء لا يعرف سببه اصلا وكذلك انتقالات الخواطر في المنام

وعند سكرات الموت لها اسباب لا يعرف بعضها ويعرف بعضها بالنحو المذكور ومن اراد ان يكف خاطره عن الانتقال الى

المعاصي والشهوات فلا طريق له الا المجاهدة طول عمره في فطام نفسه عنها وقمع الشهوات عن قلبه فهذا هو القدر الذي يدخل

تحت الاختيار ويكون طول المجاهدة والمواظبة على العلم والعمل وتخلية السر عن الشواغل الدنيوية وتقييده بالتوجه الى الله

وجه وانسه عدة وذخيرة لحالة سكرات الموت اذ المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه كما ورد في الخبر وقد دلت المشاهدة

على ان كل احد يكون عند موته مشغول القلب بما هو الغالب عليه طول عمره حيث يظهر منه عنده ذلك وانما الخوف الموجب لسوء الخاتمة

هو خاطر سوء يخطر ومن عظم خوف العارفين اذ اختلاج الخواطر والاتفاقات المقتضية لكونها مذمومة او ممدوحة لا يدخل تحت الاختيار

دخولا كليا وان كان لطول الالف والعادة تاثير في حصولها ولذا اراد الانسان ان لا يرى في المنام الا الانبياء والائمة واحوال الصالحين

والعبادات لم يتيسر له وان كان لكثرة الحب والمواظبة على الصلاح والطاعة مؤثرة فيه وبالجملة اضطرابات الخيال لا يدخل بالكلية تحت

الضبط وان كان الغالب مناسبته ما يظهر في النوم لما غلب في اليقظة وبذلك يعلم ان اعمالك كلها ضايعة ان لم يسلم عن النفس الاخير الذي

عليه خروج الروح وان السلامة مع اضطراب امواج الخواطر مشكل ولذا قال رسول الله صلعم ان الرجل يعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة

حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بما سبق به الكتاب ومعلوم ان فواق ناقة لا يتسع اعمالا يوجب الشقاوة بل هي الخواطر

تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف ومن هنا قيل اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجى كيف نجى وورد ان الملائكة

اذا صعدت بروح المؤمن وقد مات على الخير والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجى من دنيا فسد فيها خيارنا ولذلك قيل

من وقفت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطرابات الامواج كان النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المؤمن

اشد اضطرابا من السفينة وامواج الخواطر اعظم التطاما من امواج البحر ومقلب القلوب هو الله ومن هنا يظهر سر قوله الناس

كلهم هلكى الا العالمون والعالمون كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم

ولاجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مطلوبة وموت الفجاءة مكروها اذ موت الفجاءة ربما يتفق عند غلبة خاطر سوء

استيلائه على القلب واما الشهادة في سبيل الله فانها عبارة عن قبض الروح في حالة لم يبق في القلب غير حب الله وخرج حب الدنيا

والمال والولد فان من هجم على صف القتال بامر الله وامر رسوله يكون موطنا نفسه على الموت لرضا الله وحبه بايعا دنياه

باخرته راضيا بالبيع الذي بايع الله به في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وبذلك يظهر ان

القتل لا بسبب الشهادة التي حقيقتها ما ذكر لا يفيد الاطمينان عن هذا الخطر وان كان ظلما وان كان في الجهاد اذا لم يكن بحر تركه

الى الله ورسوله بل الى دنيا يصيبها او امرأة ياخذها وقد ظهر مما ذكر ان سوء الخاتمة باختلاف اسبابه راجع الى احوال القلب وحالة القلب
اما خاطر خير او خاطر سوء او خاطر مباح فمن سبق عليه وهجم على خاطر مباح لم يمكن الحكم بانه ختم على خير او سوء بل امره الى الله وان كانت الخاتمة
لا ترتب بعض خليته صالحات الاعمال على فاسد الهلاك ومن هجم عليه وهجم على خاطر سوء وهو احد الخواطر المتقدمة فقد ضل ضلالا بعيدا
ومن حضر انامينا او من ذهب وهجم على خاطر خير وهو ان يكون قلبه في حالة الموت متوجها الى الله متلبسا من حبه وانسه فقد فاز
فوزا عظيما وهذا موقوف على المجاهدة في فطام النفس عن الشهوات الحيوانية واخراج حب الدنيا عنها واساوالاحتراز عن فعل
المعاصي ومشاهدتها والتفكر فيها وعن مجالسة اهلها واستماع حكاياتهم بل عن مباحات الدنيا بالكلية وتخلية السر عما سوى الله
والانقطاع بتمام السر اليه واخراج محبة كل شيء سوى محبته عن قلبه حتى يصير حبه سبحانه والانس به ملكة راسخة ليغلب على القلب عند
سكرة الموت وبدون ذلك لا يمكن القطع بذلك كيف وقد علمت ان الغشية المتقدمة على الموت شبه النوم وانسغ الى الرويا
الظاهرة عليك في المنام للجنب فقلبك حب الله وانسابه وتوجها اليه بل الحظها بالله ان لك به مامتصفا بالصفات الكمالية بل تره
ماكنت تالف به وتعتاده من الامور الباطلة والخيالات الفاسدة فان ذهب ووصل عند اشتغال خاطرك بشيء من الامور الدنيوية
ولم تكن متوجها الى الله ومستغرقا من معرفته ومبتهجا بحبه وانسه لبقيت على تلك الحالة ابدا وفات السعادة العظمى والخيبة الكبرى
فتيقظ يا حبيبي من سنة الغفلة وتنبه عن سكر الطبيعة واخرج حب الدنيا عن قلبك وتوجه بتمام سرك الى جناب ربك واكتف
بقدر ضرورتك من الدنيا ولا تطلب منها فوق حاجتك واقنع من الطعام بما يقيم صلبك ولا تكثر التناول منه ليزيل عنك
ربك قربك واقتصر من اللباس بما يستر عورتك ولا تظهر للناس سوءتك واكتف من المسكن بما يحول بينك وبين الابصار ويدفع
حر الشمس وبرد الامطار فان جاوزت عن ذلك تشعبت همومك وتكثرت غمومك واضطربك الشغل الدائم والعناء اللازم
وذهب عنك جل عمرك لضاعت بركات اوقاتك وبعد ذلك راقب قلبك في جميع الاوقات واياك ان تهمل في لحظة من اللحظات او حفظ
من ان يكون خاليا بغير معرفة الله وحبه وليكن التوجه الى الله والانس به غاية همك اذ العاقل انما يميل ويشتاق الى ما هو الاشرف
الاكمل وليس فيه باحسن ما هو احسن وانفع ولا ريب في ان اشرف الموجودات واكملها هو الله سبحانه بل هو الموجود الحقيقي والكمل الواقعي
وغيره من الموجودات والكمالات من لوازم فيضه ورشحات وجوده وفضله ولغاية ما يتصور من العلو والكمال والبهاء والجلال وان
معرفته وحبه احسن الاشياء وانفعها كل احد لانها الباعثة للسعادة الابدية والبهجة الدائمة فلا ينبغي للعاقل ان يترك ذلك
اشتغالا بفضول الدنيا وحسابها بل يلزم عليه ان يترك جميعها على انه يجاهد نفسه الشريفة عن عنالها ويتوجه بكليته
الى جناب ربه ولم يكن نوحه وابتهاله الا بانسه وحبه **فصل** ضد الخوف المذموم هو اطمينان القلب في الامور المكروهة ولا ريب
في كونه فضيلة لو كان اذ قوة القلب وعدم اضطرابه الحكم العقل بعدم الخدعة صفة كمال ونقصه نقص ورذيلة واما الخوف
الممدوح فضده الامن من مكر الله وهو من المهلكات وقد ورد به الذم في الآيات والاخبار قال الله سبحانه ولا يامن مكر الله الا القوم
الخاسرون وقد ثبت بالتواتر ان الملائكة والانبياء كانوا خائفين من مكره كما روي انه لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق جبرئيل وميكائيل يبكيان
فاوحى الله اليهما ما لكما تبكيان فقالا يا رب لا نامن مكرك فقال الله هكذا كونا لا تامنا مكري وروي ان النبي ص وجبرئيل صا بكيا من
خوف الله تعالى فاوحى الله اليهما لم تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يامن من مكرك فكانهما لما علما ان يكون قوله قد امنتكما ابتلاء لهما
امتحانا حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا المكر وما وفيا بقولهما كما ان ابراهيم ع لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله وكان هذا لمقتضي
القول منه من الدعاوي العظيمة فامتحن وعورض بجبرئيل في الهواء حتى قال الك حاجة قال اما اليك فلا وكان ذلك وفاء

قوله فاجره الله

قوله فاجره الله تعهده وقال ابراهيم الذي وفى بالجملة ينبغي للمؤمن ان لا يامن من مكره كما لم يامن منه الملائكة والانبياء وان يكون
خائفا منه دائما **تتميم** الرجاء ارتياح القلب لانتظار المحبوب وهو يلازم الخوف اذ الخوف كما عرفت عبارة عن التألم من توقع مكروه ممكن
الحصول وما يمكن حصوله يمكن عدم حصوله ايضا فما كان حصوله مكروها كان عدم حصوله محبوبا فكما انه يتألم بتوقع حصوله يرتاح بتوقع
عدم حصوله ايضا فالخوف عن شيء وجودا يلزم الرجاء عدما وعدما يلزم الرجاء وجودا وقس عليه استلزام الرجاء للخوف فهما متلازمان
وان امكن غلبة احدهما نظرا الى كثرة حصول اسبابه وان يتفق الغفلة عن احدهما لم يكن انتظاره من فاحدهما بل سمي انتظار مكروه
او انتظار محبوب ثم كان الخوف من متعلقات قوة الغضب وان الممدوح منه من فضائلها لكونه مقتضى العقل والشرع وباعثا
للعمل من حيث الرهبة فكذا الرجاء متعلق بها ومن فضائلها لكونه مقتضاهما وباعثا للعمل من حيث الرغبة الا ان الخوف لترتبه
على ضعف القلب يكون اقرب الى طرف التفريط والرجاء لترتبه على قوته يكون اقرب الى طرف الافراط وان كان كلاهما ممدوحين ثم
لا بد ان تحصل اكثر اسباب حصول المحبوب حتى تصدق اسم الرجاء على انتظاره كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا في ارض طيبة يصلها
الماء واما انتظار ما لم تحصل شيء من اسبابه فيسمى غرورا وحماقة كتوقع من القى بذرا في ارض سبخة لا يصلها الماء وانتظار ما كان اسبابه مشكوكة
يسمى تمنيا كما اذا اصلح الارض ولا ماء وتفصيل ذلك ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر والطاعات هي الماء
الذي يسقى به الارض وتطهير القلب من المعاصي والاخلاق الذميمة بمنزلة تنقية الارض من الشوك والحجارة والنباتات الخبيثة و
يوم القيمة هو وقت الحصاد فينبغي ان يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع الثمرة فكما ان من القى البذر في ارض
طيبة وساق اليها الماء في وقته ونقاها الشوك والحجارة وبذل جهده في قلع النباتات الخبيثة المفسدة للزرع ثم جلس منتظر
كرم الله ولطفه مؤملا التحصيل له وقت الحصاد مائة قفيز مثلا سمي انتظاره رجاء محمودا فكذلك العبد اذا طهر ارض قلبه من شوك
الاخلاق الردية وبث فيه بذر الايمان بماء الطاعات ثم انتظر من فضل الله تثبيته الى الموت وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة
كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه وكما ان من تغافل عن الزراعة واشتغل بالراحة طول السنة او القى البذر في ارض سبخة
مرتفعة لا ينصب اليها الماء ولم يشتغل بتعهد البذر واصلاح الارض من النباتات المفسدة للزرع ثم جلس منتظرا الى ان ينبت
له زرع للحصيد يسمى انتظاره حمقا وغرورا فكل من لم يبذر الايمان في ارض قلبه او القاه فيه مع كونه مشحونا برذائل الاخلاق منهمكا
في خسائس الشهوات واللذات ولم يسق اليها ماء الطاعات ثم انتظر المغفرة كان انتظاره حمقا وغرورا وكما ان من بث البذر في ارض
طيبة لا ماء لها وجلس منتظرا مياه الامطار حيث لا يغلب وان لم يمتنع ايضا سمي انتظاره تمنيا كل من القى بذر الايمان في ارض قلبه
ولكنه لم يسق اليه ماء الطاعات وانتظر المغفرة بلطفه وفضله كان انتظاره تمنيا فاذن اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت
جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات
فالاحاديث الواردة في الترغيب على الرجاء وفي سعة عفو الله وجزيل رحمته ووفور مغفرته انما هي مخصوصة بمن يرجو الرحمة والغفران
بالعمل الخالص المعد لحصولهما وترك الانهماك في المعاصي المفوت لهذا الاستعداد فاحذر ان يغرك الشيطان ويثبطك عن العمل
ويقنعك بمحض الرجاء والامل وانظر الى حال الانبياء والاولياء واجتهادهم في الطاعات وصرفهم العمر في العبادة ليلا ونهارا اما كانوا
يرجون عفو الله ورحمته بلى والله انهم كانوا اعلم بسعة رحمته وارجى لها منك ومن كل احد ولكن علموا ان رجاء الرحمة من
غير عمل غرور محض وسفاهة صرفة فصرفوا في العبادات اعمارهم وقصروا على الطاعات لياليهم ونهارهم ونحن نشير اولا الى بعض ما ورد في
الرجاء من الآيات والاخبار ثم نورد بعد ما يدل على انه لا معنى للرجاء بدون العمل ليعلم ان اطلاق الظواهر محمولة على التلك فنقول

الواردة في الرجاء اكثر من ان يحصى وهي على اقسام الاول ما ورد في النهي عن القنوط واليأس من رحمة الله كقوله تع يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقول علي ع لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم
من ذنوبك وما روي انه ص لما قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم وتجأرون
الى ربكم هبط جبرئيل فقال ان ربك يقول لم تقنط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وما ورد ان رجلا من بني اسرائيل
كان يقنط الناس ويشدد فيقول الله له يوم القيمة اليوم أويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها الثاني ما ورد في الترغيب
على خصوص الرجاء وكونه سبب النجاة كما ورد في اخبار يعقوب من انه تع اوحى اليه اتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لقولك
اني اخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجني ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظي وقول امير المؤمنين ع
لرجل قال له عند النزع اجدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي ما اجتمعا في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجى منه وآمنه مما يخاف
وقول النبي ص ان الله تع يقول للعبد يوم القيمة ما منعك اذ رأيت المنكر ان تنكره فان لقنه الله حجته قال يا رب رجوتك وخفت
الناس فيقول الله قد غفرت لك وما روي عنه ص ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله
لجبرئيل اذهب فأتني بعبدي فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله كيف وجدت مكانك فيقول شر مكان فيقال رده الى مكانه
قال فيمشي ويلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت ان لا تعيدني فيها اذ اخرجتني منها فيقول
الله اذهبوا به الى الجنة وقوله ص قال الله تع لا يتكل العاملون على اعمالهم التي يعملونها لثوابي فانهم لو اجتهدوا واتعبوا انفسهم
اعمارهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات
العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا والى حسن الظن بي فليطمئنوا فان رحمتي عند ذلك تدركهم ومني يبلغهم
رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فاني انا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت وعن ابي جعفر ع قال وجدنا في كتاب علي ان رسول الله ص
قال وهو على منبره والذي لا اله الا هو ما اعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة الا بحسن ظنه بالله ورجائه وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين
والذي لا اله الا هو لا يعذب الله مؤمنا بعد التوبة والاستغفار الا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين
والذي لا اله الا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله الا كان الله عند ظن عبده المؤمن لان الله كريم بيده الخيرات يستحيي ان يكون عبده المؤمن
قد احسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه فاحسنوا بالله الظن وارغبوا اليه الثالث ما ورد في استغفار الملائكة والانبياء للمؤمنين كقوله تع
والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقوله ص حيوتي خير لكم ومماتي خير لكم اما حيوتي فاسن لكم السنن واشرع الشرائع
واما موتي فان اعمالكم تعرض علي فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله لكم الرابع ما ورد في تأجيل المذنب
الى ان يستغفر كقول الباقر ع ان العبد اذا اذنب اجل من غدوة الى الليل فان استغفر لم يكتب عليه وقوله ص من عمل سيئة اجل
تسع ساعات من النهار فان قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه ثلث مرات لم يكتب عليه الخامس ما ورد في شفاعة
النبي ص كقوله تع ولسوف يعطيك ربك فترضى وقد ورد في تفسيره انه لا يرضى محمد وواحد من امته في النار وقوله ص ادخرت شفاعتي
لاهل الكبائر من امتي وكذا ما ورد في شفاعة الائمة المؤمنين السادس ما ورد من البشارات للشيعة ومن عدم خلودهم في النار
ومن احب النبي والعترة الطاهرة ينجيهم من العذاب وان فعلوا ما فعلوا السابع ما دل على ان النار انما اعدها الله لاعدائه من الكفار
وانما يخوف بها اولياءه كقوله تع لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده وقوله اتقوا النار التي اعدت للكافرين
وقوله لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى الثامن ما ورد في سعة عفو الله ومغفرته وعفوه ورحمته ورأفته كقوله وان

وربك لذو مغفرة

وربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وما روي في تفسير قوله تع يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ان الله اوحى الى نبيه اني اجعل
حساب امتك اليك فقال لا يا رب انت خير لهم مني فقال اذن لا اخزيك فيهم وما روي انه ص قال يوما يا كريم العفو فقال جبرئيل تدري
ما تفسير يا كريم العفو هو انه يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه وما ورد ان العبد اذا اذنب فاستغفر يقول الله للملائكة
انظروا الى عبدي هذا اذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب اشهدكم اني قد غفرت له وما ورد في الخبر القدسي اني
خلقت الخلق ليربحوا علي ولم اخلقهم لاربح عليهم وما ورد من انه لو لم يذنبوا لخلق الله تع خلقا يذنبون ليغفر لهم وقوله ص والذي
نفسي بيده لله ارحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيقة بولدها وما ورد انه سبحانه ليغفر يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط
على قلب احد حتى ان ابليس يتطاول لها رجاء ان يصيبه والآيات والاخبار الواردة في هذا المعنى متجاوزة عن حد التواتر التاسع ما دل
على ان ابتلاء المؤمن في الدنيا بالبلايا والامراض كفارة لذنوبه كقوله ص الحمى من فيح جهنم وهي حظ المؤمن من النار العاشر ما ورد
في ان الايمان لا يضر معه عمل كما ان الكفر لا ينفع معه عمل وانه تع قد يغفر الله عبدا ويدخله الجنة لاجل مثقال ذرة من الاعمال الصالحة — من الايمان او عمل ج ح ص
الحادي عشر ما ورد في الترغيب على حسن الظن بالله كقوله ص لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله وقوله ص يقول الله انا عند ظن عبدي
بي فليظن بي ما شاء وقول الرضا ع احسن الظن بالله فانه يقول انا عند ظن عبدي بي ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا وقول الصادق ع حسن الظن بالله ان
لا ترجو الا الله ولا تخاف الا ذنبك وقد تقدم بعض اخبار اخر في هذا المعنى ثم ايجاب حسن الظن للرجاء وجلبه له حال لا يخفى الثاني عشر
ما دل على ان الكفار او النصاب يكونون يوم القيمة فداء للمؤمنين او الشيعة كما روي انه ص قال امتي امة مرحومة لا عذاب عليها في
الآخرة وجعل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيمة دفع الى كل رجل من امتي رجل من اهل الكتاب فقيل هذا فداؤك من
النار وعن اهل البيت ع ان النصاب يجعلون فداء لشيعتنا بظلمهم اياهم ووقيعتهم فيهم وعن الصادق ع سيؤتى بالواحد من مقصري
شيعتنا في اعماله بعد ان صان الولاية والتقية وحقوق اخوانه ويوقف بازائه ما بين مائة واكثر من ذلك الى مائة الف من النصاب فيقال
له هؤلاء فداؤك من النار فيدخل هؤلاء المؤمنون الى الجنة واولئك النصاب الى النار وذلك ما قال الله تع ربما يود الذين كفروا
لو كانوا مسلمين في الدنيا منقادين للامامة ليجعل مخالفوهم من النار فداءهم واما الثاني اعني ما يدل على ان الرجاء المغفرة والعفو والرحمة
بعد العمل فاكثر من ان يحصى كقوله تع ان الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله وقوله تع فخلف من بعدهم
خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقول النبي ص الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت
والاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على الله وما روي عن الصادق ع انه قيل له قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو فلا يزالون كذلك حتى
يأتيهم الموت فقال هؤلاء يترجحون في الاماني كذبوا ليسوا براجين ان من رجا شيئا طلبه ومن خاف من شيء هرب منه وعن علي بن محمد
قال قلت له ان قوما من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون نرجو فقال كذبوا ليسوا لنا بموال اولئك قوم ترجحت بهم الاماني من رجا
شيئا عمل له ومن خاف من شيء هرب منه وقال لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون خائفا راجيا ولا يكون خائفا راجيا حتى يكون عاملا لما يخاف

في فضيلة الخوف والرجاء

ويرجو فصل قد عرفت ان الخوف والرجاء محمودان لكونهما باعثين على العمل ودوائين تداوي بهما امراض القلوب ففضل كل منهما
هو بحسب ما يترتب عليه من فائدة العمل ومعالجة المرض وهذا يختلف باختلاف الاشخاص فمن كان تأثير الخوف في بعثه على العمل اكثر
من تأثير الرجاء فيه فالخوف له اصلح من الرجاء ومن كان بالعكس فبالعكس ومن غلب عليه حسن الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف له
اصلح من الرجاء ومن غلب عليه اليأس والقنوط فالرجاء له اصلح ومن انهمك في المعاصي فالخوف له اصلح ومن ترك ظاهر الاثم وباطنه وخفيه
وجليه فالاصلح له ان يعتدل خوفه ورجاؤه والوجه في ذلك ان كلا منهما دواء مقصود وفضله انما يظهر بالاضافة الى المقصود لا

الى نفسه فلو فرض تساويهما في البعث على العمل ولم يغلب شيء من المذكورات فالاصلح اعتدالهما كما قال امير المؤمنين عليه السلام لبعض ولده يا بني
خف الله خوفا ترى انك ان اتيته بحسنات اهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء كانك لو اتيته بسيئات اهل الارض غفرها
لك وقال الباقر عليه السلام ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا وقد جمع الله سبحانه بينهما في وصف
من اثنى عليهم فقال يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال يدعوننا رغبا ورهبا وعن الحارث بن المغيرة قال قلت للصادق عليه السلام ما كان في وصية
لقمان قال كان فيها الاعاجيب وكان اعجب ما كان فيها ان قال لابنه خف الله خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك وارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين
لرحمك ثم قال عليه السلام كان ابي يقول انه ليس من عبد مؤمن الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا لم يزد على هذا وقال
الخوف رقيب القلب والرجاء شفيع النفس ومن كان بالله عارفا كان من الله خائفا واليه راجيا وهما جناحا الايمان يطير بهما العبد المحقق
الى رضوان الله وعينا عقله يبصر بهما الى وعد الله ووعيده والخوف طالع عدل الله واتقاء وعيده والرجاء داعي فضل الله و
هو يحيي القلب والخوف يميت النفس ومن عبد الله على ميزان الخوف والرجاء لا يضل ويصل الى مأموله وكيف لا يخاف العبد وهو غير عالم
بما هو يختم صحيفته ولا له عمل يتوسل به استحقاقا ولا قدرة له على شيء ولا مفر وكيف لا يرجو وهو يعرف نفسه بالعجز وهو غريق
في بحر الاء الله ونعمائه من حيث لا تحصى ولا تعد والمحب يعبد ربه على الرجاء بمشاهدة احواله بعين سهر والزاهد يعبد ربه على الخوف
وقد ظهر مما ذكر ان الرجاء افضل واصلح في موضعين احدهما في حق من يقتر نفسه من فضائل الاعمال ويقتصر على الفرائض فكان
الرجاء باعثا له على التشمير والنشاط للطاعات فانه اذا نظر ينبغي ان يرجي نفسه نعم الله وما وعد الله به الصالحين في العليين حتى ينبعث من رجائه نشاط
العبادة وثانيهما في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له خاطر التوبة فيقنطه الشيطان من رحمة الله ويقول كيف تقبل التوبة من مثلك
فهذا يجب عليه ان يقمع قنوطه بالرجاء ويتذكر ما ورد فيه كقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وقوله واني لغفار لمن تاب ويتوب ويتوقع المغفرة
مع التوبة لا بدونها اذ لو توقع المغفرة مع الاصرار لكان مغرورا والرجاء الاول يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمير والثاني يقطع القنوط
المانع من التوبة **فصل** لا تعلم ان الرجاء اعلى من الخوف لان اوثق العباد اصحهم اليه والحب يغلب بالرجاء ولتعتبر ذلك بملكين يخدم احدهما
خوفا من عقابه والاخر رجاء لعطائه ولذا ورد في الشرع ساق اما بالظن السوء بالله فقال وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم وقال وظننتم ظن السوء
وكنتم قوما بورا وحث على الرجاء وحسن الظن بما ورد كما تقدم وفي الخبر ان الله اوحى الى داود احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب
كيف احببك الى خلقك قال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الائي واحساني وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني الا الجميل ورأى بعض الاكابر في النوم
وكان يكثر ذكر ابواب الرجاء فقال اوقفني الله بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك فقلت اردت ان احببك الى خلقك فقال قد
غفرت لك هذا مع ان الرجاء افضل من الخوف للعبد بالنظر الى مطلعهما اذ الرجاء مستقى من بحر الرحمة والخوف مستقى من بحر الغضب ومن لاحظ من
صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام واما الخوف فمستند الى الالتفات الى الصفات التي تقتضي الغضب فلا يمازج
المحبة كما زجته الرجاء نعم لما كان المعاصي والاغترار على الخلق اغلب سيما على الموجودين في هذا الزمان فالاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا
يخرجهم الى اليأس وقطع العمل بل يحثهم على العمل ويكدر شهواتهم ويزعج قلوبهم عن الركون الى دار الغرور ويدعوهم الى التجافي عن عالم الزور
اذ مع غلبة المعاصي على الطاعات ينبغي اصلحية الخوف سيما مع ان الافات الخفية من الشرك الخفي والنفاق والرياء وغير ذلك من خفايا الاخلاق
الخبيثة في اكثر الناس موجودة ومحبة الشهوات والحطام الدنيوية في بواطنهم كامنة واهوال سكرات الموت واضطراب الاعتقاد عنده
ممكنة وصعوبات الحساب وورود احوالهم الصالحة لاسباب خفية محتملة فمن عرف حقائق هذه الاحوال كان ضعيف القلب جبانا نفسه
غلب خوفه على رجائه وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه واما ان يغلب رجاؤه فلا بل غلبته انما هو من الاغترار

فعلم انه وان كان في غالب الناس بل الاصلح لهم غلبة الخوف ولكن قبل الاشراف على الموت واما عنده فالاصلح غلبة الرجاء وحسن الظن
لان الخوف جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد انقضى وقته وهو لا يطيق هناك اسباب الخوف فانها يقطع نياط قلبه ويعين على تعجيل موته
واما روح الرجاء فيقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه وينبغي ان لا يفارق احد الدنيا الا محبا لله ليكون محبا للقائه ومن احب لقاء
الله احب الله لقاءه ومن احب الله ولقاءه وعلم انه تعالى ايضا احب لقاءه اشتاق اليه فيعظم فرحانا بالقدوم عليه اذ من قدم على محبوبه
عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبا اشتد عليه اذاه ومحنته فمهما كان الغالب على القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال وكانت
محابه كلها في الدنيا كانت الدنيا جنته اذ الجنة هي البقعة الجامعة لجميع المحاب فكان موته خروجا عن الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه
وهذا اول ما يلقاه كل محب للدنيا فضلا عما اعده الله له من ضروب الخزي والنكال والسلاسل والاغلال واما اذا لم يكن له محبوب
سوى الله وسوى معرفته وذكره وانسه فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا اذن سجنه اذ السجن هي البقعة المانعة
عن الوصول الى محابه فموته له خلاص من السجن وقدوم على المحبوب ولا يخفى حال من خلص من السجن وخلي بينه وبين محبوبه
وهذا اول ابتهاج يلقاه من كان محبا لله سبحانه عند الموت فضلا عما اعده الله له مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر **فصل** قد عرفت ان المحتاج الى تحصيل دواء الرجاء من غلب عليه اليأس فترك العبادة او غلب عليه الخوف فاسرف
في مواظبة العبادة حتى اضر بنفسه واهله واما المنهمكون في طغيان الذنوب والمغرورون بما هم فيه من الفساد والمعاصي فكانت ادوية الرجاء بالنسبة
اليهم سموم مهلكة اذ لا يزداد بسماعهم لها الا تماديا في طغيانهم واستمرارا في فسادهم وعصيانهم فواعظ الخلق ينبغي ان يعرف امراضهم
وينظر الى مواقع عللهم ويعالج كل علة بما يضادها لا بما يزيدها ففي مثل هذا الزمان لا ينبغي ان يذكر بواعث الرجاء بل يبالغ في ذكر اسباب
الخوف لئلا يهلكهم ويرديهم بالكلية ولا يقصد بموعظته استمالة القلوب وتوقع الثناء من الناس فيميل الى الترغيب في الرجاء لكونه
اخف على القلوب والذ عند القلوب والنفوس فيهلك ويهلكهم ويضل ويضلهم وبالجملة الطريق الى تحصيل الرجاء لمن يحتاج اليه ان يتذكر
الآيات والاخبار المتواترة الواردة فيه وفي سعة رحمته ووفور عفوه ورأفته كما تقدم شطر منها ثم يتأمل في لطائف نعمائه و
عجائب الائه لعباده في دار الدنيا من اعطائهم كل ما هو ضروري لهم في دوام الوجود بل لم يترك لهم شيئا مما يحتاجون اليه نادرا وتفوت
بفقده ما هو الاصلح الاولى لهم من الزينة والجمال فاذا لم يقصر العناية الالهية عن عباده في جميع ما يجب ويحسن لهم من اللطف والاحسان
في دار الدنيا مع حقيقة دار البلية والمحنة لا دار النعم والراحة ولم يرض ان يفوتهم فيها شيء من المزايا والزيادات في الحاجة والزينة فكيف
يرضى في دار الاخرة التي هي دار الفيض والجود بسياقتهم الى الهلاك المؤبد والعذاب المخلد مع انه تعالى اخبر بان رحمته سابقة على غضبه
واقوى ما يجلب به الرجاء ان يعلم ان الله سبحانه خير محض لا شرية فيها اصلا وفياض على الاطلاق وانما اوجد الخلق لافاضة الجود
والاحسان عليهم فلا بد ان يرحمهم ولا يعذبهم في الزجر الدائم نظم از خير محض جز نكويي نايد خوش باش كه عاقبت نكو خواهد شد
ومنها صغر النفس وهو ملكة العجز عن تحمل الواردات وهو من نتائج الجبن ومن خبائث الصفات ويلزمه الذلة والمهانة وعدم
الاقدام في معالي الامور والمسامحة في النهي عن المنكر والامر بالمعروف والاضطراب بعروض ادنى شيء من البلايا والمخاوف وقد
ورد الاخبار بان المؤمن بريء من ذلة النفس قال الصادق عليه السلام ان الله عز وجل فوض الى المؤمن اموره كلها ولم يفوض اليه ان يكون ذليلا
اما تسمع الله يقول ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فالمؤمن يكون عزيزا ولا يكون ذليلا ان المؤمن اعز من الجبل الجبل يستقل منه
بالمعاول والمؤمن لا يستقل من دينه شيء وقال ان الله فوض الى المؤمن كل شيء الا اذلال نفسه وقد عرفت بعض اضداده
وعلاجه ما تقدم في معالجة الجبن **وصل** وضده كبر النفس وصلابتها وقد عرفت انه ملكة التحمل لما يرد عليه كائنا ما كان وقد دلت

وصل

الاحيان على ان المؤمن ذو صلابة وعزة وحماية فكل ذلك فرع كبر النفس قال الباقر عم المؤمن اصلب من الجبل وقال عم ان الله اعطى المؤمن ثلث خصال العز في الدنيا والاخرة والفلج في الدنيا والاخرة والمهابة في صدور الظالمين وصاحب هذه الملكة لا يبالي بالكرامة والهوان ويتساوى عنده الفقر واليسار والغنى والاعسار بل الصحة والمرض والمدح والذم فلا يتأثر ولا يتغير بتقلب الدهر وتبدل الاحوال وهي ملكة شريفة ليست شرعة لكل وارد ولا يصل اليها الا واحد بعد واحد بل المعلوم حولها الا اوحديه من افاضل الحكماء اذ المعنى فتوى القلب من اماثل العرفاء وطريق تحصيلها بعد تذكر شرافتها ان يتكلف المواظبة على اثارها والاجتناب عما ينافيها حتى تحصل بالتدريج

تتميم قد عرفت ان الثبات اخص من كبر النفس فهو ملكة التحمل على المحن في الاهوال وقوة المقاومة مع الشدائد والالام بحيث لا يعتريه الانكسار وان فادحت وكثرت وضده الاضطراب في الاهوال والشدائد ومن جملة الثبات الثبات في الايمان وهو اطمينان النفس في عقائدها بحيث لا يتزلزل فيها بالشبهات قال الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وهذا الاطمينان من شرائط كسب الكمال وفضائل الاعمال اذ ما لم يستقر النفس على معتقد اطرافي المبدء والمعاد لم يحصل لها العزم البالغ على تحصيل ما يتوقف فائدته عليها ممن لم يحصل له هذا الثبات للجبلة ثابتا ومواظبا على شيء من الاعمال الفاضلة بل هو كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران المتقصعة ملان الجهاد انما هو غير متوق وعدم هذا الثبات لعدم البصيرة الباطنة او الضعف في النفس فوجوده تحصيل من المعرفة وقوة النفس فهو من فضائل العاقلة وقوة الغضب وعدمه من رذائلهما او كليهما وصغر الهمة وهو قصور النفس عن طلب معالي الامور وقناعتها بادانيها وهو من نتائج ضعف النفس وصغرها وضده علو الهمة وهو ملكة السعي في تحصيل السعادة والكمال وطلب معالي الامور من دون ملاحظة منافع الدنيا ومضارها حتى لا يعتريه السرور بالوجدان ولا الحزن بالفقدان بل لا يبالي في طريق الطلب بالموت والقتل واشكالهما وصاحب هذه الملكة هو المؤمن الحقيقي المشتاق للموت والموت تحفة واعظم سرور يصل اليه كما ورد في الخبر وهو الذي يقول ان مريم كرعدم بيم ابدو كان نيم مرا خوشتر از اين نيم ايد جان است تعالى مرا داد خدا تسليم كنم جو حقت تسليم ايد ويقول خرلد اكو جرواست كوند مناى تادوا اغو شش دادم تنك تنك اموى من از وعم ستانم جاودان او ذمه لعن ستاند ننك ننك ويقول اين جان عاريت كه بحافظ سپرده دوست روزي رخش بينم و به بينم وتسليم وى كنم فهذه الملكة من نتائج كبر النفس وبجامعها ادعى اعظم الفضائل النفسانية اذ كل من وصل الى المراتب العظيمة والامور العالية فانما وصل اليها لاجلها اذ صاحبها لا يرضى بالمراتب الدنية ويهتم لتحصيل المراتب العالية والامور المتعالية وفي جوهر الانسان وجبلته ان يصل الى كل ما اجتهد في طلبه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا من طلب شيئا وجد وجد ومن علو الهمة الشهامة وهو الحرص على اقتناء عظائم الامور توقعا للجميل الذكر على مر الدهور ومنها عدم الغيرة والحمية وهو الاهمال في محافظة ما يلزم محافظته من الدين والعرض والاولاد والاموال وهو من نتائج صغر النفس وضعفها ومن المهلكات العظيمة وربما تأدى الى الدياثة والقيادة قال رسول الله ص اذا لم يغر الرجل فهو منكوس القلب وقال ص اذا اغير الرجل في اهله او بعض مناكحه من مملوكه فلم يغر بعث الله طائرا يقال له القفندر حتى يسقط على عارضة باب ثم يمهله اربعين يوما ثم يهتف به ان الله غيور يحب كل غيور فان هو غار وغير وانكر ذلك فانكره والا طار حتى يسقط على راسه فيخفق بجناحيه على عينيه ثم يطير عنه فينزع الله منه بعد ذلك روح الايمان وتسميه الملائكة الديوث وقال ص كان ابراهيم غيورا وانا اغير منه وجدع الله انف من لا يغار من المؤمنين والمسلمين وقال امير المؤمنين يا اهل العراق نبئت ان نسائكم يدافعن الرجال في الطريق اما تستحيون وقال ع لا تغارون ان يخرجن الى الاسواق ويزاحمن العلوج

وصل الغيرة والحمية هو الاهتمام والسعي في محافظة من نتائج الشجاعة وكبر النفس وقوتها وهي

من شرائف الملكات وبها يتحقق الرجولية والخالي عنها فاقد لها غير معدود من الرجال قال رسول الله ان سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وقال ص ان الله لغيور ولاجل غيرته حرم الفواحش وقال ص ان الله يغار والمؤمن يغار وغيرة الله ان ياتي الرجل المؤمن ما حرم الله عليه وقال الصادق ع ان الله تبارك وتعالى غيور يحب الغيرة ولغيرته حرم الفواحش ظاهرها وباطنها

فصل مقتضى الغيرة والحمية في الدين ان يجتهد في حفظه عن بدع المبتدعين وانتحال المبطلين وقصاص المرتدين واهانة من يستخف به من المخالفين ودفع شبه الجاحدين ويسعى في ترويجه ونشر احكامه ويبالغ في تبيين حلاله وحرامه ولا يسامح في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقتضى الغيرة في الحرم ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي يخشى غوائلها فيحفظهن عن اجانب الرجال ويمنعهن عن الدخول في الاسواق قال رسول الله ص لفاطمة ع اي شيء خير للمرأة قالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض وكان اصحاب النبي ص يسدون الثقب والكوة في الحيطان لئلا تطلع النساء على الرجال وقال ص من اطاع امرأته اكبه الله على وجهه في النار قيل وما تلك الطاعة قال تطلب منه الذهاب الى الحمامات والعرسات والعيدات والنياحات والثياب الرقاق وما ورد من انه ص اذن النساء في حضور المساجد وقال لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فالظاهر انه كان مختصا بعصره ص لعلمه بعدم ترتب فساد على حضورهن فيها والصواب اليوم ان يمنعن من حضور المساجد والذهاب الى المشاهد الا العجائز منهن للقطع بترتب الفساد والمعصية على خروج نساء هذا العصر الى اي موضع كان وقد استنبط ذلك في زمن الصحابة ايضا وقالوا لو علم رسول الله ص ما احدث النساء بعده لمنعهن من الخروج وسئل الصادق ع عن خروج النساء في العيدين فقال لا الا عجوز عليها منقلاها وفي رواية اخرى انه سئل عن خروج النساء في العيدين والجمعة فقال لا الا امرأة مسنة وبالجملة من اطلع على احوال النساء امثال عصرنا يعلم ان مقتضى الغيرة ان يبالغ في حفظهن عن جميع ما يحتمل ان يؤدي الى فتنة وفساد سواء كان في نفسه محرما كالنظر الى الرجال الاجانب واستماع كلامهم بلا ضرورة شرعية وارتكاب الملاهي المحرمة او لا كالخروج من البيت بلا داع شرعي او ضرورة ولو الى المساجد والمشاهد المشرفة ومجامع تعزية مولانا ابي عبد الله الحسين ع وذلك وان كان في نفسه مباحا الا ان الغالب ... عليها غلبة العزة والحمية على ما هو المشاهد في عصرنا ان اقل ما في الباب انه لا ينفك عن نظرهن الى الاجانب واستماع كلامهم بل عن نظرهم اليهن واستماع كلامهن وهذا خروج للطرفين الى الخارج عن قانون العفة مع انا نعلم قطعا ان خروج اكثرهن لا يخلو عن غرض فاسد او مرجوح وما اقل منهن ان يكون خروجها الى احد المواضع المذكورة لمحض القربة والثواب فالصواب ان يمنعن في امثال هذا العصر عن مطلق الخروج الا الى ما يجب كالحج او الى بيت عالم لعدم اخذ ما يجب عليهن من المسائل اذا لم يتمكن ازواجهن من اخذها وايصالها اليهن نعم لو فرض خروجها الى احد المشاهد او الى مجمع تعزية من مجامع المسائل الى مجمع العرس مع حضور الزوج معها وتيقن بعدم حدوث ما ينافي الغيرة وعدم ترتب فساد ومعصية عليه فالظاهر جواز الاذن بل رجحانه وجميع ذلك انما هو في الشواب من النساء واما العجائز فلا باس بخروجهن الى المواضع المذكورة ومقتضى الغيرة ان يمنعن من استماع الات الملاهي والحكايات المهيجة للشهوة ومن مجالسة العجائز التي يحكين حكايات الرجال فينقلن حكاياتهم لانهن ناقصات العقل والايمان ومع ذلك شهوتهن في غاية القوة والغلبة فاستماعهن شيئا من المذكورات يوجب تولد الشهوة وهيجانها فيهن فلما لم يكن فيهن قاهر العقل ومانع الايمان فربما ادى ذلك الى فساد عظيم ولذلك ورد في الاخبار منعهن عن تعلم سورة يوسف اذ استماعهن امثال القصة المذكورة يفضي بهن الى الخروج عن طريق العفة قال امير المؤمنين ع لا تعلموا نساءكم سورة يوسف ولا تقرؤهن اياها فان فيها الفتن وعلموهن سورة النور فان فيها المواعظ وقال ع لا تحملوا الفروج على السروج فتهيجوهن للفجور وقال رسول الله ص لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور وبالجملة مقتضى العقل والنقل ان يمنعن عن جميع ما يمكن ان يؤدي الى فساد ومعصية وعن مبادي الامور التي يخاف غوائلها وينبغي لصاحب الغيرة ان يجعل نفسه مهيبا في نظرها حتى

يكون منها على وجه صد ولا تطمئن منه فيتبع هواها وما يقتضيه جبلتها وان تطبعها مشغولة في كل وقت بامر من الامور كتدبير
المنزل واصلاح امر المعيشة او بكسب من المكاسب حتى يكون لها دائما شغل شاغل والا يكون فارغة عنه في وقت من الاوقات اذ
تحول حلتها من الاشغال العطلات من الحالات او بعضها الشيطان في اهدية الافكار الردية فتميل الى الزينة والخروج والتفرج والنظر الى
اجانب الرجال والملاعبة والمضاحكة للعشوات فيجر امرها الى الفساد وينبغي ايضا لصاحب الغيرة ان يعطي امرة ما يحتاج اليه من
القوت واللباس وسائر الضروريات حتى لا تضطر الى ارتكاب ما لا ينبغي من الحركات والافعال توسلا الى تحصيل شيء من ذلك من غير وجها
ثم ينبغي ان لا يوقع الغيرة على طرف الافراط بالمبالغة في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتتبع
عورات النساء او ان يعنتهن وفي الخبر المشهور ان المرأة كالضلع ان اردت ان تقيمه كسرته فدعه تستمتع به على عوج وقال عليه السلام
من الغيرة غيرة يبغضها الله ورسوله وهي غيرة الرجل على اهله من غير ريبة وقال امير المؤمنين عليه السلام لا تكثر الغيرة على اهلك فترمى
بالسوء من اجلك وقال في رسالته الى الحسن عليه السلام اياك والتغاير في غير موضع الغيرة فان ذلك يدعو الصحيحة منهن الى السقم ولكن احكم امرهن
فان رأيت عيبا فعجل النكير على الصغير والكبير بان تعاتب منهن البريئة فتعظم الذنب وتهون العيب وبالجملة لا ينبغي المبالغة في الفحص
في التفتيش اذ لا ينفك ذلك عن سوء الظن الذي نهينا عنه فان بعض الظن اثم وما يقتضي الغيرة على الاولاد ان تراقبهم من اول امرهم
فاستعمل في حضانة كل مولود له او ارضاعه امرأة صالحة تأكل الحلال اذ الصبي الذي تكون اعضاؤه من اللبن الحاصل من غذاء
حرام يميل طبعه الى الخبائث لان طينته انعجنت من الخبث واذا بدت فيه مخائل التمييز فينبغي ان يؤدب بآداب الحياء والكمال
اول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يؤدب فيه بان يؤمر بان لا يأخذه الا بيمينه ويقول بسم الله عند اخذه ويأكل
مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام والى من يأكل ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يلطخ
يده ولا ثوبه ويقبح عنده كثرة الاكل بان يذم كثير الاكل ويشبه بالبهائم ويمدح الصبي الذي يقنع بالقليل ويحبب اليه الايثار بالطعام
وقلة المبالاة به والقناعة باي طعام اتفق ثم يؤدب بسوء امر اللباس بان يحبب اليه الثياب البيض دون الابريسم ويقرر عنده ان ذلك شأن النساء والمخنثين والرجال يستنكفون منه ويحفظ من الصبيان الذين
تعودوا التنعم والترفه والزينة ثم يؤدب في الاخلاق والافعال ويبالغ في ذلك لان الصبي اذا اهمل في اول نشوه خرج في الاكثر ردي
الاخلاق والافعال فيكون نكدا يا حسودا لجوجا عنودا سارقا خائنا ذا فضول ومفضول ويصير ماجنا مائلا الى الفسوق
والفجور فينبغي ان يحفظ من القرناء السوء وهو الاصل في تأديبه ويسلم الى معلم دين صالح ليعلم القرآن واحاديث الاخيار وحكايات
ليتغرس في نفسه حب الصالحين ويحفظ عن الاشعار التي فيها ذكر الفسق واهله اذ ذلك يغرس في قلبه بذر الفساد وينبغي
ان يتعود الصبر والسكوت اذا ضربه المعلم ولا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع باحد حينئذ ويذكر له ان ذلك دأب الرجال
وان كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي ان يؤذن بعد الفراغ من المكتب باللعب المباح الجميل حتى
يستريح من تعب الادب ولا يموت قلبه ولا ينقص ذكاؤه ويعلم محاسن الاخلاق والافعال ويجتنب عن خبائث الصفات ورذائل الاعمال
فيجتنب من الحسد والعداوة والجبن والجهل والعجب ويحذر من السرقة واكل الحرام والكذب والغيبة والخيانة والفحش واللعن
والسب ولغو الكلام وغير ذلك ويرغب الى الصبر والشكر والتوكل والرضا والشجاعة والسخاء والصدق والنصيحة وغيرها من محاسن
الاخلاق وفضائلها وامدح عنده الاخيار ويذم الاشرار حتى يصير الخير عنده محبوبا والشر عنده مبغوضا واذا بلغ من التمييز
يؤمر بالطهارة والصوم في بعض الايام من شهر رمضان ويعلم اصول العقايد وكل ما يحتاج اليه من حدود الشرع ومهما ظهر

منه خلق

منه خلق جميل او فعل محمود ينبغي ان يكرم عليه ويجازى لاجله بما يفرح به ويمدح بين اظهر الناس وان ظهر منه فعل قبيح مرة ولمرة ينبغي ان
يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يظهر له انه يتصور ان يتجاسر احد على مثله سيما اذا ستره الصبي واجتهد في اخفائه فان اظهار ذلك ربما
يفيده جسارة حتى لا يبالي بالمكاشفة بعد ذلك فان عاد ثانيا الى مثله فينبغي ان يعاتب عليه سرا ويعظم الامر فيه ويقال له اياك ان تطلع على
فعلك هذا احد فتفتضح عند الناس ولا يكثر العتاب عليه حتى يسقط وقع الكلام من قلبه ولا يكون الاب حافظا هيبته في الكلام معه وطرح
معه وينبغي للام ان تخوفه بالاب وينبغي ان يمنع من كل ما يفعله خفية فانه لا يخفيه الا وهو يعتقد انه قبيح فاذا ترك يعتاد فعل القبيح و
يعود الوقار والطمأنينة في المشي وسائر الحركات والافعال وعدم كشف اطرافه والتواضع والاكرام لكل من عاشره والتلطف معهم
في الكلام ويعلم طاعة الوالدين ومعلمه ومؤدبه وكل من هو اكبر سنا منه من قريب وبعيد ويعود النظر اليهم بعين التعظيم والجلالة
وترك اللعب بين ايديهم ويمنع من الافتخار على اقرانه بشيء مما يملكه نفسه او والداه ويمنع من اخذ شيء من الصبيان والرجال لكي يرغب ان
في العطاء والاخذ لوم وخسة ومهانة وذلة فان ذلك دأب الكلاب اذ هو يتبصبص في انتظار لقمة ويقبح عندهم حب الذهب والفضة
ويحذر منهما اكثر مما يحذر من الحيات والعقارب اذ آفة حبهما اكثر من آفة السموم وقد هلك لاجلها كل من هلك في العالم
ويعود ان يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتمطط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا على رجل ولا يضرب
كفه تحت ذقنه لانه دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس والحركة والسكون ويمنع من النوم في النهار ومن التنعم في المفرش والملبس والمطعم
بل يعود الخشونة فيها حتى يتصلب اعضاؤه ولا يستخف بل ينبه ويذكر له انها خلقت لدفع الضرر كالام والاجل الالذة وان الاطعمة
ادوية ليتقوى الانسان بها على عبادة الله وان الدنيا كلها لا اصل لها ولا بقاء لها وان الموت يقطع نعيمها والها دار ممر
لا دار مقر وان الاخرة هي دار القرار ومحل الراحة واللذات والكيس العاقل من تزود من الدنيا للاخرة وينبغي ان يمنع من كثرة
الكلام والكذب واليمين ولو كان صادقا ومن اللهو واللعب والسخرية وكثرة المزاح ومن ان يبتدئ بالكلام ويعود ان لا يتكلم
الا جوابا وبقدر السؤال وان يحسن الاستماع مهما تكلم غيره ممن هو اكبر سنا منه وان يقوم لمن هو اكبر منه ويوسع له المكان ويجلس
بين يديه فاذا تأدب بهذه الآداب في صغره وصار شريعته بلوغه كالراسخة فيكون نجيبا صالحا وان نشأ على خلاف ذلك حتى الف
اللعب والفحش والوقاحة والحرص على الطعام واللباس والزينة والتفاخر ولم يبلغ ذهبت النفس كتثبيت الجوهر كان وبالا
وصلاحا مما يوجب الفضيحة والعار فيجب على كل من الوالدين ان لا يسامح في تأديبه ولا يهمل حالة الصبي لانه امانة الله عنده وقلبه الطاهر جوهرة
في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم ومؤدب وان عود الشر واهمل شقي وهلك وكان الوزر في رقبة امه
او من كان قيما ووليا له ثم الصبية تؤدب بمثل ما مر الا فيما يتفاوت به الصبي والصبية فيستعمل ما هو يليق بها ويجب
السعي في جعلها ملازمة للبيت والحجاب والوقار والعفة والحياء وسائر الخصال التي ينبغي ان يتصف بها النساء ثم
ينبغي ان يتفرس من حال الصبي انه مستعد لاي علم وصناعة فيجعل مشتغلا بما يكتسبه ويمنع من اكتساب غيره لئلا يضيع عمره
ولا يترتب عليه فائدة اذ كل احد ليس مستعدا لكل صناعة ولولا استعداد الجميع بانشاء الصناعات واختلافهم في تفاوتهم في هذا
الاستعداد لتعوق قوام النوع وانتظام العالم عليه واما الغيرة فلا يحمل على المال لانه في البيت محفوظ لسرعة
فناء المال وعدم اعتناء العباد به اذ كل انسان ما دام في دار الدنيا محتاج في تحصيل الاخرة اليه يتوقف عليه اذ كسب العلم
والعمل موقوف على بقاء البدن وهو موقوف على بدل ما يتحلل عنه من الغذاء بما لا يتأتى عادة الا به فلكل عاقل ان يعتني بالمال
ويجتهد في حفظه وضبطه بعد تحصيله من المداخل الطيبة والمكاسب المحمودة ومقتضى السعي في حفظه المعبر عنه بالغيرة عليه انه لا يصرفه

نفيت سانح عن كل المحرم وقال الرسول صلى الله عليه وسلم
وايا فقال الاصلح الطاهر ...

في صرف ما لا يترتب عليه فائدة اخروية او دنيوية كانفاقه للزوار الفاجرة والمتصلفة او بذله على غير المستحقين بلا داع ديني او دنيوي او ما يه
او تمكينه الظلمة والسارقين واهل الخيانة من اخذه علانية او سرا او عدم مبالاته بتضييعه من غير ان يصل نفعه الى احد او اسرافه
في بذله او غير ذلك من المصارف التي ليست صالحة بحسب العقل والشرع ولا يعود اليه عوض في الاخرة والدنيا بل مقتضى الغيرة عليه
ان يصرف جميع امواله في حياته في المصارف التي يعود فائدتها الى نفسه ولا يترك شيئا منها لورثته الا الاخيار من اولاده اذ بقاؤهم
بمنزلة بقائه ويترتب على وجودهم مع حسن حالهم وعيشهم جميل الذكر وجزيل الثواب له بعد موته وكيف يرضى صاحب الغيرة ان
يترك ماله الذي اتعب في اكتسابه وافنى عمره في تحصيله ويحاسب عليه في عرصات القيمة لزوج امرأته ترفيها كله ويجامعها وغاية
هذه المرأة الخبيثة التي ليس لها حمية ووفاء ولها تطلع باهم من مقاربة الرجال ان ياكل الرجل صفو ماله ليتمتع على فراشه معها
وهذه مهنة لا يتحمل مثلها اهل الدياثة والقيادة فضلا عن صاحب الغيرة والحمية وقس على ذلك تخليف الاموال السائر اولاده
الذين لا يعرفون الحقوق وليسوا من اهل الخير والصلاح من الاولاد السوء وازواج البنات وسائر الاقارب من الاخوان
والاخوات والاعمام والعمات والاخوال والخالات فهؤلاء وان لم يكونوا بمنزلة ازواج امرأته الا ان ترك الاموال لهم اذا
لم يكونوا من اهل الخير والصلاح لا يترتب له فائدة سوى الوزر والوبال وذكره بالسوء والشتم والفحش كما هو المشاهد فيما تنا
هذا ومنها العجلة وهي المعنى الراتب في القلب الباعث على الاقدام على الامور باول خاطر من دون توقف واستبطاء غايتها
والعمل بها وقد عرفت انه من لوازم ضعف النفس وصغرها وهو من الابواب العظيمة للشيطان حتى اهلك به كثيرا من الناس
قال رسول الله صلى الله عليه وآله العجلة من الشيطان والتاني من الله وقد خاطب الله نبيه بقوله ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه وقد
روي انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رؤوسها فقال هذا حادث
قد حدث مكانكم فطار حتى جاء خافقي الارض فلم يجد شيئا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملائكة قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان
نبيا قد ولد البارحة ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا حاضرها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام بعد هذه الليلة
ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة والظواهر في ذم العجلة اكثر من ان تحصى ولذلك افتى بعض علماء العامة بالمنع من التعجيل
لمن خاف فوت صلوة الجمعة والسر في شدة ذمها ان الاعمال ينبغي ان تكون بعد المعرفة والبصيرة وهما موقوفان على التامل
والمهلة والعجلة تمنع من ذلك فمن استعجل في امر يلقي الشيطان شره عليه من حيث لا يدري والتجربة شاهدة بان كل امر يصدر
على العجلة يوجب الندامة والخسران وكل ما يصدر على التاني والتثبت لا يعرض بعده ندامة بل يكون مرضيا ولذا قيل كل خفيف
عجل ساقط عن العيون ولا وقع له عند القلوب والمتامل في الامور يعلم ان العجلة هو السبب الاعظم لتبديل نعيم الاخرة
وملك الابد بخسائس الدنيا وزخارفها وبيان ذلك انه لا ريب في ان اجل اللذات واتمها للنفس هي الغلبة والاستيلاء
لانهما من صفات الربوبية التي هي مطلوبة بالطبع للنفوس المجردة والسر فيه ان كل معلول من سنخ علته ومناسبها في صفاتها
وانما طلبها غاية ابتهاجها بان يتصف بمثل كمالات علتها مهما امكن كلما لا يصدر عن شيء الا يمكن ان يكون من جميع الجهات هو هو
والا ان يكون من جميع الجهات ليس هو بل من جهة هو هو ومن جهة ليس هو وهذا معنى كلامهم ان كل ممكن زوج تركيبي
ولا ريب في ان جميع الموجودات معلولة للواجب سبحانه صادرة عن محض وجوده ووجوده مترشحة من فيضه وجوده فهو غاية الكل
والكل طالب نحو كماله الا ان ما هو في سلسلة الصعود اقرب اليه والواسطة بينه اقل يكون مناسبته له اتم وشوقه
الى الاتصاف بكماله اشد ولا ريب في ان الذوات المجردة النورية هي من عالم الامر مقتبسة من مشكوة نوره فلها غاية القرب

اليه في سلسلة

اليه في سلسلة الصعود فيكون شديدة الشوق الى الاتصاف بكماله ومنها الروح والنفس الانسانية لكونها من عالم الامر كما قال الله قل الروح
من امر ربي فيكون شوقها في القرب اليه وفي المناسبة له ونيلها غاية التشوق في الاتصاف بصفاته وكمالاته التي من جملتها الغلبة والاستيلاء
وليس ذلك مذموما اذ ينبغي لكل احد ان يطلب ملكا عظيما في الاخرة وسعادة دائمة لا نفاد لها وبقاء لا فناء فيه وعزا لا ذل معه وامنا لا خوف
فيه وغنى لا فقر معه وكمالا لا نقصان فيه وهذه كلها من اوصاف الربوبية وطالبها طالب للعلو والعز والكمال الحقيقي فالمذموم من ارادة
الاستيلاء انما هو الغلط الذي وقع للنفس بسبب تغرير اللعين المتبعد عن عالم الامر اذ حسدها على كونها من عالم الامر فاضلها
واغواها من طريق العجلة في نظرة الملك الفاني المشوب بانواع الالام لكونه عاجلا وصده عن الملك المخلد الدائم الذي لا يشوبه
كدر ولا يقطعه قاطع لكونه آجلا والمسكين المخذول ابن آدم لما خلق مجبولا على العاجلة لما جاءه المطرود من عالم الامر
وتوسل اليه بواسطة العجلة التي في طبعه واستغواه بالعاجلة وامال القلب الى عدم الاعتناء بالآجلة ومناه الخاسرة ووعده بالغرور
والتمني على الله في باب الاخرة فانخدع بغروره واشتغل بطلب ملك الدنيا وزخرفها القاطع فنا ظنا وترك سلطنة الاخرة
مع بقائها ولم يتامل المسكين في ان ملك الدنيا ليس كالا علوا واستيلاء في الحقيقة بل هو صفة نقص بعيد
عن الكمال الحقيقي وهي بالاسر امور معنوية وذلك انه لا ريب في ان الحب والعشق صفة الكمال لكن اذا تعلق في موقعه وذلك اذا
كان المحبوب جديرا كاملا في ذاته وصفاته كحب الله سبحانه اشرف الصفات الكمالية وحب الجمادات وحب الحيوانات اخس رذايل
النفسية فكل من كان جاهلا بحقائق الامور وخدع بغروره واختار للملك العاجل الفاني على السلطنة الآجلة الباقية واما العالم
المؤمن فلا يستخفه الجاهل بغروره اذ علم مداخل مكره فاعرض عن العاجلة وآثر الآجلة ولذا استعاذ من كيد اللعين ولذا
ارسل الله اليهم الانبياء واشتغلوا ببعوثهم من الملك الجاهل الذي لا اصل له ولا دوام الى ان سلموا الى الملك الحقيقي الذي
لا زوال له اصلا فنادوا فيهم يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحيوة
الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا الا قليل وذموا من اختار العاجلة الفانية وترك تفضيل الاخرة على الامرة الباقية كما قال
سبحانه ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة فالغرض من
بعثة الرسل ليس الا دعوة الخلق الى الملك الدائم المخلد ليكونوا ملوكا في الاخرة بسبب التقرب الى الله تعالى ودرك بقاء لا فناء فيه
وعز لا ذل معه وقرة عين اخفيت لا يعلمها احد والشيطان يدعوهم من طريق العجلة الى ملك الدنيا الفانية لعلمه بان
ما يسمى ملك الدنيا مع انه لا يسلم لهم ولا يخلص من المنازعات والمكدرات وطول الهموم في التدبير يفوت به ملك الاخرة اذ الدنيا
والاخرة ضرتان بل يفوت به الملك الحاضر الذي هو الزهد في الدنيا اذ معناه ان يملك العبد شهوته وغضبه فينقادان لباعث
الدين واشارة الايمان ونحوها ملك بالاستحقاق اذ به يصير صاحبه حرا وباستيلاء الشهوة يصير عبد البطن والفرج وسائر اعضائه
فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يسيره زمام الشهوة آخذا بالمخنق الى حيث يريد ويهوى فاعظم اغترار الانسان اذ ظن انه ينال
الملك بان يصير مملوكا وينال الربوبية بان يصير عبدا ومثل هذا هل يكون الا معكوسا في الدنيا منكوسا في الاخرة فقد ظهر
ان منشأ الخسران في الدنيا والاخرة هو العجلة والطريق في علاجها ان يتذكر فسادها وسوء عاقبتها وحال الناس
وتاديتها الى الندامة والخسران ثم يتذكر شرافة الوقار الذي هو ضده وكونه صفة الانبياء والاخيار فيوطن نفسه على ان
لا يرتكب فعلا الا بعد التامل والمهلة حتى يترسخ الطمانينة والسكون باطنا وظاهرا في جميع افعاله وسكناته واذا فعل ذلك مدة
ولو بالتكلف والتعمل يصير ذلك عادة له فيزول عنه هذه الصفة ويحدث فيه صفة الوقار والسكينة وصل ضد العجلة الاناة

وصل

وهو المعنى الراسخ في القلب الباعث على الاحتياط في الامور والنظر فيها والتأني في اتباعها والعمل بها ثم التوقف قريب من التأني والاناة والفرق بينهما
ان التوقف هو السكون قبل الدخول في الامر حتى يتبين له رشده والتأني سكون وطمأنينة بعد الدخول فيه حتى يؤدي كل جزء منها
حقه وضد التوقف التعسف والوقار يتناول الاناة والتوقف كليهما فهو طمأنينة النفس وسكونها في الاقوال والافعال والحركات قبل
فيها وبعده وهو من نتائج قوة النفس وكبرها وما قل من الفضائل النفسانية ان يبلغ مرتبته في الشرافة ولذا يمدح به الانبياء والائمة وصفا
وورد في الاخبار ان المؤمن متصف به البتة فينبغي لكل مؤمن ان يتكلفه تارة في الحركات والافعال حتى يصير بالتدريج ملكة ويكلف الطمأنينة
في الافعال والحركات قبل ان يصير ملكة يختص باسم الوقار واذا صار ملكة يسمى سكينة اذ هي طمأنينة الباطن والوقار اطمئنان الظاهر ومنها
سوء الظن بالخالق والمخلوق وهو من نتائج الجبن وضعف النفس اذ كل جبان ضعيف النفس يذعن نفسه لكل فكر فاسد يدخل في وهمه فيتبعه
ولذا يترتب عليه الخوف والغم وهو من المهلكات العظيمة وقد قال الله سبحانه يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم وقال سبحانه
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم ارداكم وقال وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال امير المؤمنين ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك ما
يغلبك منه ولا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا ولا ريب في ان من حكم بظنه على غيره بالشر بعثه الشيطان
على ان يغتابه او يتوانى في تعظيمه واكرامه او يقصر فيما يلزم من القيام بحقوقه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك
من المهلكات ثم سوء الظن من لوازم خبث الباطن وقذارته كما ان حسن الظن من علائم سلامة القلب وطهارته فكل من يسيء الظن
بالناس ويطلب عيوبهم وعثراتهم فهو خبيث النفس سقيم الفؤاد وكل من يحسن الظن بهم ويستر عيوبهم فهو سليم الصدر طيب الباطن فالمؤمن
يظهر محاسن اخيه والمنافق يطلب مساويه وكل اناء يترشح بما فيه والسر في خباثة سوء الظن وتحريمه وصدوره من خبث الضمير ولؤم
الشيطان ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لاحد ان يعتقد في حق غيره سوءا الا ان ينكشف له بعيان لا يقبل التأويل
اذ حينئذ لا يمكنه ان لا يعتقد ما شاهده وعلمه واما ما لم يشاهده ولم يعلمه ولم يسمعه وانما وقع في قلبه فالشيطان القاه اليه فينبغي ان
يكذبه لانه افسق الفسقة وقد قال الله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فلا يجوز تصديق اللعين في نبأه
وان حف بقرائن الفساد وما احتمل التأويل والخلاف فلو رأيت عالما في بيت امير ظالم لا تظنن ان الباعث طلب الحطام الحرام لاحتمال كون
الباعث اغاثة مظلوم ولو وجدت رائحة الخمر في فم مسلم فلا تجزم من شربه الخمر ووجوب الحد اذ يمكن انه تمضمض بالخمر ومجه وما شربه او
شربه اكراها وقهرا فلا يستباح سوء الظن الا بما يستباح به المال من صريح المشاهدة او قيام بينة عادلة ولو اخبرك عدل واحد بسوء
من مسلم وجب عليك ان تتوقف في اخباره من غير تصديق ولا تكذيب اذ لو كذبته لكنت خائنا على هذا العدل اذ ظننت به الكذب
وذلك ايضا من سوء الظن وكذا ان ظننت به العداوة والحسد او المقت ليتطرق لاجله التهمة فترد شهادته ولو صدقته لكنت خائنا
على المسلم المخبر عنه اذ ظننت به السوء مع احتمال كون العدل المخبر ساهيا او التباس الامر عليه بحيث لا يكون في اخباره خلاف الواقع
اثما وفاسقا وبالجملة لا ينبغي ان تحسن بالواحد وتسيء بالآخر بل تقف في المذكور وحاله على ما كان في الستر والحجاب اذ لم ينكشف لك الحال
للاطلاع باحد القواطع والحجة الشرعية يجب قبولها ويحمل خبر العدل على امكان تطرق شبهة مجوزة للاخبار وان لم يكن مطابقا للواقع
ثم المراد بسوء الظن هو عقد القلب وميل النفس دون مجرد الخواطر وحديث النفس بل الشك ايضا اذ المنهي عنه
في الآية والاخبار انما هو الظن والظن هو الطرف الراجح الموجب لميل النفس اليه والامارات التي بها يتميز العقد عن مجرد الخواطر وحديث
هو ان يتغير القلب معه عما كان من الالف والمحبة الى الكراهة والنفرة والجوارح عما كانت عليه من الافعال اللازمة في المعاشرات الى خلافها
والدليل على ان المراد هو ما ذكر قوله (ص) ثلث في المؤمن لا يستحسن وله منهن مخرج فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه اي لا يحقق في نفسه

بعقد ولا فعل

بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح ثم لكون سوء الظن من المهلكات منع الشرع من التعرض للتهم صيانة لنفوس الناس عنه فقال
اتقوا مواقع التهم وقال امير المؤمنين من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن وروي انه (ص) يكلم زوجته صفية
بنت حيي بن اخطب فمر به رجل من الانصار فدعاه رسول الله (ص) وقال يا فلان هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله افأظن بك
الا خيرا قال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فخشيت ان يدخل عليك فانظر كيف اشفق رسول الله (ص) على دينه فحرسه وكيف علم الامة
طريق الاحتراز عن التهمة حتى لا يظن العالم الورع المعروف بالتقوى والدين ان الناس لا يظنون به الا خيرا اعجابا منه بنفسه
فانما الجزم بتحققه في حق سيد الرسل واشرفهم فكيف يجزم بتحققه في حق غيره وان بلغ من العلم والورع ما بلغ والسر فيه ان
اورع الناس وافضلهم لا ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل ان نظر اليه بعضهم بعين الرضا ينظر اليه بعض آخر بعين السخط وعين
الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فكل عدو وحاسد لا ينظر الا بعين السخط فيكتم المحاسن ويطلب
المساوي وكل شرير الظن بالناس كلهم الاشرار وكل معيوب مفتضح عند الناس يحب ان يفتضح ويظهر عيوب غيره عندهم لان البلية اذا
عمت طابت ولان يشتغل الناس به فلا ينظروا الى مساويه فاللازم لكل مؤمن ان لا يتعرض لمواضع التهم حتى يوقع الناس في المعصية
بسوء الظن فيكون شريكا في معصيتهم اذ كل من كان سببا لمعصية غيره يكون شريكا في هذه المعصية ولذا قال الله سبحانه ولا تسبوا
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال رسول الله (ص) كيف ترون من يسب ابويه فقالوا هل من احد يسب
ابويه فقال نعم يسب ابوي غيره فيسبون ابويه ثم طريق المعالجة في ازالته بعد تذكر ما تقدم من فساده وما يأتي من فضيلة ضده
انه اذا خطر بالخاطر سوء على مسلم لا تتبعه ولا تحققه ولا تغير قلبك عليه لاجله بالنسبة اليه من المراعاة والتفقد والاكرام والاغتمام بسببه
بل ينبغي ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك خاطر السوء خوفا من اشتغالك بالدعاء
وزيادة الاكرام ومهما عرفت هفوة من مسلم فانصحه في السر ولا تبادر الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك على
عيبه لتنظر اليه بعين الحقارة مع انه ينظر اليك بعين التعظيم بل ينبغي ان يكون قصدك استخلاصه من الاثم وتكون محزونا
كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون تركه لذلك العيب من غير نصيحتك احب اليك من تركه بنصيحتك فاذا فعلت
ذلك جمعت بين اجر نصيحته واجر الحزن بمصيبته واجر الاعانة على آخرته فلما عرفت ان ضد سوء الظن بالخالق والمخلوق هو حسن
الظن بهما وكان الاول من لوازم ضعف النفس وصغرها فالثاني من نتائج قوتها وكبرها وفوائده اكثر من ان تحصى وقد تقدمت الظواهر
الواردة في مدحه فينبغي لكل مؤمن ان لا ييأس من روح الله ولا يظن انه لا يرحمه ويعذبه البتة ولا يخلصه من العقاب وان ما يرد
عليه في الدنيا من البلايا والمصائب هو شر له وعقوبة بل ينبغي ان يعلم انه ارحم الراحمين وانه ما خلقه الا لاجل الفيض والجود فلا بد
ان يرحمه في دار الآخرة ويخلصه من عذاب الابد ويوصله الى نعيم السرمد وما يرد عليه من المصائب والبلاء في دار الدنيا خير له و
صلاح وذخيرة في يوم المعاد وكذا لا تظنن السوء والشر بالمسلمين ولا تحمل ما ترى من اعمالهم واقوالهم على وجه فاسد بل يجب ان
تحمل كل ما تشاهده من افعالهم واقوالهم على احسن الوجوه واصحها ما لم تجزم بفساده وتكذب جوارحك وسائر حواسك فيما يشهد به
من المحامل الفاسدة والاحتمالات القبيحة الجزئية وتكلف نفسك على ذلك حتى يصير لك ملكة لا يرتفع عنه ملكة سوء الظن بالكلية
نعم الحمل على الوجه الصحيح على تقدير عدم مطابقته للواقع لو كان باعثا لضرر مالي او فساد ديني او عرضي لزم فيه الجزم والاحتياط
وعدم تعليق الامور الدينية والدنيوية عليه لئلا يترتب عليه الخسران والاضرار ويلزم الفضيحة والعار ومنها الغضب
وهو كيفية نفسانية موجبة لحركة الروح من الداخل الى الخارج للغلبة ومبدؤه شهوة الانتقام وهو من جانب الافراط واذا اشتد

يوجب حركة عنيفة يمتلي لاجلها الدماغ والاعصاب من الدخان المظلم فيستر نور العقل ويضعف فعله ولذا لا يؤثر في صاحبه الوعظ والنصيحة بل يزيده الموعظة غلظة وشدة قال بعض علماء الاخلاق الغضب نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافئدة وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها حمية الدين من قلوب المؤمنين او حمية الجاهلية والكبر الدفين من قلوب الجبابرة التي لها عرق الى الشيطان اللعين حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين ومن شأن الطين السكون والوقار ومن شأن النار التلظي والاستعار ثم قوة الغضب يتوجه عند ثورانها الى دفع المؤذيات ان كان قبل وقوعها او الى التشفي والانتقام ان كان بعد وقوعها فشهوتها الى احد هذين الامرين ولذتها فيه ولا يسكن الا به فان صدر الغضب على من يقدر على الانتقام منه واستشعر باقتداره على الانتقام انبسط الدم من الباطن الى الظاهر واحمر اللون وهو الغضب الحقيقي وان صدر على من لا يتمكن ان ينتقم منه لكونه فوقه واستشعر باليأس عن الانتقام انقبض الدم من الظاهر الى الباطن وصار حزنا وان صدر على من يشك في الانتقام عنه انبسط الدم تارة وانقبض اخرى فيحمر ويصفر ويضطرب الناس في هذه القوة على افراط وتفريط واعتدال اما الافراط ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن طاعة العقل والشرع وسياستهما ولا يبقى له فكر وبصيرة والتفريط ان تفقد هذه القوة او تضعف بحيث لا تغضب عما ينبغي الغضب عليه شرعا وعقلا والاعتدال ان يصدر غضبه فيما ينبغي ولا يصدر فيما لا ينبغي بحيث لا يخرج عن سياسة الشرع والعقل بل يكون تابعا لهما فيكون الغضب وعدمه غضبه وانتقامه بامرهما ولا ريب ان الاعتدال ليس مذموما ولا معدودا من الغضب بل هو من الشجاعة والتفريط مذموم معدود من الجبن والمذلة وربما كان اخبث من الغضب اذ الفاقد لهذه القوة لا حمية له وهو ناقص جدا ومن اثار عدمه الغيرة على الحرم وصغر النفس والخور وتحمل الذل من الاخساء والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والفحشاء ولذا قيل من استغضب فلم يغضب فهو حمار وقد وصف الله خيار الصحابة بالحمية والشدة فقال اشداء على الكفار وخاطب نبيه بقوله واغلظ عليهم والشدة والغلظة من اثار قوة الغضب ففقد هذه القوة بالكلية او ضعفها مذموم وقد ظهر ان الغضب المعدود من الرذائل هو الافراط الذي يخرج عن مقتضى العقل والدين وجعل التفريط وان كان رذيلة الا انه ليس غضبا بل هو ضد له معدود من الجبن وجعل الاعتدال فضيلة معدودة من الشجاعة فالمراد بالغضب بالاول ثم الناس كلهم مختلفون في حدوثه والسرعة والبطوء فيكون في بعضهم سريعين وفي بعضهم بطيئين وفي بعضهم يكون احدهما سريعا والاخر بطيئا وفي بعضهم يكون كلاهما واحدا متوسطا بين السرعة والبطوء ومهما كان منه بإشارة العقل محمود ممدوح معدود من اوصاف الشجاعة وغيره مذموم محسوب من اثار الغضب والجبن

في الغضب

فصل الغضب من المهلكات العظيمة وربما ادى الى الشقاوة الابدية من القتل والقطع ولذا قيل الغضب جنون دفعي قال امير المؤمنين الحدة نوع من الجنون لان صاحبه يندم فان لم يندم فجنونه مستحكم وربما ادى الى اختناق الحرارة وموت الفجأة وقال بعض الحكماء السفينة التي وقعت في اللجج الغامرة واضطربت بالرياح العاصفة وغشيتها الامواج الهائلة ارجى الى الخلاص من الغضبان الملتهب فقد يعد به الدم الشديد في الانجار قال رسول الله ص الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل وقال الباقر ع ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن ادم وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه ودخل الشيطان فيه وقال كان ابي يقول واي شيء اشد من الغضب ان الرجل يغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة وقال ع ان الرجل ليغضب فما يرضى ابدا حتى يدخل النار وقال الصادق ع الغضب مفتاح كل شر وقال ع الغضب ممحقة لقلب الحكيم من لم يملك غضبه لم يملك عقله ثم ما يلزم الغضب من الاثار المهلكة الذميمة والامراض المزمنة القبيحة اطلاق اللسان

بالشتم

بالشتم والسب واظهار السوء والشماتة بالمساءة وافشاء الاسرار وهتك الاستار والاستهزاء وغير ذلك من قبيح الكلام الذي يستحيي منه العقلاء وتوثب الاعضاء بالضرب والجرح والتمزيق والقتل وتألم القلب بالحقد والحسد والبغض والعداوة وتمليئه من الندامة بعد زواله ومعاداة الاصدقاء واستهزاء الاراذل والشماتة الاعداء وتغير المزاج وتألم الروح وسقم البدن ومكافاة العاجل وعقوبة الاجل والعجب ممن توهم ان شدة الغضب من فرط الرجولية مع ان ما يصدر عن الغضبان من الحركات القبيحة انما هو افعال الصبيان والمجانين دون الرجال والعاقلين كيف وقد يصدر منه الحركات الغير المنتظمة من الشتم والسب بالنسبة الى الشمس والقمر والسحاب والمطر والريح والشجر والحيوانات والجمادات وربما يضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة ويخاطب البهيمة والجماد كما يخاطب العقلاء واذا عجز عن التشفي ربما مزق ثوبه ولطم وجهه وقد يعدو ويصيح صيحة المدهوش المتحير وربما اعتراه مثل الغشية او سقط على الارض لا يطيق النهوض والعدو وكيف يكون مثل هذه الافعال القبيحة من فرط الرجولية وقد قال رسول الله ص الشجاع من يملك نفسه عند غضبه فصل قد اختلف علماء الاخلاق في امكان ازالة الغضب بالكلية وعدمه فقيل قلع اصل الغضب من القلب غير ممكن لانه مقتضى الطبع انما الممكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجانه ورد بانه غير بان الغضب المذموم انما هو الغضب المنبعث لا غيره مما يكون بارشاد العقل والشرع ليس غضبا بل هو من اثار الشجاعة وان اطلق عليه اسم الغضب احيانا فحقيقة او مجازا كما روي عن امير المؤمنين ع انه قال كان النبي لا يغضب للدنيا فاذا غضب للحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا ريب ان الغضب الذي حصل لرسول الله ص لم يكن غضبا مذموما بل كان غضبا ممدوحا يقتضيه منصب النبوة وتوجه الشجاعة النبوية ثم الغضب المذموم ممكن الزوال ولولا امكانه لزم وجوده للانبياء والاوصياء ولا ريب في بطلانه ثم علاجه يتوقف على امور وبها حصل بعضها الاول ازالة اسبابه المهيجة له اذ علاج كل علة بحسم مادته وهي العجب والفخر والكبر والغدر واللجاج والمراء والمزاح والاستهزاء والتعيير والمخاصمة وشدة الحرص على فضول الجاه والاموال الفانية وهي باجمعها اخلاق ردية مهلكة ولا خلاص من الغضب مع بقائها فلا بد من ازالتها بضدها كما سيجيء الثاني ان يتذكر قبح الغضب وسوء خاتمته وما ورد في الشريعة من الذم عليه كما تقدم الثالث ان يتذكر ما ورد من المدح والثواب على دفع الغضب في موارده ويتأمل فيما ورد من فوائد عدم الغضب كقول النبي ص من كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذاب يوم القيمة وقول الباقر ع مكتوب في التورية فيما ناجى الله تع به موسى امسك غضبك عمن ملكتك عليه اكف عنك غضبي وقول الصادق ع اوحى الله تع الى بعض انبيائه ابن ادم اذكرني في غضبك اذكرك في غضبي لا امحقك فيمن امحق واذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فان انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك وقوله ع سمعت ابي يقول اتى رسول الله رجل بدوي فقال اني اسكن البادية فعلمني جوامع الكلم فقال امرك ان لا تغضب فاعاد الاعرابي عليه المسألة ثلث مرات حتى رجع الرجل الى نفسه فقال لا اسأل عن شيء بعد هذا ما امرني رسول الله ص الا بالخير وقوله ع ان رسول الله ص اتاه رجل فقال يا رسول الله علمني عظة اتعظ بها فقال له انطلق فلا تغضب ثم عاد عليه فقال انطلق فلا تغضب ثلث مرات وقوله ع من كف غضبه ستر الله عورته الى غير ذلك من الاخبار الرابع ان يتذكر فوائد ضد الغضب اعني كظم الغيظ وما ورد من المدح عليه في الاخبار كما يأتي ويواظب على مباشرته ولو بالتكلف فيتحلم وان كان في الباطن غضبانا واذا فعل ذلك مدة صار عادة مألوفة هينة على النفس فينقطع عنها اصول الغضب الخامس ان يقدم الفكر والروية على كل فعل او قول يصدر عنه ويحافظ نفسه عن صدور غضب عنه السادس ان يحترز عن مصاحبة ارباب الغضب الذين يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة ورجولية فيقولون

نفس على كذا وكذا ولا تحمل من احد امرا او يعتاد مجالسة اهل الحلم والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس السابع ان يعلم ان
ما يقع انما بقضاء الله وقدره وان الاشياء كلها مسخرة في قبضة قدرته وان كل ما في الوجود من الله وان الامر كله لله وان الله لا يقدر
له الا ما فيه الخيرة وربما كان صلاحه في جوعه او مرضه او فقره او جرحه او قتله او غير ذلك فاذا علم بذلك غلب عليه التوحيد لا يغضب على احد
ولا يغيظ على ما يرد عليه اذ يرى ان كل شيء في قبضة قدرته اسير كالقلم في يد الكاتب فكان من وقع عليه ملك يضرب عنقه لا يغضب على القلم
فكل من عرف الله وعلم ان هذا النظام الجملي صادر منه على وفق الحكمة والمصلحة ولو تغير ذرة منه عما هو عليه خرج عن الاصلحية لا يغضب
على احد الا ان غلبة التوحيد على هذا الوجه كالكبريت الاحمر وتوفيق الوصول اليه من الله الاكبر ولو حصل لبعض المقربين من جلباب البدن
يكون كالبرق الخاطف فيرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا ولو تصور دوام ذلك لاحد لتصور لفرق الانبياء
مع ان النظر في الجملة الى الوسائط مما لا يمكن انكاره الثامن ان الغضب مرض قلبي ونقصان عقل صادر عن ضعف النفس ونقصانها
لا عن شجاعتها وقوتها ولذا يكون المجنون اسرع غضبا من العاقل والمريض اسرع غضبا من الصحيح والشيخ الهرم اسرع غضبا من الشاب
والمرأة من الرجل وصاحب الاخلاق السيئة والرذايل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضايل فالرذل يغضب لشهوته اذا
فاتته اللقمة والبخيل يغيظ لبخله اذا فقد الحبة حتى يغضب لفقدان شيء على اعزة اهله وعياله والنفس القوية المتصفة
بالفضيلة اجل شأنا من ان يتغير ويضطرب لمثل هذه الامور بل هي كالطود الشاهق لا تحركه العواصف ولذا قال سيد الرسل ليس
الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب فان شككت في ذلك فافتح عينيك وانظر الى طبقات الناس الموجودين
ثم ارجع الى كتب السير والتواريخ واستمع حكايات الماضين حتى تعلم ان الحلم والعفو وكظم الغيظ شيمة الانبياء والحكماء واكابر الملوك
والعقلاء والغضب خصلة الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء التاسع ان يتذكر ان قدرة الله عليه اقوى واشد من قدرته
على هذا الضعيف الذي يغضب عليه وهو ضعيف في جنب قدرته القاهرة بمراتب غير متناهية من هذا الضعيف في جنب قوته فليحذر
ولم يأمن اذا امضى غضبه عليه في الدنيا والاخرة وقد روي انه ما كان في بني اسرائيل ملك الا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها
ارحم المساكين واخش الموت واذكر الاخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه وفي بعض الكتب الالهية يا ابن ادم اذكرني حين تغضب
اذكرك حين اغضب ولا امحقك فيمن امحق العاشر ان يتذكر انه ربما يمضي عليه غضبه بمقاومته وتشمر لمقابلته وحمل عليه لسانه باظهار
معايبه والشماتة بمصايبه ويؤذيه في نفسه واهله وماله وعرضه الحادي عشر ان يتذكر قبح السبب الذي يدعوه الى الغيظ والغضب
فان كان خوف الذلة والمهانة والاتصاف بالعجز وصغر النفس عند الناس فليتنبه ان الحلم وكظم الغيظ ودفع الغضب عن النفس ليست
ذلة ومهانة ولم يصدر من ضعف النفس وصغرها بل هي من آثار قوة النفس وشجاعتها واضدادها تصدر من نقصان
النفس وخمودها فدفع الغضب عن نفسه لا يخرجه من كبر النفس في الواقع ولو خرج به في اعين جهلة الناس فلا يبالي بهم
وليتذكر ان الاتصاف بالذلة والصغر عند بعض اراذل البشر اولى من خزيه يوم الحشر والافتضاح عند الله الملك الاكبر وان كان
السبب خوف ان يفوته شيء من حاجته ويغضب لفقده اما ضروري لكل احد كالقوت والمسكن واللباس وصحة البدن وهو
الذي اشار اليه سيد الرسل بقوله من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه وله قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها او غير
ضروري لاحد كالجاه والمنصب وفضول الاموال او ضروري لبعض الناس دون بعض كالكتاب للعالم وادوات الصناعات
لاربابها ولا دنيا بأن كل ما ليس من هذه الاقسام ضروريا فلا يليق ان يكون محبوبا عند اهل البصيرة وذوي المروات اذ
ما لا يحتاج اليه الانسان في العاجل ولا بد له من تركه في الاجل فما بال العاقل ان يحبه ويغضب بفقده واذا علم ذلك لم يغضب

على فقد هذا

على فقد هذا القسم البتة واما ما هو ضروري للكل او البعض فان كان الغضب والحزن من فقده مقتضى الطبع لشدة الاحتياج اليه الا ان
العاقل اذا تأمل لعلم ان ما فقد عنه من الاشياء الضرورية ان امكن رده والوصول اليه يمكن ذلك بدون الغيظ والغضب ايضا وان لم يمكن
معهما ايضا وعلى اي حال بعد التأمل يعلم ان الغضب لا ثمرة له سوى تألم العاجل وعقوبة الاجل وحينئذ لا يغضب وان غضب يدفع عن نفسه
بسهولة الثاني عشر ان يعلم ان الله يحب من لا يغضب والحبيب يختار ما يحبه حبيبه فان كان محبا لله فيطفئ شدة حبه غضبه
الثالث عشر في تصوير صورته كان عند غضبه بان يتذكر صورة غيره كان عند الغضب تتميم اعلم ان بعض المعالجات المذكورة
يقتضي قطع اسباب الغضب وحسم مواده حتى لا يهيج ولا يصير وبعضها يكسر سورته او يدفعه اذا هاج ومن علاجه
عند الهيجان الاستعاذة من الشيطان والجلوس ان كان قائما والاضطجاع ان كان جالسا والوضوء او الغسل بالماء البارد وان كان غضبه
على ذي رحم فليدن منه وليمسه فان الرحم اذا مست سكنت كما ورد في الاخبار وصل فقد عرفت ان الحلم هو طمأنينة النفس بحيث لا يحركها
الغضب بسهولة ولا يزعجها المكروه بسرعة فهو الضد الحقيقي للغضب لانه المانع من حدوثه وبعد هيجانه لما كان الغيظ مما يضعفه ويدفعه
فمن هذه الحيثية يكون كظم الغيظ ايضا ضدا له فمن يريد تحصيل الحلم وشرافته ثم الفوائد لكظم الغيظ ومنافعه ليجتهد على ازالة الغضب
في الاتصاف بالاول فللحديث فيه اصلا وبالثاني فيما بعد عند هيجانه فنقول ان الحلم هو اشرف الكمالات النفسية بعد العلم بل لا ينفع
العلم بدونه اصلا ولذا كلما يمدح العلم او يسأل منه يقارن به قال رسول الله صلعم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وقال خمس من سنن
المرسلين وعد منها الحلم وقال صلعم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك
وقال صلعم ان الله يحب الحيي الحليم ويبغض الفاحش البذي وقال صلعم ثلث من لم يكن فيه واحدة منهن فلا تعتدن بشيء من عمله تقوى
تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس وقال صلعم اذا جمع الخلايق يوم القيمة نادى مناد يسمع الجميع
اين اهل الفضل فيقوم ناس وهم يسير فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون انا نريكم سراعا الى الجنة فيقولون
نحن اهل الفضل فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء الينا عفونا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة
فنعم اجر العاملين وقال صلعم ما اعز الله بجهل قط ولا اذل بحلم قط وقال امير المؤمنين ع ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر
علمك ويعظم حلمك وقال علي بن الحسين ع انه ليعجبني الرجل اذا ادركه حلم عند غضبه وقال الصادق ع كفى بالحلم ناصرا واذا لم تكن
حليما فتحلم وقال ع اذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما قلت وقلت واسل انت اهل لما قلت
وستجزى بما قلت ويقولان للحليم منهما صبرت وحلمت سيغفر الله لك ان اتممت ذلك فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان وبعث
غلاما له في حاجة فابطأ فخرج على اثره فوجده نائما فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه فقال له يا فلان والله ما ذلك لك تنام الليل
والنهار لك الليل ولنا منك النهار وقال الرضا ع لا يكون الرجل عابدا حتى يكون حليما وانما كظم الغيظ وان لم يبلغ مرتبة الحلم وفضيلته
وشرافته لانه التحلم اي تكلف الحلم الا انه اذا واظب عليه حتى صار معتادا للحلم فيحصل له صفة الحلم الطبيعي بحيث لا يهيج الغيظ
حتى يحتاج الى كظمه ولذا قال رسول الله صلعم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن لم يكن حليما بالطبع لا بد له من السعي في كظم الغيظ
عند هيجانه حتى يحصل له صفة الحلم وقد مدح الله سبحانه الكاظمين الغيظ في محكم كتابه وتواترت الاخبار في فضيلته وشرافته وعظم
قال رسول الله صلعم من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضاه وقال صلعم ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا
من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله وقال صلعم ان لجهنم بابا لا يدخلها الا من شفى غيظه بمعصية الله تعالى وقال ع من كظم غيظا وهو
قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلايق حتى يخيره اي الحور شاء وقال ص من احب السبيل الى الله جرعتان جرعة غيظ يردها بحلم وجرعة مصيبة

في شرف الحلم

بصبر وقال سيد الساجدين ع ما تجرعت جرعة احب الي من جرعة غيظ لا اكافي صاحبها وقال الباقر ع من كظم الغيظ وهو يقدر على
امضائه حشى الله قلبه امنا وايمانا يوم القيمة وقال ع لبعض ولده يا بني ما من شيء اقر لعين ابيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر
وما يسرني ان لي بذل نفسي حمر النعم وقال الصادق ع نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها فان عظيم الاجر لمن عظيم البلاء وما احب الله قوما الا ابتلاهم
وقال ع ما من عبد كظم غيظا الا زاده الله تعالى عزا في الدنيا والاخرة وقد قال الله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
واثابه الله مكان غيظه ذلك وقال ابو الحسن الاول ع اصبر على اعداء النعم فانك لن تكافي من عصى الله فيك بافضل من ان تطيع الله فيه ومنها

فی الانتقام

الانتقام بمثل ما فعل به او الاذية بما كان محرما ممنوعا من الشريعة وهو من نتايج الغضب اذ كل انتقام ليس جايزا فلا يجوز مقابلة
الغيبة بالغيبة والفحش بالفحش والبهتان بالبهتان والسعاية الى الظلمة بمثلها وهكذا في ساير المحرمات قال سيد الرسل ان امرء عيرك بما فيك
فلا تعيره بما فيه وقال ص المستبان شيطانان يتهاتران وقد ورد ان رجلا شتم ابا بكر بحضرة النبي وهو ساكت فلما ابتدأ لينتصر
منه قام رسول الله ص وقال مخاطبا له ان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان
فكل فعل او قول صدر من شخص بالنسبة الى غيره فلا ان يكن له في الشرع قصاص وغرامة فيجب ان لا يتعدى عنه وان كان العفو عن
الجاني افضل واولى واصلح الى الورع والتقوى وان لم يرد بخصوصه من الشرع حكومة معينة فلا يجب ان يقتصر في الانتقام وفي مقابلة ايضا
التشفي على ما ليس فيه حرمة ولا كذب مثل ان يقابل الفحش والذم بمثلهما لا الاذية التي لم يقل بها في الشرع حكومة معينة بقوله يا قليل
الحياء ويا سيء الخلق ويا صفيق الوجه واما اشبه ذلك اذا كان متصفا بها ومثل قوله اخزاك الله وانتقم منك ومن انت وهل انت الا من بني
فلان ومثل قوله يا جاهل ويا احمق وهذا ليس فيه كذب مطلقا اذ ما احد الا وفيه جهل وحمق اما الاول فظاهر واما الثاني فلما ورد ان الناس
كلهم حمقى في ذات الله والدليل على جواز هذا القدر من الانتقام قول النبي ص المستبان ما قالا فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم وقول
الكاظم ع في رجلين يتسابان البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر الى المظلوم وهما يدلان على جواز الانتصار لغير
البادي من دون وزر ما لم يعتد ومعلوم ان المراد بالسب فيهما امثال ذلك الكلمات المذكورة دون الفحش والكلمات الكاذبة ولا ريب في ان
الاقتصار على قدر ما ادى به الخصم بعد الشروع في الجواب مشكل ولعل السكوت عن اصل الجواب وحوالة الانتقام الى رب الارباب ايسر وافضل
ما لم يؤد الى فتور الحمية والغيرة اذ اكثر الناس لا يقدر على ضبط نفسه عند فوران الغضب لاختلافهم في حدوث الغضب وزواله قال
رسول الله ص الا ان بني آدم خلقوا على طبقات شتى منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء فتلك بتلك ومنهم سريع
الغضب بطيء الفيء ومنهم بطيء الغضب بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب سريع الفيء وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء وقد قدمنا بعض
اخبار ان المؤمن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك ثم طريق العلاج في ترك الانتقام ان يتذكر سوء عاقبته في العاجل والآجل ويتذكر
ويعلم ان الحوالة الى المنتقم الحقيقي احسن واولى وان الانتقام استدعاء عقوبته ثم يتامل في فوايد العفو وفضيلته كما يأتي وصل ضد الانتقام

فی العفو

العفو وهو اسقاط ما يستحقه من قصاص او غرامة فهو غير الحلم وكظم الغيظ والآيات والاخبار في مدحه وحسنه اكثر من ان تحصى قال الله سبحانه
خذ العفو وأمر بالعرف وقال وليعفوا وليصفحوا وقال وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله ص ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا
عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيمة
ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر وقال ص العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وقال ص لعقبة الا اخبرك
بافضل اخلاق اهل الدنيا والاخرة تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال ص قال موسى يا رب اي عبادك اعز
عليك قال الذي اذا قدر عفا وقال سيد الساجدين ع اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد

اين اهل الفضل

اين اهل الفضل قال فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون وما فضلكم فيقولون كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا
ونعفو عمن ظلمنا قال فيقال لهم صدقتم ادخلوا الجنة وقال الباقر ع الندامة على العفو افضل وايسر من الندامة على العقوبة وقال
الصادق ع ثلث من مكارم الدنيا والاخرة تعفو عمن ظلمك الخ وقال ابو الحسن ع ما التقت فئتان قط الا نصر اعظمهما عفوا وكفى
للعفو فضلا وشرافة انه من اجل الصفات الالهية وقد يمدح الله تعالى به في مقام الخضوع والتذلل قال سيد الساجدين انت الذي
سميت نفسك بالعفو فاعف عني وقال ع انت الذي عفوه اعلى من عقابه ومنها العنف وهو الغلظة والفظاظة في الاقوال او الحركات
ايضا وهو من نتايج الغضب وضده الرفق اي اللين فيهما وهو من نتايج الحلم ولا ريب في ان الغلظة في القول والفعل ينفر الطباع
ويؤدي الى اختلال امر المعاش والمعاد ولذلك نهى الله سبحانه نبيه ص عنها في مقام الارشاد فقال ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا
من حولك وروي عن سلمان انه قال اذا اراد الله هلاك عبد نزع منه الحياء فاذا نزع منه الحياء لم تلقه الا خائنا مخونا فاذا كان خائنا
مخونا نزعت منه الامانة لم تلقه الا فظا غليظا فاذا كان فظا غليظا نزعت منه ربقة الايمان فاذا نزعت منه ربقة الايمان لم تلقه الا شيطانا
ملعونا ويظهر من هذا الكلام ان من كان من اهل الغلظة والفظاظة فهو الشيطان حقيقة فيجب على كل عاقل ان يجتنب عن ذلك كل الاجتناب
ويقدم التروي على كل ما يصدر عنه من القول والفعل ليحافظ نفسه عن التعنف والغلظة فيه ويتذكر ما ورد في فضيلة الرفق

فی الرفق

ويتكلفه مرة بعد اخرى بالتكلف الى ان يصير ملكة ويزول من نفسه اثار العنف بالكلية وصل الاخبار في فضيلة الرفق وفوايده اكثر
من ان يحصى حتى يفتقر الى ذكر صحاحها قال رسول الله ص لو كان الرفق خلقا يرى ما كان مما خلق الله شيء احسن منه وقال ان الرفق لم يوضع
على شيء الا زانه ولا ينزع من شيء الا شانه وقال ع لكل شيء قفل وقفل الايمان الرفق وقال ص ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق
ما لا يعطي على العنف وقال ع ما اصطحب اثنان الا كان اعظمهما اجرا واحبهما الى الله تعالى ارفقهما بصاحبه وقال الرفق يمن والخرق شوم
وقال ع من كان رفيقا في امره نال ما يريد من الناس وقال ع ايما اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال ص من اعطي حظه من
الرفق اعطي حظه من خير الدنيا والاخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخرة وقال ع اذا احب الله عبدا اعطاه
الرفق ومن يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال الا انبئكم من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال الكاظم ع الرفق نصف العيش
وقال ع لمن جرى بينه وبين قوم كلام ارفق بهم فان كفر احدكم في غضبه ولا خير فيمن كان كفره في غضبه ثم التجربة شاهدة بان امضاء الامور
والنجاح المقاصد موقوف على الرفق واللين مع الخلايق فكل ملك كان رفيقا لجنده ورعيته انتظم امره ودام ملكه وان كان فظا غليظا اختل
امره وانفض الناس من حوله وزال ملكه وسلطانه في اسرع زمان وقس عليه غيره من طبقات الناس من العلماء والامراء وغيرهما
من ذوي المناصب الجليلة وارباب المعاملة والمكاسبة واصحاب الصنايع والحرف تكملة المداراة في معنى الرفق لانها ملاينة
الناس وحسن صحبتهم واحتمال اذاهم وربما فرق بينهما باعتبار تحمل الاذى في المداراة دون الرفق وقد ورد في مدحها وفوايدها
الدنيوية والاخروية اخبار كثيرة كقول النبي ص المداراة نصف الايمان وقوله ص ثلث من لم يكن فيه لم يتم له عمل ورع يحجزه
عن معاصي الله وخلق يداري به الناس وحلم يرد به جهل الجاهل وقوله ص امرني ربي بمداراة الناس كما امرني باداء الفرايض
وقول الباقر ع مكتوب في التورية فيما ناجى الله تعالى موسى يا موسى اكتم مكتوم سري في سريرتك واظهر في علانيتك المداراة
عني لعدوي وعدوك من خلقي الخ وقول الصادق ع جاء جبرئيل الى النبي ص وقال يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول دار خلقي
وقوله ص ان قوما من الناس قلت مداراتهم للناس فانفوا من قريش وايم الله ما كان باحسابهم باس وان قوما من غير قريش حسنت
مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع ثم قال من كف يده عن الناس فانما يكف عنهم يدا واحدة ويكفون عنه ايدي كثيرة ومنها

سوء الخلق بالمعنى الاخص وهو التضجر وانقباض الوجه وسوء الكلام وامثال ذلك وهو ايضا من نتائج الغضب كما ان ضده اعني حسن الخلق
بالمعنى الاخص وهو ان يلين جانبه ويطيب كلامه ويلقى اخاه ببشر من نتائج الحلم واكثر ما يطلق سوء الخلق وحسنه في الاخبار هذا
المعنى ولا ريب في ان سوء الخلق مما يبعد صاحبه من الخالق والخلق والتجربة شاهدة بان الطباع متنفرة عن كل سيء الخلق فيكون دائما اضحوكة
للناس ولا ينفك دائما عن الحزن والالم ولذا قال صلى الله عليه وآله من ساء خلقه عذب نفسه فقد تعجل لاجل الضرر العظيم هذا كله مع سوء عاقبته
في الاخرة واداءه الى العذاب الابدية ولهذا ورد به الذم الشديد من الشريعة قال رسول الله صلى لما خلق الله الايمان قال اللهم قوني فقواه
بحسن الخلق والسخاء ولما خلق الله الكفر قال اللهم قوني فقواه بالبخل وسوء الخلق وروي انه قيل له صلى ان فلانة تصوم النهار وتقوم
وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وعنه صلى سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعنه صلى ان العبد
ليبلغ من سوء خلقه اسفل درك جهنم وعنه صلى ابى الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة قيل فكيف ذلك يا رسول الله قال لانه اذا تاب من
ذنب وقع في ذنب اعظم منه وقال صلى سوء الخلق ذنب لا يغفر وقال الامام جعفر بن محمد عليه السلام اذا خلق الله العبد في اصل الخلقة
كافرا لم يمت حتى يحبب الله اليه الشر فيقرب منه فابتلاه بالكبر والجبروت فقسى قلبه وساء خلقه وغلظ وجهه وظهر فحشه وقل
حياؤه وكشف الله ستره وركب المحارم ولم ينزع عنها ثم ركب معاصي الله وابغض طاعته ووثب على الناس لا يشبع من الخصومات
فاسألوا الله العافية واطلبوها منه وقال بعض الاكابر لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق
وطريق العلاج في ازالته ان يتذكر اولا انه يفسد امر دنياه ويجعله ممقوتا عند الخالق والخلق ويعذب نفسه ثم ان التزم بتقديم
التروي والتفكر عند كل حركة وتكلم فيحفظ نفسه عنه ولو بالتكلف والتحمل من صدور سوء الخلق ويتذكر ما ورد في
مدح حسن الخلق الذي هو ضده كما يأتي ويواظب عليه حتى يزول على التدريج اثاره بالكلية فصل قد عرفت ان ضده
حسن الخلق بالمعنى الاخص ومن معالجاته ان يواظب عليه حتى يرتفع اثاره بالكلية واقوى البواعث على اكتسابه والمواظبة عليه
ان يتذكر ما يدل على شرافته ومدحه عقلا ونقلا اما حكم العقل على مدحه فظاهر لا يحتاج الى بيان واما النقل فالاخبار الواردة به اكثر
من ان تحصى ونحن نورد شطرا منها تذكرة لمن اراد ان يتذكر قال رسول الله صلى ما يوضع في ميزان امرئ يوم القيمة افضل من حسن
الخلق وقال صلى يا بني عبد المطلب انكم لن تسعوا الناس باموالكم فالقوهم بطلاقة الوجه وحسن البشر وقال صلى ان الله استخلص
هذا الدين لنفسه ولا يصلح لدينكم الا السخاء وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال صلى حسن الخلق خلق الله الاعظم وقيل
له صلى اي المؤمنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال ان احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيمة احسنكم خلقا وقال صلى
ثلث من لم يكن فيه او واحدة منهن فلا تعتدوا بشيء من عمله تقوى تحجزه عن محارم الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش
به في الناس وقال صلى حسن الخلق يذيب الخطيئة كما تذيب الشمس الجليد وقال صلى ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة
واشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وقال لام حبيبة ان حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والاخرة وقال لما سئل عنه
ان المرأة تكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا وقال صلى ان حسن الخلق
يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم وقال صلى اكثر ما يلج به امتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق وقيل افاضلكم احسنكم اخلاقا
الموطئون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون ويوطأ رحالهم وقال امير المؤمنين المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف
ولا ريب في ان سيء الخلق يتنفر عنه الطباع فلا يكون مألوفا وقال الامام ابو جعفر الباقر عليه السلام ان اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم
خلقا وقال اتى رجل رسول الله صلى فقال يا رسول الله اوصني فكان فيما اوصاه ان قال الق اخاك بوجه منبسط وقال الصادق

ماتقدم

ما تقدم المؤمن على الله بعمل بعد الفرائض احب الى الله من ان يسع الناس بخلقه وقال البر وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الاعمار
وقال عليه السلام ان الله ليعطي العبد من الثواب على حسن الخلق كما يعطي المجاهد في سبيل الله يغدو عليه ويروح وقال ثلث من لقى الله بهن او واحدة
منهن اوجب الله له الجنة الانفاق من اقتار والبشر لجميع العالم والانصاف من نفسه وقال عليه السلام صنائع المعروف وحسن البشر يكسبان
المحبة ويدخلان الجنة والبخل وعبوس الوجه يبعدان من الله ويدخلان النار ومن تامل في هذه الاخبار ورجع الى الوجدان و
التجربة وتذكر احوال الموصوفين بسوء الخلق وحسنه يجد ان كل سيء الخلق بعيد من الله من رحمته والناس يبغضونه ويتنفرون
عنه ولذا يحرم عن برهم وصلتهم وكل حسن الخلق محبوب عند الله وعند الناس ولا يزال الخلائق رحمة الله وفيوضاته ومرجعا للمؤمنين
بايصال نفعه وخيره اليهم والنجاح مقاصده ومطالبه منهم ولذلك لم يبعث الله سبحانه نبيا الا واتم فيه هذه الفضيلة بل هي افضل صفات
المرسلين واشرف اعمال الصديقين ولذا قال الله سبحانه لحبيبه مثنيا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم ولعظم شرافته بلغ رسول
الله فيه ما بلغ من غاية وتمكن على ذروة نهايته حتى روي انه صلى ذات يوم جالسا في المسجد اذ جاءت جارية لبعض الانصار
وهو قاعد فاخذت بطرف ثوبه فقام لها النبي صلى فلم تقل شيئا ولم يقل لها النبي شيئا حتى فعلت ذلك ثلث مرات لا تقول شيئا ولا يقول
لها شيئا فقام لها النبي في الرابعة واخذت هدبة من ثوبه ثم رجعت فقال لها الناس فعل الله بك وفعل حبست رسول الله ثلث
مرات لا تقولين له شيئا فما كانت حاجتك اليه قالت ان لنا مريضا فارسلني اهلي لاخذ هدبة من ثوبه ليستشفى بها فلما اردت
ان اخذها راني فقام فاستحييت ان اخذها وهو يراني واكره ان استامره في اخذها فاخذتها فعلت ما فعلت ومنها الحقد وقد عرفت
انه اضمار العداوة في القلب وهو من ثمرة الغضب لان الغضب اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا
وهو من المهلكات العظيمة وقد قال رسول الله صلى المؤمن ليس بحقود والغالب ان الحقد يلزم منه الافات الحسد والهجرة والانقطاع من المحقود
وايذاؤه بالضرب والتكلم فيه بما لا يحل من الكذب والغيبة والبهتان وافشاء السر واظهار العيوب والشماتة بما يصيبه من البلاء
والسرور والانبساط بظهور عثراته وهفواته والمحاكاة عنه بالاستهزاء والسخرية والاعراض عنه استصغارا له ومنع حقوقه من
دين او رد مظلمة او صلة رحم وكل ذلك حرام يؤدي الى فساد الدين والدنيا واضعف مراتبه ان يحترز عن الافات المذكورة ولا يرتكب
لاجله ما يعصي الله به ولكن يستثقله بالباطن ولا ينتهي قلبه عن بغضه وهو ايضا من الامراض المؤلمة للنفس المانعة لها عن القرب الى الله سبحانه
والوصول الى الملأ الاعلى ويمنع صاحبه عما ينبغي ان يصدر عنه بالنسبة الى اهل الايمان من البشاشة والرفق والتواضع والقيام بحوائجهم
والمجالسة معهم والرغبة الى اعانتهم ومواساتهم وغير ذلك وهذا كله مما ينقص درجته في الدين ويحول بينه وبين مرافقة المقربين
ولما كان حقيقته عبارة عن العداوة الباطنة فجميع الاخبار الواردة في ذم المعاداة يدل على ذمه كقول النبي صلى ما كان جبرئيل يأتيني
الا قال يا محمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم وقوله صلى ما عهد الي جبرئيل قط في شيء ما عهد الي في معاداة الرجال وقوله
صلى من زرع العداوة حصد ما بذر وقد علمت علاجه وطريق العلاج في ازالته ان يتذكر ان هذه العداوة الباطنة
يؤلمه في العاجل اذ الحقود المسكين لا ينفك عن التألم والهم ساعة ويعذب في الاجل ومع ذلك لا يضر المحقود اصلا والعاقل لا يؤلم
على حاله ويكون مضرا لنفسه ونافعا لعدوه وبعد هذا التذكر يجتهد في ان يعامل معه معاملة احبائه من مصاحبته
بالانبساط والرفق والقيام بحوائجه وغير ذلك بل يجتهد بزيادة البر والاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان ولا يزال
يكرر ذلك حتى يرتفع عن نفسه اثار هذه الرذيلة بالكلية ثم لما كان الحقد عبارة عن العداوة الباطنة اذ حقيقتها

اضمار الشر وكراهة الخير لمن يعاديه ضد النصيحة التي هي قصد الخير وكراهة الشر للمحبة كما يتراءى في بادي النظر اذ هي ضد الكراهة
دون العداوة كما يأتي في خطر من معالجات الحقد يتذكر فوائد النصيحة ومدحها كما يأتي ليعين على ازالة الشر وضد العداوة الظاهرة
وهي من لوازم الحقد اذا قويت قوة لا يقدر معها على المجاملة اظهار العداوة بالمكاشفة والايذاء لو ادخل في ذمها كثيرة وقد تقدم
بعضها وعلاجها كما تقدم في الحقد وضدها النصيحة الظاهرة اعني فعلية الخير والصلاح للمحسود فمن ضمها فليكلف نفسه عليها حتى يصير
ملكة له ومنها ضدها ومنها الفحش والسب واللعن والطعن وهذه ناشئة عن العداوة والحقد وربما صدرت من مجرد الغضب
وسوء الخلق وربما صدرت الفحش من الاعتياد الحاصل من مخالطة الفساق وربما كان الباعث بعض اوداهيه الجاه وحقه المعدود
من رذائل قوة الشهوة الا ان الفاعل المباشر لهذه الامور هو القوة الغضبية اذ النفس تهيجها قوة الغضب وان كان المهيج اوصلا
بواسطة فعل قوة الشهوة وعلى اي تقدير يكون من رذائل القوة الغضبية على ما قاعدتنا ولذا ادرجنا ها هنا فلنقل ثم لا ريب
في كون هذه الامور مذمومة محرمة في الشرع موجبة لحبط الاعمال وحرمان المآل وجميع ما يدل على ذم الايذاء والاضرار يدل على ذمها
لكونها بعض افراده والعقل والشرع متطابقان على شناعة كل واحد منها لصدوره عن البهائم والهلاكة اما الاول فلا ريب في ان
ضرب مسلم بلا داع شرعي مما يقبحه كل عاقل وينفر منه جميع طوائف العلم حتى نفاة الاديان واما الثاني فالاخبار الواردة في ذمها كثيرة فمنها
منها ان من ضرب بسوط [illegible] ضربه الله بسوط من النار واما الفحش والسب فبذاءة اللسان فلا ريب في كونه صادرا عن
خباثة النفس قال رسول الله ص ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي وقال ص اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش
والتفحش وقال ص الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال ص ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شيء وقال ص البذاء والبيان
شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه وقال ص اربعة يؤذون اهل النار على ما بهم من الاذى ومنهم
رجل يسيل فوه قيحا ودما وهو من كان في الدنيا فاحشا وقال ص لا تسبوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم وقال ص ان الله حرم الجنة
على كل فحاش بذي قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فانك ان فتشته لم تجده الا لغية او شرك شيطان وقال ص اذا رأيتم الرجل
لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه فانه لغية او شرك شيطان وقال ص ان الله يبغض الفاحش البذي والسائل الملحف وقال ص ان من
شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه وقال ص سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر واكل لحمه معصية وحرمة ماله كحرمة دمه وقال ص
سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة وقال ص شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم وقال ص المستبان
شيطانان متعاديان متهاتران وقال ص من علامة شرك الشيطان الذي لا يشك فيه ان يكون فحاشا لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه
وقال ص البذاء من الجفاء والجفاء في النار وقال ص من خاف الناس من لسانه فهو في النار وقال ص ان ابغض خلق الله عبد اتقى
الناس لسانه وعن الكاظم ع في رجلين يتسابان فقال البادي منهما اظلم ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم

تنبيه اعلم ان حقيقة الفحش هو التعبير عن الامور المستقبحة بالعبارة الصريحة واجراء اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما
يتعلق بها فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملونها فيه واهل الصلاح يتحاشون من التعرض لها بل يكنون
عنها ويعبرون عنها بالرموز قال بعض الصحابة ان الله حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمس واللمس والدخول
والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة وعنه عبارات فاحشة يستقبح ذكرها وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية
بقضاء الحاجة عن البول والتغوط اولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما فان هذا ايضا مما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه

الصريحة

الصريحة باللسان بل يكنى عنها فلا يقال قالت زوجتك او امرأتك بل يقال قيل في الحجرة او قيل من وراء الستر وقالت ام الاولاد وامثال
ذلك وكذا من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبطن وامثال ذلك بل يكنى عنها بعبارات
غير صريحة مثل العارض الذي يشكو منه وامثال ذلك فالتصريح بجميع ذلك داخل في الفحش ثم الفاظ الفحش لا ريب في كونها محظورة
باسرها مذمومة وان كان بعضها افحش من بعض فيكون اثمه اشد سواء استعمل في الشتم او لا يستعمل فيه بل في المزاح والهزل وغيرهما
ومع ذلك كانت هذه العبارات متفاوتة في الفحش بعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد فيكون بعضها مكروها
وبعضها محظورا فان من قال لغيره مزاحا او اعتيادا حاصلا من مخالطة الفساق في احوال كل صنف ام لا ريب في كونها
محرما فيه ومع انه لم يستعمل في الشتم وبالجملة اوائل هذه العبارات اكثرها محظورة وبعضها درجات [illegible] الكراهة
والحرمة واما اللعن فلا ريب في كونه مذموما لانه عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وهو غير جائز الا على من اتصف
بصفة تبعده بنص الشريعة وقد ورد على ذمه التشديد في الاخبار قال رسول الله ص المؤمن ليس بلعان وعن الباقر ع قال
خطب رسول الله ص الناس فقال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال الذي يمنع رفده ويضرب عبده ويتزود وحده فظنوا
ان الله لم يخلق خلقا هو شر من ذلك ثم قال الا اخبركم بمن هو شر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال المتفحش اللعان الذي اذا
ذكر عنده المؤمنون لعنهم واذا ذكروه لعنوه وقال الباقر ع ان اللعنة اذا خرجت من في صاحبها ترددت بينهما فان وجدت
مساغا والا رجعت على صاحبها ثم لما كان اللعن هو الحكم بالبعد وطلب الابعاد من الله تعالى والاول غيب لا يطلع عليه الا الله
والثاني لا يجوز الا على من اتصف بصفة تبعده منه فينبغي ان لا يلعن احد الا من جوز صاحب الشرع لعنه والمجوز من الشرع
انما هو اللعن على الكافرين والظالمين والفاسقين كما ورد في القرآن ولا ريب في جواز ذلك بالوصف الاعم كقولك لعنة الله
على الكافرين او بوصف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى والحق جواز اللعن على شخص معين علم
اتصافه بصفة الكفر او الظلم او الفسق وما قيل من عدم جواز ذلك الا على من ثبت لعنه من الشرع كفرعون وابي جهل لان كل
شخص معين كان على احدى الصفات الثلاث ربما رجع عنها فيموت مسلما او تائبا فيكون مقربا عند الله لا مبعدا فكيف ينبغي ان
يلعن ولا يرضه اذ المستفاد من كلام الله تعالى وكلام رسوله وكلام ائمتنا الراشدين جواز نسبته الى الشخص المعين بل المعتاد
منها ان اللعن على بعض اهل الجحود والعناد من احب العبادات واقرب القربات قال الله سبحانه اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين وقال اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقال النبي ص لعن الله الكاذب ولو كان مازحا وقال في جواب
ابي سفيان حين هجاه بالف بيت اللهم اني لا احسن الشعر ولا ينبغي لي اللهم العنه بكل حرف الف لعنة ومن لعن امير المؤمنين ع
جماعة وروي انه كان يقنت في الصلاة المفروضة بلعن معاوية وعمرو بن العاص وابي موسى الاشعري وابي الاعور السلمي
مع انه اسلم الناس واشدهم صفحا عن [illegible] فلولا انه كان يرى لعنهم من الطاعات لما تخيرها محلا في الصلوات المفروضات
وروي ان امير المؤمنين ع كان يقنت في بعض نوافله بلعن صنمي قريش يعني بهما ابا بكر وعمر وعن الشيخ الطوسي ان الصادق ع
كان ينصرف من الصلاة بلعن اربعة رجال ومن نظر الى ما وقع للحسن ع مع معاوية واصحابه وكيف لعنهم وتتبع ما ورد من الائمة ع
في الكافي وغيره من كتب الحديث والادعية في لعن من يستحق اللعن من رؤساء الضلال والتصريح باسمائهم يعلم ان ذلك من شعار
الدين بحيث لا يعتريه شك وريبة وقد لعن الكاظم ع ابا حنيفة [illegible] وما ورد من قوله ع لا تكونوا لعانين ومثله من النهي عن اللعن على غير
المستحقين وما روي ان امير المؤمنين ع نهى عن لعن اهل الشام فانه ع لعله كان يرجو اسلامهم ورجوعهم اليه كما هو شأن

الرئيس المشفق على الرعية وبالجملة اللعن على رؤساء الظلم والضلال والمجاهرين بالكفر والفسق جائز بل مستحب وعلى غيرهم غير
جائز الى ان يتحقق باتصافه باحد الصفات الموجبة له وينبغي ان لا يحكم باتصافه بشيء منها بمجرد الظن والتخمين اذ لا يجوز ان يرمى مسلم بكفر
وفسق من غير تحقيق قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه ان لم يكن كذلك ثم اللعن على الاموات
اشد واعظم لقول النبي صلى الله عليه وآله لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا ثم لا ينبغي ان يلعن الجماد والحيوان ايضا لما
روي انه ما لعن احد الارض الا قالت اللعن على اعصانا لله وما روي ان النبي انكر على امرأة لعنت ناقة وعلى رجل لعن بعيرا
ثم الدعاء على المسلم بالشر قريب من اللعن عليه فلا ينبغي ان يتكلم به ولو على الظالم الا اذا اضطر اليه لشره واضراره وقد ورد ان المظلوم
ليدعو على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضل يوم القيمة وقال علي بن الحسين ان الملائكة اذا سمعوا المؤمن يذكر اخاه بسوء
ويدعو عليه قالوا بئس الاخ انت لاخيك كف ايها المستر على ذنوبه وعورته واربع على نفسك واحمد الله الذي ستر عليك
ثم صح لك ان الدعاء للاخ المسلم من احب الطاعات وافضل القربات وفوائده اكثر من ان تحصى بل عند التحقيق دعاء لك
دعاء لنفسك قال رسول الله صلى الله عليه وآله اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وقال صلى الله عليه وآله يستجاب للرجل ما لا يستجاب
له في نفسه وقال علي بن الحسين ان الملائكة اذا سمعوا المؤمن يدعو لاخيه بظهر الغيب او يذكره بخير قالوا نعم الاخ انت
لاخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير قد اعطاك الله مثلي ما سألت له واثنى عليك مثلي ما اثنيت عليه ولك الفضل عليه
ومثل ذلك ورد من الباقر والصادق والاخبار في فضيلة الدعاء للاخوان اكثر من ان تحصى واي كرامة اعظم لك من ان تصل منك الى المؤمن
وهو تحت اطباق الثرى هدايا الاستغفار والادعية وهل تدري كيف يسر ويفرح بمثل هذا العمل فانا اهله يقسمون تراثه
ويتنعمون بما خلفه وانت متفرد بحزنك تدعو له في ظلم الليل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل
شيء منتظر دعوة من يدعو له من ولد او والد او اخ او صديق وان الله سبحانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار مثل
الجبال وهو للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية
لك من عند اخيك فلان من عند قريبك فلان فيفرح كما يفرح الحي بالهدية واما الطعن فهو ايضا من ذمائم الافعال ويورث
في الدنيا والعقاب في الآخرة قال الباقر اياكم والطعن على المؤمنين وقال ما من انسان يطعن في عين مؤمن الا مات شر ميتة
وكان قمنا ان لا يرجع الى خير واعلم ان هذه الامور اعني الفحش والسب واللعن والطعن وامثالها مما ياتي في موضعه من الغيبة والكذب
والاستهزاء والمزاح والخوض في الباطل والتكلم بالفضول وما لا يعني من آفات اللسان وياتي انجع آفات اللسان وضد لها تمام
هو الصمت وياتي بيان فضيلته وكثرة فوائده وما ياتي ايضا مما يدل بعمومه على ذم جميع آفات اللسان اعني ما ورد في ذم اللسان
وكون شره اعظم من شر سائر الاعضاء فانه بعمومه يدل على ذم هذه الامور ومنها اي من رذائل القوة الغضبية العجب وهو استعظام
نفسه لاجل ما يرى لها من صفة كمال سواء كانت تلك الصفة ثابتة في الواقع ام لا وسواء كانت صفة كمال في نفس الامر ام لا وقيل هو اعظام
النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم وهو قريب مما ذكر ولا يعتبر في مفهومه رؤية نفسه فوق الغير في هذا الكمال
وهذه النعمة وبذلك يمتاز عن الكبر اذ الكبر هو ان يرى نفسه مزية على غيره في صفة كمال وبعبارة اخرى هو الاسترواح والركون
الى رؤية النفس فوق المتكبر عليه فالكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به والعجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصور
ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفة الكمال ولا يكفي ان يستعظم
نفسه ليكون متكبرا فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه فهو معجب وليس متكبرا ولا يكفي

ان يستحقر

ان يستحقر غيره فانه مع ذلك لو راى نفسه احقر او راى غيره مثل نفسه لم يكن متكبرا بل المتكبر هو ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره
مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره والحاصل ان العجب مجرد اعظام النفس لاجل كمال او نعمة او اعظام نفس الكمال والنعمة مع الركون
ونسيان اضافتهما الى الله سبحانه فان لم يكن معه ركون وكان خائفا على زوال النعمة مشفقا على تكدرها او سلبها بالمرة او كان فرحه بها
من حيث انها من الله من دون اضافتها الى نفسه لم يكن معجبا فالمعجب لا يكون خائفا عليها بل يكون فرحا بها مطمئنا اليها فيكون فرحه
بها من حيث انها صفة كمال منسوبة اليه لا من حيث انها عطية منسوبة الى الله تعالى فمهما غلب على قلبه انها نعمة من الله مهما شاء سلبها زال
العجب ثم لو انضاف الى العجب اي غلب على نفس المعجب ان له عند الله حقا وانه منه بمكان واستبعد ان يجري عليه مكروه وكان متوقعا منه
كرامة لعمله سمي ذلك ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله دالة فهو وراء العجب وفوقه اذ كل مدل معجب ورب معجب لا يكون مدلا اذ
العجب مجرد الاستعظام ونسيان الاضافة الى الله من دون توقع جزاء على عمله والادلال يعتبر فيه توقع الجزاء بعمله اذ المدل يتوقع اجابة
دعوته ويستنكر رده ويتعجب منه فالادلال عجب مع شيء زائد وعلى هذا فمن اعطى غيره شيئا فان استعظمه ومن عليه كان
معجبا وان استخدمه مع ذلك او اقترح عليه الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وكما ان العجب قد يكون بما يراه
صفة كمال وليس بها كذلك العجب بالعمل قد يكون بعمل هو مخطئ فيه ويراه حسنا كما قال سبحانه افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا وقال
العجب درجات منها ان يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا ويحسب انه يحسن صنعا ومنها ان يؤمن العبد بربه فيمن على الله ولله عليه
فيه المنة فصل العجب من المهلكات العظيمة ومن رذائل الملكات الذميمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع

في العجب

واعجاب المرء بنفسه وقال صلى الله عليه وآله اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك وقال صلى الله عليه وآله لو لم تذنبوا
لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك العجب العجب وقال صلى الله عليه وآله بينما موسى جالس اذ اقبل عليه ابليس وعليه برنس ذو الوان فلما دنى منه خلع
البرنس وقام الى موسى فسلم عليه فقال له موسى من انت فقال انا ابليس قال انت فلا قرب الله دارك قال اني انما جئت لاسلم عليك
لمكانك من الله سبحانه فقال له موسى فما هذا البرنس قال اختطف به قلوب بني آدم فقال موسى اخبرني بالذنب الذي اذا اذنبه ابن
آدم استحوذت عليه فقال اذا اعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه واوحى الله تعالى الى داود يا داود بشر المذنبين
وانذر الصديقين قال بشر المذنبين اني اقبل التوبة واعفو عن الذنب وانذر الصديقين الا يعجبوا باعمالهم فانه ليس عبد
انصبه للحساب الا هلك وقال الباقر دخل رجلان المسجد احدهما عابد والآخر فاسق فخرجا من المسجد والفاسق صديق و
العابد فاسق وذلك انه دخل العابد المسجد مدلا بعبادته يدل بها فتكون فكرته في ذلك ويكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه
ويستغفر الله مما صنع من الذنوب وقال الصادق ان الله تعالى علم ان الذنب خير للمؤمن من العجب ولولا ذلك ما ابتلي مؤمنا بذنب ابدا
وقال من دخله العجب هلك وقال ان الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه ويعمل العمل فيسره ذلك فيتراخى عن حاله تلك فلان يكون على
حاله تلك خير له مما دخل فيه وقال اتى عالم عابدا فقال له كيف صلاتك فقال مثلي يسأل عن صلاته وانا اعبد الله منذ كذا وكذا
قال فكيف بكاؤك قال ابكي حتى تجري دموعي فقال له العالم ان ضحكك وانت خائف افضل من بكائك وانت مدل ان المدل لا يصعد
من عمله شيء وقال العجب كل العجب ممن يعجب بعمله وهو لا يدري بما يختم له فمن اعجب بنفسه وفعله فقد ضل عن نهج الرشاد وادعى ما ليس له والمدعي من
غير حق كاذب وان خفي دعواه وطال دهره فانه اول ما يفعل بالمعجب نزع ما اعجب به ليعلم انه عاجز حقير ويشهد على نفسه ليكون الحجة
عليه اوكد كما فعل بابليس والعجب نبات حبها الكفر وارضها النفاق وماؤها البغي واغصانها الجهل وورقها الضلالة وثمرها
اللعنة والخلود في النار فمن اختار العجب فقد بذر الكفر وزرع النفاق ولا بد ان يثمر فقيل له ما الرجل يعمل العمل وهو خائف

متفق ثم يعمل شيئا من البر فيدخله شبه العجب به فقال هو في الحالة الاولى وهو خائف احسن حالا منه في حال العجب وقال ان عيسى بن مريم كان من شرايعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من اصحابه قصير وكان كثير اللزوم بعيسى م فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة يقين منه فمشى على ظهر الماء فقال الرجل القصير حين نظر الى عيسى جازه بسم الله بصحة يقين منه فمشى على الماء فلحق بعيسى م فدخله العجب بنفسه فقال هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وانا امشي على الماء فما فضله علي قال فرمس في الماء فاستغاث بعيسى فتناوله من الماء فاخرجه ثم قال له ما قلت يا قصير قال قلت هذا روح الله يمشي على الماء وانا امشي فدخلني من ذلك عجب فقال له عيسى لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله تعالى قال فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التي وضعه الله فيها **فصل** العجب آفاته كثيرة منها الكبر لانه احد اسبابه كما ياتي ومنها انه يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فلا يتذكر شيا منها وان تذكر بعضها منها يستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات فيستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله بفعلها وينسى نعمة الله بالتوفيق والتمكين منها واذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لم يتفقد آفات الاعمال ضل سعيه فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوائب قلما تنفع وانما يتفقد الخائف المشفق دون المعجب لانه تغير بنفسه وبربه ويامن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله بمكان وان له عند الله حقا بعمله الذي من عطاياه ونعمه ومن ثمرات العجب الى تزكية نفسه والثناء عليها وان اعجب برايه وعقله وعلمه منعه ذلك من السؤال والاستفادة والاستشارة فليستبد بنفسه ورايه ويستنكف عن سؤال الاعلم وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفتح خاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستحقار والاستجهال فان كان ذلك الراي الفاسد متعلقا بامر دنيوي خاسرة وافتضح وان كان متعلقا بامر ديني سيما في اصول العقايد اضله واهلكه ولو اتهم نفسه ولم يثق برايه واستعان بعلماء اهل البصيرة الدين وسؤال لكان خيرا واحسن موصلا له الى الحق المتحقق ومن آفاته انه يفتر في الجد والسعي لظنه انه قد استغنى وفاز بما ينجيه وهو الهلاك المبين الذي لا شبهة فيه **فصل** اعلم ان للعجب علاجين اجمالي وتفصيلي اما العلاج الاجمالي فهو ان يعرف ربه وانه لا يليق العظمة والعزة الا به وان يعرف نفسه حق المعرفة ليعلم انه بذاته اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به الا الذلة والمهانة والمسكنة فاذا العجب جاء باستعظام لنفسه فانه لا ريب كونه وكل ممكن في ذاته صرف العدم ومحض اللاشئ كما ثبت في الحكمة المتعالية ووجوده وتحققه وكمالاته جميعا من الواجب الحق فالعظمة والكبرياء انما يليق بمفيض وجوده وكمالاته لا لذاته التي هي صرف العدم ومحض الليس فان شاء ان يستعظم شيئا ويفتخر به فليستعظم ربه الذي خلقه وسواه ويستحقر نفسه غاية الاستحقار حتى يراها صرف العدم ومحض اللاشئ وهذا المعنى يشترك فيه كل ممكن كائنا من كان واما المهانة والذلة التي تخص هذا المعجب وبني نوعه فكون اوله نطفة قذرة وآخره جيفة عفنة وكونه ما بين ذلك حاملا للنجاسات منتنة وقد مر على ممر البول ثلث مرات وتكفيه آية واحدة من كتاب الله ان كان له بصيرة وهي قوله قتل الانسان ما اكفره من اي شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الاية الى انه كان اولا في كتم العدم العدم المتناهي ثم خلقه من الاشياء الذي هو نطفة مهينة ثم اماته وجعله جيفة منتنة جيفة واي شئ اخس واذل ممن بدايته محض العدم وخلقه من انتن الاشياء واقذرها ونهايته الفناء وصيرورته جيفة خبيثة وهو ما بين المبدأ والمنتهى عاجز ذليل لم يفوض اليه امره ولا يقدر على شئ لنفسه لانه عبد اذ سلط عليه الامراض الهائلة والاسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبايع المتضادة من المرة والريح والبلغم يهدم بعض اجزائه بعضا شاء ام ابى رام الى سخط فيجوع كرها ويعطش كرها ويمرض كرها ويموت

لايملك لنفسه

لايملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا يريد ان يعلم الشئ فيجهله ويريد ان يذكر الشئ فينساه ويريد ان ينسى الشئ فلا ينساه ويريد ان يصرف قلبه الى ما يهمه فيجول في اودية الوساوس والافكار بالاضطرار فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه يشتهي الشئ وفيه هلاكه ويكره الشئ وفيه حياته يستلذ ما يكرهه ويستبشع ما ينفعه وينجيه ولا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وعلمه وقدرته ويفلج اعضائه ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه وهو مضطر ذليل ان ترك فيه وان خلي ما بقي عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا من غيره فاي شئ اذل منه لو عرف نفسه واني يليق العجب به لولا جهله وهذا اوسط احواله واما آخره فهو الموت كما عرفت فيصير جيفة منتنة قذرة ثم يضمحل صورته ويبلى اعضائه وتنخر عظامه وتتفتت اجزائه فيصير بحالة الحيوان ويشتغل يستقذره كل انسان واحسن احواله ان يعود الى ما كان في يوم ابيعل من الكيزان ويعمر به البنيان فما احسنه لو ترك ترابا بل يحيى بعد طول البلى ليقاسي شدائد البلاء فيخرج من قبره بعد جمع اجزائه المتفرقة ويساق الى عرصات القيمة فيرى سماء مسقفة وارضا مبدلة وجبالا مسيرة ونجوما منكدرة وشمسا منكسفة مكسوفة وجحيما مسعرة وجنة مزينة وموازين منصوبة وصحائف منشورة فاذا هو في معرض المؤاخذة والحساب وعليه ملائكة غلاظ شداد فيعطى كتابه اما بيمينه او شماله فيه جميع اعماله وافعاله من قليل وكثير ونقير وقطمير فان غلب سيئاته على حسناته وكان مستحقا للعذاب والنار فيتمنى ان يكون كلبا او خنزيرا ليصير مع البهايم ترابا ولا عقابا وعذابا ولا ريب ان الكلب والخنزير احسن واطيب في عرصة القيامة ممن يعذب في النار اذا ولهما وآخرهما التراب وهو بمعزل من العقاب والعذاب والكلب والخنزير الذي يهرب منهما الخلق ولو رأى اهل الدنيا من يعذب في النار لصعقوا من وحشة خلقته وقبح صورته ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقاه في بحار الدنيا لصارت انتن من الجيفة المنتنة فالى هذه حاله والعجب واستعظام نفسه وما اغفله من التدبر في احوال يومه وامسه ولو لم يذكر العذاب ولم يؤد به الى النار فانما ذلك للعفو لانه ما من عبد الا وقد اذنب ذنبا وكل من اذنب ذنبا استحق به العقوبة فلولا العقاب فانما ذلك للعفو ولا ريب في ان العفو ليس يقينا بل هو مشكوك فيه فمن استحق العقوبة ولا يدري انه يعفى عنه ام لا ينبغي ان يكون ابدا محزونا خائفا ذليلا فكيف يستعظم نفسه ويعجب الا ترى ان من جنى على بعض الملوك بما استحق به الف سوط مثلا فاخذ وحبس في السجن وهو منتظر ان يخرج الى العرض ويقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق وليس يدري انه يعفى عنه ام لا كيف يكون ذليلا في نفسه افترى انه مع هذه الحالة يكون معجبا بنفسه ولا اظنك ان تظن ذلك فما من عبد مذنب ولو اذنب ذنبا واحدا الا وقد استحق عقوبة من الله والدنيا سجنه ولا يدري كيف يكون امره فيكفيه ذلك خوفا وهانة وذلة عن ان يعجب ويستعظم نفسه هذا هو العلاج الاجمالي للعجب واما التفصيلي فهو ان يقطع اسبابه اعني ما به العجب وهي العلم والمعرفة والعبادة والطاعة وغير ذلك من الكمالات النفسية كالورع والشجاعة والسخاوة والنسب والحسب والجمال والمال والقوة والبطش والجاه وكثرة الاتباع والاعوان والانصار والكياسة والتفطن لدقايق الامور والرأي الخطأ اما العجب بالعلم فعلاجه ان العلم الحقيقي هو الذي يعرف به نفسه وخطر الخاتمة وان من يليق به العظمة والعزة والكبرياء هو الله سبحانه وما عداه هالك الهوية والذات فاقد الكمالات والصفات وهذا العلم يزيد الخوف والذلة والمهانة والمسكنة والاعتراف بالقصور والتقصير في اداء حقوق الله والشكر باداء نعمه ولذا قيل من ازداد علما ازداد وجعا فالعلم الذي لا يوجب ذلك لا يورث العجب الذي عليه حقيقة بل هو من العلوم الدنيوية التي ينبغي ان يسمى صناعات لا علوما اذ صاحبه خاضع فيه وهو خبيث النفس ردي الاخلاق لم يهذب نفسه

اولا ولم يتركه بالمجاهدات ولم يروضها في عبادة ربه فيبقى خبيث النفس ردي الاخلاق الجوهر فاذا خاض في العلم وان كان علما حقيقيا
صادف من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره فان العلم مثله مثل الغيث ينزل من السماء عذبا صافيا فاذا شربته الاشجار
والنبات ازداد المر مرارة والحلو حلاوة كذلك العلم اذا صادف القلوب ازداد القلب المظلم الخبيث ظلمة وخباثة والطيب الصافي طيبا
وصفاء واذا علم ذلك يعرف انه لا ينبغي العجب بالعلم مطلقا بل ينبغي ان يعلم انه اذا اعجب بنفسه صار ممقوتا عند الله مبغوضا لديه
من الاعتبار ومقام صاحب النعمة الذلة والحقارة عند نفسه وقال بواسطة سفرائه ان لكم عندي قدرا ما لم تروا لانفسكم قدرا
فان رايتم لانفسكم قدرا فلا قدر لكم عندي وقال صغروا انفسكم ليعظم عندي محلكم فلا بد ان يكلف نفسه ما يجب عليه وان
يعلم ان حجة الله على اهل العلم اكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم لان العالم اذا زل يزل بزلته كثير من الناس وان من عصى
الله عن علم ومعرفة كانت جنايته افحش اذ لم يقض حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال رسول الله ص يؤتى بالعالم يوم القيمة
فيلقى في النار فتندلق اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت امر بالخير ولا
اتيه وانهى عن الشر واتيه وقد مثل الله علماء اليهود بالحمار وبلعم بن باعورا بالكلب لعدم عملهم بما علموه وقال رسول الله ص يكون
في هذه الامة قوم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن اقرأ منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم
اولئك هم وقود النار وقال ان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى
الله تعالى فاستجاب له وقبل منه فاطاع الله فادخله الجنة وادخل الداعي النار بترك علمه واتباعه الهوى وطول الامل وقال
ويل لعلماء السوء كيف تلظى عليهم النار وقال الصادق ع يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد ولا ريب في ان
كل عالم يامر الناس بالتواضع وذل النفس وانكسارها وينهاهم عن العجب والكبر وهو معجب متكبر فيكون من العلماء السوء فيمن
لم يعمل بعلمه فيكون داخلا تحت هذه الاخبار واي عالم يتصور في امثال هذه الازمنة ان يجزم بانه عمل بجميع ما علم وامر به ولم يضيع
شيئا من اوامره وبرئ من الجنايات الظاهرة والذنوب الباطنة كالرياء والحسد والعجب والنفاق وغير ذلك وكيف يمكنه القطع بانه امتثل
ما اريد به من التكاليف العامة والخاصة فخطره اعظم من خطر غيره كيف وقد روي ان حذيفة صلى بقوم فلما سلم قال لتلتمسن
اماما غيري او لتصلن وحدانا فاني رايت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفاء من متاخري
هذه الامة فما اعز على بسيط الارض في هذه الاعصار علماء الآخرة الذين اقبلوا على شأنهم واستوحشوا من اهل زمانهم وشغلهم
عظيم الامر عن الالتفات الى الدنيا وزهرتها وانجحوا من الفرار عن مصاحبتهم في حيازة الدنيا وظلمتها ولا يستفيقون من
نعيم الدنيا حلوا ولا بارد او صار همومهم هما واحدا هيهات فلا يسمح الزمان بمثلهم الا في الاعصار الماضية الا ولا وقد
في القرون الاول بل يعزان يوجد في زماننا عالم لا يكون للاستطالة وجليلا ولم يكن متكبرا على الفقراء متواضعا للاغنياء فينبغي
لكل عالم ان يتفكر في احوال هؤلاء العلماء وما يرد منهم من عظيم خطرهم حتى ينكسر نفسه ويظهر خوفه وحزنه ويبطل كبره وعجبه واما العجب
بالعبادة والطاعة فعلاجه ان يعلم ان الغرض من العبادة هو اظهار الذل والانكسار وصيرورتها ملكة للنفس يحصل معها العبودية
وحقيقتها فالعجب لما نافى الغرض المقصود منها يبطلها ويحبطها فلا معنى للعجب بها وايضا آفات العبادة الموجبة
لحبطها كثيرة وكذلك شرائطها وادابها التي لا تصح بدونها كثيرة فيمكن ان يدخلها بعض الآفات او يفقد منها بعض الشرائط
والاداب فلا تكون مقبولة عند الله مع امكان ردها وعدم قبولها كيف يعجب العاقل بها ومن يمكنه القطع بسلامة طاعاته
وعبادته عن جميع الآفات ومن قطع بذلك فهو في غاية الجهل بحقايق الامور على ان حد غاية العبادة ونفعها انما هو اذا كان

عفا الله

عفا الله ومن جوده ان يكون بعفو الله شقيا وقد سبق القضاء الازلي بشقوته فاي نفع يتصور لعبادته حتى يعجب بها ولا ريب
في انه لا يخلص عبد من هذا الخوف بل لا احد الا العجب والتكبر خال من الاحوال سبيل علماء العجب بالورع والتقوى والصبر والشكر
والشجاعة والسخاوة وغيرها من الفضائل النفسية فعلاجه ان يعلم ان هذه الفضائل انما تكون نافعة ومنجية اذا لم يدخلها
العجب واذا دخلها العجب افسدها وابطلها فالعاقل لا يرتكب رذيلة يضيع ما له من الفضائل وانه لا يظهر الا ما هو التواضع
في نفسه حتى يزيل فضيلة على فضائله حتى لا يطلع الجميع بالخير ويصير عاقبته محمودة ويكون صالحه مقبولا مشكورا وينبغي
ان يعلم ان كل واحد من الفضائل التي تثبت لنفسه موجودة مع الزيادة في كثير من بني نوعه واذا علم اشراك الناس معه في هذه الفضيلة
زال العجب بها عنه كما نقل ان واحدا من مشاهير الشجعان اذا قابل خصما اصفر لونه وارتعدت فرائصه واضطرب قلبه فقيل له ما هذه
الحالة وانت اشجع الناس واقويهم فقال اني لم احق خصمي فلعله اشجع مني واما المقصود العلبة وحسن العاقبة مع الذلة والمسكنة
لا مع الاعجاب بالقوة والشجاعة فان الله عند المنكسرة قلوبهم ومن المعالجات النافعة للعجب بكل واحد من الصفات الكمالية ان
يقابل بينه وبين ضده اذ علاج كل علة بمقابلة سببها بضده ولما كان علة العجب هو الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة له فنقول
الكمال الذي به يعجب اما ان يكون مما يعجب به من حيث انه فيه وهو محله ومجراه او من حيث انه نشأ منه وحصل بسببه وقدرته وقوته
فان كان الاول فمحض الجهل لان المحل مسخر ومجرى لما يجري فيه وعليه من جهة غيره ولا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف
يعجب بما ليس اليه وان كان الثاني فينبغي ان يتامل في قدرته وارادته واعضائه وسائر الاسباب التي بها تم كماله وعمله انها من اين كانت
له فان كان علم ان جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق سبق له فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله ونعمه وكرمه وفضله اذ افاض
عليه ما لا يستحقه واثر به عليه من غير سابقة ووسيلة فان ظن الله انه انما خصه بهذا العمل لاتصافه ببعض الصفات
الباطنة المحمودة كحبه له او مثله فيقال له الحب والعمل كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك اذ لا وسيلة
لك ولا علاقة فيكون الاعجاب بجوده اذ انعم بوجودك وبوجود صفاتك واعمالك واسباب اعمالك فاذا لا معنى لعجب العالم بعلمه وعجب العابد
بعبادته وعجب الشجاع بشجاعته وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بماله لان كل ذلك من فضل الله وانما هو محل لفيضان فضل الله وجوده والمحل
ايضا من فضله وجوده فانه هو الذي خلقك وخلق اعضائك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم والارادة
ولو اردت ان تنفي شيئا من ذلك لم تقدر عليه ثم خلق الحركات في اعضائك مستبدا باختراعها من غير مشاركة لك معه في الاختراع
الا انه خلقها على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في العضو قوة وفي القلب ارادة ولم يخلق العلم ما لم يخلق القلب الذي هو محله فتدريجه في
الخلق شيئا بعد شيء هو الذي خيل اليك انك مستقل بايجاد عملك وقد غلطت فان تحريك البواعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب
كلها من الله تعالى ليس شيء منها اليك ومن العجايب ان تعجب بنفسك ولا تعجب بمن اليه الامر كله ولا تعجب بجوده وكرمه وفضله في ايثاره اياك
على الفساق من عباده اذ مكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير وهياها لك حتى تيسر
لك الخير من غير وسيلة سابقة منك وروي ان ايوب ع قال الهي انك ابتليتني بهذا البلاء وما ورد علي امر الا اثرت هواك على هواي
فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت يا ايوب انى لك ذلك قال فاخذ رمادا فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه واضاف
ذلك الى الله تعالى ولذلك قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا وقال النبي ص ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولا تظن ان ما ذكرت من استناد الصفات والافعال ومحالها جميعا الى الله تعالى يؤدي
الى الجبر ونفي التكليف وبطلان الثواب والعقاب حسبنا هذا فرع باب مسئلة يتعلق بعلم آخر ولا يليق بيانها هنا ولنحن هنا لم

القدرة هو الاختيار عن العبد بالكلية في متعلق التكليف اعني افعال العرضية بل نفينا استقلاله فيها نعم يمنعه من الحال و
الاسباب والصفات اللازمة والتوفيق وتحريك البواعث وصرف الموانع لا قدرة له فيها اصلا ولا يلزم منه فساد واما العجب بالنسب

علاج العجب بالنسب

الحسب فعلاجه بتيم معرفة امور الاول ان يعلم ان التعزز بكمال الغير غاية السفاهة والجهل فانه لو كان خسيسا في صفات ذاته فمن
اين يجبر خسته كمال غيره ولو كان اياه او جده بل لو كان الذي يعجب بالانتساب حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت وانت دودة
خلقت من فضلتي افترى ان الدودة التي خلقت من فضلة انسان اشرف من الدودة التي خلقت من فضلة حمار هيهات فانهما
متساويان في الخسة ان الشرف للانسان لا للدودة ولذا قال امير المؤمنين ع انا ابن نفسي وكنيتي ادبي من عجم كنت او من العرب
ان الفتى من يقول ها انا ذا ليس الفتى من يقول كان ابي وقيل لئن فخرت باباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا
وقد روي ان اباذر قال بحضرة النبي ص لرجل يا ابن سوداء فقال له النبي ص يا اباذر طف الصاع ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل
فاضطجع ابوذر فقال للرجل قم فطأ على خدي وروي ان بلالا اذن يوم الفتح على الكعبة قال جماعة هذا العبد الاسود يؤذن
فنزل قوله تع يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم وقال رسول
الله ص ان الله قد اذهب عنكم عيبة الجاهلية اي كبرها كلكم بنو ادم وادم من تراب وقد نقل ان واحدا من رؤساء اليونان افتخر على غلام
فقال له ان كان مفتخرا انت بآبائك فالشرف لهم لا لك وان كان لباسك فالشرف له دونك وان كان مركوبك فالفضيلة له لا لك
فليس لك شيء يصلح للعجب والمفاخرة ولذا قال اصيحم مكارم الاخلاق لا تاتوني بانسابكم وائتوني باعمالكم الثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فان
اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تع نسبه فقال الذي خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين والاصل الذي يوطأ بالاقدام او يغسل من الاجسام اي دفعة يكون له منه الثالث ان يعلم ان من يعجب بهم بالانتساب
من اسلافه ان كانوا من اهل الديانة والخصال المرضية والشرافة الحقيقية فظاهر انه ما كان من اخلاقهم العجب بل الذلة والانكسار في
النفس ومقتها واستعظام الخلق بان اقتدى بهم في اخلاقهم فلا يليق به العجب والتعزز والا كان طاعنا في نسبه بلسان حاله وان
لم يكونوا من اهل الديانة الواقعية والشرافة العلمية والعملية بل كان لهم مجرد شوكة ظاهرية كالسلاطين الظلمة واعوانهم فان من
يفتخر بهم ويعجب بنفسه لاجلهم اذا لا انتساب الى الكلاب والخنازير احسن من الانتساب اليهم كيف وانهم ممقوتون عند الله معذبون
في النار بحيث لو نظر الى صورهم في النار ومالحقهم فيها من النتن والقذارة لاستنكف منهم وتبرأ من الانتساب اليهم ولذلك قال ص
ليدعن قوم الفخر باباءهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن اهون على الله من الجعلان التي تدفع بانافها القذر وروي انه تفاخر
رجلان عند موسى ع فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تع الى موسى قل للذي افتخر بل التسعة من اهل النار

اما العجب بالجمال

وانت عاشرهم واما العجب بالجمال فعلاجه ان يعلم انه في معرض الزوال بالعلل والالام والامراض والاسقام واي عاقل يعجب بشيء يزيله حمى يوم
او قرحة او جدري ويبدله بالقبح كما انه لم يتحول ويتبدل عن قريب مع كونه في الدنيا بسبب الشيب بقليل معطلا في قبره في التراب
الشباب بمجيء الشيب وبالموت الذي لا بد من ذوقه كل نفس فانظر الى الوجه الجميلة والابدان الناعمة كيف تمزقت في التراب
وانتنت في القبور بحيث استقذرتها الطباع على انه لو نظر العقلاء الى باطنه لاستقذروه بغاية جاله لما فيه من الفضائح ما تكلف
عليه العجب والتعزز به فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والوسخ في اذنه والنتن تحت ابطه والصديد
تحت بشرته والفضلات في معدته والرجيع في امعائه والدم في عروقه والبول في مثانته والصفراء في مرارته يتردد الى الخلاء كل
يوم مرتين ويغسل الغائط بيده كل يوم دفعتين يخرج من باطنه ما لو رآه بعينه لاستقذره فضلا ان يمسه او يشمه وفي اول

امره

اما العجب بالمال

امره خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض وخرج من مجاري الاقذار اعني الصلب والذكر والرحم والفرج ولو
ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهده بالغسل والتنظيف لثارت منه الانتان والاقذار وصار اقذر وانتن من الدواب المهملة
هذا اوله ووسطه ويموت فيصير جيفة اقذر من سائر الاقذار فالعاقل ان يعجب ويتعزز بخبيثة حاصلة لبدن هذه حقيقته
واما العجب بالمال فعجب بامر خارج عن ذات الانسان فعلاجه انواع العجب وعلاجه ان يتفكر في افات المال وكونه في معرض الفناء والزوال
من الغصب والنهب والحرق والغرق وغير ذلك من الافات السماوية والارضية ويتذكر ان في اليهود والهنود من يزيد عليه في المال
وان لشرف يسبقه اليهود والهنود وان لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود صاحبه ذليلا مفلسا ويتذكر ما ورد في ذم
المال وحقارة الاغنياء وفي فضيلة الفقر وشرافة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة وما ورد في عقوبة المعجب بالمال كقوله ص بينا رجل يتبختر في حلة له مشية قد اعجبته نفسه اذ امر الله الارض فاخذته فهو يتخلخل فيها الى يوم القيمة اشارة الى عقوبة

اما العجب بالقوة

اعجابه بماله ونفسه وكيف يتصور للمؤمن العاقل ان يعجب بالمال ويفرح به مع كثرة حقوقه وعظم غوائله والجاية المؤاخذة وطول
المحاسبة في القيمة والعقوبة والنكال ان كان حراما والحطاط المرتبة والدرجة ان كان حلالا بل ينبغي له ان لا يخلو ساعة عن الخوف
من تقصيره في القيام بحقوقه ولحذره من حله ووضعه في حقه واما العجب بالقوة وشدة البطش فعلاجه ان يتذكر ما سلط عليه
من العلل والامراض وان حمى يوم يضعف قوته ويحلل منها ما لا ينجبر في مدة وانه لو توجع عرق واحد من بدنه صار اعجز من كل عاجز
واذل من كل ذليل وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت في انفه او نملة دخلت في اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت
في رجله لاعجزته ثم اقوى انسان لا يكون اقوى من حمار او جمل او فيل او بقر واي عجب وافتخار في صفة يسبقه البهائم فيها هذا مع ان

اما العجب بالجاه والمنصب

الغالب ان من يعجب بقوته يسلبها الله تع باد في افة يسلطها عليه واما العجب بالجاه والمنصب وولاية السلاطين وكثرة الاتباع
والانصار من الاولاد والاقارب والقبايل والخدام والغلمان والعشاير فعلاجه اولا ان يعلم ان كل ذلك في معرض الانقطاع وعن قريب
يقع بينه وبينها المفارقة اما بفنائه وموته او بفنائها وهلاكها بل العاقل يجدها كسراب بقيعة واحلام خيال لا يبقى منها شيء لاسيما
بعد سيفرق عنه اذا مات ودفن في قبره ذليلا مهينا وحده لا يرافقه اهل واولاد ولا اعوان واتباع فيسلمونه الى البلاء
والى العقارب والحيات والديدان ولا يغنون عنه شيئا وهو في احوج احواله واوقاته اليهم وكيف يعجب العاقل بمن يفارقه في اشد
احواله الظلم في الدنيا يتبعونه ما دام لحصل منه ما يشتهونه من البذل والاعطاء فلا بد له من ان يلقي نفسه في المهالك ويتعرض لسخط
الله وعقوبته لتحصيل الاموال من الوجوه المحرمة ومرضاتهم ليتم لهم متابعته واعانته ولو نقصه في حاجته يقومون بتعرضوا

اما العجب بالعقل والكياسة

لمقته وعداوته فضلا من بقائهم على حمايته وطاعته ثم المعجب بتمكين السلطان وولايته بنا امره على قلب هو اشد غليانا من القدر
اذ لو تغير عليه كان اذل الخلق واما العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقائق الامور فعلاجه ان يعلم ان ذلك من عطيته
باد في مرض يصيب دماغه ويجانب العقل منه مع انه ان كان في الواقع خطا كيف في الامور يلي عليه انه يشكر الله تع على ذلك
ويستقصر عقله وعطائه ليبقي الله عليه تلك النعمة ولا يسلبها عنه لاجل عجبه اما العجب بالراي الخطأ الذي يزين لجهله فهو افتح

اما العجب بالراي

انواع العجب اذ جميع اهل البدع والضلال والفرق الذين اختاروا مذهبا باطلا وارا فاسدة واصروا عليها لعجبهم بها ولذا
يفتخرون بمذاهبهم على غيرهم وبذلك هلكت الامم اذا افترقت فرقا وكل معجب برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وكل ما استحسن
ما يسوقه اليه الهوى والشبهة مع ظن كونه حقا ويكون لهم هذا العجب علامة اخر رسول الله ص ان ذلك يغلب على اخر هذه الامة وعلاجه
اشد من علاج غيره لان صاحب الراي الخطا جاهل بخطائه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الداء الذي لا يعرف وانما العارف يقدر على ان

يبتني إلى جاهل جهله ويرى بليته منه إذا لم يكن معجبا برأيه وخطئه وإذا كان معجبا به يتحتم ولا يصغي إليه حتى يعالج نفسه فسلطت به ما يهلكه
وهو يظن أنها نعمة وكيف يطلب الهرب مما يعتقد أنه سبب سعادته وإنما علاجه في الجملة أن يكون متهما لرأيه لا يغتر به إلا أن يشهد له قاطع
عقلي أو نقلي لا يعتريه ريب وشبهة ويعرف أدلة الشرع والعقل وشروطها ومكان الغلط فيها ويحتاج فيه إلى عقل ثابت وقريحة
تامة مستقيمة مع جد وتشمير في الطلب وممارسة الكتاب والسنة ومجالسة أهل العلم ومدارسة العلوم طول العمر ومع ذلك
لا يؤمن عليه الغلط فالصواب لكل الذي لم يؤيده الله بقوة قدسية يتمكن بها من الخوض في غمرات العلوم أن لا يخوض في المذاهب
الباطلة ولا يصغي إليها ويتبع أهل الوحي فيما جاؤوا به من عند الله في الأصول والفروع **وصل** ضد العجب انكسار النفس واستحقارها
وكونها في نظره ذليلة مهينة وكما أن العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار استصغار الغير معه فكذا ضده مجرد استحقار
النفس من دون اشتراط إعظام الغير معه إذ الأول مع اعتبار الثاني تكبر والثالث مع اشتراط الرابع تواضع وهما ضدان ثم
لا ريب في فوائد انكسار النفس واستصغارها وكل من بلغ مرتبة عظيمة فإنما بلغ بهذه الصفة لأن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم
قال رسول الله ص ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يمسكانه بها فإن هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وإن وضع نفسه
قالا اللهم ارفعه وفيما أوحى الله تعالى إلى موسى أن يا موسى أتدري لم اصطفيتك بكلامي دون خلقي قال يا رب ولم ذاك فأوحى
الله إليه إني قلبت عبادي ظهرا لبطن فلم أجد فيهم أحدا أذل نفسا لي منك يا موسى إنك إذا صليت وضعت خدك على التراب
إنه لما أوحى الله تعالى إلى الجبال أني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن تطاولت وشمخت وتواضع الجودي فضربت السفينة
بجؤجؤها الجبل فقال نوح عند ذلك يا ماريه أتقن وهو بالسريانية يا رب أصلح ومنها الكبر وحقيقته الركون إلى رؤية
النفس فوق الغير وبعبارة أوضح هو عزة وتعظم يوجب رؤية النفس فوق الغير واعتقاد المزية والرجحان عليه فهو يستدعي
متكبرا عليه وبه ينفصل عن العجب إذ العجب مجرد استعظام النفس من دون اعتبار رؤيتها فوق الغير فالعجب سبب الكبر والكبر من
نتائجه ثم الكبر أي العزة الموجبة لرؤية النفس فوق الغير هو خلق في الباطن يقتضي أعمالا في الظاهر هي ثمراته وتسمى
تلك الأعمال الظاهرة الصادرة منه تكبرا ولذا من تعزز في نفسه باطنا فوق الغير من دون صدور فعل على جوارحه يقال له
كبر وإذا ظهر الأعمال يقال تكبر وهذه الأعمال الظاهرة التي هي ثمرات خلق الكبر أفعال وأقوال توجب تحقير الغير والإزراء به كالترفع
عن مؤاكلته ومجالسته والاستنكاف عن رفاقته ومصاحبته والعادة عن نفسه وإبائه عن الجلوس بجنبه وانتظار أن يسلم
عليه وتوقع أن يقوم ماثلا بين يديه والاستنكاف من قبول وعظه وتعنيفه في إرشاده ونصحه وتقديم عليه في المحافل والطرقات
وعدم الالتفات إليه في المحاورات وتوقع التقديم عليه وكل ما يدل على التعظيم عرفا وبالجملة الأعمال الصادرة عن الكبر كثيرة ولا
إلى إحصائها لكونها مشهورة معروفة ومن جملتها الاختيال في المشي وجر الثياب إذ فاعلهما يرى نفسه فوق الغير ويقصد
بهما تحقيره فهما يقتضيان التكبر عليه فيكونان من أنواع التكبر وما ورد في ذمهما يدل على ذمه كما يأتي وهذه الأفعال المعبر
عنها بالتكبر قد يصدر عن الحقد والحسد والرياء وإن لم يكن في النفس عزة وتعظم **فصل** الكبر آفة عظيمة وغائلة هائلة وبه
هلاك خواص الأنام فضلا عن غيرهم من العوام وهو الحجاب الأعظم للوصول إلى أخلاق المؤمنين إذ فيه عز يمنع عن التواضع
وكظم الغيظ وقبول النصح والدوام على الصدق وترك الغضب والحقد والحسد والغيبة والإزراء بالناس وغير ذلك
فما من خلق مذموم إلا وصاحب الكبر مضطر إليه وما من خلق محمود إلا وهو عاجز عنه خوفا من فوات عزه ولذا ورد في ذمه
ما ورد من الآيات والأخبار قال الله سبحانه كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال إنه لا يحب المتكبرين وقال سأصرف

عن آياتي الذين

وصل

صلاها

في ذم الكبر

عن آياتي الذين يتكبرون وقال والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم إلى قوله وكنتم عن آياته تستكبرون وقال
ادخلوا أبواب جهنم خالدين فبئس مثوى المتكبرين وقال والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال إن الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه وقال رسول الله ص لا يدخل الجنة من
كان في قلبه مثقال ذرة حبة من خردل من كبر وقال من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان وقال ص لا ينظر الله
إلى رجل يجر إزاره بطرا وقال قال الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما ألقيته في جهنم وقال
ص لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما أصابهم من العذاب وقال ص يخرج من النار عنق له أذنان
يسمعان وعينان يبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلاث بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين وقال
لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة وقال ص ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم شيخ
زان وملك جبار ومقل مختال وقال ص بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الأعلى بئس العبد عبد تجبر واختال ونسي
الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى وقال ص أهل النار كل
جعظري جواظ مستكبر وأهل الجنة الضعفاء والمقلون وقال ص إن أبغضكم إلينا وأبعدكم منا في الآخرة الثرثارون
المتشدقون المتفيهقون أي المتكبرون وقال ص يحشر المتكبرون يوم القيامة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار
ثم يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الأنيار يسقون من طينة الخبال عصارة أهل النار وقال ص يحشر الجبارون
والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذر يطؤهم الناس لهوانهم على الله وقال إن في جهنم واديا يقال له هبهب حق على الله أن يسكنه
كل جبار وقال إن في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم سلط
بعضهم على بعض والمطيطاء مشية فيها اختيال وقال عيسى بن مريم كما أن الزرع ينبت في السهل ولا ينبت على الصفا كذلك
الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر ألا ترون أن من شمخ برأسه إلى السقف شجه ومن طأطأ أظله وأكنه ولما حضر
نوحا الوفاة دعا ابنيه فقال إني آمركما باثنتين وأنهاكما عن اثنتين أنهاكما عن الشرك والكبر وآمركما بلا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده
وقال سليمان بن داود يوما للطير والجن والإنس والبهائم اخرجوا فخرجوا في مائتي ألف من الإنس ومائتي ألف من الجن فرفع حتى سمع
زجل الملائكة بالتسبيح في السماوات ثم خفض حتى مست قدماه البحر فسمع صوتا يقول لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت
به أبعد مما رفعته وقال الباقر ع الكبر رداء الله والمتكبر ينازع الله رداءه وقال العز رداء الله والكبر إزاره فمن تناول شيئا
منه أكبه الله في جهنم وإن في جهنم لواديا للمتكبرين يقال له سقر شكا إلى الله شدة حره وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم وقال ع
المتكبرون يجعلون في صورة الذر يتوطؤهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب وقال ما من أحد يتكبر أو يتجبر إلا لذلة وجدها في نفسه
وقال ع إن في السماء ملكين موكلين بالعباد فمن تواضع رفعاه ومن تكبر وضعاه وقال ع الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق
قال الراوي أما الحق فلا أجهله والغمص لا أدري ما هو قال من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار وقال ع ما من عبد إلا وفي رأسه
حكمة وملك يمسكها فإذا تكبر قال له اتضع وضعك الله فلا يزال أعظم الناس في نفسه وهو أصغر الناس في أعين الناس وإذا
تواضع رفعه الله ثم قال له انتعش نعشك الله فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس **وصل** التكبر
قد يكون على الله تعالى كما كان لنمرود وفرعون وسببه الطغيان ومحض الجهل وهو أفحش أنواع الكبر إذ هو أعظم أفراد الكفر ولذا
تكرر في ذمه الآيات كقوله سبحانه إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر

البطر بفتح الباء والطاء ...

فيحشرهم اليه جميعا وقوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا وقوله والذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقد يكون على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لهم كما كان من يقول اهؤلاء من الله عليهم من بيننا ولمن يقول انؤمن لبشرين مثلنا وان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون ولمن قال لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا وهذا في الشناعة قريب من التكبر على الله وان كان دونه وقد يكون على العباد بان يستعظم نفسه ويستصغرهم وهذا وان كان دون الاولين الا انه من المهلكات العظيمة من حيث انه يؤدي الى المخالفة لله سبحانه اذا سمع الحق من عبد استنكف من قبوله واشمأز لجحده ومن حيث ان العظمة والعلو لا يليق الا بالعلي الاعلى فمن تكبر على العبد نازع الله في صفة من صفاته ولذا قال الله سبحانه العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته فصل للكبر درجات ثلث الاولى ان يكون مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره واظهره في افعاله بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران وان يصعر خده للناس كانه معرض عنهم وتعبيس وجهه وتقطيب جبينه وفي اقواله باظهار الانكار على ما يقصر فيما يتوقعه من التعظيم والدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل وهذه الدرجة ابعد الدرجات واشدها فقد رسخت في قلبه شجرة الكبر وارتفعت اغصانها وفروعها بحيث احاطت على جميع جوارحه الثانية كالاولى الا في اظهاره على اللسان وهي دون الاولى لكونها اقل اغصانا منها الثالثة ان يكون مستقرا في قلبه بحيث يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد في التواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا وان رسخت في قلبه شجرة الكبر الا انه قطع اغصانها بالكلية فان كان مع ذلك منكرا على النفس فيما رسخ فيها مغضبا عليها ومتشمرا لازالته الا انه لم يقدر على دفعه بسرعة وسهولة وربما تميل النفس الى ما تشتهيه في بعض الاحيان بدون اختياره ولكنه كان في مقام المجاهدة فلعله لم يكن عليه كثير اثم ومثله يوفقه الله تعالى للوصول الى ما يطلبه بمقتضى وعده

فصل الكبر كالعجب في كيفية العلاج اجمالا وتفصيلا اذ الكبر لما تضمن معنى العجب اي استعظام النفس وكان العجب مثاله فما ذكر لعلاج العجب هو العلاج لمطلق الكبر ايضا ولكون اسباب الكبر اعني بواعثه هي بواعث العجب بعينها فما ذكر لعلاج العجب بالبواعث المذكورة مشترك بينهما ومن المعالجات المختصة بالكبر ان يتذكر ما ورد في ذمه من الايات والاخبار المذكورة وغيرها ويتأمل ما ورد في مدح ضده اعني التواضع كما ياتي ولكون الكبر مشتملا على شيء زائد على العجب هو رؤية النفس فوق الغير فينبغي ان يعلم ان الحكم بمزية نفسه من الغير غاية الجهل والسفاهة فلعل في الغير من خفايا الاخلاق الكريمة ما يخفى وفيه من المهلكات والملكات الذميمة ما يهلكه ويرديه وكيف يجوز صاحب البصيرة ان يرجح نفسه على الغير مع ابهام الخاتمة وخفاء الاخلاق الباطنة واسرار القلوب الا انه تعالى لله سبحانه وفي صدورها وتخفى منه ومعلوليتها ولا ذميتها فالواقف على خطر الخاتمة والناظر الى النجاة والهلاك بالبواطن لا يرى لنفسه مزية على غيره والعارف يكون كل فرد من الموجودات اثرا من اثار ذاته ولمعة من لمعات انوار صفاته بل رشحة من رشحات فضله وجوده وقطرة من قطرات نيار فيض وجوده لا ينظر الى احد بنظر السوء والعداوة بل يشاهد الكل بعين الخيرية والمحبة فان قيل كيف يحسن ان يتواضع العالم الورع للجاهل الفاسق ويرى احدا من نفسه مع ظهور جهله وفسقه وقطعه باتصاف نفسه بالعلم والورع وخلوه عنهما وكيف يجوز له ان يحب فاسقا او كافرا او مبتدعا ويتواضع له ولا يعاديه مع انه مبغوض عند الله فلو كان مامورا ببغضه والجمع بين الحب والتواضع وبين البغض جمع بين النقيضين اجيب اما عن الاول فبان حقيقة التواضع الذي يرى النفس له قاصرة واقعية وخيرية حقيقية على الغير الا انه لا يرى مزية لذاته في الصفات الظاهرة المتجرم باتصاف نفسه بها وعدم اتصافه بها كالعلم والعبادة والسخاوة والعدالة والاجتناب عن الاموال المحرمة وغير ذلك اذ العالم ببعض العلوم لا يمكنه ان يدعي عن

نفسه القطع بكونه عالما بها وكون الفلان العامي غير عالم بها لكن المزية الواقعية والخيرية النفس الامرية انما هو بالتقرب الى الله والوصول الى السعادة الابدية ولا شك في ان ذلك لا يحصل بمجرد تعلم بعض العلوم والمواظبة على بعض العبادات او غير ذلك من الصفات المحمودة بل حسن الخاتمة وصواب العمل اذ العواقب مطوية عن العباد فيمكن ان يسلم الكافر ويختم له بالايمان ويضل هذا العالم الورع ويختم له بالكفر فعلى كل عبد ان لا يرى من هو شر منه ظاهرا ان يقول لعل هذا ينجو واهلك انا فلا يرى شرا من نفسه في الواقع خائفا من العاقبة ويقول لعل لهذا باطنا بان يكون له خلق كريم بينه وبين الله فرحمه الله ويتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال وبه ظاهر الاتيان بما يحبط الاثام فتحبط وبالجملة ملاحظة الخاتمة والسابقة والعلم بان الكمال في القرب من الله وسعادة الاخرة دون ما يظهر في الدنيا من الاعمال الظاهرة يوجب نفي الكبر والتواضع لكل احد واما عن الثاني فان الحب ينبغي ان يكون لاجل النسبة الشريفة المذكورة والتواضع لاجل ملاحظة الخاتمة والبغض والغضب عليه لاجل ما ظهر منه من الكفر والفسق واي منافاة بين الغضب لله عليه في معصيته من جهة وبين عدم الكبر والاذلال اذ الغضب انما هو لله لا للنفس اذ امرك بان تغضب عند مشاهدة المنكر والتواضع وعدم الكبر انما هو بالنظر الى نفسك بان لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك هالكا وحال غضبك عليه لامر الله بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة فليس من ضرورة الغضب والبغض لله ان يتكبر على المغضوب عليه ويرى قدرك فوق قدره ومثال ذلك ان يكون للملك غلام وولد ووكل الملك الغلام على ولده بان يراقبه ويضربه مهما اساء ادبه ويغضب عليه اذا اشتغل بما لا يليق به فان كان الغلام مطيعا محبا لمولاه يغضب عليه ان اساء ادبه امتثالا لامر مولاه مع محبته لانتسابه الى مولاه بالولادة ولا يتكبر عليه ويتواضع له ويرى قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد اعز لا محالة من الغلام تتمة تذنيب ما ذكرناه لعلاج الكبر انما هو العلاج العلمي واما العلاج العملي فهو ان يتواضع بالفعل لسائر الخلق ويواظب على اخلاق المتواضعين ويكلف نفسه على ذلك الى ان يقطع من قلبه شجرة الكبر باصولها وفروعها ويصير التواضع ملكة له وللقطع الكلي وحصول ملكة يعرف انحسامها فلا بد ان يمتحن نفسه بامتحانات يطمئن بانه متواضع اذ النفس قد يظهر التواضع ويدعي البراءة من الكبر فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبعها ونسيت وعدها الاول ان يناظر مع اقرانه في بعض المسائل فاذا ظهر شيء من الحق على لسانهم فان اعترف به مع السرور والاهتزاز واشكر لهم اياه على ما تفضلوا عليه علامة التواضع وان ثقل عليه القبول والاعتراف ولم يسر بظهور الحق على لسانهم فهو دليل بقاء الكبر بعد فليعالجه من حيث العلم بان يتذكر سوء عاقبته وخسة نفسه وخباثتها من حيث ان قبول الحق يثقل عليها ومن حيث العمل بان يكلف نفسه على ما يثقل من الاعتراف بالحق واطلاق اللسان بالثناء والاقرار على نفسه بالعجز والقصور ويقول ما احسن ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك له طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه وطاب له قبوله وان يثقل عليه في الخلوة وثقل عليه في الملا فليس فيه كبر بل ياتي في معالجة الرياء الثاني ان يتقدم على الاقران والامثال على نفسه في المحافل ويمشي خلفهم في الطرق فان لم يثقل عليه ذلك فهو متواضع والا فمتكبر فليعالج بالتكليف ويجلس تحتهم ويظهر الرضا والابتهاج بذلك حتى يسقط عنه ثقله وقال ابو عبد الله عليه السلام ان من التواضع ان يجلس الرجل دون شرفه وقال عليه السلام من التواضع ان ترضى بالمجلس دون المجلس وان تسلم على من تلقى وان تترك المراء وان كنت محقا والحب بان يحمد على التقوى ومن المتكبرين من اذا اخذ مكانا في الصدر يجلس في صف النعال او يجعل بينه وبين الاقران بعض الارذال ولا يجلس تحتهم وغرضهم من ذلك استحقاق الاقران او ايهامهم ان تركهم للصدر انما هو بالتفضل فهذا نوع من الكبر الثالث ان يجيب دعوة الفقير ويمر الى السوق في حاجة الرفقاء والاقارب ويحمل حاجتهم وحاجة نفسه الى البيت

فان لم يثقل عليه ذلك في الخلوة والملاء فليس فيه كبر ولا رياء وان ثقل عليه فيهما ففيه كبر ورياء وان ثقل عليه عند مشاهدة الناس دون الخلوة
ففيه رياء دون الكبر قال امير المؤمنين ع لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وروي انه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقال
له بعضهم احمل عنك يا امير المؤمنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل وروي ان الصادق ع نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله
شيئا وهو يحمله فلما رآه الرجل استحيى منه فقال ع اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري
لعيالي الشيء ثم احمله اليهم الرابع ان يلبس ثيابا بذلة فان لم يثقل عليه ذلك اصلا فليس فيه كبر ورياء والا كان متكبرا او مرائيا قال رسول
الله ص من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وقال ص انما انا عبد آكل على الارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق
اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وقيل لسلمان لم لا تلبس جيدا فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشار به
الى العتق في الآخرة وقال رسول الله ص البذاذة من الايمان وعوتب امير المؤمنين ع في ازار مرقوع فقال يقتدي
به المؤمن ويخشع له القلب الخامس ان ياكل مع خدمه وعياله فان لم يثقل عليه فهو متواضع والا فمتكبر روى رجل من اهل بلخ قال كنت مع
الرضا ع في سفره الى خراسان فدعا يوما بمائدة له فجمع عليها مواليه من السودان وغيرهم فقلت جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة فقال
مه ان الرب تعالى واحد والدين واحد والام واحدة والاب واحد والجزاء بالاعمال ثم الامتحانات لبقايا الكبر ليست محصورة بما ذكر بل كثيرة
كان يحب قيام الناس له او بين يديه قال امير المؤمنين ع من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد وبين يديه قوم قيام
وقال بعض الصحابة لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله ص وكانوا اذا رأوه لا يقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك او كان لا يمشي
خلف غيره ويقدمه انه لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان رسول الله ص في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب ويامرهم
بالتقدم ويمشي في غمارهم او لا يزور غيره وان كان في زيارته فائدة دينية له او يستنكف من مجالسة الفقراء والمعلولين والمرضى
روي انه دخل على رسول الله ص رجل عليه جدري قد تقشر وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه النبي ص بجنبه وكان
ص في نفر من اصحابه ياكلون في بيته اذ دخل عليهم رجل به زمانة يتكره الناس لاجلها فاجلسه رسول الله ص على فخذه وقال اطعم وكان رجل من قريش
اشمأز منه ويكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها ومر سيد الساجدين ع على المجذومين وهو راكب حماره وهم يتغذون
فدعوه الى الغداء فقال اما اني لولا اني صائم لفعلت فلما صار الى منزله امر بطعام فصنع وامر ان يتنوقوا فيه ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى
معهم وغيرها من غيرها من الامتحانات ولقد كان سيرة رسول الله ص جامعة لجميع ما يتحقق به التواضع بريئة عن جميع ما يستشم منه الكبر
من الافعال والحركات ينبغي لكل مؤمن ان يقتدي به قال ابو سعيد الخدري انه ص كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت
ويحلب الشاة ويخصف النعل ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيى ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء ان يعلقه
بيده او يجعله في طرف ثوبه وينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدئا على كل من استقبله من صغير او كبير اسود
او احمر حر او عبد من اهل الصلوة ليست له حلة لمدخله وحلة لمخرجه لا يستحيي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه
وان لم يجد الا حشف الدقل لا يرفع غداء لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما
من غير ضحك محزونا من غير عبوس شديدا في غير عنف متواضعا في غير مذلة جوادا من غير سرف رحيما بكل مسلم وذمي
وسلم رقيق القلب دائم الاطراق لم يبشم قط من شبع ولا يمد يده الى طمع وقال ابو الحسن ع التواضع ان تعطي الناس ما تحب ان تعطاه
وعن حد التواضع الذي اذا فعله العبد كان متواضعا فقال التواضع درجات منها ان يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم لا يحب ان
ياتي الى احد الا مثل ما يؤتى اليه ان رأى سيئة درأها بالحسنة كاظم الغيظ عاف عن الناس والله يحب المحسنين وفصل قد اشير الى ان

وصل

ضد الكبر

رفع الكبر

ضد الكبر التواضع وهو انكسار للنفس يمنعها من ان يرى لذاتها مزية على الغير ويلزمها افعالا واقوالا موجبة لاستعظام الغير واكرامه والمواظبة
عليها اقوى معالجة لازالة الكبر ولا بد من الاشارة الى الاخبار الواردة في مدح التواضع وفوائده تحريكا للطالبين الى السعي في تحصيل الموجب
لازالة ضده وهذه الاخبار كثيرة خارجة عن حد الاحصاء فنكتفي بايراد بعض منها قال رسول الله ص ما تواضع احد لله الا رفعه الله
وقال طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذلة والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة
وروي ان الله سبحانه اوحى الى موسى انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري

في التواضع

وكف نفسه عن الشهوات من اجلي وقال رسول الله ص ما لي لا ارى عليكم حلاوة العبادة قالوا وما حلاوة العبادة قال التواضع وقال
اذا تواضع العبد رفعه الله الى السماء السابعة وقال ص اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع
غير شائن له ورزقه مع ذلك تواضعا فذلك من صفوة الله وقال ص اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة
والتوكل على الله والتواضع والزهد في الدنيا وقال ص انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله يدفع به الكبر
عن نفسه وقال ص من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله ومن اقتصد في معيشته رزقه الله ومن بذر حرمه الله ومن
اكثر ذكر الموت احبه الله ومن اكثر ذكر الله اظله الله في جنته وروي انه ص اتاه ملك فقال ان الله يخيرك ان تكون
عبدا رسولا متواضعا او ملكا رسولا فنظر ص الى جبرئيل واومى بيده ان تواضع فقال عبدا رسولا فقال الرسول يعني الملك مع انه
لا ينقصك مما عند ربك شيئا وقال عيسى بن مريم ع طوبى للمتواضعين في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين
الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى للمطهرة قلوبهم في الدنيا هم الذين ينظرون الى الله يوم القيمة وقال
ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم الله واوحى الله الى داود يا داود كما ان اقرب الناس الى الله المتواضعين
كذلك ابعد الناس من الله المتكبرون وروي ان سليمان بن داود اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين ليقعد
معهم ويقول مسكين مع مساكين وروي انه ورد على امير المؤمنين ع اخوان له مؤمنان اب وابن فقام اليهما واكرمهما واجلسهما في صدر مجلسه
وجلس بين يديهما ثم امر بطعام فاحضر فاكلا منه ثم جاء قنبر بطست وابريق وماء ليصب على يد الرجل فوثب امير المؤمنين واخذ الابريق
ليصب على يد الرجل فتمرغ الرجل في التراب فقال يا امير المؤمنين الله يراني وانت تصب على يدي قال اقعد واغسل فان الله
عز وجل يراك واخوك الذي لا يتميز منك ولا يتفضل عليك يريد بذلك خدمته في الجنة مثل عشرة اضعاف اهل الدنيا فقعد الرجل
وقال له علي اقسمت عليك بعظيم حقي الذي عرفته لما غسلت مطمئنا كما كنت تغسل لو كان الصاب عليك قنبر ففعل الرجل ذلك فلما فرغ
ناول الابريق محمد بن الحنفية وقال يا بني لو كان هذا الابن حضرني دون ابيه لصببت على يده ولكن الله عز وجل يابى ان يسوي بين
ابن وابيه اذا جمعهما مكان لكن قد صب الاب على الاب فليصب الابن على الابن فصب محمد بن الحنفية على الابن وقال الصادق ع التواضع اصل كل
شرف نفيس ومرتبة رفيعة ولو كان للتواضع لغة يفهمها الخلق لنطق عن حقائق ما في مخفيات العواقب والتواضع ما يكون لله
وفي الله وما سواه مكر ومن تواضع لله شرفه الله على كثير من عباده ولاهل التواضع سيماء يعرفها اهل السموات من الملائكة
واهل الارض من العارفين قال الله عز وجل وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم واصل التواضع من اجلال الله وهيبته وعظمته وليس
لله عز وجل عبادة يرضاها ويقبلها الا وبابها التواضع ولا يعرف ما في حقيقة التواضع الا المقربون من عباده المتصلين بوحدانيته
قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقد امر الله عز وجل اعز خلقه وسيد
بريته محمدا ص بالتواضع فقال عز وجل واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين والتواضع مزرعة الخضوع والخشوع والخشية والحياء

والنهي لايأتي الاستشهاد لا بسبيل الشرف التام الحقيقي الا للمتواضع في ذات الله وقال الامام ابو محمد الحسن بن العسكري ع اعرف الناس
بحقوق اخوانهم واشدهم قضاء لها اعظمهم عند الله شأنا ومن تواضع في الدنيا لاخوانه فهو عند الله من الصديقين ومن شيعة علي بن ابي طالب
حقا تتميم كلما عرفت ان كل فضيلة وسط لها طرفان مذمومان فاعلم ان طرفي التواضع الكبر كما عرفت وهو من طرف الافراط وقد مر ذمه والمذلة
والتخاسس وهو من التفريط فكما ان الكبر مذموم فكذا المذلة والتخاسس ايضا مذموم اذ كلا طرفي الامور ذميم والمحمود هو التواضع
من دون الخروج الى شيء من الطرفين اذ احب الامور الى الله اوسطها وهو ان يعطي كل ذي حق حقه وهو العدل فلو وقع في طرف النقصان
فليرفع نفسه اذ ليس للمؤمن ان يذل نفسه فالعالم اذا دخل عليه اسكاف فتخلى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى نعليه وغدا واذا قام عدا
الى الباب خلفه فقد تخاسس وتذلل وهو غير محمود بل هو مذموم ولو وقع في طرف التفريط فالاولى اذا وقع فيه ان يرفع نفسه
الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم فان العدل ان يتواضع مثل ما ذكر لامثاله ولمن يقرب من درجته فاما تواضعه للسوقي فبالقيام والبشر في الكلام والرفق
في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى نفسه خيرا منه نظرا الى خطر الخاتمة ثم ينبغي ان لا يتواضع للمتكبرين اذ الانكسار
والتذلل لمن يتكبر ويتعزز مع كونه من التخاسس والمذلة المذمومة يوجب اضلال هذا المتكبر وتقريره على تكبره واذا لم يتواضع له الناس
وتكبروا عليه تنبه وترك التكبر اذ المتكبر لا يرضى بتحمل المذلة والاهانة من الناس ولذا قال رسول الله ص اذا رأيتم المتواضعين من امتي فتواضعوا
لهم واذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار ومنها الافتخار وهو المباهاة باللسان بما يعتقده كمالا والغالب كونها الافتخار
بالامور الخارجة عن ذاته وهو بعض اصناف التكبر كما اشير اليه فكل ما ورد في ذمه يدل على ذمه والاسباب الباعثة عليه هي اسباب التكبر وقد
ان شيئا منها لا يصلح لان يكون منشأ للافتخار فهو ناش من محض الجهل والسفاهة قال سيد الساجدين عجبا للمتكبر الفخور الذي كان بالامس
نطفة ثم هو غدا جيفة وقال الباقر ع عجبا للمختال الفخور وانما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به وقال ص
الى المنبر يوم فتح مكة فقال ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بابائها الا انكم من آدم وآدم من طين الا ان خير
عباد الله عبد اتقاه وقال ص لعقبة بن بشر الاسدي انا في الحسب الضخم عزيز في قومي فقال له بم تمن علينا بحسبك ان الله رفع بالايمان من كان
الناس يسمونه وضيعا اذا كان مؤمنا ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفا اذا كان كافرا فليس لاحد فضل على احد الا بتقوى الله وقال
الصادق ع قال رسول الله آفة الحسب الافتخار وقال افتخر رجل عند رسول الله ص بابائه فعد منهم تسعة فقال له رسول الله اما انك عاشرهم في
النار وفي ان القريش تفاخروا عند سلمان فقال لكني خلقت من نطفة قذرة ثم اعود جيفة منتنة ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان
خف فانا لئيم ومنها استعظام نفسه وترجيحها على غيره بالقول ومنها البغي ويسمى البذخ ايضا وهو صعوبة الانقياد والتابعية لمن
يجب ان ينقاد ويقال ايضا لمطلق العلو والاستطالة سواء تحقق في ضمن عدم الانقياد لمن يجب ان ينقاد او في ضمن احد افعال الكبر او في ضمن الظلم
والتعدي على الغير وعلى التقديرين فهو اخبث انواع الكبر اذ عدم الانقياد لمن يجب ان ينقاد كالانبياء واوصيائهم يؤدي الى الكفر الموجب للهلاكة
الابدية ولقد هلك بذلك اكثر طوائف الكفار كاليهود والنصارى وكفار قريش وغيرهم وكذا الظلم والتعدي على المسلم واذلاله بالمقهورية
والمغلوبية من المهلكات العظيمة ولغاية رداءته وذمه ورد قال رسول الله ص ان اعجل الشر عقوبة البغي وقال ص حق على الله عز وجل ان لا يبغي شيء على
شيء الا اذله الله ولو ان جبلا بغى على جبل لهد الله الباغي منهما وقال امير المؤمنين ايها الناس ان البغي يقود اصحابه الى النار وان اول من بغى على
الله عناق بنت آدم واول قتيل قتله الله عناق وكان مجلسها جريبا في جريب وكان لها عشرون اصبعا لكل اصبع ظفران مثل المنجلين فسلط الله
عليها اسدا كالفيل وذئبا كالبعير ونسرا كالبغل فقتلوها وقد قتل الله الجبابرة على افضل احوالهم وآمن ما كانوا وقال الصادق ع يقول ابليس لجنوده
القوا بينهم الحسد والبغي فانهما يعدلان عند الله الشرك وكتب الى بعض اصحابه انظر ان لا تكلمن بكلمة بغي ابدا وان اعجبتك نفسك وعشيرتك

فعلم

العلماء واجب ان يتذكر اولا هذه الاخبار الواردة في ذم رد نائبهم وما ورد في مدح ضده اعني التسليم والانقياد لمن يلزم اطاعته ومتابعته كقولهم ع
شيعتنا المسلمون والايات والاخبار الواردة في وجوب اطاعة الله واطاعة النبي ص واولي الامر وغيرهم من العلماء والفقهاء الذين هم نواب الائمة
في زمن الغيبة وبعد ذلك يكلف نفسه التابعية والاطاعة لمن يجب ان يطيعه ويخضع له قولا وفعلا حتى يصير ذلك له ملكة ومنها تزكية
النفس بنفي النقايص عنها واثبات الكمالات لها وهو من نتايج العجب وبعد ما ظهر خبثه اذ من عرف حقيقة الامكان ثم اطلع على
الانسان يعلم انه عين القصور والنقصان فلا يطلق بمدح نفسه الا ساهيا على انه يتضمن خصوصا قبحا يشهد به الذوق والوجدان ولذا
قال امير المؤمنين ع تزكية المرء لنفسه قبيح وقد تقدم ما يكفيك لمعرفة حقارة الانسان وخساسته ثم ضد التزكية عدم تبرئة
نفسه من العيوب والاقرار بها واثبات النقايص لها واذا كلف نفسه وفعل ذلك مرات متوالية يصير معتادا له ويزول عنه
ما اعتاده من مدح نفسه ومنها العصبية وهو السعي في حماية نفسه او ما له اليه نسبة من الدين والاقارب والعشاير واهل البلد
قولا او فعلا فان كان لحمية يدفع عنه السوء مما يلزم حفظه وحمايته وكان حماية بالحق من دون خروج عن الانصاف والوقوع فيما لا يجوز
شرعا فهو الغيرة الممدوحة التي من فضايل قوة الغضب كما مر وان كان مما لا يلزم حمايته او كان حماية بالباطل بان يخرج عن الانصاف
وارتكب المحرم شرعا فهو التعصب المذموم وهو من رذائل قوة الغضب والى ذلك يشير كلام سيد الساجدين حيث سئل عن العصبية
فقال العصبية التي يأثم عليها صاحبها ان يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين وليس من العصبية ان يحب الرجل قومه
ولكن من العصبية ان يعين على الظلم والغالب اطلاق العصبية في الاخبار على التعصب المذموم ولذا ورد بها الذم كقول النبي ص
من تعصب او تعصب له فقد خلع ربق الايمان من عنقه وقوله ص من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيمة مع اعراب
الجاهلية وقال سيد الساجدين ع لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب وذلك حين اسلم غضبا للنبي ص في حديث السلا
الذي القي على النبي ص وقال الصادق ع ان الملائكة كانوا يحسبون ان ابليس منهم وكان في علم الله انه ليس منهم فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب
فقال خلقتني من نار وخلقته من طين ومنها كتمان الحق والانحراف عنه مع العلم به وباعثه اما العصبية او الجبن فهو من نتايج واحدة منهما
فعلى الاول يكون من رذائل قوة الغضب من جانب الافراط وعلى الثاني يكون من رذائلها من جانب التفريط وربما كان الباعث في بعض افراده
الطمع المالي الا ان الظاهر كون الفاعل المباشر للنفس مع رداءة قوة الغضب كما في نفس الغضب غيرة اذ ما لم يحصل للنفس ضعف في
القوة الغضبية وخمود لم يتحقق كتمان الحق ويندرج تحته الميل في الحكم وكتمان الشهادة وشهادة الزور وتصديق المبطل وتكذيب
المحق وغير ذلك والظواهر الدالة على ذم ما ورد على كل واحد من الاصناف المندرجة تحته كثيرة ولا حاجة الى ذكرها لاشتهارها وعلاج
العصبية وكتمان الحق ان يتذكر اولا انهما يجلبان سخط الله ومقته وربما تأديا الى الكفر وثانيا فوائد ضدهما اعني الانصاف والاستقامة
على الحق وبعد ذلك يكلف نفسه على اظهار ما هو الحق والعمل به ولو بالمشقة الشديدة الى ان يصير ذلك عادة له فيزول عن نفسه ما حصل
له من التعصب وكتمان الحق تتميم لما كان ضدهما الانصاف والاستقامة على الحق فلنشر الى بعض ما ورد في مدحهما ليكون باعثا للطالبين
الى الاتصاف بهما قال رسول الله ص لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف من نفسه وبذل
السلام وكان ص يقول في آخر خطبته طوبى لمن طاب خلقه وطهرت سجيته وصلحت سريرته وحسنت علانيته وانفق الفضل من ماله وانصف
الناس من نفسه وقال ع سيد الاعمال انصاف الناس من نفسك الخ وقال ع من واسى الفقير من ماله وانصف الناس من نفسه
فذلك المؤمن حقا وقال ع ثلث خصال من كن فيه او واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم القيمة لا ظل الا ظله رجل اعطى الناس من نفسه
ما هو سائلهم الحديث وقال امير المؤمنين في كلام له الا انه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله الا عزا وقال الصادق ع من يضمن اربعة

٢ واصل الى الفضل ٢

حولى

بالبيع ابياتي الجنة انفق ولا تخف فقرا وافش السلام في العالم واترك المراء وان كنت محقا وانصف الناس من نفسك وقال عليه السلام
الا اخبركم باشبهكم بي اخلاقا فذكر ثلثة اشياء اوسطها انصافا الناس من نفسك وقال من انصف الناس من نفسه
رضي به حكما لغيره وقال ما تدار اثنان في امر قط فاعطى احدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه الا اديل منه وقال ثلثة هم اقرب
الخلق الى الله يوم القيمة حتى يفرغ من الحساب رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه الى ان يحيف على من تحت يده ورجل مشى بين اثنين فلم يمل
مع احدهما على الآخر بشعيرة ورجل قال بالحق فيما له وعليه وقال ان لله جنة لا يدخلها الا ثلثة احدهم من حكم في نفسه بالحق ومنها
القساوة وهو ملكة عدم التأثر بتضعضع تألم ابناء النوع ولا ريب في كونها ناشئا من غلبة السبعية واكثر ذمائم الصفات من الظلم والايذاء وعدم
اعانة المظلومين وعدم مواساة المحتاجين وغير ذلك يترتب عليه وضدها الرحمة وهو التأثر عن مشاهدة تألم ابناء النوع
ويترتب عليه من الصفات المرضية اضداد ما ذكر وقد ورد في المدح والترغيب في الاخبار الكثيرة كقول النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل
من الرحماء من عبادي تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وكقول الله
اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متراحمين الخ وقوله تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا اخوة بررة
كما امركم الله وقوله يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون على التعاطف والمواساة لاهل الحاجة وتعاطف بعضهم
على بعض حتى تكونوا كما امركم الله رحماء بينهم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من امرهم على ما مضى عليه معشر الانصار على عهد رسول
الله وقد ورد ان من رحم على العباد يرحمه الله والاخبار الواردة في فضيلة مطلق الرحمة وفي فضيلة خصوص كل واحد فيما ينتج
تحته من اعانة المحتاج واعانة المظلوم ومواساة الفقير والاهتمام بمصائب المؤمنين وامثال ذلك اكثر من ان يحصى ثم ان ازالة
القساوة واكتساب الرحمة في غاية الاشكال اذ القساوة صفة راسخة في القلب لا يقدر على تركها بسهولة فطريق العلاج ان يترك
لوازمها وآثارها من الافعال الظاهرة ويواظب على ما يترتب على الرحمة من الصفات الاختيارية ويكلف نفسه على ذلك حتى يرتفع على

المقام الثالث

التدريج مبدء الاولى ويحصل مبدء الثانية **المقام الثالث** فيما يتعلق بالقوة الشهوية من الرذايل والفضائل وكيفية العلاج فنقول
اما جنس الرذائل فاحدها الشره وهو طاعة شهوة البطن والفرج وشدة الحرص على الاكل والجماع ومباشرة ما تتعلق القوة الشهوية في كل
ما تدعو اليه من شهوة البطن والفرج وحب المال وغير ذلك ليكون اعم من سائر رذائل قوة الشهوة ويحقق جنسيته وعلى الاول يكون
بعض رذايلها كحب الدنيا المتعلق بها اعم منه الا ان القوم لما فسروه بالاول نحن اتبعناهم اذ الامر في مثله هين وبالجملة رذيلة الشره
من طرف الافراط ولا ريب في كونه اعظم المهلكات لابن آدم ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب
البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان وقال وقيل للناس من القبقبين فقيل وما هما يا رسول الله قال الحلق والفرج وقال
اكثر ما يلج به امتي النار الاجوفان البطن والفرج وقال ثلث اخافهن على امتي من بعدي الضلالة بعد المعرفة ومضلات الفتن وشهوة
البطن والفرج ويدل على ذم الاول اعني شهوة البطن والحرص على الاكل والشرب قوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات
يقمن صلبه فان كان لا بد فاعلا لا محالة فثلث لطعام وثلث لشراب وثلث لنفسه وقال لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام و
الشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا وتفكرا وابغضكم الى الله تعالى كل نؤوم
اكول شروب وقال المؤمن ياكل في معاء واحد والمنافق ياكل في سبعة امعاء اي ياكل سبعة اضعاف ما ياكل المؤمن ويكون شهوته
سبعة امثال شهوته فالمعاء كناية عن الشهوة وقال ابغض الناس الى الله المتخمون الملأ وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا
كانت له درجة في الجنة وقال بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد وقال اطول الناس جوعا يوم القيمة
اكثرهم

في ذم كثرة الاكل

اكثرهم شبعا في الدنيا وقال لا يدخل ملكوت السموات قلب من ملأ بطنه وفي التورية ان الله ليبغض الحبر السمين لان
السمن يدل على الغفلة وكثرة الاكل وفي بعض الآثار ان الله يبغض القارئ السمين وقال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة
وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الباقر عليه السلام اذا شبع البطن طغى وقال ما من شيء ابغض الى الله من بطن مملو وقال
الصادق ان البطن ليطغى من اكله واقرب ما يكون العبد الى الله تعالى اذا خف بطنه وابغض ما يكون العبد الى الله تعالى اذا امتلأ بطنه
وقال المسيح لابن آدم يكفي اكله يقيم بها صلبه فاذا اكل احدكم طعاما فليجعل ثلث بطنه للطعام وثلث بطنه للشراب وثلثه للنفس
ولا تسمنوا سمن الخنازير للذبح وقال ما من شيء لقلب المؤمن من كثرة الاكل فهي مورثة شيئين قسوة القلب وهيجان الشهوة و
الجوع ادام للمؤمن وغذاء للروح وطعام للقلب وصحة للبدن والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة ولا ريب في ان اكثر
الامراض والاسقام على كثرة الاكل قال صلى الله عليه وسلم كل داء من التخمة الا الحمى فانها ترد ورودا وقال الاكل على الشبع يورث البرص
وكفى بشهوة البطن ذما انها صارت منشأ لاخراج آدم وحوا من دار القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن اكل الشجرة فغلبتهما
شهوتهما حتى اكلا منها فبدت لهما سوءاتهما والبطن منبت الادواء والآفات وينبوع الشهوات اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة
الشبق الى المنكوحات ويتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه ليتوسل بهما الى التوسع في المطعومات والمنكوحات ويتبع ذلك
انواع الرعونات وضروب المحاسدات والمنافسات ويتولد من ذلك آفة الرياء وغائلة التفاخر والتكاثر والعجب والكبر ويؤدي
ذلك الى الحقد والعداوة والبغضاء ويفضي ذلك بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد
من بطر الشبع والامتلاء ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق مجاري الشيطان لم يسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به الى

في مدح الجوع

الانهماك في الدنيا والانغمار فيما يفضي الى الهلاك بسواء ولذلك ورد في فضيلة الجوع والصبر عليه ما ورد من الاخبار قال
رسول الله جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس عمل احب الى الله تعالى من جوع و
عطش وقال افضل الناس من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته وقال سيد الاعمال الجوع وذل النفس وقال اشربوا وكلوا
في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال قلة الطعام هي العبادة وقال ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول
انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام والشراب في الدنيا فتركهما لاجلي اشهدوا يا ملائكتي ما من اكلة تدعها الا ابدلته بها
درجات في الجنة وقال اقرب الناس الى الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا وقال عيسى اجيعوا اكبادكم واعروا
اجسادكم فلعل قلوبكم ترى الله تعالى وقالت بعض ازواجه ان رسول الله لم يمتلئ شبعا قط وربما بكيت رحمة لما ارى به
من الجوع فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقويك ويمنعك من الجوع فيقول اخواني
من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي
ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فان صبرا اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الآخرة وما من شيء احب الي من اللحوق
باخواني واخلائي وروي انه جاءت فاطمة عليها السلام بكسرة خبز الى رسول الله فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي

فوائد الجوع

حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال اما والله انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام ثم للجوع فوائد منها صفاء القلب ورقته واتقاد
الذهن وحدته والالتذاذ بالمناجاة والطاعة والابتهاج بالذكر والعبادة والترحم لارباب الفقر والفاقة وتذكر جوع
يوم القيمة والانكسار المانع من الطغيان والغفلة وتيسر المواظبة على الطاعة والعبادة وكسر شهوات المعاصي المستولية و
بالشبع ودفع النوم الذي يضيع العمر ويكل الطبع ويفوت القيام والتهجد والتمكن من الايثار والتصدق بما يبقى من

المؤنة الموجبة للفراغ عن الاهتمام بالتحصيل والاعداد وصحة البدن ودفع الامراض اذ المعدة بيت كل داء والمعدة كلواء بعض بطنكم
نهي واضداد هذه الفوايد من المفاسد المترتبة على الشبع ثم علاج الشره بالاكل والشرب ان يتذكر الاخبار الواردة في ذمه ويلزم نفسه
على ترك الماكول واضا استشهاد على خسة الشره من الحيوانات ويتامل في المفاسد المترتبة على الولوع به من الذلة والمهانة وسقوط الحشمة
والمهابة وفقد الفطنة وظهور البلادة وحدوث العلل والامراض الكثيرة وبعد ذلك يحافظ نفسه عن الافراط في الاكل والتكلف
ليصل الى حد الاعتدال هذا واما الثاني اعني طلبه شهوة الفرج والافراط والوقاع فلا ريب فانه يقهر العقل حتى يجعل الانسان مقصور الهمم
على التمتع بالنسوان والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وربما انتهت هذه الشهوة ببعض من غلب
وهم على عقله الى العشق البهيمي الذي ينشأ من استيلاء الشهوة فيسخر الوهم العقل الخادم للشهوة وقد خلق العقل ليكون مطاعا لا ليكون
خادما للشهوة وهذا مرض قلب فارغ خلت من حب الله ومن الهمم العالية ويجب الاحتراز من وبائه بترك معاودة الفكر والنظر
واذا استحكم عسر دفعه وكذا حب كل باطل من الجاه والمال والعقار والاولاد فمثل من يكسره من اول انبعاثه مثل من يصرف عنان الدابة عند
توجهها الى باب ليدخله وما اهون منعها بصرف عنانها ومثل من يعالجه بعد استحكامه مثل من يترك الدابة حتى يدخل ويجاوز الباب ثم
ياخذ بذنبها فيجرها الى ورائها وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتراز والاحتياط في بدايات الامور اذ في اواخرها
لا يقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح وربما انتهى افراط هذه الشهوة بطايفة الى ان يتناولوا ما يقويها ليستكثروا
من الجماع ومثلهم كمثل من ابتلي بسباع ضارية تغفل عنه في بعض الاوقات فاحتال لاثارتها وتهييجها في هذا الوقت ثم يشتغل بعلاجها
واصلاحها والتجربة شاهدة بان من ينقاد هذه الشهوة ويسعى في تكثيرها وتهييجها من النسوان وتجديدهن والتقبيل والنظر
تناول الاغذية والادوية المحركة لها يكون ضعيف البدن سقيم الجسم قصير العمر وقد يتجاوز افراطها الى سقوط القوة واختلال القوى الدماغية
وفساد العقل كما برهن عليه في الكتب الطبية والوقاع اضل الاشياء بالدماغ اذ جل المواد المتوجهة لجلب منه ولذا شبه الغزالي هذه الشهوة
بالعامل الظالم لانه لو اطلقه السلطان ولم يمنعه من ظلم اخذ اموال الرعية على التدريج باسرها فاهلكهم بالفقر والفاقة فاهلكهم الجوع
وعدم تمكنهم من تحصيل القوت وكذا هذه القوة لم يقهرها سلطان العقل ولم يبقها على طريق الاعتدال صرف جميع المواد الصالحة والاخلاط
المحمودة التي اكتسبتها الغاذية لبدل ما يتحلل من الاعضاء مصارف نفسها وجعلها باسرها منيا فيبقى جميع الاعضاء بلا قوت فيضعف
ويدركها الفناء بسرعة ولو كانت مطيعة للعقل بحيث يقدم على ما يامرها به وينزجر عما ينهيها عنه كانت كالعامل الذي ياخذ الخراج على
طريق العدل والمروة ويصرفه في مصارف المملكة من سد الثغور واصلاح القناطر وخرج العساكر ويبقى ساير اموال الرعية لانفسهم
فيبقى لهم القوت وساير ما يحتاجون اليه ولعظم آفة هذه الشهوة واقتضائها هلاك الدين والدنيا ان لم يضبط ولم يرد الى حد الاعتدال
ورد من ذمها وذم النساء في الاخبار ما ورد قال رسول الله صلعم في بعض دعواته اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وروي انه اذا
قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وفسر في تفسير قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قيام الذكر اذا قام وادخل وقال صلى الله عليه واله ما يايس الشيطان
وقال ما بعث الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنساء ولا شيء اخوف عندي منهن وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النساء
وان اول فتنة بني اسرائيل كانت من النساء وروي ان الشيطان قال لموسى لا تخل بامرأة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامرأة لا تحل له الا كنت صاحبه دون
اصحابي حتى افتنه بها وروي ايضا ان الشيطان قال المرأة نصف جندي وهي سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وهي موضع سري وهي رسولي
في حاجتي ولا ريب في انه لولا هذه الشهوة لما كان للنساء تسلط على الرجال وحق نظرا بالعقل والنقل ان الافراط في هذه الشهوة و
كثرة الطروقة والمنة على النسوان مذموم ولا تغرنك كثرة نكاح رسول الله صلعم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا فكان استغراقه في حب الله

بحيث يخلي

بحيث يخشى احراق قلبه والرابعة الى قالبه فكان يكثر من النسوان ويشغل نفسه الشريفة بهن ليبقى له نوع التفات الى حظ الدنيا ولا يؤدي
كثرة الاستغراق الى مفارقة الروح عن البدن ولذا اذا غشيه كثرة الاستغراق وخاض في غمرات الحب والانس لضرب بيده على فخذ عايشة ويقول
كلميني يا حميراء او اشغليني يا حميراء وهي تشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه ثم لما كان جبلته الانس بالله وكان انسه بالخلق
عارضا يتكلفه رفقا ببدنه فاذا طال المجالسة معهم لم يطق الصبر معهم وضاق صدره فيقول ارحنا يا بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه
فالضعيف اذا لاحظ احوال مثله مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله ثم علاج افراط شهوة الفرج بعد تذكر مفاسده المذكورة
كسرها بالجوع وسد الطرق المؤدية اليها من التخيل والنظر والتكلم والخلوة فان الاسباب المهيجة لها هو النظر والخلوة ولذا قال الله
قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم وقال النبي صلعم النظرة سهم من سهام ابليس فمن تركها خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه
وقال صلعم لكل عضو من ابن آدم حظ من الزنا فالعينان تزنيان النظر وقال صلعم لا تدخلوا على المغيبات اي التي غاب عنها زوجها فان
الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وقال عيسى بن مريم ع اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدء الزنا
قال النظرة والتمني وقال داود لابنه يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المرأة وقال ابليس النظرة قوسي القديم وسهمي الذي
لا اخطي به ولكون النظر مهيجا للشهوة حرم في الشريعة نظر كل من الرجل والمرأة الى الآخر وكذا حرم استماع كل منهما كلام الآخر الا مع الضرورة
وعموم الحاجة وكذا حرم نظر الرجال الى الامارد من الصبيان حتى قال بعضهم ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار كخوفي عليه من غلام
امرد يجلس اليه ثم ان لم ينقمع الشهوة بالجوع والصوم وحفظ النظر فينبغي كسرها بالنكاح بشرط الاستطاعة ولذا قال رسول الله
معاشر الشباب عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء وقال صلعم ان المرأة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان فاذا
رأى احدكم امرأة فاعجبته فليأت اهله فان معها مثل الذي معها تاييها اي ثاني جنسيه ذا التفريط
وهو النظر في كسب هذه القوة والفتور عما ينبغي من شهوة النكاح بحيث يؤدي الى سقوط القوة وتضييع العيال وانقطاع النسل ولا ريب
فلا ريب في كون ذلك مذموما غير مستحسن في الشرع اذ تحصيل المعارف الالهية واكتساب الفضايل الخلقية والعبادات البدنية موقوف على قوة
البدن والتفريط في ايصال بدل ما يتحلل الى البدن يوجب الحرمان عن تحصيل السعادات وهو غاية الخسران وكذا اهمال شهوة النكاح يوجب
الحرمان عن الفوايد المترتبة عليها فان هذه القوة انما سلطت على الانسان لبقاء النسل ودوام الوجود ولان يدرك لذته فيقيس بها لذات
الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى اللذات الجسمانية كما ان الم النار اعظم الآلام الجسمانية فالترغيب والترهيب يسوقان الخلق
الى سعادتهم وليس ذلك الا بلذة مدركة والم محسوس مشابهين للذات والآلام الاخروية ولبقاء النسل فوايد هي موافقة محبة الله
في السعي لتحصيل الولد لبقاء نوع الانسان وعدم قطع السلسلة التي وصلت اليه من مبدأ النوع وطلب محبة رسول الله صلعم في تكثير من به
مباهاته وطلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده وطلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله كما استفاض به الاخبار ومن فوايد النكاح
كسر الشهوة والتحصن من الشيطان بغض البصر وحفظ الفرج وقطع الوساوس وخطرات الشهوة من القلب واليه الاشارة
بقوله صلعم من تزوج فقد احرز نصف دينه ومن فوايد النكاح تفريغ القلب عن تدبير المنزل والتكفل لشغل الطبخ والفرش والكنس
وتنظيف الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الفراغ عن ذلك اعون شيء على تحصيل العلم والعمل ولذا قال النبي صلعم ليتخذ احدكم لسانا ذاكرا
وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته ومجاهدة النفس ورياضتها بالسعي في مصالح الاهل والعيال والاجتهاد في اصلاحهم
وارشادهم الى طريق الدين وتحصيل المال الحلال لهم من المكاسب الطيبة والقيام بتربية الاولاد والصبر على اخلاق النساء وكل
ذلك من الفضايل العظيمة ولذا قال رسول الله الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله

لم يعقب المسلمين كان معه في الجنة كهاتين وقال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وقال من كانت له ثلث بنات فانفق عليهن واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله تعالى له الجنة ولا ريب في ان الجمود عن الشهوة يلزمه الحرمان عن الفوائد المذكورة فهو مرجوح ثم ما كان في النكاح افات اخر كالاحتياج الى المال وصعوبة التحصيل الحلال سيما في امثال زماننا والعجز عن القيام بحقوق النسوان والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذية منهن وتفرق الخاطر لاجل القيام بتدبير المعيشة وتهيئة ما يحتاجون اليه وتادية ذلك غالبا الى ما لا ينبغي من الانهماك في الدنيا والغفلة عن الله تعالى وعما خلق لاجله فاللائق ان يلاحظ كل شخص ان الراجح في حقه ماذا بعد ملاحظة الفوائد والمفاسد فيعمل به

وصل قد عرفت ان ضد الجنسين العفة وهو انقياد قوة الشهوة للعقل في الاقدام على ما يامرها به من المأكل والمنكح كما وكيفا والاجتناب عما ينهاها عنه وهو الاعتدال المحمود عقلا وشرعا وطرفاه من الافراط والتفريط مذمومان فان المطلوب في جميع الاخلاق والاحوال هو الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفيها مذموم ذميم فلا تظنن مما ورد في فضيلة الجوع ان الافراط فيه ممدوح فان الامر ليس كذلك بل من اسرار حكمة الشريعة انه كل ما يطلب الطبع فيه طرف الافراط بالغ الشرع في المنع منه على وجه يتوهم الجاهل منه ان المطلوب طرف التفريط والعالم يدرك ان المقصود هو الوسط فان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يطلب غاية الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان فيحصل الاعتدال ولما بالغ النبي في الثناء على قيام الليل وصيام النهار ثم علم من حال بعضهم انه يقوم الليل كله ويصوم الدهر كله نهى عنه والاخبار الواردة في مدح العفة وفضيلتها كثيرة قال امير المؤمنين افضل العبادة العفاف وقال الباقر ما من عبادة افضل من عفة بطن وفرج وقال ما عبد الله بشيء افضل من عفة بطن وفرج وقال الصادق اي الاجتهاد افضل من عفة بطن وفرج وفي معناها اخبار اخر وامرها هين

فاعلم ان الاعتدال في الاكل ان يأكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا بالم الجوع بل ينسى بطنه فلا يؤثر فيه اصلا فان المقصود من الاكل بقاء الحياة وقوة العبادة وثقل الطعام يمنع العبادة والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منها فالمقصود ان يأكل اكلا معتدلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها بالملائكة المقدسين عن ثقل الطعام والم الجوع واليه الاشارة بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وهو يختلف بالنسبة الى الاشخاص والاحوال والاغذية ثم ينبغي ان لا يأكل طعاما يشتهيه ويدفعه عنه وهو يشتهيه وينبغي ان لا يكون غرضه من الاكل التلذذ بل حفظ القوة لتحصيل ما خلق لاجله فيقتصر من انواع الطعام على خبز البر بعض الاوقات وعلى خبز الشعير بعضها ويضم اليه الادام فيكتفي بادام واحد في بعض الاحيان ولا يواظب على اللحم ولا يتركه بالمرة قال امير المؤمنين من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه والاعتدال ان يكتفي في اليوم بليلة على اكلة واحدة في وقت السحر بعد الفراغ عن التهجد او بعد صلاة العشاء او باكلتين والتعشي ان لم يمكن على الاكتفاء بمرة واحدة وقد استفاض عن ائمتنا الراشدين بالحث على التعشي ثم للعرفاء في الصبر على الجوع حكايات تدل على كثرة مجاهدتهم وعلى توقف كشف الاسرار الالهية والوصول الى المراتب العظيمة عليه وحكايات في امكان الصبر على عدم الاكل مدة شهر او شهرين او سنة ونقلوا احوالا عن بعضهم وهذا امر وراء ما وردت به السنة وكلف عموم الامة فان كان ممدوحا فانما هو لقوم مخصوصين واما الجماع فالاعتدال فيه ان يقتصر على ما لا ينقطع عنه النسل ويحصل له التحصين ودين ولده خطرات الشهوة ولا يؤدي الى ضعف البدن والقوى ثم ما عدا الجنسين من الانواع والتلذذ بالالات المتعلقة بالقوة الشهوية وان كان بعضها اعم من الجنسين فمنها حب الدنيا اعلم ان الدنيا هي في نفسها وموجودة في حق العبد اما هي الدنيا وحقيقتها في نفسها فعبارة عن اعيان موجودة هي الارض وما عليها والارض هي الضياع والعقار ونحوها وما عليها جمعه المعادن والنبات والحيوان فالمعادن يطلب لكونها اما من الالات والزينة كالنحاس والرصاص والجواهر وامثالها

او من النقد

او من النقد كالذهب والفضة والنبات يطلب لكونه من الاقوات او الادوية والحيوانات اما المكية بدنها واستخدامها كالعبيد والغلمان او الملكية في ظهورها وتحريرها لترتب عليه التعظيم والاكرام وهو للجاه او للتمتع والتلذذ بها كالجواهر والنسوان او للقوة والاعتضاد كالاولاد هذه هي الاعيان المعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله سبحانه في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا وحب جميع ذلك من رذائل قوة الشهوة الا ان حب الاستيلاء والغلبة بقصد القلوب والاستيلاء فانه من رذائل قوة الغضب كما تقدم وبذلك يظهر ان حب الدنيا المتعلق بقوة الشهوة اعم من الشره باول تفسيره كما اشير اليه واما حقيقتها في حق العبد فعبارة عن جميع ما له قبل الموت كما ان جميع ما له بعده عبارة عن الاخرة فكل ما للعبد فيه نصيب شهوة وحظ عرض ولذة عاجل قبل الوفاة فهي الدنيا في حقه وللعبد علاقتان علاقة بالقلب وهو حبه له وعلاقة بالبدن وهو اشتغاله باصلاحه ليستوفي منه حظوظه الا ان جميع ما له اليه ميل وحظ ورغبة ليس بمذموم وذلك ان ما يصحبه في الدنيا ويعقبه بعد الموت اعني العلم النافع والعمل الصالح فهو من الاخرة في الحقيقة وانما سمي بالدنيا باعتبار دنوه فان كان من العالم والعابد قد يلتذ بالعلم والعبادة بحيث يكون ذلك الذ الاشياء عنده وان كان حظا عاجلا له في الدنيا الا انه ليس من الدنيا المذمومة بل هو من الاخرة في الحقيقة وان عد من الدنيا من حيث دخوله في الحس والشهادة فان كل مدرك بالحس فهو من عالم الشهادة اعني الدنيا ولذا جعل نبينا الصلاة من الدنيا حيث قال حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة مع انها من اعمال الاخرة فالدنيا المذمومة عبارة عن حظ عاجل لا يكون من اعمال الاخرة ولا وسيلة اليها وما هو الا التلذذ بالمعاصي والتنعم بالمباحات الزائدة على قدر الضرورة في تحصيل العلم والعمل واما قدر الضرورة من الرزق فتحصيله من الاعمال الصالحة كما نطقت به الاخبار قال رسول الله العبادة سبعون جزءا افضلها طلب الحلال وقال ملعون من القى كله على الناس وقال نعم العون على الدنيا دنيا ان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر من طلب الرزق في الدنيا استعفافا عن الناس وسعيا على اهله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه مثل القمر ليلة البدر وقال الصادق الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال ان الله يحب الاغتراب في طلب الرزق وقال ليس منا من ترك دنياه لاخرته ولا اخرته لدنياه وقال لا تكسلوا في طلب معايشكم فان اباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها وقال له رجل انا لنطلب الدنيا ونحب ان نؤتاها فقال تحب ان تصنع بها ماذا قال اعود بها على نفسي وعيالي واصل بها واتصدق واحج واعتمر فقال ليس هذا طلب الدنيا هذا طلب الاخرة وكان ابو الحسن يعمل في ارض وقد استنقعت قدماه في العرق فقيل له اين الرجال فقال قد عمل باليد من هو خير مني في ارضه ومن ابي فقيل ومن هو فقال رسول الله وامير المؤمنين واباءي كلهم كانوا قد عملوا بايديهم وهو من عمل النبيين والمرسلين والاوصياء والصالحين وقد ورد بهذه المضامين اخبار كثيرة اخر مشهورة تذنيب قد ظهر من هذه الاخبار ان الراجح بل اللازم لكل مؤمن ان يكون له مكسب طيب يحصل منه ما يحتاج اليه من الرزق وغيره من المخارج المحمودة وقد صرح بذلك اخبار كثيرة اخر قال امير المؤمنين اوحى الله عز وجل الى داود انك نعم العبد لولا انك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئا قال فبكى داود اربعين صباحا فاوحى الله عز وجل الى الحديد ان لن لعبدي داود فالان الله له الحديد وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بالف درهم فعمل ثلثمائة وستين درعا فباعها بثلث مائة وستين الفا واستغنى عن بيت المال وقال الصادق من احبنا اهل البيت فليعد للفقر جلبابا او تجفافا والجلباب كناية عن الستر عن كسب طيب يدفع به فقره وقال في رجل قال لاقعدن في بيتي ولاصلين ولاصومن ولاعبدن ربي واما رزقي فسياتيني قال هذا من احد الثلثة الذين لا يستجاب لهم وهذا اي ملكة تحصيل المال الحلال من المكاسب الطيبة وصرفه في المخارج المحمودة هو الحرية باحد المعنيين اذ للحرية اطلاقان احدهما ذلك وهو الحرية بالمعنى الاخص وثانيهما التخلص عن اسر الهوى وعبودية الشهوة وهو الحرية بالمعنى الاعم المرادف للعفة وضده الرقية بالمعنى الاعم هو طاعة قوة الشهوة ومتابعة الهوى وضد الاول اعني الرقية بالمعنى الاخص هو النظارة الى الناس فيما يحتاج اليه من الرزق

الى ايديهم وحوالة رزقه على اموالهم اما على وجه محرم كالغصب والنهب والسرقة وانواع الخيانات او غير محرم كاخذ وجوه الصدقات و
اوساخ الناس بل مطلق الاخذ منهم اذ جعل يده يدا سفلى ويدهم يدا عليا ولا ريب في كون الرقية بهذا المعنى مذمومة اذ الوجه الاول محرم في
الشريعة وموجب للهلاكة الابدية والوجه الثاني وان لم يكن محرما اذا كان عن فقر واستحقاق الا انه لا يخلو عن التوقع من الناس وكون نظره اليهم يقتضي
المذلة والانكسار والتخضع للناس والرقية والعبودية لهم وهذا يرفع الوثوق بالله والاعتماد والتوكل عليه ويؤدي ذلك الى سلب التوكل
على الله بالكلية وتوجه الخلق الى الخالق وهذا ينافي مقتضى الايمان والمعرفة الواقعية بالله سبحانه **فصل** قد ظهر مما ذكر ان الدنيا المذمومة
حظ نفسك الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه اشار قوله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ومجامع الهوى هي المذكورة
في قوله تعالى انما الحيوة الدنيا لهو ولعب وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الامور المذكورة
في قوله سبحانه زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب فهذه اعيان الدنيا وللعبد معها علاقتان علاقة مع القلب وهو حبه
لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بها ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا
كالرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة والحسد والحقد والغل والكبر وحب المدح والتفاخر والتكاثر فهذه هي الدنيا الباطنة
والظاهرة هي الاعيان المذكورة وعلاقة مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان ليصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهذا الاشتغال
عبارة عن الصناعات والحرف التي اشتغل الناس بها بحيث انستهم انفسهم ومآلهم واغفلتهم عما خلقوا لاجله ولو عرفوا سبب الحاجة
اليها واقتصروا على قدر الضرورة لم يستغرقهم اشغال الدنيا والانهماك فيها ولما جهلوا بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها لم يقتصروا
على قدر الاحتياج فادخلوا انفسهم في اشغالها وتتابعت هذه الاشغال واتصلت بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية
محدودة فضلوا عن مقصدها وتاهوا في كثرة الاشغال فان امور الدنيا لا ينفتح منها باب الا وينفتح لاجله عشرة ابواب اخر
وهكذا تتداعى الى غير حد محصور فكانها هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي
الا ترى ان ما يضطر اليه الانسان هو بالذات منحصرة في المأكل والملبس والمسكن ولذلك احدثت الحاجة الى خمس صناعات
هي اصول الصناعات الفلاحة والرعاية للمواشي والحياكة والبناء والاقتناص اي تحصيل ما خلق الله من الصيد والمعادن والحشائش والاحطاب
ثم تتبع كل من هذه الصناعات صناعات اخر وهكذا الى ان حدثت جميع الصناعات التي ترى اهل العالم وليس احد الا وهو مشتغل بواحدة منها
او اكثر الا اهل البطالة والكسالة حيث غفلوا عن الاشتغال في اول الصبى او منعهم مانع واستمروا على غفلتهم وبطالتهم حتى نشأوا بلا
شغل واكتساب فاضطروا الى الاخذ مما يسعى فيه غيرهم ولذلك حدثت حرفتان هي اللصوصية والكدية ولكل منهما انواع غير محصورة لا تخفى
على المتأمل **فصل** اعلم ان الدنيا عدوة لله ولاوليائه ولاعدائه اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباده ولذلك لم ينظر اليها
منذ خلقها كما ورد في الاخبار واما عداوتها لاوليائه واحبائه فلانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها
واما عداوتها لاعدائه فلانها استدرجتهم بمكرها وكيدها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فاجتنوا
منها ندامة وحسرة تنقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعادة ابد الآباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها يستغيثون ولا يغاثون
بل يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون والآيات الواردة
في ذم الدنيا وحبها كثيرة واكثر القرآن مشتمل على ذلك وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هو المقصد من بعثة الانبياء فلا حاجة
الى الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها فلنشر الى نبذة من الاخبار الواردة في ذم الدنيا وحبها فنقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله

عداوة الدنيا لله ولاوليائه ولاعدائه

لو كانت الدنيا

الدنيا ملعونة وملعون ما فيها

لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وآله الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ما كان لله وقال صلى الله عليه وآله الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر وقال من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا
لا ينال غناه ابدا واملا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال صلى الله عليه وآله يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال صلى الله عليه وآله لتأتينكم بعدي دنيا
تأكل ايمانكم كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وآله في الهيكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت
او لبست فابليت وقال صلى الله عليه وآله اوحى الله تعالى الى موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة هي اشد عليك منها وقال صلى الله عليه وآله حب الدنيا رأس كل خطيئة
وقال صلى الله عليه وآله من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى ومر صلى الله عليه وآله على مزبلة فوقف عليها وقال هلموا الى الدنيا
واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبلة وعظاما قد نخرت فقال هذه الدنيا وقال صلى الله عليه وآله ان الله لم يخلق خلقا ابغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها
منذ خلقها وقال صلى الله عليه وآله الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له
ولها يسعى من لا يقين له وقال الدنيا موقوفة بين السماء والارض منذ خلقها الله سبحانه لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى
اوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتي يا لا شيء اني لم ارضك لهم في الدنيا ارضاك لهم اليوم وقال صلى الله عليه وآله لما اهبط ادم من الجنة الى الارض قال له ابن
للخراب ولد للفناء وقال صلى الله عليه وآله ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار فقيل يا رسول الله امصلين قال نعم كانوا يصومون
ويصلون ويأخذون هنية من الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شيء وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وآله هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى ويجعله بصيرا
الا انه من رغب في الدنيا وطال فيها امله اعمى الله قلبه على قدر ذلك ومن زهد في الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية
وقال صلى الله عليه وآله فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم
كما اهلكتهم وقال اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الارض فقيل ما بركات الارض قال زهرة الدنيا وقال صلى الله عليه وآله دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من
الدنيا فوق ما يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وآله سيأتي بعدي قوم يأكلون اطايب الطعام والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها
ويلبسون الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيل والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون
ويروحون اليها اتخذوها الهة من دون الههم وربا من دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك
ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على
هدم الاسلام وقال صلى الله عليه وآله ما لي وللدنيا وما انا والدنيا انما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة فاستظل تحتها ثم راح وتركها وقال صلى الله عليه وآله احذروا الدنيا
فانها اسحر من هاروت وماروت وقال صلى الله عليه وآله حق على الله ان لا يرفع شيئا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى بن مريم ويل لصاحب الدنيا كيف
يموت ويتركها ويأمنها وتغره ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما يوعدون وويل لمن
اصبحت الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقال من ذا الذي يبني على امواج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقال لا يستقيم
حب الدنيا والاخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار في اناء واحد واوحى الله الى موسى يا موسى ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار
اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبئست الدار الا لعامل يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى آخذ منه للمظلوم واوحى
اليه يا موسى لا تركنن الى حب الدنيا فلن تأتيني بكبيرة اشد عليك منها ومر موسى برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى عبدك يبكي من مخافتك
فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى تسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا وقال امير المؤمنين عليه السلام بعد ما قيل له صف لنا
الدنيا ما اصف من دار من صح فيها سقم ومن امن فيها ندم ومن افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها افتتن في حلالها الحساب وفي حرامها العقاب
وقال انما مثل الدنيا كمثل الحية لين مسها وفي جوفها السم الناقع يحذرها الرجل العاقل ويهوي اليها الصبي الجاهل وقال عليه السلام في وصف الدنيا

ما اصف من دار اولها عناء واخرها فناء في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها
فاتته ومن قعد عنها اتته ومن ابصر بها بصرته ومن ابصر اليها اعمته وقال عليه السلام في بعض مواعظه ارفضوا الدنيا فان حب الدنيا يعمي ويصم ويبكم ويذل
الرقاب فتداركوا ما بقي من اعماركم ولا تقولوا غدا وبعد غد فانما هلك من كان قبلكم باقامتهم على الاماني والتسويف حتى اتاهم امر الله بغتة وهم
غافلون فنقلوا على اعوادهم الى قبورهم المظلمة الضيقة وقد اسلمهم الاولاد والاهلون فانقطعوا الى الله بقلب منيب من رفض الدنيا وعزم
ليس فيه انكسار ولا انخزال وقال عليه السلام لا تغرنكم الحياة الدنيا فانها دار بالبلاء محفوفة وبالفناء معروفة وبالغدر موصوفة فكل ما فيها
الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم احوالها ولن يسلم من شرها نزالها بينا اهلها منها في رخاء وسرور اذا هم منها في
بلاء وغرور احوال مختلفة وتارات متصرفة العيش فيها مذموم والرخاء فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفة ترميهم
بسهامها وتغنيهم بحمامها واعلموا عباد الله انكم وما انتم فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم
بطشا واعمر ديارا اصبحت اصواتهم هامدة خامدة واجسادهم بالية وديارهم خالية واثارهم عافية استبدلوا بالقصور
المشيدة والسرر والنمارق الممهدة الصخور والاحجار المسندة في القبور اللاطئة الملحدة فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل
عمارة موحشين واهل محلة متشاغلين لا يستانسون بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو
الدار وكيف يكون بينهم تواصل وقد طحنهم بكلكله البلاء واكلتهم الجنادل والثرى واصبحوا بعد الحياة امواتا وبعد غضارة العيش رفاتا
فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون فكان
قد صرتم الى ما صاروا اليه من البلى والوحدة في دار المثوى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو عاينتم الامور وبعثرت
القبور وحصل ما في الصدور ووقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل فطارت القلوب لاشفاقها من سالف الذنوب وهتكت
عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت وقال ايضا صلوات الله عليه في بعض خطبه اوصيكم
بتقوى الله وترك الدنيا التاركة لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبلية اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر
سلكوا طريقا فكانهم قد قطعوه وافضوا الى علم فكانهم قد بلغوه وكم عسى ان يجري المجري حتى ينتهي الى الغاية وكم عسى ان يبقى من له يوم
الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا تجزعوا لبؤسها وضرائها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعيمها فانه الى ذهاب والعجب لطالب
والموت يطلبه وغافل وليس بمغفول عنه وقال النبي صلى الله عليه واله ان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والاخرة قد ارتحلت مقبلة ولكل واحد منهما بنون
فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الاخرة الا ان الزاهدين في الدنيا اتخذوا
الارض بساطا والتراب فراشا والماء طيبا وقرضوا من الدنيا تقريضا الا ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن اشفق من النار
رجع عن المحرمات من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب الا ان لله عبادا كمن راى اهل الجنة في الجنة مخلدين وكمن راى اهل النار في النار
معذبين شرورهم مامونة وقلوبهم محزونة انفسهم عفيفة وحوائجهم خفيفة صبروا اياما قليلة فصاروا بعقبى راحة طويلة اما الليل
فصافون اقدامهم تجري دموعهم على خدودهم وهم يجارون الى ربهم يسعون في فكاك رقابهم واما النهار فحلماء علماء بررة اتقياء كانهم القداح قد
براهم الخوف من العبادة ينظر اليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض ام خولطوا فقد خالط القوم امر عظيم من
ذكر النار وما فيها وقال عليه السلام ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا وان لذلك لشعبا كثيرة وللمعاصي شعبا
فاول ما عصي الله به الكبر وهي معصية ابليس حين ابى واستكبر وكان من الكافرين والحرص وهي معصية ادم وحواء حين قال الله عز وجل لهما كلا من
حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فاخذا ما لا حاجة بهما اليه فدخل ذلك على ذريتهما الى يوم القيمة وذلك ان اكثر

ما يطلب

ما يطلب ابن ادم ما لا حاجة اليه ثم الحسد وهي معصية ابن ادم حين حسد اخاه فقتله فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب
الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا فقال الانبياء والعلماء بعد معرفة ذلك حب الدنيا راس
كل خطيئة والدنيا دنياءان دنيا بلاغ ودنيا ملعونة وقال الباقر عليه السلام لجابر يا جابر انه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عما سواه يا جابر
ما الدنيا وما عسى ان تكون الدنيا هل هي الا طعام اكلته او ثوب لبسته او امراة اصبتها يا جابر ان المؤمنين لم يطمئنوا الى الدنيا ببقائهم فيها
ولم يامنوا قدومهم الاخرة يا جابر الاخرة دار قرار والدنيا دار فناء وزوال ولكن اهل الدنيا اهل غفلة وكان المؤمنون هم الفقهاء اهل فكرة وعبرة
لم يصمهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا باذانهم ولم يعمهم عن ذكر الله ما راوا من الزينة باعينهم ففازوا بثواب الاخرة كما فازوا
بذلك العلم وقال عليه السلام مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وقال الله تعالى لنبي الله موسى يا موسى لا
تركن الى الدنيا ركون الظالمين وركون من اتخذها ابا واما يا موسى لو وكلتك الى نفسك لتنظر لها اذا لغلب عليك حب الدنيا وزهرتها
يا موسى نافس في الخير اهله واستبقهم اليه واترك من الدنيا ما بك الغنى عنه ولا تنظر عينك الى كل مفتون بها وكل الى نفسه واعلم ان
كل فتنة بدؤها حب الدنيا ولا تغبط احدا بكثرة المال فان مع كثرة المال تكثر الذنوب ولا تغبطن احدا برضا الناس عنه حتى تعلم ان الله راض
عنه ولا تغبطن مخلوقا بطاعة الناس له فان طاعة الناس له واتباعهم اياه على غير الحق هلاك له ولمن تبعه واوحى الله سبحانه الى موسى وهرون
لما ارسلهما الى فرعون ولو شئت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني ارغب
بكما عن ذلك وازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليائي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه عن مواقع الهلكة واني لاجنبهم
سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مواقع الغرة وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين
لي اوليائي بالذل والخشوع والخوف والتقوى وقال الكاظم عليه السلام قال ابو ذر رحمه الله جزى الله الدنيا مذمة بعد رغيفين من الشعير اتغدى
باحدهما واتعشى بالاخر وبعد شملتي الصوف اتزر باحدهما واتردى بالاخرى وقال لقمان لابنه يا بني بع دنياك باخرتك تربحهما جميعا
ولا تبع اخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل
وحشوها الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك ناج وما اراك ناجيا وقال يا بني ان الناس قد جمعوا قبلك لاولادهم فلم يبق ما جمعوا
ولم يبق من جمعوا له وانما انت عبد مستاجر قد امرت بعمل ووعدت عليه اجرا فاوف عملك واستوف اجرك ولا تكن في هذه الدنيا بمنزلة شاة
وقعت في زرع اخضر فاكلت حتى سمنت فكان حتفها عند سمنها ولكن اجعل الدنيا بمنزلة قنطرة
على نهر جزت عليها وتركتها ولم ترجع اليها اخر الدهر اخربها ولا تعمرها فانك لم تؤمر بعمارتها واعلم انك ستسال غدا اذا وقفت
بين يدي الله عن اربع شبابك فيما ابليته وعمرك فيما افنيته ومالك مما اكتسبته وفيما انفقته فتاهب لذلك واعد له جوابا ولا
تاس على ما فاتك من الدنيا فان قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه وكثيرها لا يؤمن بلاؤه فخذ حذرك وجد في امرك واكشف الغطاء عن وجهك
وتعرض لمعروف ربك وجدد التوبة في قلبك واكمش في فراغك قبل ان يقصد قصدك ويقضى قضاؤك ويحال بينك وبين ما تريد
وقال بعض الحكماء الدنيا دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يعمرها وقال بعضهم الدنيا لمن
تركها والاخرة لمن طلبها وقال بعضهم انك لن تصبح في شيء من الدنيا الا وقد كان لها اهل قبلك ويكون لها اهل بعدك
وليس لك من الدنيا الا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك نفسك في اكله وصم الدنيا وافطر على الاخرة فان راس مال الدنيا
الهوى وربحها النار وقال بعض الاكابر ان هذه الدنيا تخلق الابدان وتجدد الامال وتقرب المنية وتبعد الامنية من ظفر بها
نصب ومن فاتته تعب وقال بعضهم ما في الدنيا شيء يسرك الا وقد الزق به شيء يسوءك وقال الامام لا يخرج نفس ابن ادم

من الدنيا الا حسرات ثلث انه لم تشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقال حكيم كانت الدنيا ولم
اكن فيها وتذهب الدنيا ولا اكون فيها فكيف اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زايلة
او بلية نازلة او منية قاضية وقال بعض العرفاء الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيا فيجيء في طلبه فياخذك وقال
بعضهم لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والاخرة من خزف يبقى لكان ينبغي ان يختار العاقل خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف والاخرة ذهب يبقى
والدنيا ادون من خزف يفنى وحكي عن بعض العباد ان معظم الدنيا يوقف يوم القيمة فيقال هذا اعظم ما حقره الله وروي
انه لما بعث النبي صلى الله عليه وآله اتى ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال ان كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا
الاوثان وانا اغدوا عليهم واروح بثلث اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وروي انه
اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه احذر مقتي فتسقط من عيني فاصب عليك الدنيا صبا وقال بعض الصحابة ما اصبح احد
من الناس في الدنيا الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقال بعضهم ان الله جعل الدنيا ثلثة اجزاء
جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وقيل من اقبل على الدنيا احرقته نيرانها
حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب ينتفع بها ومن اقبل على الله سبحانه احرقته نيران التوحيد
فصار جوهرا لا حد لقيمته وقيل ايضا العقلاء ثلثة من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه قبل ان
يلقاه وسئل بعض الامراء رجلا بلغ عمره مائتي سنة عن الدنيا فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم بيوم وليلة بليلة يولد
ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها فقال له الامير سل عني ما شئت قال
اريد منك ان ترد علي ما مضى من عمري وتدفع عني ما حضر من اجلي قال لا املك ذلك قال فلا حاجة لي اليك والاخبار والاثار في ذم الدنيا
وحبها وفي سرعة زوالها وعدم الاعتناء بها وفي هلاك من طلبها ورغب اليها وفي مذمتها للاخرة اكثر من ان تحصى وما ورد في
ذلك من كلام ائمتنا الراشدين سيما عن مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليهم اجمعين فيه بلاغ لقوم زاهدين ومن تامل في خطب
علي ومواعظه كما في نهج البلاغة وغيره يظهر له خساسة الدنيا ورذالتها وقضية السؤال والجواب بين روح الامين ونوح في كيفية
سرعة زوال الدنيا مشهورة وحكاية مرور روح الله على قرية هلك اهلها من حب الدنيا معروفة ولعظم افة الدنيا وحقارتها
ومهانتها عند الله لم يرضها لاحد من اوليائه وحذرهم عن غوائلها فزهدوا فيها واكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا
منها ما يكفيهم وتركوا ما يلهيهم لبسوا من الثياب ما ستر العورة واكلوا من الطعام ما سد الجوعة نظروا الى الدنيا بعين انها فانية
والى الاخرة انها باقية فتزودوا منها كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخرة ونظروا الى الاخرة بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون
اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم لما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا ونعموا طويلا **فصل** اعلم ان الدنيا
معشوقة متحسنة قد تحلت بكل صفة بما تماثله فيها مثلها في سرعة الفناء وانتقالها وعدم الثبات مثل النبات الذي اختلط به ماء السماء
فاخضر ثم اصبح هشيما تذروه الرياح او كنزل نزلته ثم ارتحلت عنه او كقنطرة تعبر عنها ولا تمكث عليها او كمنامات يراها النائم والخيال
وكونها مما لا اصل لها ولا حقيقة كفيء الظلال او خيالات المنام واضغاث الاحلام فانك قد تجد في منامك ما تهواه واذا استيقظت
ليس معك منه شيء وغدارة قتالة لاهلها ومهلكة اياهم بامرأة تزينت للخطاب حتى اذا ملكتهم نكحتهم ذبحتهم وقد روي ان عيسى ع
كوشف بالدنيا فرآها في صورة عجوز شمطاء هتماء عليها من كل زينة فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات
او كلهم طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى بؤسا لازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا

ولا يكونن منك

ولا يكونن منك على حذر وفي مخالفة باطنها لظاهرها كعجوز متزينة تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع
عن وجهها ظهر لهم قبائحها وروي انه يؤتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية مشوه خلقها فتشرف على الخلايق
ويقال لهم تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها وبها تقاطعتم الارحام و
بها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم يقذف بها في جهنم فتنادي اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها
واشياعها وفي قصر عمرها كل شخص بالنسبة الى ما تقدم من الازل وما يتاخر عنه من الابد كمثل خطوة واحدة بل اقل من ذلك بالنسبة الى سفر
طويل بل بالنسبة الى كل مسافة الارض اضعافا غير متناهية ومن نظر الى الدنيا بهذه العين لم يركن اليها ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضيق
وضر او سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي سيد الرسل وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض اصحابه يبني بيتا
من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا والى هذا اشار عيسى حيث قال الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وفي نعومة ظاهرها وخشونة
باطنها مثل الحية التي يلين مسها ويقتل سمها وفي قلة ما بقي صفوها بالاضافة الى ما سبق مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره
فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وفي قلة بعد نسبتها الى الاخرة كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع اليه من الاصل وفي تاديه
علايقها بعضها الى بعض حتى تجر الى الهلاكة كماء البحر كلما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله وفي تاديه الحرص عليها الى الهلاكة
كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى يموت غما وفي تعذر الخلاص من تبعاتها واستحالة عدم التلوث
بقاذوراتها بعد الخوض فيها كالماشي في الماء فانه يمتنع ان لا يبتل قدماه وفي نظافة اولها وخباثة عاقبتها كالاطعمة التي يؤكل فكان الطعام
كلما كان الذ طعما واكثر دسومة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكل شهوة من شهوات الدنيا التي كانت للقلب اشهى واقوى كان نتنها
وكراهيتها والتاذي بها عند الموت اشد وهو مشاهد في الدنيا فان المصيبة والالم والتفجع في كل ما فقد بقدر الالتذاذ بوجوده وحرصه
عليه وحبه ولذا ترى ان من نهب داره واخذت اهله واولاده يكون تفجعه والمه اشد مما اذا اخذ عنه من عبيده فكل ما كان عند الوجود اشهى
عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر وما الموت معنى الا فقد ملاذ الدنيا وفي تنعم الناس بها ثم تفجعهم على فراقها مثل طبق
عليه خبز ورياحين في دار رجل هيأه بها ودعا الناس على الترتيب واحدا بعد واحد ليدخلوا داره ويشم كل واحد وينظر اليه
ثم يتركه لمن يلحقه لا ليتملكه وياخذه فدخل واحد جاهل برسمه فظن انه قد وهب ذلك له فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر وتالم
ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيب قلبه وانشراح صدره فكل من عرف سنة الله في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على
المجتازين لينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافر بالعواري ثم يتركوها ويتوجهوا الى مقصدهم من دون صرف قلوبهم اليها حتى تعظم
مصيبتهم عند فراقها ومن جهل سنة الله فيها ظن انها ملوكه فيتعلق به قلبه فلما اخذ منه عظمت بليته واشتدت مصيبته وفي اغترار
الخلق بها وضعف ايمانهم بقوله تعالى ايامهم غوايلها كقوم سلكوا مفازة لا نهاية لها سلكوها قوم وتاهوا فيها بلا زاد وماء
وراحلة فايقنوا بالهلاكة فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم رجل فقال لهم ارايتم ان هديتكم الى رياض خضر وماء رواء ما تعملون قالوا لا
نعصيك في شيء فاخذ منهم عهودا ومواثيق على ذلك فاوردهم ماء ورواء ورياضا خضرا فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء
ليس كمائكم والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم لا نريد عيشا خيرا من هذا فلم يطيعوه وقالت طائفة وهم الاقلون الم تعطوا هذا الرجل
عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه وقد صدقكم في اول حديثه فوالله ما صدق في هذا الكلام ايضا فاتبعه هذا الاقل فذهب بهم الى
ان اوردهم ماء ورياضا احسن بمراتب شتى مما كانوا فيه اولا وتخلف عنه الاكثرون فبيتهم عدو فاصبحوا من بين قتيل واسير ونهب
فقد شبه بعض الحكماء حال الانسان واغتراره بالدنيا وغفلته عن الموت وما بعده من الاهوال وانهماكه في اللذات العاجلة الفانية الممتزجة بالكدورات

شخص مدلى في بئر وسط وفي اسفل ذلك البئر ثعبان عظيم متوجه اليه منتظر سقوطه فاتح فاه لالتقامه وفي اعلى ذلك البئر جرذان
ابيض واسود لا يزال تقرضان ذلك الحبل شيئا فشيئا ولا تفتران عن قرضه اناء الليل واطراف النهار مع انه يرى ذلك الثعبان ويشاهد القراض
الحبل انا فانا فاذا اقبل على قليل عسل قد لطخ به جدار ذلك البئر وامتزج بترابه واجتمع عليه زنابير كثيرة وهو مشغول بلطعه منهمك
فيه ملتذ بما اصاب منه مخاصم لتلك الزنابير عليه قد صرف باله باجمعه الى ذلك غير ملتفت الى ما فوقه والى ما تحته فالبئر هو الدنيا والحبل
العمر والثعبان الفاتح فاه هو الموت والجرذان الليل والنهار القارضان للعمر والعسل المختلط بالتراب هو لذات الدنيا الممتزجة بالكدورات
والالام والزنابير هم ابناء الدنيا المتزاحمون عليها وشبه بعض العرفاء اهل الدنيا في اشتغالهم بنعيمها وغفلتهم عن الاخرة وحسرتهم
العظيم بعد الموت من فقدهم نعيم الجنة بسبب انغمارهم في شهوات الدنيا بقوم ركبوا السفينة فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح
بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام فيها وخوفهم مرور السفينة واستعجلهم فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم حاجته وبادر الى
السفينة فصادف المقام خاليا فاخذ اوسع الاماكن واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة واشتغل بالنظر الى ازهارها وانوارها واشجارها و
احجارها ونغمات طيورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف الا مكانا ضيقا فاستقر فيه وبعضهم بعد التنبه لخطر مرور
السفينة لم يتعلق قلبه بعض احجارها كالجزيرة وازهارها واثمارها لم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها جملة ورجع الى السفينة فلم
يجد فيها الا مكانا ضيقا لا يسعه الا بالتكلف والمشقة وليس فيه مكان لوضع ما حمله فصار ذلك ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذها و
لم يقدر على رميها فحملها في السفينة على عنقه متأسفا على اخذها وبعضهم اشتغل بمشاهدة الجزيرة وتنزه بها ولم يتنبه او اهمل خطر
مرور السفينة ولم يسمع نداء الملاح حتى اصابه امر السفينة فنقل اخراجه ورجع اليها مثقلا بما حمله من احجار الجزيرة وحشائشها واذا وصل الى
البحر سارت السفينة او الحيد فبقي موضعه اصلا فيقع على شاطئ البحر وبعضهم لكثرة الاستغال بمشاهدة الجزيرة وما فيها نسي المركب
بالمرة ولم يبلغهم النداء اصلا لكثرة انغمارهم في اكل الثمار وشرب المياه والشم بالانوار والازهار والتفرج بين الاشجار فسارت السفينة
وبقوا في الجزيرة من دون تنبههم لخطر مرورها فافترقوا فيها فبعضهم افترسته العقارب والحيات وبعضهم افترسته السباع وبعضهم مات في الا
وبعضهم هلك من الندامة والغصة واما من بقي على شاطئ البحر فمات جوعا واما من وصل المركب مثقلا بما اخذه فشغله الحزن لحفظها والخوف
من فوتها وتضيق عليه مكانه فلم يلبث ان ذبل ما اخذه من الازهار وعفنت الثمار وكدرت الوان الاحجار وظهر نتن ولحقه من ذلك
من نتن رائحتها ولم يقدر على القائها في البحر لصيره وتطهيره من بين ذلك فقد ترتب ما اكل منها فلم يصل الى الوطن الا بعد ان ظهرت الامراض والا
عليه الاجل ما لم ينقل عنه من النتن فبلغ اليه سقيما مدنفا على سقمه بلاء ادما بعد مدة حاما من رجع الى المركب بعد تضييق المكان
فما فاته الا سعة المحل فتاذى لضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اليها اولا وجد المكان الاوسع فلم يتأذ من
شيء اصلا ووصل الى الوطن سالما فهذه امثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم وطنهم الحقيقي وغفلتهم عن
عاقبة امورهم امرهم وما اقبح بالعاقل البصير ان يغتره احجار الارض وهشيم النبت مع مفارقته عند الموت وصيرورته كلا ووبالا عليه
فصل اعلم انه لا يبقى مع العبد عند الموت الا صفاء القلب عن طهارته عن ادناس الدنيا وحب الله وانسه بذكره وصفاء القلب وطهارته لا يحصل
الا بالكف عن شهوات الدنيا والحب لا يحصل الا بالمعرفة والمعرفة لا تحصل الا بدوام الفكر والانس لا يحصل الا بكثرة ذكر الله والمواظبة عليه
وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات اما طهارة القلب عن ادناس الدنيا فلانها جنة بين العبد وبين عذاب
الله كما ورد في الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جاء العذاب من قبل رجليه جاء قيام الليل يدفع عنه واذا جاء من قبل يديه جاءت الصدقة
تدفع عنه الحديث واما الحب والانس فهما يوصلان العبد الى لذة المشاهدة واللقاء وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل الجنة

فيصير

فيصير القبر روضة من رياض الجنة وكيف لا يحصل صاحب الصفات الثلث بعد موته غاية البهجة ونهاية اللذة بمشاهدة جمال الحق ولا يكون
القبر عليه روضة من رياض الجنة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوايق يعوقه عن الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله وبالموت ارتفعت العوايق
وافلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه فقدم عليه مسرورا سالما من الموانع آمنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا عند الموت معذبا و
لم يكن له محبوب الا الدنيا وقد غصبت منه وحيل بينه وبينها وسدت عليه طرق الحيلة في الرجوع اليه وليس الموت عدما انما هو فراق المحبوب
الدنيا وقدوم على الله فاذن سالك طريق الاخرة هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الفاطم عن شهوات
الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا تنال الا بالقوت والملبس والمسكن ويحتاج
كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا بد منه من هذه الثلثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة
وان اخذ ذلك على قصد التنعم وحظ النفس صار من ابناء الدنيا والراغبين في حظوظها الا ان الرغبة في حظوظ الدنيا ينقسم الى ما يعرض
صاحبه لعذاب الله في الاخرة ويسمى ذلك حراما والى ما يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم
ان طول الموقف في عرصات القيمة لاجل المحاسبة ايضا عذاب فمن نوقش في الحساب عذب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه حلالها حساب وفي
حرامها عقاب بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت عن الدرجات العلى في الجنة وما يرد على القلب من التحسر على تفويتها لحظوظ حقيرة خسيسة
لا بقاء لها هو ايضا عذاب ويرشدك الى ذلك حالك في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيوية كيف ينقطع قلبك
عليها حسرات مع علمك بانها سعادات منصرمة لا بقاء لها ومنقصة بكدورات لا صفاء لها فما حالك في فوات سعادات لا يحيط الوصف
بعظمتها وينقطع الاذهان والدهور دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا ولو بسماع صوت من طائر او بالنظر الى خضرة او بشربة ماء
بارد فهو ينقص من حظه في الاخرة والتعرض لجواب السؤال فيه ذل وخطر وخوف وخجلة وانكسار ومشقة وانتقاص وكل ذلك
من نقصان الحظ فالدنيا قليلها وكثيرها حلالها وحرامها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله فان ذلك القدر ليس من الدنيا فكل من
كانت معرفته اقوى واتم كان حذره من نعيم الدنيا اشد ولعظم حتى ان عيسى ع وضع راسه على حجر لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس
وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمان ع في ملكه كان يطعم الناس من لذائذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق
امتحانا وشدة فان الصبر عن لذيذ الاطعمة مع وجودها اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا ص فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه
من الجوع ولهذا سلط الحن والبلاء على الانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل في درجات العلاء كل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر
في الاخرة حظهم كما يمنع الوالد المشفق ولده لذائذ الفواكه والاطعمة ويلزمه الفصد والحجامة شفقة عليه وحبا له لا بخلا به عليه وقد
عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو من الدنيا وما هو من الدنيا ثم الاشياء على اقسام ثلثة الاول ما لا يتصور ان يكون
لله بل من الدنيا صورة ومعنى وهي انواع المعاصي والمحظورات واصناف التنعم بالمباحات وهي الدنيا المحضة المذمومة على الاطلاق الثاني ما
من الدنيا كالاكل والنوم والنكاح وامثالها ويمكن ان يجعل معناه لله فانه يمكن ان يكون المقصود منه حظ النفس فيكون معناه كصورته
من الدنيا ويمكن ان يكون المقصود منه الاستعانة على التقوى فهو لله بمعناه وان كان صورته صورة الدنيا قال رسول الله ص من طلب الدنيا
حلالا مكاثرا مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر
الثالث ما صورته لله ويمكن ان يجعل معناه من الدنيا بالقصد وهو ترك الشهوات وتحصيل العلم وعمل الطاعات والعبادات فهذه الثلث
اذا لم يكن لها باعث سوى امر الله واليوم الاخر فهي لله صورة ومعنى ولم يكن من الدنيا اصلا وان كان الغرض منه حفظ المال والحمية و
بالزهد والورع وطلب القبول بين الخلق باظهار المعرفة صار من الدنيا معنى وان كان يظن بصورته انه لله وصاحب المال الدعوص

حب الدنيا [illegible] الدنيا يقينا ولحب كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا كان الجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها وتشفي
الغيظ بحكم الغضب والحسد بعضها والكبر وطلب العلو بعضها وبالجملة لها ابعاض كثيرة يجمعها كل ما للانسان فيه حظ عاجل وآفات الدنيا
كثيرة التشعب والارجاء واسعة الارجاء والاكناف ولكن اعظم آفاتها المتعلقة بالقوة الشهوية هو المال اذ كل ذي روح محتاج اليه
وللضلالة عنوانان فقد حصل الفقر الذي يكاد ان يكون كفرا وان وجد حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا الخسران هو لا يخلو
من فوائد وآفات وفوائده من المنجيات وآفاته من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المشكلات اذ من فقده يحصل صفة الفقر ومن وجده
يحصل صفة الغنى وهما حالتان يحصل بهما الامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحدهما محمودة والاخرى مذمومة وللحريص حالتان
تشبث بالحرف والصنائع مع اليأس عن الخلق وطمع فيما في ايديهم واحدى الحالتين شر من الاخرى وللواجد حالتان امساك وانفاق واحدهما
مذموم والاخر ممدوح وللمنفق حالتان اسراف واقتصاد والاول مذموم والثاني ممدوح وهذه امور متشابهة لابد من تمييزها
ثم الاخذ بمحمودها والترك لمذمومها ليحصل النجاة من غوايل المال وفتنته ومن هنا قال بعض الاكابر الدرهم عقرب فان
لم تحسن رقيتها فلا تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه **فصل** الكتاب والسنة متظاهران
في ذم المال وكراهة حبه قال الله سبحانه يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك
هم الخاسرون وقال انما اموالكم واولادكم فتنة وقال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا الاية وقال رسول الله ص حب المال والشرف ينبتان
النفاق كما ينبت الماء البقل وقال ص ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال ص شر
امتي الاغنياء وقال ص يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال
ص اخلاء ابن ادم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه وهو ماله وواحد يتبعه الى قبره وهو اهله وواحد يتبعه الى محشره وهو عمله وقال
ص يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما يكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله فيّ ثم يجاء بصاحب الدنيا الذي
لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما يكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله فيّ فما يزال كذلك حتى يدعو بالثبور
والويل وقال ص ان الدينار والدرهم اهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم وقال ص تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس
ولا انتعش وقال ص لكل امة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وقال ص يؤتى بالرجل يوم القيمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه
في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من حلال وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل قد جمع مالا من
حرام وانفقه في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويؤتى برجل جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك قصرت في طلب هذا بشيء
مما فرضت عليك من صلوة لم تصلها لوقتها او فرطت في شيء من ركوعها وسجودها ووضوئها فيقول يا رب كسبت من حلال
وانفقت في حلال ولم اضيع شيئا مما فرضت فيقال لعلك اختلت في هذا المال في شيء من مركب او ثوب باهيت به فيقول لا يا رب
فلم اباه في شيء فيقال لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فيقول لا يا رب لم امنع
حق احد امرتني ان اعطيه فيجيء اولئك فيخاصمونه فيقولون يا رب اعطيته واغنيته وجعلته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا وان
يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيئا من الفرائض ولم يختل في شيء فيقال قف الان هات شكر نعمة انعمتها عليك من اكل او شرب
او لذة فلا يزال يسأل فليت شعري يا اخي ان الرجل الذي تقلب في الحلال وادى الفرائض بحدودها وقام بالحقوق كلها اذا
حوسب هذه المحاسبة فكيف يكون حال امثالنا الغرقى في فتن الدنيا وحبائلها وشبهاتها وشهواتها وزينتها فلاجل هذا
ما قطعها [illegible] ما اعطاها لانه [illegible] الموقف عند يدي الجبار وفي هذا الخطر قال بعض
الصحابة

الصحابة بما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقها في طاعة الله ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال
لاني غني عن مقامي يوم القيمة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شيء انفقت فينبغي لكل مؤمن ان لا يتلبس بالدنيا فيرضى بالكفاف وان كان
معه فضل فليقدمه لنفسه اذ لو بقي بعده لكان له مفاسد وآفات روي انه قال رجل يا رسول الله ما لي لا احب الموت فقال هل معك من مال
قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك امامك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه ووضع امير المؤمنين ع
درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج عني لا تنفعني وروي ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم
قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال عيسى ع لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض الاكابر مصيبتان
لم يسمع الاولون والاخرون بمثلهما للعبد في ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله ثم جميع ما ورد في ذم الغنى ومدح الفقر
كما يأتي بعضه وجميع ما ورد في ذم الدنيا كما تقدم بعضه يتناول ذم المال لانه اعظم اركان الدنيا **فصل** اعلم انه كما ورد ذم المال في الايات
والاخبار ورد مدحه ايضا وقد سماه خيرا في مواضع فقال ان ترك خيرا الوصية الاية وقال في مقام الامتنان ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا وقال رسول الله ص نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء في ثواب الصدقة والضيافة والسخاوة
والحج وغير ذلك مما لا يمكن الوصول اليه الا بالمال فهو ثناء عليه ووجه الجمع بين الظواهر المادحة والذامة هو ان المال قد يكون وسيلة الى
مقصود صحيح هو السعادة الاخروية اذ الوسائل اليها في الدنيا ثلثة وهي الفضايل النفسية والفضايل البدنية والفضايل الخارجية
التي منها المال وقد يكون وسيلة الى مقاصد فاسدة وهي المقاصد الصادة عن السعادة الاخروية والحيوة الابدية والسادة سبيل العلم
والعمل فهو اذن محمود مذموم بالاضافة الى المقصودين فالظواهر الذامة محمولة على صورة كونه وسيلة الى مقاصد فاسدة والمادحة
على صورة كونه وسيلة الى مقاصد صحيحة ولما كانت الطبايع مايلة الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله وكان المال مسهلا لها وآلة
اليها عظم الخطر فيما يزيد على قدر الكفاية فاستعاذ طوايف الانبياء والاولياء من شره حتى قال نبينا ص اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا وقال
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا **فصل** قد ظهر مما ذكر ان المال مثل حية فيها سم وترياق فغوايله سمه وفوايده ترياقه فمن عرفهما
امكنه ان يحترز من شره ويستدر من خيره ولبيان ذلك نقول ان غوايله اما دنيوية او دينية والدنيوية هي ما يقاسيه ارباب الاموال
من الخوف والحزن والهم والغم وتفرق الخاطر وسوء العيش والتعب في كسب الاموال وحفظها ودفع الحساد وكيد الظالمين وغير ذلك والدينية ثلثة
انواع اولها اداؤه الى المعصية اذ المال من الوسائل الى المعاصي ونوع من القدرة المحركة لداعيتها فاذا استشعر الانسان من نفسه انبعثت
الداعية واقتحم في المعاصي وارتكب انواع الفجور ومهما كان آيسا عن القدرة لم يتحرك داعيته اليها اذ العجز قد يحول بين المرء وبين المعصية
ومن العصمة ان لا تقدر واما مع القدرة فان اقتحم ما يشتهيه هلك وان صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السراء
من فتنة الضراء اعظم وثانيها اداؤه الى التنعم في المباحات فان الغالب ان صاحب المال يتنعم بالدنيا ويمرن عليه نفسه فيصير التنعم محبوبا عنده
مالوفا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد انسه به وصار عادة له ربما لم يقدر عليه من الحلال فيقتحم في الشبهات ويخوض
في المحرمات من الخيانة والظلم والغصب والرياء والكذب والنفاق والمداهنة وساير الاخلاق المهلكة والاعمال الردية لينتظم امر دنياه
ويتيسر له تنعمه وما اقل لصاحب الثروة والمال ان لا يصير التنعم مالوفا اذ من يقدر ان يقنع بخبز الشعير ولبس الخشن وترك الاطعمة اللذايذ
باسرها انما ذلك شان نادر من اولي النفوس القوية القدسية كسليمان بن داود واضرابه وثالثها ان من كثر ماله كثرت حاجته الى الناس
ولا بد ان يداهنهم ويسخط الله في طلب رضاهم فان سلم من الآفة الاولى اعني مباشرة الحرام فلا يسلم عن هذه اصلا ومن الحاجة الى الناس
تتولد العداوة والصداقة وتحصيل الحقد والحسد والكبر والرياء والكذب والغيبة والبهتان والنميمة وساير معاصي القلب واللسان

وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى حفظه واصلاحه ونتايجها وهو الذي لا ينفك عنه احد من ارباب الاموال وهو انه يلهيه اصلاح
ماله وحفظه عن ذكر الله تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلث آفات ان ياخذه من غير حله فقيل ان
اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه قال يشغله اصلاحه عن الله وهذا هو الداء العضال اذ اصل العبادات
ومخها وحقيقتها هو الذكر والفكر في جلال الله تعالى وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يصبح ويمسي متفكرا في خصومة الفلاح
ومحاسبته وخيانته ومنازعة الشركاء وخصومتهم في الماء والحدود وخصومة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجراء في التقصير في العمارة
وغير ذلك وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة الشركاء وانفرادهم بالربح وتقصيرهم في العمل وتضييعهم للمال وكونه مبتلى بالغربة
متفرقا مهمومه القلب من كساد ما يصحبه من مال التجارة وكذلك صاحب المواشي وغيره من ارباب اصناف الاموال والعبيد حتى كثرة الشغل
النقد المدفون تحت الارض وصاحبه ايضا لا يزال متفكرا مترددا فيما يصرفه اليه وكيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي قطع طمع الخلق
منه وبالجملة اودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي ليس معه الا قوت يومه او سنته ولا يطلب ازيد من ذلك فهو في سلامة عن
جميع ذلك واما فوايده فهي اما دنيوية او دينية واما الدنيوية فهي ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السؤال وحقارة
الفقر والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاصدقاء والاعوان وحصول الوقار والكرامة في القلوب واما الدينية
فثلثة انواع اولها ان ينفق على نفسه في عبادة كالحج والجهاد او فيما يقوى على العبادة كالمطعم والملبس والمسكن ونحوها الثاني ما يصرفه
الى اشخاص معينة كالصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام واما الصدقة بانواعها فلا يخفى ثوابها وقد ورد في فضيلتها
اخبار واما المروة فنعني بها صرف المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة او هدية او اعانة وما يجري مجراها مما يكتسب به الاخوان
والاصدقاء ويجلب به صفة الجود والسخاء اذ لا يتصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك سبيل الفتوة والمروة فلا ريب في كونه
ما يعظم ثوابه فقد وردت اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقة في مصارفها واما وقاية
العرض فنعني بها بذل المال لدفع هجو الشعراء وثلب السفهاء او لقطع السنة الفاحشين والمغتابين ومنع شر الظالمين وامثال ذلك
فهو ايضا من الفوايد الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة واما اجرة الاستخدام فلا ريب في انه اعانة على امور
الدين اذ الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الآخرة
بالفكر والذكر الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له يحتاج ان يتولى بنفسه جميع الاعمال التي يحتاج اليها في الدنيا حتى
نسخ الكتاب الذي يفتقر اليه وكلما يتصور ان يقوم به الغير فتضييع الوقت فيه خسران وندامة والثالث ان يصرفه الى غير معين
يحصل به خير عام وهي الخيرات الجارية من بناء المساجد والمدارس والقناطر والرباطات ونصب الحياض في الطرق واجراء القنوات
ونسخ المصاحف والكتب العلمية وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات المؤبدة الدارة بعد الموت المستجلبة بركة ادعية الصالحين
الى اوقات متمادية فصل من اراد النجاة من غوايل المال فليحافظ على امور الاول ان يعرف مقصود المال وباعث خلقه وعلة الاحتياج
اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة الثاني ان يراعي جهة دخله فيجتنب الحرام والمشتبه والجهات المكروهة القادحة في
المروة والرشوة كالهدايا المشوبة بالرشوة والسؤال الذي فيه الانكسار والذلة الثالث ان يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق
غير مبذر ولا مقتر قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ثم
للاقتصاد في المطعم والملبس والمسكن درجات ثلث ادنى واوسط واعلى وربما كان الميل الى الاولى اولى واحرى ليخف وزره
يوم القيمة الرابع ان يضع ما اكتسبه من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حله والوضع في غير حقه سواء

الخامس

الخامس ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فيأخذ ما يأخذ استعانة به على ما خلق لاجله ويترك ما يترك زهدا
فيه واستحقارا له واجتنابا عن عنته وثقله واذا فعل ذلك لم يضره وجوده قال امير المؤمنين عليه السلام لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض و
اراد به وجه الله فهو زاهد ولو ترك الجميع ولم يرد به وجه الله فليس بزاهد فينبغي لكل مؤمن ان يكون باعث جميع افعاله التقرب الى الله تعالى ليصير
الجميع عبادة فان ابعد الافعال عن العبادة الاكل والوقاع وقضاء الحاجة ويصير بالقصد عبادة فمن اخذ من المال ما يحتاج اليه في طريق الدين
وبذل ما فضل منه على اخوانه المؤمنين فهو الذي اخذ من حية المال ترياقها وقاية من سمها فلا يضره كثرة المال الا انه لا يتأتى ذلك الا لمن
كثر علمه واستحكم في الدين قدمه والعامي اذا تشبه في الاستكثار من المال بالعالم كان شأنه شأن الصبي الذي يرى المعزم الحاذق يأخذ الحية
ويتصرف فيها ليأخذ ترياقها فيقتدي به ويأخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فيقتله في الحال الا ان قتيل
الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف ذلك وكما يمتنع ان يتشبه الاعمى بالبصير في التخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المتوكرة
فيمتنع ان يتشبه العامي الجاهل بالعالم الكامل في الاستكثار من المال فصل ضد حب الدنيا والرغبة اليها هو الزهد وهو ان
لا يريد الدنيا بقلبه ويتركها بالجوارح الا بقدر ضرورة بدنه وبعبارة اخرى هو الاعراض عن متاع الدنيا وطيباتها من
الاموال والمناصب وساير ما يزول بالموت وبتقرير آخر هو الرغبة عن الدنيا عدولا الى الآخرة او عن غير الله عدولا الى الله
وهو الدرجة العليا فمن رغب عن كل ما سوى الله حتى الفراديس ولم يحب الا الله فهو الزاهد المطلق ومن رغب عن حظوظ
الدنيا خوفا عن النار او طمعا في نعيم الجنة من الحور والقصور والفواكه والانهار فهو ايضا زاهد ولكنه دون الاول ومن ترك
بعض حظوظ الدنيا دون بعض كالذي يترك المال دون الجاه او يترك التوسع في الاكل دون التجمل في الزينة لا يستحق اسم الزاهد
مطلقا وبما ذكر يظهر ان الزهد انما يتحقق اذا كان باعث الترك حقارة المرغوب عنه وخساسته اعني الدنيا بالاضافة
الى المرغوب فيه وهو الله والدار الآخرة فلو كان الترك لعدم قدرته عليها او لغرض غير الله وغير الدار الآخرة من حسن الذكر واستمالة
القلوب او الاشتهار بالفتوة والسخاء او الاستثقال لما في حفظ الاموال من المشقة والعناء وامثال ذلك لم يكن من الزهد اصلا
فصل الزهد اصل مقامات الدين واعلى مقامات السالكين قال الله سبحانه في خروج قارون في زينته الى قومه وقال الذين اوتوا العلم ويلكم
ثواب الله خير فنسب الزهد الى العلم ووصف اهله بالعلم وهو غاية المدح وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب وقال رسول
الله صلى الله عليه وآله من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له
ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال اذا رأيتم العبد قد اعطي
صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة وقال من اراد ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فليزهد في
الدنيا وقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس وقال لامير المؤمنين عليه السلام يا علي من عرضت له دنيا
وآخرة فاختار الآخرة وترك الدنيا فله الجنة ومن اختار الدنيا استخفافا بآخرته فله النار وقال سيكون بعدي قوم لا يستقيم لهم الملك
الا بالقتل والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى الا فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر على الفقر وهو يقدر
على الغنى وصبر على البغضاء وهو يقدر على المحبة وصبر على الذل وهو يقدر على العز لا يريد بذلك الا وجه الله اعطاه الله ثواب خمسين
صديقا وقال لما سئل عن معنى شرح الصدر للاسلام ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح فقيل له هل لذلك
علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وقال استحيوا من الله حق الحياء

قالوا انا نستحيي قال فلم تبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون ثم قال وقدم عليه وفد فقالوا انا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم قالوا نصبر
عند البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء ونترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال فان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون
ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون ثم جعل الزهد من مكملات ايمانهم وقال ع من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة
فقيل وما خلطها قال حب الدنيا وطلبها وقال ع من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة في قلبه فانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما
الى دار السلام وروي ان بعض نسائه بكت مما رأت به من الجوع وقالت يا رسول الله الا تستطعم الله فيطعمك فقال والذي نفسي بيده
لو سألت ربي ان يجري معي جبال الدنيا ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها
وحزن الدنيا على فرحها ان الدنيا لا ينبغي لمحمد ولا لآل محمد ان الله لم يرض لاولي العزم من الرسل الا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها
ثم لم يرض لي الا ان يكلفني مثل ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل والله ما لي بد من طاعته واني لاصبرن كما صبروا واجهد ولا
قوة الا بالله وقال ع لقد كان الانبياء من قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباء وكان احدهم ليبتلى بالقمل وكان ذلك احب اليهم من الا
يام وقال ع لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وقال ع اذا اراد الله
بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره بعيوب نفسه وقال ع من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار
لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات وقال ع ان ربي عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة
ذهبا قلت لا يا رب ولكن اجوع يوما واشبع يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي اشبع فيه فاحمدك
واثني عليك وروي انه ع خرج ذات يوم ومعه جبرئيل فصعد على الصفا فقال له رسول الله والذي بعثك بالحق ما امسى لآل محمد كف
سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال له امر الله القيامة ان تقوم فقال لا ولكن هذا
اسرافيل قد نزل اليك حين سمع كلامك فاتاه اسرافيل وقال ان الله عز وجل سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح الارض وامرني ان اعرض
عليك ان احببت ان اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ
اليه جبرئيل ان تواضع لله فقال نبيا عبدا وقال ع قال الله تع ان من اغبط اوليائي عندي عبدا مؤمنا ذا حظ من صلاة احسن عبادة
ربه بالغيب وكان غامضا في الناس جعل رزقه كفافا فصبر عليه عجلت منيته قل تراثه وقلت بواكيه ومر برجل [illegible] فبعث اليه يستسقيه
فقال اما ما في ضروعها فصبوح الحي واما ما في آنيتنا فغبوقهم فقال ع اللهم كثر ماله وولده ثم مر براعي غنم فبعث اليه يستسقيه فحلب ما في ضروعها
واكفأ ما في انائه في اناء رسول الله وبعث اليه بشاة وقال هذا ما عندنا وان احببت ان نزيدك زدناك فقال رسول الله
اللهم ارزقه الكفاف فقيل له يا رسول الله دعوت للذي ردك بدعاء عامتنا نحبه ودعوت للذي اسعفك بحاجتك بدعاء كلنا
نكرهه فقال ان ما قل وكفى خير مما كثر والهى اللهم ارزق محمدا وآل محمد الكفاف وقال امير المؤمنين ع الناس ثلثة زاهد وصابر وراغب فاما
الزاهد فقد خرجت الاحزان والافراح من قلبه فلا يفرح بشيء من الدنيا ولا ييأس على شيء منها فاته فهو مستريح واما الصابر فانه يتمناها بقلبه
فاذا نال منها الجم نفسه عنها لسوء عاقبتها وشنآنها ولو اطلعت على قلبه عجبت من عفته وتواضعه وحزمه واما الراغب
فلا يبالي من اين جاءته الدنيا من حلها او حرامها ولا يبالي ما دنس فيها عرضه واهلك نفسه واذهب مروته فهم في غمرة يعمهون
ويضطربون وقال ع ان من اعون الاخلاق على الدين الزهد في الدنيا وقال ع من جمع ست خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار
مهربا من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الدنيا فتركها وعرف الآخرة فطلبها وعرف الباطل فاتقاه وعرف الحق فاتبعه
وقال ع من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن اشفق من النار لهى عن الشهوات ومن راقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت

عليه

علامة الراغب الآخرة

عليه المصيبات وقال ع ان علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الحيوة الدنيا اما ان زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه
مما قسم الله له فيها وان زهد وان حرص الحريص على عاجل زهرة الحيوة الدنيا لا يزيده فيها وان حرص فالمغبون من حرم حظه من
الآخرة وقال علي بن الحسين ع ما من عمل بعد معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله افضل من بغض الدنيا الحديث وقال الباقر ع اكثر ذكر
الموت فانه لم يكثر انسان ذكر الموت الا زهد في الدنيا وقال ع قال الله تعالى وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لا يؤثر
عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من امر الدنيا الا جعلت غناه في نفسه وهمه في آخرته وضمنت السموات والارض رزقه وكنت له من
وراء تجارة كل تاجر وقال ع اعظم الناس قدرا من لا يبالي الدنيا في يد من كان من كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينيه ومن هانت
عليه نفسه كبرت الدنيا في عينيه وقال الصادق ع جعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا وقال ما كان شيء احب الى رسول الله
من ان يظل جائعا خائفا في الله وقال ع اذا اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا وفقهه في الدين وبصره عيوبها ومن اوتيهن فقد
اوتي خير الدنيا والآخرة وقال ع لم يطلب احد الحق بباب افضل من الزهد في الدنيا وهو ضد لما طلب اعداء الحق من الرغبة فيها الا من صبار
عليكم ان تجدوا طعم الايمان حتى تزهدوا في الدنيا وقال ع ان الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك
عن الله من غير تاسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض لها بل ترى فوتها راحة وكونها آفة
وتكون ابدا هاربا من الآفة معتصما بالراحة والزاهد الذي يختار الآخرة على الدنيا والذل على العز والجهد على الراحة والجوع على الشبع
وعاقبة الآجل على محبة العاجل والذكر على الغفلة ويكون نفسه في الدنيا وقلبه في الآخرة وقال الصادق ع من اصبح وامسى معافى في
بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وكفى للزهد فضيلة ومدحا انه اعز صفات الانبياء والاولياء ولم يبعث نبي
الا وهو لو لم يتوقف التقرب الى الله والنجاة في دار الآخرة عليه لما ضيق عظماء نوع الانسان ولعرفاء الناس بحقيقته على انفسهم
فطاموها عن شهوات الدنيا ولذاتها فانظر الى كليم الله موسى كيف كان غذاؤه البقول نبات الارض واوراق الاشجار وكان ضعف بدنه
من كثرة رياضته بحيث يرى الخضرة من صفاق بطنه كما اخبر به امير المؤمنين ع في نهج البلاغة ثم انظر الى روح الله ع كيف يلبس الشعر ويأكل الشجر
ولم يكن له ولد يموت ولا بيت يخرب ولا يدخر لغذائه شيئا ولا يدخر لعشائه وقال له الحواريون يوما يا نبي الله لو امرتنا ان نبني لك بيتا
يعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا لي بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال فكيف يستقيم عبادة مع حب الدنيا وروي
انه اشتد به يوما المطر والرعد والبرق فجعل يطلب ملجأ يلجأ اليه فرفعت اليه خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امرأة فحاد عنها فاذا هو
بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه اسد فوضع يده عليه وقال الهي جعلت لكل شيء مأوى ولم تجعل لي مأوى فاوحى الله اليه مأواك في مستقر
من رحمتي لأزوجنك يوم القيمة الف حور خلقتها بيدي ولأطعمن في عرسك اربعة آلاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولآمرن
مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن مريم ثم انظر الى يحيى بن زكريا كيف يلبس المسوح حتى نقب
جلده تركا للتنعم بلين الثياب واستراحة حس اللمس فسألته امه ان يلبس مكانها جبة من صوف ففعل فاوحى الله اليه يا يحيى آثرت
الدنيا فبكى ونزع الصوف وعاد الى ما كان ثم افتح بصيرتك وتأمل في سيرة رسول الله وزهده في الدنيا فانه ص لبث في النبوة ما لبث
ولم يشبع هو واهل بيته غدوة الا جاعوا عشية ولم يشبعوا عشية الا جاعوا غدوة ولم يشبع من التمر هو واهل بيته حتى فتح الله عليهم
خيبر وقرب اليه يوما طعام على مائدة فيها ارتفاع فشق ذلك عليه حتى تغير لونه فامر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على الارض
وكان ينام على عباءة مثنية فثنوها له ليلة باربع طاقات فنام عليها فلما استيقظ قال منعتموني قيام الليلة بهذه العباءة
اثنوها باثنتين كما كنتم تثنونها وكان يضع ثيابه ليغتسل فياتيه بلال فيؤذنه بالصلوة فما يجد ثوبا يلبس فيخرج الى الصلوة

وروي ان امراة من بني ظفر صنعت له ص كسائين ازارا ورداء وبعثت اليه باحدهما قبل ان يبلغ الاخر فخرج الى الصلوة وهو مشتمل به ليس عليه غيره وقد عقد طرفيه الى عنقه فصلى كذلك وشهرة زهده ص وتركه الدنيا اشهر من ان يحتاج الى بيان وكذا من بعده من الائمة الراشدين والاصحاب والتابعين وغيرهم من اكابر الدين والسلف الصالحين حتى كان ناس منهم يعيش خمسين سنة وستين لم يطو له ثوب ولم ينصب له قدر ولم يجعل بينه وبين الارض شيئا ولا امر في بيته بصنعة طعام فاذا اظلم الليل يقومون وجوههم على الارض يفترشون تجري دموعهم على خدودهم ويناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار وقد حكي ان بعض الخلفاء ارسل الى بعضهم بعشرة الاف درهم فلم يقبلها فشق ذلك على اهله فقال اتدرون ما مثلي ومثلكم الا كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لينتفعوا بجلدها فكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني فموتوا جوعا خير لكم من ان تذبحوني وقد بلغ بعضهم من الزهد بحيث يطلب لقيام الليل موضعا لا يصيبه نسيم الاسحار خيفة من الاستراحة به وكان لبعضهم حب مكسور فيه ماء لا يرفعه من الشمس ويشرب الماء الحار ويقول من وجد لذة الماء البارد يشق عليه مفارقة الدنيا فيا حبيبي افق من سكر الهوى واعرف المضادة التي بين الاخرة والاولى للدنيا واقتد بالواقفين على جلية الحال والمطلعين على حقيقة المال في المواظبة على الزهد والتقوى وفطام النفس عن لذائذ الدنيا فان ذلك وان كان شاقا لذة قريبة والاحتماء مدة يسيرة للتنعم على التابيد لا يستثقل على اهل المعرفة القاهرين انفسهم بسياسة الشرع المتين المعتصمين بعروة اليقين بما وعد الله في الاخرة لعباده الزاهدين **فصل** اعلم ان للزهد اعتبارات يتحقق له بكل اعتبار درجات الاول اعتبار نفسه اي من حيث نفس الترك للدنيا وبهذا الاعتبار له درجات ثلث الاولى ان يزهد في الدنيا مع ميله اليها وحبه لها بان يكف نفسه عنها بالمجاهدة والمشقة وهذا هو الزهد الثانية ان يترك الدنيا طوعا وسهولة من دون ميل اليها لاستحقاره اياها بالاضافة الى ما طمع فيه من لذات الاخرة وهذا كالذي يترك درهما لاجل درهمين معاوضة فانه لا يشق عليه ذلك وان كان يحتاج الى قليل انتظار ومثله ربما اعجب بنفسه وبزهده ولاحتمال ان يظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه الثالثة وهي اعلى الدرجات ان يترك الدنيا طوعا وشوقا ولا يرى انه ترك شيئا اذ عرف ان الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة واخذ ياقوتة صافية جوهرا فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا وسبب هذا الزهد كمال المعرفة فان العارف على يقين بان الدنيا بالاضافة الى الله ونعيم الاخرة اخس من جيفة بالنظر الى ياقوتة ومثل هذا الزاهد امن من خطر الالتفات الى الدنيا كما ان تارك الجيفة بالياقوتة امن من طلب الاقالة في البيع وقد ذكر ارباب القلوب من اهل المعرفة ان مثل تارك الدنيا بالاخرة مثل من منعه من باب الملك كلب يكون على بابه فالقى اليه لقمة من خبز فالهاه عن نفسه ودخل الباب ونال غاية القرب من الملك حتى نفذ امره في جميع مملكته افترى انه يرى لنفسه عوضا عند الملك بلقمة خبز القاها الى كلب في مقابلة ما ناله مع كون هذه اللقمة ايضا من الملك فالشيطان كلب على باب الله يمنع الناس من الدخول مع ان الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلقمة خبز ان اكلها فلذتها حال المضغ ينقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها في المعدة ثم ينتهي الى النتن والقذر ويحتاج الى اخراجه فمن تركها لينال عز الملك كيف يلتفت اليها ولا ريب ان نسبة الدنيا كلها بتمامها الى ما يسلم له منها وان عمر الف سنة بالاضافة الى نعيم الاخرة اقل من لقمة بالاضافة الى ملك الدنيا اذ لا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي والدنيا متناهية ولو كانت تتمادى الف الف سنة صافية عن كل كدورة لكان لا نسبة لها الى الابد فكيف ومدة العمر قصيرة ولذاتها مكدرة غير صافية فما نسبتها الى نعيم الابد الثاني اعتبار المرغوب عنه اعني ما يترك وبهذا الاعتبار له خمس درجات الاولى ان يترك المحرمات وهو الزهد في الحرام ويسمى زهد فرض الثانية ان يترك المشتبهات ايضا وهو الزهد في الشبهة ويسمى زهد سلامة الثالثة ان يزهد في الزائد عن قدر الحاجة من الحلال ايضا ولا يزهد في التمتع بالقدر الضروري من المطعم والملبس والمسكن واثاثه والمنكح وما هو وسيلة اليها من المال والجاه والى هذه الدرجات كلا او بعضا اشار مولانا امير المؤمنين ع

بقوله الزهد

بقوله الزهد في الدنيا قصر الامل وشكر كل نعمة والورع عن كل ما حرم الله ومولانا الصادق ع بقوله ان الزهد في الدنيا ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال بل الزهد في الدنيا ان لا تكون بما في يدك اوثق منك بما عند الله وهذا مع ما ياتي بعده هو الزهد في الحلال ويسمى زهد فضل الرابعة ان يترك جميع ما للنفس فيه تمتع ويزهد فيه ولو في قدر الضرورة لا بمعنى ترك صرف القدر بالمرة اذ ذلك متعذر بل تركه من حيث التمتع به وان ارتكبه اضطرارا من قبيل اكل الميتة مع الاكراه له بالمرة وهذا يتناول ترك جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والغضب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها والى هذه الدرجة اشار الصادق ع بقوله الزاهد في الدنيا الذي يترك حلالها مخافة حسابه ويترك حرامها مخافة عذابه واليها يرجع قول امير المؤمنين ع الزهد بين كلمتين من القرآن قال سبحانه لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فمن لم ياس على الماضي ولم يفرح بالاتي فقد اخذ الزهد بطرفيه وقوله ع الزهد في الدنيا ثلثة احرف زاء وهاء ودال اما الزاء فترك الزينة واما الهاء فترك الهوى واما الدال فترك الدنيا الخامسة ان يترك جميع ما سوى الله ويزهد فيه حتى في بدنه ونفسه بحيث كانما يصحبه ويتركه في الدنيا الجاء واكراها من دون استلذاذ وتمتع به والى هذه الدرجة اشار مولانا الصادق ع بكلامه المنقول سابقا حيث قال ان الزهد مفتاح باب الاخرة والبراءة من النار وهو تركك كل شيء يشغلك عن الله من غير تاسف على فوتها ولا اعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها وطلب محمدة عليها ولا عوض لها بل ترى فوتها راحة وكونها افة الحديث ثم الالتفات الى بعض ما سوى الله والاشتغال به ضرورة كضرورة الاكل واللبس ومخالطة الناس ومكالمتهم وامثال ذلك لا ينافي هذه المرتبة من الزهد اذ معنى الاعراض عن الدنيا الى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب اليه تعالى ذكرا وفكرا وهذا لا يتصور بدون البقاء ولا بقاء الا بضرورات المعيشة فمتى اقتصر من الدنيا عليها قصد الدفع المهلكات عن البدن او الاستعانة بالبدن على العبادة وسائر ما يقرب الى الله تعالى لم يكن مشتغلا بغير الله تعالى اذ ما لا يتوصل الى الشيء الا به فهو منه فالمشتغل بعلف دابته في طريق الحج ليس معرضا عن الحج ولكن ينبغي ان يكون البدن في طريق الله مثل الدابة في طريق الحج فكما ان قصدك من تعهدها ما تحتاج اليه دابتك دفع المهلكات عنها حتى تسير بك الى مقصدك دون تنعمها فكذلك ينبغي ان يكون قصدك من الاكل والشرب واللباس والمسكن صيانة بدنك عما يهلكه من الجوع والعطش والحر والبرد فيقتصر على قدر الضرورة ويقصد به التقوي على طاعة الله دون التلذذ والتنعم وذلك لا ينافي الزهد بل هو شرطه نعم ترتب التلذذ على ذلك لا يضر اذا لم يكن مقصودا بالذات فان الانسان قد يستريح في قيام الليل بنسيم الاسحار وصوت الطيور وهذا لا يضر بعبادته اذا لم يقصد طلب موضع خاص لهذه الاستراحة على ان لا لذة حقيقة في الاكل والشرب واللباس وانما يندفع بها الام الجوع والعطش والحر والبرد ثم لا يخفى ان الفضول من امور الدنيا من المطعم والمشرب والملبس والمسكن واثاثه والمال والجاه ينبغي تركها والزهد فيها اذ لا اختصاص لها بالمحتاج اليه ينافي الزهد واما غير الفضول مما يحتاج اليه الانسان ويكون مهما من الامور الثمانية فينبغي ان لا يترك الزهد فيها اذ ما هو المهم الضروري يتطرق اليه فضول في مقداره وجنسه واوقاته فينبغي ان الزهد فيه ايضا ومقتضى غاية الزهد فيه ان يقتصر من القوت على قوت يوم وليلة فان كان عنده ازيد من ذلك فليبذله على بعض المستحقين فان اقتصر من جنسه على خبز الشعير فهو نهاية الزهد في القوت الا ان اكل خبز الحنطة في بعض الاحيان بل اكل الادام واحدا في بعض الاوقات اذا لم يكن من اللذائذ الشديدة ومن اطعمة المتنعمين من اهل الدنيا لا ينافي الزهد وربما لم يكن اكل اللحم في بعض الاحيان منافيا له ويقتصر من اللباس بعد كونه من القطن او الصوف على ما يستر العورة ويحفظها من الحر والبرد ولا باس بكونه اثنين ليلبس الاخر عند غسل احدهما ومن المسكن على حفظ نفسه واهله من الحر والبرد ومن اثاثه على الفرش والظرف والقدر والكوز وامثال ذلك مما يدفع حاجة مهمة غير متعد الى ما يمكن زوال ضرورته بدونه ومن المنكح على ما يكسر سورة شهوته ويحفظه عن النظر والوساوس الشهوية المانعة عن الحضور في العبادات ومن المال على ما يقضي به حاجته يوم بليلة فان كان كاسبا فاذا اكتسب حاجة يومه فليترك كسبه وليشتغل الى اخره

وان كانت له ضيعة ولم يكن له مدخل اخر يمكن ان يصل اليه كل يوم بقدر حاجته فيه فالظاهر عدم خروجه عن الزهد بامساك قدر ما يكفيه مؤنة
بسنة واحدة بشرط ان يتصدق بكل ما يفضل من كفاية نفقته وربما قيل انه مثل من ضعفاء الزهاد يعني انما وعد للزاهدين في الدار
الاخرة من المقامات العالية والدرجات الرفيعة لا ينال لان تصدق عليه كونه زاهدا اذ مثله ليس له قوة اليقين لان صاحب اليقين الواقعي
اذا كان له قوت يومه للحيطة لاستياعه من شرط التوكل والزهد فلا يكون هذا من الزهاد ثمره وهذه غاية الزهد في الامور المذكورة
وعليه جرت طريقة الانبياء والاوصياء ومن بعدهم من السلف الاتقياء والحق ان حكم الزهد فيها يختلف باختلاف الاشخاص والاوقات
فان امر المنفرد في جميع ذلك اخف من امر المعيل ومن قصر جميع همه على تحصيل العلم والعمل لم يقدر على كسب حاله يخالف حال اهل الكسب وكذا في بعض
الاوقات وفي بعض الاماكن يمكن تحصيل قدر الحاجة في كل يوم وفي بعضها لا فالملاك في كل منها ممكن ذلك الاكل احد ان يلاحظ حاله ووقته ومكانه ويتامل في ان
الاصلح باي امر شيء الاعون على تحصيل ما خلق لاجله امساك اي قدر من المال وصرف اي قدر وحبس القوت بحيث لو كان اقل منه لم يتمكن
من تحصيل ما يقربه الى ربه فياخذ ويترك الزايد ان لم يعد لجهة النية وخلوص القصد في ذلك لا يخرج عن الزهد الواقعي وان نقص الاكتفاء
باقل من ذلك مع الحاجة لعقد ما هو اهم تحلي النفس واما الجاه فقد تقدم ان القدر الضروري منه في امر المعيشة تحصيل منزلة في قلب خادمه يخدمه
وفي قلب السلطان ليدفع شر الاشرار عنه لا باس به فالظاهر عدم منافاة هذا القدر للزهد وقال بعض العلماء وهذا القدر وان لم يكن به
باس لكن تمادي الى هاوية لا عمق لها ومن حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه فانما يحتاج الى المحلة في القلوب اما لجلب نفع او لدفع ضرر او للخلاص
من ظلم اما النفع فيغني عنه المال فان من لم يخدم باجرة يخدمه وان لم للمستاجر عنده قدر واما يحتاج الى الجاه في قلب من يخدم بغير اجرة فهو
من الظالمين فكيف يكون من الزاهدين واما دفع الضرر فيحتاج لاجله الى الجاه في بلد لا يكمل العدل فيها او يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر
على دفع شرهم الا بمحل له في القلوب او محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا ينضبط لا سيما اذا انضم اليه الخوف وسوء الظن بالعواقب
والخائض في طلب الجاه سالك طريق الهلاك بل حق الزاهدين ان لا يسعى لطلب المحل في القلوب اصلا فان اشتغاله بالدين والعبادة
يمهد له من المحلة في القلوب ما يدفع عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين المسلمين واما التوهمات والتقديرات التي تخرج الى زيادة
في الجاه على الحاصل بغير كسب فهي اوهام كاذبة اذ من طلب الجاه ايضا لم يخل عن اذى في بعض الاوقات فعلاج ذلك بالاحتمال والصبر اولى من علاجه
بطلب الجاه فاذن طلب المحلة في القلوب لا رخصة فيه اصلا واليسير منه داع الى الكثير وضراوته اشد من ضراوة الخمر فليحترز من قليله وكثيره
نعم ما اعطاه الله لبعض عبيده من دون سعيه في طلبه لنشر دينه او لاتصافه ببعض الكمالات المختصة لحصول منزلة له في القلوب فليس
به باس ولا ينافي الزهد فان جاه رسول الله صلى الله عليه وآله كان اوسع الجاه مع كونه ازهد الناس والحق كما تقدم ان الجاه كالمال في نفي الباس عن قدر يضطر
اليه الانسان اذا وقع في زمان او بلد توقف امر معيشته عليه فالقدر الضروري منها غير محذور وغير مناف للزهد والزايد على الحاجة
سم قاتل فلا ينبغي ان ينسب المقتصر على الضرورة الى الدنيا بل ذلك القدر من الدين فانه من شروطه والشرط من جملة المشروط ويدل عليه
ما روي ان ابراهيم الخليل عليه السلام اصابته حاجة فذهب الى صديق له ليستقرض منه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله اليه لو سألت خليلك لاعطاك
فقال يا رب عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسألك منها فاوحى اليه ليس الحاجة من الدنيا ويدل عليه ايضا كلام الصادق عليه السلام مع سفيان الثوري
كما اورده بطوله شيخنا الاقدم ره في جامع الكافي فاذن قدر الحاجة من الدين وما وراءه وبال في الآخرة بل في الدنيا ايضا ويعرف ذلك بالتامل
في احوال الاغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه وتحمل الذل فيه وغاية سعادته ان يتركه لورثته فياكلونه وهم اعداؤه او
يستعينون به على المعصية فيكون معينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا وتابع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه
حتى تقتله ثم يريد الخروج فلا يجد مخلصا فيموت ويهلك بسبب العمل الذي عمله بنفسه كما قيل في ذلك الم تر ان المرء طول حياته

معني بامر لا يزال

معني بامر لا يزال الصلاح كدود القز ينسج دائما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه فكل مكب على الدنيا مستتبع نفسه للشهوات لا يزال يقيد نفسه
بسلاسل واغلال لا يقدر على قطعها الى ان يفرق ملك الموت بينه وبين شهواته دفعة فيبقى السلاسل من قلبه متعلقة بالدنيا التي فاتته
وخلفها وهي تجاذبه الى الدنيا ومخالب ملك الموت قد تعلقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة فاهون احوال العبد عند الموت ان يكون مثل
شخص ينشر بالمناشير ويفصل احد جانبيه عن الآخر بها هذا اول عذاب يلقاه قبل ما يراه من حسرات نزوله في اسفل السافلين ومنعه عن
اعلى عليين وجوار رب العالمين فبالنزوع الى الدنيا يحجب عن لقاء الله وعند الحجاب تسلط عليه نار جهنم اذ النار لكل محجوب بعده
كما قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ولما انكشف لارباب القلوب ان العبد يهلك نفسه باتباع الهوى
والخوض في الدنيا اهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالكلية فنسأل الله تعالى ان يخرج من قلوبنا ما نفث فيه روح حبيبه احب ما احببت
الياحبيب احببت فانك مفارقه الثالث باعتبار المرغوب فيه وهو اعز ما يترك لاجله وبهذا الاعتبار درجات ثلاث الاولى ان يكون
المرغوب فيه النجاة من النار وسائر عذاب الآخرة فهذا زهد الخائفين الثانية ان يكون ثواب الله ونعيم الجنة وهذا زهد الراجين
الثالثة وهي الدرجة العليا ان لا يكون له رغبة الا في الله وفي لقائه فلا يلتفت الى الآلام ليقصد منها الخلاص ولا الى اللذات ليقصد
نيلها بل هو مستغرق الهم بالله وهذا زهد العارفين لانه لا يحب الله خاصة الا من عرفه بصفاته الكمالية فكما ان من عرف الدينار والدرهم
وعلم انه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب الا الدينار فكل من عرف الله وعرف لذة النظر الى وجهه الكريم وعرف ان الجمع بين تلك اللذة ولذة
التنعم بالحور العين والنظر الى القصور وخضرة الاشجار غير ممكن فلا يحب الا لذة النظر ولا يؤثر غيره وقال بعض العرفاء لا تظنن
ان اهل الجنة عند النظر الى وجه الله تعالى يبقى للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالاضافة الى لذة نعيم الجنة
كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به والطالبون لنعيم
الجنة عند اهل المعرفة وارباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة
الملك لا لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق تتميم لا تظنن ان كل من ترك المال
الدنيا زاهد فان ترك المال واظهار التضييق والخشونة في الماكل والملبس سهل على من احب المدح بالزهد فكم من الرهبان
والمرائين تركوا مال الدنيا وردوا انفسهم كل يوم على قليل من القوت واكتفوا من المسكن باي موضع اتفق لهم وكان غرضهم من ذلك
ان يعرفهم الناس بالزهد ويمدحوهم عليه فهم تركوا المال لنيل الجاه بل جميع حظوظ النفس من الدنيا لاجل ذلك فاستواء الغنى
والفقر والذم عنده والمدح والذل والعز لغلبة الانس بالله اذ لا يستوي احدهما ما لم يغلب على القلب الانس بالله وطلب لم
يخرج عنه حب الدنيا بالكلية او محبة الله ومحبة الدنيا في القلب كالماء والهواء في القدح فاذا دخل احدهما خرج الآخر فكلاهما لا يجتمعان
ولا يرتفعان ايضا فالقلب المملوء من حب الدنيا يكون خاليا عن حب الله كما ان القلب المشغول بحب الله والانس فارغ عن حب الدنيا
وبقدر ما يخرج احدهما يدخل الآخر وبالعكس ومنها الغنى وهو وجود كل ما يحتاج اليه من الاموال وهذا اول مراتبه وفوق ذلك مراتب
لا تحصر حتى ينتهي الى جمع اكثر اموال الدنيا كما اتفق لبعض الملوك ثم الغنى اما ان يكون بحيث يسعى في طلب المال وجمعه ويتعب في تحصيله ويكون
فرحه بوجوده وتاذيه بفقده وهذا غني حريص او يكون بحيث لا يتعب ولا يسعى في تحصيله الا انه لو اتاه اخذه وفرح به وتاذى بفقده
وكره هذه وهذا ايضا غني لم يخل عن الحرص او لا يتاذى بفقده او يكون بحيث لا يتعب في طلبه ولا يرغب فيه رغبة يفرح بحصوله ويتاذى بفقده
ولكن لما اتاه رضي به اما لكسبه وجوده وعدمه او مع كون وجوده احب اليه من عدمه ومثل الغنى الراضي والقانع هو الغني اما ان يكون
جميع ما له حلالا او بعضا او كله حراما وايضا اما ممسكا غاية الامساك بحيث لا يؤدي شيئا من حقوقه الواجبة والمستحبة او ينفق

في مصارفه اللائقة. وللانفاق مراتب شتى ادناها ان يؤدي الحقوق الواجبة واعلاها ان يبذل كل ما زاد عن اقل مراتب الغنى بحيث لو تعداه عنه يسيرا صار فقيرا **فصل** الغنى الحاصل من الحلال مع بذل ما يفضل عن اقل مرتبته في المصارف اللائقة محمود وممدوح ومعدوم عند صاحبه سالم من الآفات والاخطار وغير ذلك من اقسام الغنى غير خال عن آفة او خطر وحب بعض افراده بل الدنيا بل هو راجع الى حب المال بعينه فيدل على ذمه ما ورد في ذمها فقد ورد في ذمه بخصوصه بعض من الآيات والاخبار قال الله سبحانه ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى. وقيل لرسول الله (ص) اي امتك شر قال الاغنياء وقال (ص) لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا وقال (ص) يدخل فقراء امتي قبل اغنيائهم الجنة بخمسمائة عام وقال (ص) اطلعت على الجنة فرأيت اكثر اهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت اكثر اهلها الاغنياء وفي طريق فقلت اين الاغنياء فقال حبسهم الجد واوحى الله تعالى الى موسى (ع) يا موسى اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وروي انه ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن آدم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال عيسى (ع) بشدة يدخل الغني الجنة **وصل** ضد الغنى الفقر وهو فقد ما يحتاج اليه ولا يسمى فقد ما لا حاجة اليه فقرا فان عم ما يحتاج اليه ولم يخص بالمال لكان كل موجود ممكن محتاجا لاحتياجه الى دوام الوجود وغيره من الحاجات المستفادة من الله سبحانه فانحصر الغنى بواحد واجب لذاته ومعطي الوجود لغيره من الموجودات اعني الله سبحانه فهو الغني المطلق وسائر الاشياء الموجودة فقراء محتاجون واليه اشير الى هذا الحصر في الكتاب الالهي بقوله تعالى والله هو الغني وانتم الفقراء وان خص بالمال لم يكن كل الناس فقراء بل من فقد المال الذي هو محتاج اليه كان فقيرا بالاضافة اليه والفقر بهذا المعنى هو الذي نريد بيانه هنا **وصل** الفقر اما ان يكون بالنسبة الى المال المفقود بحيث لو وجد اليه سبيلا لطلبه ولو بالتعب والمشقة وانما ترك طلبه لعجزه منه ويسمى هذا فقرا حريصا او يكون وجود المال احب اليه من عدمه ولكن لم يبلغ حبه حدا يبعثه على طلبه بل ان اتاه بلا طلب اخذه وفرح به وان افتقر الى سعي في طلبه لم يشتغل به ويسمى هذا فقيرا قانعا او يكون بحيث لا يحبه ولا يرغب فيه ويكره وجوده ويتأذى به ولو اتاه هرب عنه مبغضا له ومحترزا عن شره ويسمى هذا فقيرا زاهدا فان اعراضه عنه وعدم سعيه في حفظه وضبطه لو وجده ان كان لخوف العقاب فهو فقر الخائفين وان كان لشوق الثواب فهو فقر الراجين وان كان لعدم التفاته اللازم لاقباله الى الله تعالى لشرافة نفسه من دون غرض دنيوي او اخروي فهو فقر العارفين او يكون بحيث لا يحبه حبا يفرح بحصوله ولا يكرهه كراهة يتأذى بها ويزهد فيه بل يستوي عنده وجوده وعدمه فلا يفرح بحصوله ولا يتأذى بفقده بل كان راضيا بالحالين على السواء وغنيا عن دخوله وبقائه وخروجه من يده من غير خوف من الاحتياج اذا فقد كالحريص والقانع ولا محذر من شره واضراره اذا وجد كالزاهد فلو كان اموال الدنيا باسرها في يده لم تضره اذ هو يرى الاموال في خزانة الله لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان تكون في يده او في يد غيره فيكون بحيث يستوي عنده المال والهواء المخلوقة في الجو الا كثرة الهواء في جواره لا يؤذيه ولا يكون قلبه مشغولا بالفرار عنه ولا ببغضه بل يستنشق منه بقدر الضرورة ولا يبخل به على احد فكل كثرة المال لا يؤذيه ولا يشغل قلبه ويرى نفسه وغيره فيه على السواء في المالكية ومثله ينبغي ان يسمى مستغنيا راضيا لاستغنائه عن وجوده وعدمه ورضاه بالحالتين من دون تفاوت ورتبته فوق الزاهد اذ غاية درجة الزهد كمال الابرار وصاحب هذه المرتبة من المقربين فالزهد في حقه نقصان اذ حسنات الابرار سيئات المقربين اذ الزاهد كاره للدنيا فهو مشغول بالدنيا كما ان الراغب فيها مشغول بها والشغل بما سوى الله حجاب عن الله سواء كان بالحب او البغض فكل ما سوى الله كالرقيب الحاضر في مجلس جمع العاشق والمعشوق فكما ان التفات قلب العاشق الى الرقيب وبغضه وكراهة حضوره نقصان في العشق فكذلك التفات قلب العبد الى غير الله سبحانه وبغضه وكراهته نقصان في الحب والانس كما ان التفاته نقص فيهما اذ لا يجتمع في قلب واحد حبان في حالة واحدة فكذلك لا يجتمع فيه حب وبغض في حالة واحدة

فالمشغول

في تعريف الفقر

فالمشغول ببغض الدنيا غافل عن الله كالمشغول بحبها وان كان الثاني اسوأ حالا من الاول اذ المشغول بحبها غافل في غفلته سالك في طريق البعد والمشغول ببغضها غافل وهو في غفلته سالك في طريق القرب فيحتمل ان تزال عنه الغفلة ويبدلها بالشهود فالكمال مرتقب اذ بغض الدنيا مطية يوصل العبد الى الله وهرب الانبياء والاولياء من المال وفرارهم عنه وترجيحهم فقده على وجوده كما يشير اليه بعض الاخبار والآثار انما هو لاجل انحدارهم الى درجة الضعفاء ليقتدوا بهم في الترك اذ الكمال في حقهم حب الترك وبغض الوجود لا نعم وجوده يعتقدون في حقهم استواء وجوده وفقده وكونه عندهم كالماء والحجر لولا خوف الانبياء النفار والاكراه من المال ويقتدي بهم الضعفاء في الاخذ فيهلكوا فمثل النبي كمثل المعزم الحاذق نفر بين يدي اولاده من الحية ولا لضعفه عن اخذها بل لعلمه بانه لو اخذها لاخذها اولاده ايضا اذا رأوها وهلكوا فالسيرة الضعفاء صفة الانبياء والاوصياء في الهرب والنفار اللازمين للبغض والكراهة وخوف الاشتغال به بل كان نفارهم منه كنفارهم من الماء على معنى انهم شربوا منه بقدر حاجتهم وتركوا الباقي في الشطوط والانهار للمحتاجين من غير اشتغال قلوبهم بحبه وبغضه الا ترى انه قد حملت خزائن الارض الى رسول الله (ص) وخلفائه فاخذوها ووضعوها في مواضعها من غير هرب منها وبغض لها لاستواء المال والماء والحجر والذهب عندهم ثم تسمية صاحب هذه المرتبة بالفقير والمستغني لا يوجب التنافي اذ اطلاق الفقير عليه لمعرفته بكونه محتاجا اليه تعالى في جميع اموره وعلمه بـ... في استغنائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية واقر بها فانه احق باسم العبد من الغافلين وان كان عاما للخلق ثم كل مرتبة من المراتب المذكورة للفقر ما عدا الاخيرة اما ان يكون بالقصد او الاضطرار بان يكون ما فقده من المال مضطرا اليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب ام لا والثاني ... بعد ما علمت اشتراك الفقر بين المعاني المذكورة بل لم يشكل عليك الجمع بين ما ورد في مدح الفقر كما يأتي وبين ما ورد في ذمه كقوله (ص) كاد الفقر ان يكون كفرا وقوله الفقر موت الاكبر وقول امير المؤمنين (ع) من ابتلي بالفقر فقد ابتلي باربع خصال بالضعف في يقينه والنقصان في عقله والرقة في دينه وقلة الحياء في وجهه فنعوذ بالله من الفقر **فصل** قد عرفت ان بعض مراتب الفقر راجع الى الزهد وبعضها الى ما فوقه اعني الرضا والاستغناء وبعضها الى القناعة ففضيلة هذه المراتب ظاهرة والاخبار الواردة في فضيلة الزهد والرضا والقناعة تدل على فضيلة المراتب المذكورة من الفقر واما المرتبة الاولى المتضمنة للحرص فهو ايضا لا يخلو عن فضيلة بالنظر الى الغنى المتضمن له والظواهر الواردة في مدح الفقر ربما تدل بعمومها على جميع مراتبه قال الله سبحانه للفقراء الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله الآية ساق الله سبحانه الكلام في معرض المدح وقدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة جلية على مدح الفقر وقال رسول الله (ص) خير هذه الامة فقراؤها واسرعها تصعدا في الجنة ضعفاؤها وقال (ص) اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين وقال (ص) لي حرفتان اثنتان فمن احبهما فقد احبني ومن ابغضهما فقد ابغضني الفقر والجهاد وقال (ص) الفقر ازين للمؤمن من العذار الحسن على خد الفرس وسئل (ص) عن الفقر فقال خزانة من خزائن الله وسئل عنه ثانيا فقال كرامة من الله وسئل عنه ثالثا فقال شيء لا يعطيه الله الا نبيا مرسلا او مؤمنا كريما على الله وقال (ص) ان في الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخل فيها الا نبي فقير او مؤمن فقير وقال يقوم فقراء امتي يوم القيمة وثيابهم خضر وشعورهم منسوجة بالدر والياقوت وبايديهم قضبان من نور يخطبون على المنابر فيمر عليهم الانبياء فيقولون هؤلاء من الملائكة ويقول الملائكة هؤلاء من الانبياء فيقولون نحن لا ملائكة ولا انبياء بل فقراء من امة محمد فيقولون بما نلتم هذه الكرامة فيقولون لم يكن اعمالنا شديدة ولم نصم الدهر ولم نقم الليل ولكن اقمنا على الصلوات الخمس واذا سمعنا ذكر محمد فاضت دموعنا على خدودنا وقال (ص) كلمني ربي فقال يا محمد اذا احببت عبدا اجعل معه ثلثة اشياء قلبه حزينا وبدنه سقيما ويده خالية من حطام الدنيا واذا ابغضت عبدا اجعل معه ثلثة اشياء قلبه مسرورا وبدنه صحيحا ويده مملوة من حطام الدنيا وقال (ص) الناس كلهم مشتاقون الى الجنة والجنة مشتاقة الى الفقراء وقال (ص) الفقر فخري وقال (ص) تحفة المؤمن في الدنيا الفقر وقال (ص) يؤتى بالعبد يوم القيمة فيعتذر الله تعالى اليه كما يعتذر الرجل الى الرجل في الدنيا فيقول وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي ولكن لما اعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي الى هذه الصفوف فمن اطعمك او كساك في يريد بذلك وجهي فخذ بيده فهو لك والناس يومئذ قد الجمهم العرق

فيخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فياخذه بيده ويدخله الجنة وقال اكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا
يا رسول الله وما دولتهم قال اذا كان يوم القيمة قيل لهم انظروا الى من اطعمكم كسرة واسقاكم شربة او كساكم ثوبا فخذوا بيده ثم افضوا به الى الجنة
وقال الا اخبركم بملوك اهل الجنة قالوا بلى يا رسول الله قال كل ضعيف مستضعف اغبر اشعث ذي طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره ومر
على رجل فقير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على اهل الارض لوسعهم وقال اذا ابغض الناس فقراءهم واظهروا عمارة الدنيا وتكالبوا على جمع
الدراهم والدنانير رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة من ولاة الحكام والشوكة من الاعداء ومما ورد من
طريق اهل البيت ع ان الله اذا احب عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب البالغ اقتناه قيل ما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا مالا وقال امير المؤمنين ع وكل
الرزق بالحمق ووكل الحرمان بالعقل ووكل البلاء بالصبر وقال الباقر ع اذا كان يوم القيمة امر الله مناديا ينادي بين يديه اين الفقراء فيقوم عنق
من الناس كثير فيقول عبادي فيقولون لبيك ربنا فيقول اني لم افقركم لهوان بكم علي ولكني انما اخترتكم لمثل هذا اليوم تصفحوا وجوه الناس فمن صنع اليكم
معروفا لم يصنعه الا فيّ فكافوه عني بالجنة وقال الصادق ع لولا الحاح المؤمنين على الله في طلب الرزق لنقلهم من الحال التي هم فيها الى حال اضيق منها
ع ليس لمصاص شيعتنا في دولة الباطل الا القوت شرقوا ان شئتم او غربوا لن ترزقوا الا القوت وقال ما كان من ولد ادم مؤمن الا فقيرا
ولا كافر الا غنيا حتى جاء ابراهيم ع فقال ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا فصير الله في هؤلاء اموالا وحاجة وفي هؤلاء اموالا وحاجة وقال ع ان
فقراء المؤمنين يتقلبون في رياض الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا وقال ساضرب لك مثل ذلك مثل سفينتين مر بهما على عاشر فنظر في احديهما فلم ير فيها شيئا
فقال اسربوها ونظر في الاخرى فاذا هي موقرة فقال احبسوها وفي بعض الاخبار فسر الخريف بالف عام والعام بالف سنة وعلى هذا فيكون المراد من اربعين
خريفا اربعين الف الف عام وقال المصائب منح من الله والفقر مخزون عند الله اي المصائب عطايا من الله يعطيها عباده والفقر من
مخزون عنده عزيز لا يعطيه الا من خصه بمزيد العناية وقال ع ان الله يلتفت يوم القيمة الى فقراء المؤمنين شبيها بالمعتذر اليهم فيقول
وعزتي ما افقرتكم في الدنيا من هوان بكم علي ولترون ما اصنع بكم اليوم فمن زودكم في الدنيا معروفا فخذوا بيده فادخلوه الجنة قال فيقول
رجل منهم يا رب ان اهل الدنيا تنافسوا في دنياهم فنكحوا النساء ولبسوا الثياب اللينة واكلوا الطعام وسكنوا الدور وركبوا المشهور من
الدواب فاعطني مثل ما اعطيتهم فيقول الله تع لك ولكل عبد منكم مثل ما اعطيت اهل الدنيا منذ كانت الدنيا الى ان انقضت الدنيا
سبعون ضعفا وقال ان الله تع ليعتذر الى عبده المؤمن المحوج في الدنيا كما يعتذر الاخ الى اخيه فيقول وعزتي وجلالي ما احوجتك في الدنيا
من هوان كان بك علي فارفع هذا السجف فانظر الى ما عوضتك من الدنيا قال فيرفع فيقول ما ضرني ما منعتني مع ما عوضتني وقال اذا كان يوم
القيمة قام عنق من الناس حتى ياتوا باب الجنة فيضربوا باب الجنة فيقال لهم من انتم فيقولون نحن الفقراء فيقال لهم اقبل الحساب فيقولون ما اعطيتمونا
شيئا تحاسبونا عليه فيقول الله تع صدقوا ادخلوا الجنة وقال ع لبعض اصحابه اما تدخل السوق اما ترى الفاكهة تباع والشيء مما تشتهيه فقلت
بلى فقال اما ان لك بكل ما تراه فلا تقدر على شراه حسنة وقال الكاظم ع يقول الله تع اني لم اغن الغني لكرامة به علي ولم افقر الفقير لهوان
به علي وهو مما ابتليت به الاغنياء بالفقراء ولولا الفقراء لم يستوجب الاغنياء الجنة وقال ع ان الانبياء واولاد الانبياء واتباع الانبياء خصوا بثلث
خصال السقم في الابدان وخوف السلطان والفقر وقال الرضا ع من لقي فقيرا مسلما فسلم عليه خلاف سلامه على الغني لقي الله يوم القيمة وهو عليه
غضبان وقال الفقر شين عند الناس وزين عند الله يوم القيمة وقال موسى ع في بعض مناجاته الهي من احباؤك من خلقك حتى احبهم لاجلك
فقال كل فقير فقير وقال عيسى ع انا احب الاسامي الي ان يقال يا مسكين وقال بعض الصحابة ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال لقمان لابنه
لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد ويدل على فضيلة الفقر اذا كان مع الرضا او القناعة او الصبر او الصدق او الستر قوله ص
يا معشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم فان لم تفعلوا فلا ثواب لكم وقوله ص احب العباد الى الله الفقير القانع

برزقه

و مرتبة الفقر والقناعة

برزقه الراضي عن الله تع وقوله ع لا احد افضل من الفقير اذا كان راضيا وقوله ع يقول الله ع يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فيقول الملئكة
من هم يا ربنا فيقول فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقدري ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون ويشربون والناس في الحساب
يترددون وقوله ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقوله طوبى للمساكين بالصبر وهم الذين يرون
ملكوت السموات والارض وقوله ع من جاع او احتاج فكتمه من الناس وافشاه الى الله كان حقا على الله ان يفتح له رزق سنة من الحلال وقوله ان
لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله يوم القيمة وما روي ان الله تع اوحى الى اسمعيل ع اطلبني عند
المنكسرة قلوبهم من اجلي قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال رسول الله ص لامير المؤمنين ع يا علي ان الله جعل الفقر امانة عند خلقه
فمن ستره اعطاه الله مثل اجر الصائم القائم ومن افشاه الى من يقدر على قضاء حاجته فلم يفعل فقد قتله بسيفه اما انه ما قتله بسيف ولا رمح
ولكنه قتله بما نكى من قلبه ثم لا ريب في ان كلا من الحبل القوت مع التعفف وستر احتياجه صفا وصبرا ورضى يكون داخلا تحت هذه الاخبار
وتثبت له الفضيلة التي وردت فيها ولا ريب في ان من هذه صفته لا يوجد في الف الف واحد واما الفقير الحريص الذي يظهر فقره
ويجزع من فقره فظاهر بعض الاخبار ان يتناوله الا ان الظاهر خروجه منها كما اوحى اليه بعض الاخبار المذكورة وان كان احسن حالا من الغني الذي
مثله في الحرص

فصل لا ريب في ان الفقر مع الصبر والقناعة وقصد الفراغ افضل من الغنى مع الحرص والامساك كما لا ريب في ان الغنى مع
الانفاق وقصد الاستعانة على العبادة افضل من الفقر مع الحرص والجزع وانما وقع التشاجر في الترجيح بين الفقر والغنى في مواضع الاول
في الترجيح بين الفقر مع الصبر والقناعة والغنى مع الانفاق وقصد الاستعانة على العبادة فقال قوم ان الاول افضل لما روي ان رسول الله ص
قال لاصحابه اي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله تع من نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به المراد قالوا فمن خير الناس يا رسول الله
فقال فقير يعطي جهده وما روي ان الفقراء بعثوا رسولا الى رسول الله ص فقال اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من
عندهم جئت من عند قوم احبهم فقال قالوا ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا
بفضل اموالهم ذخيرة لهم فقال النبي ص بلغ عني الفقراء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلث خصال ليست للاغنياء اما الخصلة الاولى فان في الجنة
غرفا ينظر اليها اهل الجنة كما ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد او مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء
بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني
بالفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا وقال اخرون الثاني افضل لان الغنى من صفات الربوبية
والفقر من لوازم العبودية ووصف الحق افضل من وصف العبد واجيب عنه بان غنى الواجب سبحانه ليس بالاسباب والاعراض وغنى العبد بها
اذ هو غني بوجود المال ومفتقر الى بقائه فاني يكون الغنى الذي يتصف العبد به من اوصاف الربوبية نعم الغنى بمعنى الاستغناء عن وجود المال
وعدمه جميعا بان يستوي كلاهما عنده يشبه اوصاف الحق الا انك قد عرفت انه نوع من الفقر وبان التكبر من اوصاف الربوبية فينبغي ان
يكون افضل من التواضع مع ان الامر ليس كذلك بل الحق ان الافضل للعبد انما هو صفات العبودية كالخوف والرجاء اذ صفات الربوبية لا
ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال الله سبحانه والعظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وعلى هذا فالفقر افضل من الغنى والحق
ان ترجيح واحد من صفات الربوبية وصفات العبودية على الاخر على الاطلاق لا يصح اذ كما ينتقض ترجيح الاول على الثانية بالتكبر ينتقض
العكس بالعلم والمعرفة والجهل والغفلة فان العلم من صفات الربوبية والجهل من صفات العبودية مع ان العلم افضل من الجهل
ضرورة والحق ان الافضل من الفقر والغنى ما لا يشغل العبد عن الله فان كان الفقر يشغله فالغنى اولى به وان كان يشغله عن الله فالفقر
اولى به وذلك لان الغنى ليس محذورا لعينه بل لكونه عائقا عن الوصول الى الله والفقر ليس مطلوبا لذاته بل لعدم كونه عائقا عن الله و

مانعية الاول وعدمها مانعية الثاني كليا اذ رب فقير يشغله الفقر عن المقصد وكم من غني لا يصرفه الغنى لعدم تعلق قلبه بالمال وجودا وعدما
فان تساويا فيه تساوت درجتهما وان تفاوتا فاقل تعلقا درجته اعلى وافضل بل مع وجود تعلقهما وتساويهما فيه يكون وجود قدر الحاجة من
المال افضل من فقده اذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل المعرفة والطاعة ومع عدم تعلق قلبهما اصلا بحيث يستوي عندهما وجود المال
وعدمه وكان المال عندهما كهواء الجو وماء البحر وبالجملة حصل لهما المرتبة الاخيرة من الفقر اعني الاستغناء والرضا كان الواجد افضل
من الفاقد لاستوائهما في عدم الالتفات اليه ومزية الواجد باستعادة ادعية الفقراء والمساكين ثم الحكم بانقطاع القلب اصلا عن المال وجودا
وعدما انما يتصور في الشاذ النادر الذي لا تسمح الدهر بمثله الا بعد ازمنة متطاولة وقلوب جل الناس غير خالية عن حب المال والتعلق به
فتفصيل القول بافضلية من هو اقل تعلقا بالمال ومع استوائهما في التعلق ومزية الواجد على الفاقد مع انقطاع قلبهما بالكلية عنه من مزلة
الاقدام وموضع الغرور اذ الغني ربما يظن انه منقطع القلب عن المال ويكون حبه دفينا في باطنه وهو لا يشعر به اذا فقده فاعل الابتلاء و
الاولياء اشد ذمة قليلة من اكابر الاتقياء ظنوا انقطاعهم عن الدنيا اذ اجربوا انفسهم باخراج المال من ايديهم ويظهر لهم انهم مغرورون وليس
لهم تمام الانقطاع عن الدنيا اذ كل ذلك محال او بعيد فالمطلق القول بان الفقر اصلح لكافة الناس وافضل لانه عن الخطر ابعد اذ فتنة
السراء من فتنة الضراء اشد وعلاقة الفقير وانسه بالدنيا غالبا اضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب اذكاره وعباداته اذ
حركات اللسان والجوارح ليست مرادة لعينها بل ليتأكد بها الانس بالمذكور وتأثيرها في اثارة الانس في قلب فارغ عن غير المذكور كتأثيرها
من تأثيرها في قلب مشغول ولهذا وردت الاخبار مطلقة في فضل الفقر على الغنى وفي فضل الفقراء على الاغنياء. الثالث في الترجيح بين الفقر
مع الحرص والجزع والغنى مع الحرص والامساك فالحق فيه ان مطلوب الفقير ان كان ما لا بد منه في المعيشة وكان حرصه في تحصيل هذا القدر
دون الزائد منه وكان قصده الاستعانة به على الدين وكذا كان حرص الغني وامساكه في هذا القدر مع هذا القصد فالوجود افضل
لان الفقد يصده عن امور الدين لاضطراره في طلب القوت وهو اولى بالتفضيل اذا كان قصد الغني ذلك وكان مطلوب الفقير فوق الحاجة
او قدر الحاجة بدون قصد الاستعانة به على امر الدين وان كان مطلوب كل منهما فوق الحاجة او لم يكن قصدهما الاستعانة به على امر الدين
فالفقر اصلح وافضل لانهما استويا في الحرص وحب المال وفي عدم قصد الاستعانة به على الدين لكنهما افترقا في ان الواجد يتأكد حب الدنيا في
قلبه ويطمئن اليها لانسه بها والفاقد يتجافى قلبه عنها اضطرارا ويكون الدنيا عنده كالسجن الذي يطلب الخلاص منه وهو اولى بالتفضيل
اذا كان قصد الفقير ذلك ولم يقصد الغني فوق الحاجة او قدر الحاجة بدون الاستعانة على امر الدين. الثالث في الترجيح بين فقير حريص متكالب على
الدنيا ليس له هم سواه وغني هو دونه في الحرص على حفظ المال وتفجعه بفقد المال لو فقده اقل من تفجع الفقير بفقره والظاهر كون الفقير اسوأ حالا
اذ البعد عن الله بقدر قوة التفجع بفقد المال والقرب بقدر ضعف التفجع به. **فصل** ينبغي للفقير ان لا يكون كارها للفقر من حيث انه فعل
الله ومن حيث انه فقر بل يكون راضيا به طالبا له فرحا به لعلمه بغوائل الغنى وان يكون متوكلا في باطنه على الله واثقا به في اتيان قدر ضرورته
ويكون قانعا به كارها للزيادة عليه منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم وغير حريص على الكسب كيف كان وان يكون صابرا شاكرا
على فقره قال امير المؤمنين عليه السلام ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامة اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله
ويشكر الله على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية ويتسخط بالقضاء وهذا يدل على ان كل فقير
ليس مثابا على فقره بل من يرضى بفقره ويفرح به ويقنع بالكفاف ويقصر الامل وان لم يرض به وتشوق الى الكثرة وطول الامل وفاته عز القناعة
وتدنس بذل الحرص والطمع وجره الطمع الى مساوئ الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات حبط اجره وكان آثما قلبه وينبغي ان
يظهر التعفف ويستر الفقر ويستر انه يستر وان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم ولا يتواضع لهم لاجل غناهم بل يتكبر عليهم قال امير المؤمنين

ما احسن

ما احسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله وان لا يسكت عن ذكر مداهنة للاغنياء وطمعا في ما
في ايديهم ولا يفتر بسبب فقره عن عبادة الله ويبذل قليل ما يفضل عنه فان ذلك جهد المقل وفضله اكثر من اموال كثيرة يبذلها الغني قال رسول الله صلى الله عليه وآله درهم من الصدقة
افضل عند الله من مائة الف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال اخرج رجل من عرض ماله مائة الف يتصدق بها واخرج رجل درهما من درهمين لا يملك
غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب مائة الف درهم وينبغي ان لا يدخر ازيد من قدر الحاجة فان لم يدخر اكثر من قوت
يوم وليلة فهو من الصديقين وان لم يدخر اكثر من قوت اربعين يوما كان من المتقين وان لم يدخر اكثر من قوت سنة وهو الفضل المشترك بين
الفقر والغنى كان من الصالحين ولو زاد عليه خرج عن زمرة الفقراء. **فصل** ما يعطى الفقير بغير سؤال ان كان حراما او شبهة وجب عليه رده والاجتناب
عنه وان كان حلالا فان كان هدية استحب قبوله تأسيا برسول الله صلى الله عليه وآله ان لم يكن فيه منة ولو كان فيه منة فالاولى تركه كان بعضهم اذا اعطاه صديقه شيئا يقول له
اتركه عندك وانظر ان كنت انا بعد قبوله في قلبك افضل مني قبل القبول فاخبرني حتى اخذه والا فلا وعلامة ذلك ان يشق على المعطي رده ويفرح بالقبول
ويرى المنة على نفسه في قبوله وان كان صدقة او زكوة او غير ذلك مما يكون للثواب المحض فينبغي ان ينظر في استحقاقه لذلك فان كان من اهله قبل والا رده
الا ان كان المعطي اعطاه لوصف يعلم فيه كعلم او ورع او كونه علويا ولو لم يكن له هذا الاختصاص لنفر طبعه ولم يتقرب الى الله باعطائه ولم يكن له باطنا كذلك
فاخذه حرام وان لم يكن هدية ولا صدقة بل اعطاه للشهرة والرياء والسمعة فينبغي ان يرده عليه ولا يقبله والا كان معينا له على غرضه الفاسد والاعانة
على الاثم اثم. **فصل** ما يعطى الفقير ان كان محتاجا اليه ولم يكن ازيد من حاجته فالافضل له الاخذ اذا سلم من الآفات المذكورة قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما المعطي من
سعة باعظم اجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال من اتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله اليه فلا يرده وان كان
زائدا على قدر حاجته فيرد الزائد ان كان طالبا طريق الآخرة اذ الزيادة على قدر الحاجة انما يأتيك ابتلاء وفتنة لينظر الله اليك ماذا تعمل فيه
وقدر الحاجة يأتيك رفقا بك فانت في اخذ قدر الحاجة مثاب وفيما زاد عليه اما عاص او متعرض للحساب قال رسول الله صلى الله عليه وآله لا لابن آدم الا في ثلث طعام
يقيم صلبه وثوب يواري عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب فلا ينبغي لطالب السعادة ان يأخذ الازيد من ذلك قدر الحاجة اذ النفس اذا رخصت
في نقض العزم والعهد الف ترددها بعد الالف والعادة مشكل قال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت
فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي جائع كما ترى عار كما ترى فما ترى يا من يرى ولا يرى فنظرت فاذا عليه ثوب خلق لا يكاد يواريه فوجدته موضعا
لانفاق دراهمي فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ خمسة دراهم وقال اربعة ثمن مئزرين ودرهم انفقه ثلثا ورد علي الباقي فرأيته
في الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان فهجس في نفسي منه شيء فالتفت الي واخذ بيدي واطافني معه اسبوعا كل شوط منها على جوهر من جواهر
الارض من الياقوت واللؤلؤ والفضة والذهب والزمرد وغير ذلك ولم يتخشخش لحفاقدامنا الى الكعبين فقال هذا كله قد اعطانيه فزهدت فيه واخذ
من ايدي الخلق لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة والاصل ان اخذ قدر الحاجة راجح لكونه مالا بد منه والاجابة ثواب المعطي ولذا لما امر
موسى بن عمران عليه السلام بان يفطر عند بني اسرائيل قال الهي يا الهي فرقت رزقي على ايدي بني اسرائيل يغديني هذا يوما ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله اليه هكذا
اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي البطالين ليوجروا فيهم فلا ينبغي رد المعطي الا من حيث انه ممنوع عليه واما اخذ الزيادة على قدر الحاجة فليس مما ينبغي نعم
من كان حاله التكفل بامور الفقراء والانفاق عليهم لما في طبعه من البذل والسخاء والرفق والعطاء فيجوز له اخذ الزيادة ليبذلها على المستحقين لكن يلزم
ان يبادر الى الصرف اليهم ولا ينبغي ان يدخر اذ في امساكه ولو في يوم واحد او ليلة واحدة فتنة واختبارا ربما مالت النفس الى الامساك ويصير
وبالا عليه ومن تقلد الجماعة بقصد خدمة الفقراء والتكفل بحوائجهم فانه من خدع النفس الامارة باعانة الشيطان فلتتخذها وسيلة الى التوسع
في المال والتنعم في المطعم والمشرب لتزايدهم الى الهلاكة. **فصل** ينبغي للمؤمن ان لا يسأل الناس من غير حاجة اضطره اليه بل يستعفف
عن السؤال ما استطاع لانه فقر معجل وحساب طويل يوم القيمة والاصل فيه التحريم لتضمنه الشكوى من الله واذلال السائل نفسه عند غير الله

وايذا المسئول غالبا اذ ربما تهيج نفسه بالبذل عن طيبة القلب بعد السؤال الجاء الحياء او الرياء مع معلوم ان الاعطاء استحياء او رياء لا ينقص

جاهه عند الناس بنسبتهم اياه الى البخل لا يكون له حلية شرعا ولتضمن هذه المفاسد حددوا الشريعة للمنع منه قال رسول الله مسئلة الناس من الفواحش

وقال من سال عن ظهر غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سال الناس وعنده ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وقال من سال الناس

وعنده قوت ثلثة ايام لقى الله يوم يلقاه وليس على وجهه لحم وقال من فتح على نفسه بابا من المسئلة فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر وقال

ان المسئلة لا تحل الا لفقر مدقع او غرم مقطع وقال السؤال عن ظهر غنى صداع في الراس وداء في البطن وقال من سال الناس اموالهم تكثرا فانما هى جمرة

فليستقل منه او ليستكثر وروى انه جاءت فخذ من الانصار الى رسول الله فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا يا رسول الله لنا اليك حاجة فقال

هاتوا حاجتكم فقالوا انها حاجة عظيمة قال هاتوها ما هى قالوا تضمن لنا على ربك الجنة فنكس راسه فقال افعل ذلك ومكث في الارض ثم رفع راسه

فقال افعل ذلك بكم على ان لا تسئلوا احدا شيئا فكان الرجل يكون في السفر فيسقط سوطه فيكره ان يقول لانسان ناولنيه فرارا من المسئلة فينزل

فياخذه ويكون على المائدة فيكون بعض الجلساء اقرب الى الماء منه فلا يقول ناولنى حتى يقوم فيشرب وتابع صلى الله عليه واله السلام

عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم خفية ولا تسالوا الناس شيئا فكان بعد ذلك يقع المحجن من احدهم فينزل فلا يقول لاحد ناولنيه وكان

يامر غالبا بالتعفف عن السؤال ويقول من سالنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسالنا فهو احب الينا وقال لو تعلمون ما في السؤال

ما مشى احد الى احد يسأله شيئا قال رسول الله قال وصح وقال لو ان احدكم ياخذ حبلا فياتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وجهه خير له من ان يسال

وقال سيد الساجدين ضمنت على ربى ان لا يسال احد احدا من غير حاجة الا اضطرته حاجة المسئلة يوما الى ان يسال من غيره ونظر يوم

الى رجال الجمعة يسالون فقال هؤلاء شرار خلق الله الناس مقبلون على الله وهم مقبلون على الناس وقال الباقر لو يعلم السائل ما في المسئلة

ما فتح رجل على نفسه باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر وقال طلب الحوائج الى الناس استلاب للعزة ومذهبة للحياء واليأس مما في ايدى الناس

عز المؤمن والطمع هو الفقر الحاضر وقال الصادق لو يعلم السائل ما عليه من الوزر ما سال احد احدا ولو يعلم المسئول ما عليه اذا منع ما منع

احد احدا قال من سال من غير حاجة فكانما ياكل الجمر ثم المنع والتحريم انما هو في السؤال بدون الاضطرار واما مع الحاجة والاضطرار فلا ريب

في جوازه وقد ورد بر الرخصة قال الله سبحانه واما السائل فلا تنهر وقال رسول الله لا تردوا السائل ولو بشق تمرة وقال لولا ان السائل

يكذب ما قدس من رده وقال للسائل حق ولو جاء على فرس وقال لا تردوا السائل ولو بظلف محرق ولو كان السؤال مطلقا حراما لما جاز

وسوله من اعانة العاصى على معصيته ثم الحاجة المجوزة للسؤال اما بلغت حد الاضطرار كسؤال الجايع الخائف على نفسه بالموت اذا مرض

لو لم يصل اليه قوت وسؤال العارى الذى بدنه مكشوف خائفا من الحر والبرد ولم يبلغ اليه وهى حاجة مهمة كالاحتياج الى الجبة في الشتاء

لولا ها لتاذى بالبرد تاذيا لا ينتهى الى حد الضرورة والاحتياج الى الكراء مع القدرة على المشى مع المشقة او حاجة خفيفة كالاحتياج الى الادام

مع وجود الخبز والظاهر جواز السؤال في جميع ذلك مع بجازه في الاول واباحته في الثانى ومرجوحيته في الثالث بشرط اخلائه عن المحذورات

المذكورة اعنى الشكوى والذل والايذاء ويندفع هذه المحذورات بان يظهر حاجته تعريضا بعد تقديم الشكر لله واظهار الاستغناء

عن الخلق عند بعض الاصدقاء والاسخياء اذ السؤال عن الصديق لا يوجب الاذلال والسخى لا يتاذى بالسؤال بل يفرح به ثم ما ذكر انما هو

في السؤال للاحتياج اليه في الحال واما السؤال لما يحتاج اليه في الاستقبال فان كان يحتاج اليه بعد السنة فهو حرام قطعا وان كان يحتاج اليه قبلها

سواء كان بعد اربعين يوما من يوم او خمسين او اقل او اكثر فان امكنه السؤال عند بلوغ وقت الحاجة فلا يحل له السؤال وان علم بانه

لا يتمكن من السؤال عنده فهو جائز مع الكراهة والمرجوحية وكلما كان تراخى الحاجة فلا يحل له من يوم اكثر كان الكراهة اشد ثم معرفة درجات

الحاجة وضعفها او شدتها والوقت الذى يحتاج فيه موكول الى العبد وهو طالب اجتهاده ونظره لنفسه بينه وبين الله فليعمل بما يعمل

استغنا فكيف على ما يقتضيه سلوك طريق الاخرة وكلما كان تقليل افقه وتقليله بمجىء الرزق اتم وقناعته بقوت الوقت اظهر فدرجته

عند الله اعلى فيا حبيبى لا تقبط نفسك من اوج التوكل والاعتماد على الله الى حضيض الخوف والاضطراب في مجىء ما تقل ولا تصغ الى تخويف

الشيطان فانه يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وكن مطمئنا بوعد ربك اذ قال الله يعدكم مغفرة منه وفضلا واسمع قول نبيك حيث قال

لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ومنها الحرص وهو معنى راتب في النفس باعث على جمع مالا

ولا يفيده من الاموال من دون ان ينتهى الى حد يكتفى به وهو اقوى شعب حب الدنيا واشهر انواعها ولا ريب كونه ملكة وصفة مضلة بل

بادية مظلمة الارجاء ما الاطراف وهاوية عميقة متناهية الاعماق من وقع فيها ضل وباد ومن سقط فيها هلك وما عاد والتجربة والشواهد

والاخبار والاثار متظاهرة على ان الحريص لا ينتهى الى حد يقف دونه بل لا يزال يخوض في غمرات الدنيا الى ان يغرق ويطرح ارضا الى ان يهلك

قال رسول الله لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى وراءهما ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال

منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال وقال يشيب ابن ادم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل وقال ابو جعفر الباقر

مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفا كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غما وقال الصادق ان فيما نزل به الوحى من

السماء لو ان لابن ادم واديين يسيلان ذهبا وفضة لابتغى لهما ثالثا يا ابن ادم انما بطنك بحر من البحور وواد من الاودية لا يملأه شىء

الا التراب وقال بعض الاكابر من عجيب امر الانسان انه لو نودى بدوام البقاء في ايام الدنيا لم يكن في قوة خلقته من الحرص على الجمع اكثر مما قد استعمله

مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال ثم ما ورد من الاخبار في ذم الحرص اكثر من ان يحصى ولا حاجة الى ايرادها للاستشهاد وقال الباقر رب حريص على امر

قد شقى به حين اتاه ورب كاره لامر قد سعد به حين اتاه واى حزن اشد من ان يسعى الانسان في طلب ما به هلاكه واى تامل في ان كل ما حرص

عليه الانسان من اموال الدنيا يكون هلاكه

وصل ضد الحرص القناعة وهى ملكة للنفس توجب الاكتفاء بقدر الحاجة والضرورة من المال من دون

سعى وتعب في طلب الزائد عنه وهى صفة فاضلة يتوقف عليها كسب سائر الفضائل وعدمها يؤدى بالعبد الى مبادى الاخلاق

الرذائل وهى المطية للوصول الى المقصد واعظم الوسائل لتحصيل سعادة الابد اذ من قنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقل

قدر واخص نوع ولم يرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بالزائد عن ذلك كان فارغ البال مجتمع الهم فيتمكن من الاشتغال بامر

الدين وسلوك طريق الاخرة ومن فاته القناعة وتدنس بالحرص والطمع وطول الامل وخاض في غمرات الدنيا تفرق قلبه وتشتت امره

فكيف يمكنه التشمر لتحصيل امر الدين والوصول الى درجات المتقين ولذلك ورد في مدح القناعة ما ورد من الاخبار قال رسول الله

طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد من غنى ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتى قوتا في الدنيا وقال

ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس للعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له في الدنيا وهى راغمة وقال ان

روح القدس نفث في روعى انه لن يموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قانعا

تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وفي الخبر القدسى يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت

اذا اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا اليك محسن وروى ان موسى سأل ربه وقال اى عبادك اغنى قال اقنعهم

وقال امير المؤمنين يا ابن ادم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان ايسر ما فيها يكفيك وان كنت انما تريد ما لا يكفيك فان كل

ما فيها لا يكفيك وقال ابو جعفر الباقر اياك ان تطمح بصرك الى من هو فوقك فكفى بما قال الله لنبيه ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم

وقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا فان دخلك من ذلك شىء فاذكر عيش رسول الله فانما كان قوته

الشعير وحلواه التمر ووقوده السعف اذا وجده وقال من قنع بما رزقه الله فهو من اغنى الناس وقال الصادق من رضى من الله باليسير من

المعاش رضي الله منه باليسير من العمل وقال مكتوب في التوراة ابن آدم كن كيف شئت كما تدين تدان من رضي من الله بالقليل من الرزق
قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضي باليسير من الحلال خفت مؤنته وزكت مكسبته وخرج من حد الفجور وقال إن الله يقول لحزن عبدي المؤمن
إن قترت وذلك أقرب له مني ويفرح عبدي المؤمن إن وسعت عليه وذلك أبعد له مني وقال كلما ازداد العبد إيمانا ازداد ضيقا في معيشته والأخبار
الواردة في فضيلة القناعة أكثر من أن تحصى وما أوردناه كاف لأهل البصيرة **فصل** طريق المعالجة لإزالة الحرص وتحصيل القناعة أن يتذكر
أولا ما في القناعة من المدح والشرافة وعز النفس وفضيلة الحرية وما في الحرص من الذم والمهانة وتحمل الذلة ومتابعة الشهوة ويعرف أن
من لا يؤثر عز النفس على شهوة البطن فهو قليل العقل ناقص الإيمان ثم يتذكر ما في جمع المال من الآفات الدنيوية والعقوبات الأخروية ويتأمل في ما مضى
عليه عظماء الخلق وأعزاء أصنافهم من الأنبياء والأوصياء ومن سار بسيرتهم من السلف الأتقياء من صبرهم على القليل وقناعتهم على اليسير
ويتأمل في ما عليه الكفار من الهنود واليهود والنصارى وأراذل الناس والأغبياء من الأكراد والأعراب وأمثالهم من التنعم وجمع المال الكثير
وبعد التأمل لا أظنه أن يشك أن الاقتداء بأعزة الخلائق أحسن من الاقتداء بأراذلهم بل المتأمل يعرف أن الحريص المكاب على لذات الدنيا
خارج عن أفق الإنسانية وداخل في جريدة البهائم إذ الحرص على شهوات البطن والفرج من لوازم البهيمية وأحرص الناس على الشهوات لا يبلغ
البهائم في ذلك فما من حريص على التنعم في البطن إلا والحمار أكثر أكلا منه وما من حريص على الجماع إلا والخنزير أشد نزوا منه فظهر أن الحريص في مرتبة الخنازير
والحمير واليهود والهنود والقانع لا يساهمه في الرتبة إلا الأنبياء والأولياء وبعد التأمل في جميع ما ذكر تم العلاج العلمي وبه يسهل إزالة الحرص
القناعة فليبادر إلى العلاج العملي وهو العمل بالاقتصاد في أمر المعيشة وسد أبواب الخرج ما أمكن ورد النفس إلى ما لا بد منه فإن من كثر خرجه
واتسع إنفاقه لم يمكنه القناعة فإن كان وحده اكتفى بثوب خشن ويقنع بأي طعام كان ويقلل من الإدام ما أمكنه وهكذا الحال في سائر ما يضطر
إليه ويوطن نفسه عليه وإن كان له عيال رد كل واحد منهم إلى هذا القدر وإذا بنى أمره على الاقتصاد لم يحتج إلى كثير جهد وإن كان معيلا قال رسول
الله (ص) ما عال من اقتصد وقال (ص) ثلاث منجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضا والغضب وقال التدبير
نصف المعيشة وقال من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله وقال الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح جزء من بضع وعشرين جزءا
من النبوة وقال أمير المؤمنين (ع) القصد مثراة والسرف متواة وقال السجاد (ع) لينفق الرجل بالقصد وبلغة الكفاف ويقدم منه الفضل لآخرته
فإن ذلك أبقى للنعمة وأزيد للمزيد من الله تعالى وأنفع في العاقبة وقال الصادق (ع) إن القصد أمر يحبه الله وإن السرف أمر يبغضه الله حتى طرحك النواة
فإنها تصلح لشيء وحتى صبك فضل شرابك وقال (ع) ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر وقال (ع) إن السرف يورث الفقر وإن القصد يورث الغناء
والأخبار في مدح الاقتصاد أكثر من أن تحصى ثم إذا تيسر له المعيشة في الحال فلا ينبغي أن يكون مضطربا لأجل الاستقبال ويعتمد على فضل الله
ووعده بأن الرزق الذي قدر له يأتيه وإن لم يكن حريصا ولا مضطربا بالحرص ولم يعلم نفسه من أين يأتي رزقه قال الله تعالى وما من دابة إلا على الله
رزقها وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال رسول الله (ص) أبى الله أن يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يحتسب ثم ينبغي
أن لا ينظر إلى من هو فوقه بل ينظر إلى من هو دونه في التنعم وفي مال الدنيا فإن الشيطان يصرف نظره في أمر الدنيا إلى من هو فوقه ويقول لم تفتر
عن طلب الدنيا وأرباب الأموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في أمر الدين إلى من هو دونه فيقول لم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان
أعلم منك ولا يخاف الله قال أبو ذر أوصاني خليلي رسول الله (ص) أن أنظر إلى من هو دوني لا إلى من هو فوقي في الدنيا وقال (ص) إذا نظر أحدكم إلى من فضله
الله عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه **ومنها الطمع** وهو التوقع من الناس في أموالهم وهو من شعب حب الدنيا ومن أنواعه
ومن الرذائل المهلكة قال رسول الله (ص) إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وقال أمير المؤمنين (ع) استغن عمن شئت تكن نظيره وارغب إلى
من شئت تكن أسيره وأحسن إلى من شئت تكن أميره وقال الباقر (ع) بئس العبد عبد له طمع يقوده وبئس العبد عبد له رغبة تذله وقال الصادق (ع) الذي يثبت

الإيمان في العبد

في البخل

الإيمان في العبد الورع والذي يخرجه منه الطمع والأخبار في ذم الطمع كثيرة وكفى به ذما أن كل طامع يكون ذليلا مهينا عند الناس وأن ثقته بالناس
واعتماده عليهم أكثر من ثقته بالله إذ لو كان اعتماده على الله أكثر من اعتماده على الناس لم يكن نظره إليهم بل لم يطمع من أحد شيئا إلا من الله سبحانه
ضد الطمع هو الاستغناء عن الناس وهو من الفضائل الموجبة لتقرب العبد إلى الله سبحانه إذ من استغنى بالله عن غير الله أحبه الله والأخبار الواردة في مدحه
والملازمة له كثيرة قال رسول الله (ص) ليس الغنى من كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس وقال لأعرابي طلب منه موعظة إذا صليت فصل صلاة مودع ولا
تحدثن بحديث تعتذر منه غدا واجمع اليأس عما في أيدي الناس فإنه الغنى الحاضر وقال أمير المؤمنين (ع)
ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن بشرك ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك
وبقاء عزك وقال سيد الساجدين (ع) رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس ومن لم يرج الناس في شيء ورد أمره إلى الله تعالى في جميع أموره استجاب الله تعالى له في كل
شيء وقال الباقر (ع) سخاء المرء عما في أيدي الناس أكثر من سخاء النفس والبذل ومروة الصبر في حال الفاقة والحاجة والتعفف والغنى أكثر من مروة الإعطاء
وخير المال الثقة بالله واليأس عما في أيدي الناس وقال اليأس عما في أيدي الناس عز المؤمن في دينه وقال الصادق (ع) شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه
عن الناس وقال شيعتنا من لا يسأل الناس شيئا ولو مات جوعا وقال ثلاث هن فخر المؤمن وزينة في الدنيا والآخرة الصلاة في آخر الليل ويأسه مما
في أيدي الناس وولايته الإمام من آل محمد (ع) وقال (ع) إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئا إلا أعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكون له رجاء إلا عند الله
فإذا علم الله تعالى ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه ثم طريق العلاج في قطع الطمع وكسب الاستغناء قريب مما ذكر في علاج إزالة الحرص وتحصيل القناعة
فتذكر **ومنها البخل** وهو الإمساك حيث ينبغي البذل كما أن الإسراف هو البذل حيث ينبغي الإمساك وكلاهما مذمومان والمحمود هو الوسط وهو الجود
والسخاء إذ لم يؤمر رسول الله (ص) إلا بالسخاء فقيل له ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال تعالى والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما فالجود وسط بين الإقتار والإسراف وبين البسط والقبض وهو تقدير البذل والإمساك بقدر الواجب اللائق ولا يكفي في تحقق
الجود والسخاء أن يفعل ذلك بالجوارح ما لم يكن قلبه طيبا غير منازع له فيه فإن بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخ وليس
بسخي بل ينبغي أن لا يكون لقلبه علاقة مع المال إلا من حيث يراد المال له وهو صرفه إلى ما يجب صرفه إليه **فصل** البخل من ثمرات حب الدنيا
ونتائجه وهو من خبائث الصفات ورذائل الأخلاق ولذا ورد في ذمه ما ورد من الآيات والأخبار قال الله سبحانه الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل
ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا
به يوم القيامة وقال رسول الله (ص) إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم أن يسفكوا دماءهم ويستحلوا محارمهم وقال (ص) لا يدخل الجنة بخيل
ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وقال (ص) البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي أحب إلى الله من
عابد بخيل وأدوى الداء البخل وقال (ص) ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وقال (ص) إن الله يبغض الشيخ الزاني والبخيل
المنان والمعيل المختال وقال (ص) اتقوا الشح فقد أهلك من كان قبلكم أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا
وقال (ص) البخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار إلا البخيل وقال خلق البخل من مقته وجعل رأسه في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا
فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار وقتل في الجهاد رجل من أصحاب رسول الله (ص) فبكته باكية وقالت واشهيداه فقال النبي (ص)
السخي (ص) ما يدريك أنه شهيد فلعله كان يتكلم بما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه وقال (ص) إن الله يبغض البخيل في حياته والسخي عند موته وقال (ص) الجهول
السخي أحب إلى الله من العابد البخيل وقال (ص) الشح والإيمان لا يجتمعان في قلب واحد وقال أيضا خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء
الخلق وقال لا ينبغي للمؤمن أن يكون بخيلا ولا جبانا وقال (ص) يقول قائلكم الشحيح أعذر من الظالم وأي ظلم أظلم عند الله من الشح حلف الله
بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وقال اللهم إني أعوذ بك من البخل وروي أنه (ص) كان يطوف في البيت فإذا رجل متعلق

باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا البيت الا غفرت لي ذنبي قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك
ذنبك اعظم ام الارضون قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار قال
بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي اعظم يا رسول الله قال ذنبك اعظم ام العرش قال بل ذنبي يا رسول الله
قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى واجل قال ويحك فصف لي ذنبك قال يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان
السائل لياتيني ليسالني فكانما يستقبلني بشعلة من النار فقال رسول الله اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة
لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الف الف عام حتى تجري من عينيك الانهار ويسقى بها الاشجار ثم مت لاكبك الله في النار ويلك أما علمت
ان الله يقول ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال امير المؤمنين ع سياتي على الناس زمان
عضوض يعض المؤمن على ما في يديه ولم يؤمر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وروي انه ما من الا وقد وكل الله به ملكين ينادیان
اللهم اعط كل ممسك تلفا وكل منفق خلفا والاخبار في ذم البخل اكثر من ان تحصى مع ان نقمته للمفاسد الدنيوية والاخروية مما يحكم به الوجدان والعيان
الدليل والبرهان حتى ان النظر الى البخيل يقسي القلب ومن كان له صفاء سريرة يكدر بلقائه ويظلم من ملاقاته وقد قيل ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه
وصل ضد البخل السخاء وقد عرفت معناه وهو من ثمرة الزهد كما ان البخل من ثمرة حب الدنيا فينبغي لكل سالك لطريق الآخرة ان يكون حاله وصل
القناعة ان لم يكن له مال والسخاء واصطناع المعروف ان كان له مال ولا ريب في كون الجود والسخاء من شرائف الصفات ومعالي الاخلاق وهو اصل من اصول
النجاة واشهر اوصاف النبيين واعرف اخلاق المرسلين وما ورد في مدحه خارج عن حد الاحصاء قال رسول الله صلى الله عليه وآله السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها
متدلية على الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال ان السخاء من الايمان والايمان في الجنة وقال السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج
الجنة الا سخي وقال قال الله سبحانه ان هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وقال ما جعل الله اولياءه
الا على السخاء وحسن الخلق وقال ان من موجبات المغفرة بذل الطعام وافشاء السلام وحسن الكلام وقال ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب
الجنة بعيد من النار وقال تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء وقال افضل الاعمال الصبر
والسماحة وقال خلقان يحبهما الله وهما حسن الخلق والسخاء وقال ان الله جواد يحب الجواد ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال الرزق
الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى ذروة البعير وان الله ليباهي بمطعم الطعام الملائكة وقال ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك
المنافع عن العباد نقلها الله عنه وحولها الى غيره وقال الجنة دار الاسخياء وقال شاب سخي مرهق في الذنوب احب الى الله من شيخ عابد بخيل
وقال اصنع المعروف الى من هو اهله والى من ليس باهله فان اصبت اهله فقد اصبت اهله وان لم تصب اهله فانت اهله وقال ان بدلاء امتي
لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا بصيام ولكن دخلوها بسخاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ان الله عز وجل جعل للمعروف وجوها
من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف اليهم ويسر عليهم اعطاءه كما ييسر الغيث الى البلدة الجدبة ليحييها ويحيي بها اهلها
وقال ان السخي محبب في السموات محبب في الارضين خلق من طينة عذبة وخلق ماء عينيه من ماء الكوثر والبخيل مبغض في السموات مبغض في الارضين
خلق من طين سبخة وخلق ماء عينيه من ماء العوسج وقال ص افضل الناس ايمانا ابسطهم كفا وقال يؤتى يوم القيمة برجل فيقال احتج فيقول يا رب
خلقتني وهديتني واوسعت علي فلم ازل اوسع على خلقك وانشر عليهم لكي تنشر علي هذا اليوم رحمتك وتيسره
فيقول الرب ص صدق عبدي ادخلوه الجنة وروي انه اتى النبي ص وفد من اليمن وفيهم رجل كان اعظمهم كلاما واشدهم استقصاء في محاجة النبي
فغضب النبي ص حتى التوى عرق الغضب من عينيه وتربد وجهه واطرق الى الارض فاتى جبرئيل وقال ربك يقرئك السلام ويقول لك هذا رجل سخي
يطعم الطعام فسكن عن النبي ص الغضب ورفع راسه وقال لولا ان جبرئيل اخبرني عن الله انك سخي تطعم الطعام لشردت بك وجعلتك حديثا لمن
خلفك

خلفك فقال له الرجل وان ربك ليحب السخاء فقال نعم فقال اني اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله والذي بعثك بالحق لا رددت عن مالي احدا
وقال كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها
وقال كل معروف صدقة والدال على الخير كفاعله والله يحب اغاثة اللهفان وفي حديث ان الله اوحى الى موسى لا تقتل السامري فانه سخي وقال عليه السلام اشكروا
من شيء لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقال امير المؤمنين ع من يبسط يده بالمعروف اذا وجده يخلف الله له ما انفق في دنياه ويضاعف له في آخرته وقال
ان الشمس لتطلع ومعها اربعة املاك ملك ينادي يا صاحب الخير اتم وابشر وملك ينادي يا صاحب الشر انزع واقصر وملك ينادي اعط منفقا خلفا
وآت ممسكا تلفا وملك ينضح الارض بالماء ولولا ذلك لاشتعلت الارض فقال الحسن ع لبعض جلسائه الا اخبرك بشيء يقرب من الله ويقرب من الجنة
ويباعد من النار فقال بلى فقال عليك بالسخاء وقال خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم ومن خالص الايمان البر بالاخوان والسعي في حوائجهم وان البار بالاخوان
ليحبه الرحمن وفي ذلك ترغيم للشيطان وتزحزح عن النيران ودخول الجنان وقال الكاظم ع السخي الحسن الخلق في كنف الله لا يتخلى الله منه حتى يدخله الجنة
وما بعث الله نبيا ولا وصيا الا سخيا ولا كان احد من الصالحين الا سخيا وما زال ابي يوصيني بالسماحة حتى مضى فصل لعلك تقول انك قلت السخاء
هو الوسط بين الاقتار والاسراف وهو صرف المال الى ما يجب او ينبغي صرفه اليه وهذا غير كاف لمعرفة حد السخاء التي توقف على معرفة ما يجب او ينبغي وصرفه
عند عامتهم قلنا ما يجب او ينبغي يتناول الواجب واللائق بحسب الشرع والمروة والعادة فالسخي هو الذي يؤدي واجب الشرع وواجب المروة والعادة جميعا
فان منع واحدا منها فهو بخيل وان كان الذي يمنع واجب الشرع ابخل ثم ما يجب بذله شرعا مضبوط معين من الزكوة والخمس وغيرهما واطيب الاموال وسطه
دون الخبيث منه والانفاق على اهله وعياله على قدر احتياجهم فلو ادى جميع ذلك فقد ادى الواجب الشرعي ويستحق اسم السخي شرعا اذا كان الاداء بطيبة
من قلبه دون ان يشق عليه اذ لو شق عليه ذلك كان بخيلا بالطبع ومتسخيا بالتكلف واما ما يجب مروة وعادة فهو ترك المضايقة في بذل ما يستقبح
المضايقة فيه عرفا وعادة وهو يختلف في احوال الاشخاص فيستقبح من الغني المضايقة ما لا يستقبح من الفقير ومع الاهل والاقارب ما لا يستقبح مع
الاجانب ومع الجار ما لا يستقبح مع البعيد وفي الضيافة ما لا يستقبح اقل منه في المبايعة والمعاملة ويستقبح من المضايقة في الاطعمة ما لا يستقبح
في غيرها وبالجملة يختلف ذلك بما فيه المضايقة من ضيافة او معاملة وبما فيه المضايقة من طعام او ثوب او فرس او غير ذلك وبمن معه المضايقة
من صديق او قريب او جار او اجنبي او بعيد وبمن منه المضايقة من غني او فقير او امير او رعية او عالم او جاهل او صبي او كامل فالبخيل هو الذي يمنع
حيث ينبغي ان لا يمنع شرعا او مروة وعادة ولا يمكن التنصيص على مقدار ذلك فلعل حد البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض اهم
من حفظه في مقابلة الجود والسخاء ثم من يؤدي الواجب بحفظ العادة والمروة ولكن له مال كثير قد جمعه لا يصرفه الى المحتاجين ولا ينفق
في الصدقات المستحبة ليكون مدخرا على نوايب الزمان فهو ان لم يكن بخيلا عند عوام الخلق ولكنه بخيل عند اهل الفطانة والكياسة اذ التنزه عن البخل و
الاتصاف بصفة الجود والسخاء لا يتحقق عندهم ما لم يبذل الزيادة على واجب الشرع وواجب المروة والعادة اللائقة بطلب الفضيلة والثواب
ونيل الدرجات في الآخرة ويختلف هذه الزيادة باختلاف مقدار ماله وباختلاف حاجة المحتاجين وصلاحهم وورعهم فاتصافه بالجود بقدر ما تتسع له
نفسه من قليل او كثير ويختلف درجات ذلك فاصطناع المعروف امور وراء ما يوجبه العادة والمروة وهو الجود بشرط ان يكون عن طيبة النفس ولا يكون لاجل
غرض من خدمة او مدح وثناء اذ من يبذل المال بعوض المدح والثناء او غيره فليس بجواد بل تاجر يشتري بماله لكون المدح الذي هو الذ من المال فالجود
هو بذل الشيء لا لغرض عن طيبة النفس والقلب من غير غرض حقيقة وان كان حقيقته الا انه لا يتصور في حق غير الله اذ ما من انسان الا ولا يبذل الشيء الا
لغرض لكن اذا لم يكن غرضه الا الثواب في الآخرة ورفع الدرجات واكتساب فضيلة الجود وتطهير النفس عن رذالة البخل سمي جوادا وان كان غرضه شيئا
من الامور الدنيوية لم يسم جوادا تنبيه ارفع درجات الجود والسخاء الايثار وهو الجود بالمال مع الحاجة اليه قال الله سبحانه في معرض الثناء على اهل
الايثار ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال رسول الله ص ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر له وكان الايثار من خلق

والبخيل من يمنع ما ينبغي ان لا يمنع شرعا او مروة وعادة

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد قال بعض ازواجه انه ما شبع ثلثة ايام متوالية حتى فارق الدنيا ولو شئنا لشبعنا ولكنا كنا نؤثر على انفسنا وروي
ان موسى بن عمران قال يا رب ارني بعض درجات محمد وامته قال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى
جميع خلقي قال فكشف له عن ملكوت السماء فنظر الى منزلة كادت ان تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله تعالى قال يا رب بماذا بلغت به الى هذه
الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار يا موسى لا ياتيني احد منهم قد عمل بالايثار من عمره الا استحييت من
محاسبته وبوأته من جنتي حيث يشاء وسئل الصادق عليه السلام اي الصدقة افضل قال جهد المقل اما سمعت قول الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان
بهم خصاصة وايثاره عليه السلام على غيره في جميع اوقاته مستغن عن الكتب مسطور ولقد آثر حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المبيت فباهى الله به الملائكة
وانزل فيه ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ولذلك كان الخواص من شيعته والمقتفين لسنته وسيرته مجتهدين في المحافظة على هذه
الفضيلة بما امكن فصل علاج مرض البخل يتم بعلم وعمل والعلم يرجع الى معرفة آفة البخل وفائدة الجود والعمل يرجع الى البذل على سبيل التكلف الى
ان يصير طبعا له فمن طالب ازالة البخل وكسب الجود ينبغي ان يكثر التأمل في اخبار ذم البخل ومدح السخاء وما توعد الله على البخل من العذاب العظيم و
يكثر في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم حتى يعرف بنور المعرفة ان البذل خير من الامساك في الدنيا والآخرة ثم يكلف نفسه على البذل ومفارقة
المال ولا يزال يفعل ذلك الى ان يهيج رغبته في البذل فكلما تحركت الرغبة ينبغي ان يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر و
يوسوسه بانواع الوساوس الصادة عن البذل ولو كان مرض البخل مزمنا ولم يندفع بما ذكر فمن معالجاته ان يخدع نفسه بحسن الاسم والاشتهار
بالجود فيبذل على قصد الرياء ولكن ينعطف بعد ذلك على الرياء ويزيله بعلاجه فيكون طلب الشهرة والاسم كالتسلية للنفس عند فطامها عن
المال كما تسلى الصبي عند فطامه عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها لا لكون اللعب مطلوبا لذاته بل ليشتغل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه
الى غيره فكذا هذه الصفات الخبيثة ينبغي ان يسلط بعضها على بعض حتى يندفع الجميع فيسلط الشهوة على الغضب حتى يكسر سورته ويسلط
الغضب على الشهوة حتى يكسر رعونتها وقد جرت سنة الله بدفع المؤذيات والمهلكات بعضها ببعض الى ان يندفع الجميع سواء كانت من الصفات
المؤذية او من الاشخاص المؤذية من الظلمة والاشرار الا ترى انه يسلط الظالمين والاشرار بعضهم على بعض الى ان يهلك الجميع ومثال ذلك
كما قيل ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان بعضا الى ان يرجع الى اثنين قويين ثم لا يزال يتقاتلان ويتعارضان الى
ان يغلب احدهما الآخر فيأكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جائعا الى ان يموت فكذلك هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض
حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان يبقى الا واحدة ثم يقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع المرض عن العمل
بمقتضاها فانها يقتضي لا محالة آثارا فاذا خولفت خمدت وماتت مثلا البخل يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد
والمشقة مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصارت صفة البذل طبعا وسقط التعب والمشقة فيه ثم العمدة في علاج البخل ان يقطع سببه وسببه
حب المال وسبب حب المال اما حب الشهوات التي يتوقف الوصول اليها على المال مع طول الامل اذ لو لم يكن له طول امل وعلم انه يموت بعد ايام فلا يبخل
ربما لم يبخل بماله او ادخاره وابقاءه للاولاد فكانه يقدر بقاءهم كبقاء نفسه فيمسك المال لاجلهم او حب عين المال من حيث انه مال فان بعض
الناس من المشايخ والمعمرين يكون له من المال ما يكفيه لغاية ما يتصور من بقية عمره ويفضل معه اموال كثيرة ولا ولد له ليحتاط لاجله ومع ذلك
لا يسمح نفسه باخراج مثل الزكوة ومداواة نفسه عند المرض بل هو محب للدنانير عاشق لها يتلذذ بوجودها مع علمه بانه عن قريب يموت
فيضيع او ياخذها اعداؤه ومع ذلك لا يسمح نفسه بان ياكل منها او يتصدق ببعضها وهذا مرض عسر العلاج لا سيما في كبر السن اذ يكون المرض
مزمنا والطبيعة المدافعة له قاصرة والبدن ضعيفا ومثله مثل من عشق شخصا فاحب رسوله ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير
رسول يبلغ الى الحاجات وهي محبوبة من هذه الحيثية لا من حيث انها دنانير فمن نسي الحاجات وصار الدنانير محبوبة عنده فهو في غاية الضلالة والخسران بل من

راى بين الفاضل

راى الفاضل منها عن قدر الحاجة وبين الحجر فرقا فهو في غاية الجهل ثم لما كان الطريق في قطع سبب كل علة ان يواظب على ضده فهذا
السبب يعالج حب الشهوات بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال و
ضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الى الاولاد بان الله خلقهم خلق ارزاقهم وكم من ولد لم يرث مالا من ابيه وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم
ان ولده ان كان تقيا صالحا فيكفيه الله تعالى وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصية ويرجع مظلمته عليه ويعالج حب عين المال من حيث انه مال بان يتفكر
في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ منه الا بقدر حاجته ويبذل الباقي على المستحقين ليبقى له ثوابه في الآخرة تذنيب اعلم ان بذل الاموال
المترتب على صفة الجود والسخاء يتناول امورا بعضها واجب وبعضها مندوب ويترتب على كل منها فضيلة وكل منها بخصوصه اخبار فلا بد لنا ان
نشير الى ذلك تاكيدا لبيان فضل السخاء والى بعض المهم من الآداب والحقائق الباطنة ونحيل ما للكل من الاحكام والشروط الظاهرة الى كتب الفقه
فنقول اما الامور الواجبة فاولها الزكوة والاخبار الواردة في ذم تاركها ومدح فاعلها كثيرة قال الله سبحانه اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقال
سبحانه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم ومعنى الانفاق في سبيل الله اخراج الزكوة كما ورد
عن اهل البيت واجمع عليه المفسرون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا منعت الزكوة منعت الارض بركاتها وقال الباقر ان الله قرن الزكوة بالصلوة
فقال اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فمن اقام الصلوة ولم يؤت الزكوة فلم يقم الصلوة وقال عليه السلام ما من ذي مال ذهب او فضة يمنع زكوة ماله
الا حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر وسلط عليه شجاعا اقرع يريده وهو يحيد عنه فاذا راى انه لا يتخلص منه امكنه من يده فقضمها كما يقضم
الفجل ثم يصير طوقا في عنقه وذلك قول الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وما من ذي مال ابل او غنم او بقر يمنع زكوة ماله الا
حبسه الله يوم القيمة بقاع قرقر يطأه كل ذات ظلف بظلفها وينهشه كل ذات ناب بنابها وما من ذي مال نخل او كرم او زرع يمنع زكوتها
الا طوقه الله ربعة ارضه الى سبع ارضين الى يوم القيمة وقال ما فرض الله على هذه الامة شيئا اشد عليهم من الزكوة وفيها تهلك عامتهم وقال من منع
قيراطا من الزكوة فليس بمؤمن ولا مسلم وهو قول الله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وقال انما وضعت الزكوة اختبارا للاغنياء
ومعونة للفقراء ولو ان الناس ادوا زكوة اموالهم ما بقي مسلم فقيرا محتاجا ولاستغنى بما فرض الله له وان الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا
جاعوا ولا عروا الا بذنوب الاغنياء وحقيق على الله ان يمنع رحمته من منع حق الله في ماله واقسم بالله الذي خلق الخلق وبسط الرزق انه ما ضاع
مال في بر ولا بحر الا بترك الزكوة وما صيد صيد في بر ولا بحر الا بترك التسبيح في ذلك وان احب الناس الى الله تعالى اسخاهم كفا واسخى الناس من ادى
زكوة ماله ولم يبخل على المؤمنين بما افترض الله لهم في ماله وقال ان الزكوة ليس يحمد بها صاحبها وانما هو شيء ظاهر حقن بها دمه وسمي بها
مسلما ولو لم يؤدها لم يقبل له صلوة والاخبار الواردة في فضل الزكوة وذم تاركها اكثر من ان تحصى وما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين فصل
السر في ايجاب الزكوة بل في تحصيل مطلق انفاق المال ثلثة امور الاول ان التوحيد التام ان لا يبقى للموحد محبوب سوى الله الواحد الفرد اذ
المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة ساير المحاب والاموال محبوبة عند الناس لانها آلة
تمتعهم بالدنيا ولاجلها يانسون بهذا العالم ويخافون من الموت ويتوحشون منه مع ان فيه لقاء المحبوب فامتحنوا في تصديق دعواهم الحب
التام لله تعالى بمفارقتهم عن بعض محابهم اعني المال ولذلك قال الله سبحانه ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولما فهم هذا
السر في بذل الاموال انقسم الناس بحسب درجاتهم في التوحيد والمحبة ثلثة اقسام قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ولم يجعلوا قلوبهم الا لله
الواحد فنزلوا عن جميع اموالهم ولم يدخروا شيئا من الدرهم والدينار وغيرهما من انواع المال فلم يتعرضوا لوجوب الزكوة عليهم حتى قيل لبعضهم
كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع وسئل الصادق عليه السلام في كم تجب الزكوة من المال فقال
اما الزكوة الظاهرة ففي كل الف خمسة وعشرون واما الباطنة فلا تستاثر على اخيك بما هو احوج اليه منك وقسم درجتهم دون هذا وهم الذين امسكوا

اموالهم ولكنهم ما ابقوا المواقيت الحاجات وهو اسم الخيرات ويكون قصدهم من الاحسان الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن قدر
الحاجة الى وجوه البر وهولاء لا يقتصرون على مقدار ما يجب عليهم من الزكوة والخمس بل يؤدون جميع انواع البر والمعروف او اكثرها وقسم
اقتصروا على اداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون منه وهو ادون الدرجات واقل المراتب وهو درجة العوام الراغبين الى المال لجهلهم بحقيقته
وغايته وضعف حبهم للاخرة الثاني تطهير النفس عن رذيلة البخل فانه من المهلكات كما تقدم وانما تزول هذه الرذيلة ببذل المال مرة بعد
اخرى حتى يتعود اذ حب الشي لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا وعلى هذا فالانفاق يطهر صاحبه عن خبث البخل المهلك
وانما طهارته بقدر بذله فيقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه الى الله تعالى الثالث شكر النعمة فان الله سبحانه على عبده نعمة في نفسه
ونعمة في ماله فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما اقبح بالغني المسلم ان ينظر الى فقير مسلم قد ضيق الرزق واحوج اليه
ثم لا يسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السوال واحواج غيره اليه بالعطاء عشر او ربع عشر من ماله **فصل** ينبغي للمعطي المنفق
عند ظهور داعية الخير من باطنه ان يغتنم الفرصة ويبادر الى الامتثال تعجيلا لادخال السرور في قلوب الفقراء وصونا عن عوايق الزمان
المانعة عن الخيرات وعلما بان في التاخير افات وتنبها بان انبعاث داعية الخير لمة الملك وقلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن فما اسرع تقلبه
والشيطان يعد الفقر ويامر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك وصونا للفقراء عن الاضطرار الى السوال اذ ورد ان الاعطاء
بعد السوال مكافاة لوجه المبذول له بمثل ما اخذ منه وليس بمعروف وروي ان امير المؤمنين بعث الى رجل بخمسة اوساق من تمر وكان الرجل ممن
يرجى نوافله ويرضى نائله ورفده وكان لا يسال عليا ولا غيره شيئا فقال رجل لامير المؤمنين ع والله ما سالك فلان شيئا ولقد كان يجزيه من الخمسة
الاوساق وسق فقال له امير المؤمنين لا كثر الله في المؤمنين مثلك اعطي انا وتبخل انت اذا انا لم اعط الذي يرجوني الا من بعد المسالة
ثم اعطيته بعد المسالة فلم اعطه الا ثمن ما اخذت منه لاني عرضته لان يبذل لي وجهه الذي يعفره في التراب لربي وربه عز وجل عند تعبده
له وطلب حوائجه اليه فمن فعل هذا باخيه المسلم وقد عرف انه موضع لصلته ومعروفه فلم يصدق الله تعالى في دعائه له حيث يتمنى له الجنة بلسانه
ويبخل عليه بالحطام من ماله ثم ينبغي ان يعين لادا صدقته وقتا فاضلا كيوم الغدير وشهر ذي الحجة سيما عشر اوله او شهر رمضان سيما عشر
اخره فقد ورد ان رسول الله ص كان اجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا **فصل** الصدقة الواجبة اعني الزكوة اعلانها
افضل من اسرارها ان كان في اظهارها ترغيب للناس في الاقتدا وامن من تطرق الريا ولم يكن الفقير بحيث يستحي من اخذها علانية قال الصادق ع
كلما فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره وكلما كان تطوعا فاسراره افضل من اعلانه ولو ان رجلا حمل زكوة ماله على عاتقه علانية كان ذلك حسنا جميلا
وقال في قوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم هي ما سوى الزكوة كان الزكوة علانية غير سر فلو دخل في نفسه الريا او الاتحاد وكان
الفقير يستحيي من اخذه علانية كان الاسرار بها افضل اما الاول فظاهر واما الثاني فلما روي انه قيل للباقر جعفر الباقر ع الرجل من اصحابنا يستحيي من
ان ياخذ من الزكوة فاعطيه من الزكوة ولا اسمي له انها من الزكوة فقال اعطه ولا تسم له ولا تذل المؤمن وبالجملة الاعلان كما يتصور فيه فايدة
الترغيب يتطرق اليه محذور الريا والمن والاذى وذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فبالنظر الى بعض الاحوال والاشخاص يكون الاعلان افضل
وبالنظر الى بعض اخر يكون الاسرار افضل ولا بد لكل منفق ان يلاحظ حاله ووقته ويقابل الفايدة بالمحذور وحينئذ يعلم ما هو الافضل ومن عرف
الفوايد والعوامل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له ما هو الاولى والاليق **فصل** ينبغي للمتصدق ان يجتنب عن المن والاذى قال الله سبحانه لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى وقال قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها اذى وقال رسول الله ص ان الله تبارك وتعالى كره لي ست
خصال وكرههن للاوصياء من ولدي واتباعهم من بعدي العبث في الصلوة والرفث في الصوم والمن بعد الصدقة واتيان المساجد جنبا والتطلع
في الدور والضحك بين القبور والمن ان يرى نفسه محسنا ومن ثمراته الظاهرة الاظهار بالتصدق والتحدث به وطلب المكافات منه بالشكر

والخدمة والتعظيم والمتابعة في الامور والاذى التعيير والتوبيخ والاستخفاف والاستخدام والقول السي وتقطيب الوجه وهتك
الستر ثم معرفة الاذى ظاهر وكذا معرفة الثمرات الظاهرة للمن واما المن الباطن اي معرفة نفسه محسنا فيعرف بان يكون استبعاده من
جناية القابض بعد الاعطاء اكثر من استبعاده منه قبله وعلاج المن ان يعرف ان المحسن هو الفقير القابض لايصال الثواب والانجاء من
العذاب وكونه نائبا عن الله تعالى وكون ما يعطيه حقا من الله سبحانه احال عليه الفقير الحاز الماء عدة من رزقه وعلاج الاذى ان يعرف ان سببه
استكثار العطاء وكراهة انفاق المال والتكبر على الفقير القابض برؤية نفسه خيرا منه لغنائه واحتياجه وجميع ذلك جهل وحماقة
واما استكثاره العطاء فلان ما اعطاه بالنظر الى ما يطلبه للحيلة من رضاء الله وثوابه في الاخرة في غاية القلة والخسة وكيف يستعظم
العاقل بذل خسيس فان اذا اخذ في مقابله خطيرا باقيا واما استحقاره الفقير فلما تقدم من فضل الفقر على الغني فكيف يرى نفسه
خيرا منه وكفى للفقير فضلا ان الله سبحانه جعل الغني مسخرا له بان يكتسب المال بالجهد والتعب ويسعى في حفظه ويسلم الى الفقير بقدر
حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم اليه فالغني يخدم الفقير في طلب المال مع كون ما يحتاج منه للفقير وكون ما يقي منه من تحمل المشاق
وتقلد المظالم وحراسة الفضلات الى ان يموت فياكله الاعداء على الغني وبالجملة العاقل بعد التامل يعلم ان ما يعطيه قليل في مقابلة
ما ياخذه وان الفقير محسن اليه قال امير المؤمنين ع من علم ان ما صنع انما صنع الى نفسه لم يستبطئ الناس في شكرهم ولم يستزدهم في مودتهم
فلا تلتمس من غيرك شكر ما اتيت الى نفسك ووقيت به عرضك واعلم ان الطالب اليك الحاجة لم يكرم وجهه عن وجهك فاكرم وجهك
عن رده وينبغي للتحرز عن المن والاذى ان يتواضع ويتخضع للفقير عند اعطائه بان يضع الصدقة لديه ويمثل قائما بين يديه او يبسط كفه
لياخذ الفقير فيكون يد الفقير هي العليا **فصل** ومما ينبغي للمعطي ان يستصغر العطية ليتعظم عند الله فان استعظمها صغرت
عند الله قال الصادق ع رايت المعروف لا يصلح الا بثلث خصال تصغيره وستره وتعجيله فانك اذا صغرته عظمته عند من تصنعه اليه واذا
سترته تممته واذا عجلته هناته وان كان غير ذلك محقته ونكدته واستعظام العطاء غير المن والاذى اذ الصرف الى عمارة المسجد
ومثله يتاتى فيه الاستعظام ولا يتاتى فيه المن والاذى وان يعطي الاجود والاحب والابعد عن الشبهة لان الله طيب لا يقبل الا طيبا
ولان اخراج غير الجيد سوء ادب بالنسبة الى الله اذا امسك الجيد لنفسه ولاهله وانفاق الردي في سبيل الله يوجب ايثار غير الله وترجيحه
عليه ولو فعل هذا بضيف وقدم اليه اردى طعام في البيت لتكدر قلبه واوغر صدره هذا اذا كان نظره الى الله لا يتصدق
لوجه الله من غير ملاحظة عوض لنفسه في دار الاخرة وان كان نظره الى نفسه وثوابه في الاخرة فلا ريب في ان العاقل لا يؤثر غيره على نفسه
وليس له من ماله الا ما تصدق فابقى او اكل فافنى ولعظم فايدة انفاق الاجود والاحب وقبح انفاق الردي الاخس قال الله تعالى وانفقوا من
طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اي لا تاخذونه الا
مع كراهة وحياء وهو معنى الاغماض وما هذا شانه عندكم فلا تؤثروا به ربكم وقال سبحانه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقال
ويجعلون لله ما يكرهون وفي الخبر سبق درهم مائة الف درهم ما يكرهون من الردي الخبيث لعل انه ليس يؤثر الله بشي مما يحبه ومما ينبغي له ان يبغي
الفقير اذا قدر في الخير اذا اعطيته فاعلم وان يقبل يده بعد الاعطاء لانه يقع في يد الله تعالى اولا قال امير المؤمنين ع اذا ناولتم السائل
فليرد الذي ناوله يده الى فيه فيقبلها فان الله عز وجل ياخذ الصدقات وقال النبي ص ما تقع صدقة المؤمن في يد السائل حتى يقع في
يد الله ثم تلا هذه الاية الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات وقال الصادق ع ان الله يقول ما من شي الا وقد
وكلت من يقبضه غيري الا الصدقة فاني اتلقفها بيدي تلقفا حتى ان الرجل ليتصدق او المراة لتتصدق بالتمرة او بشق تمرة
فاربيها له كما يربي الرجل فلوه وفصيله فيلقاني يوم القيمة وهي مثل احد واعظم من احد وان يلتمس الدعاء من الفقير الذي دعاه

ومن ذلك ما بخطه [illegible] الا انما [illegible]
[illegible]

يستجاب فيه كما روي ان علي بن الحسين ع كان يقول للخادم امسكي قليلا حتى يدعو فان دعوة السائل الفقير لا ترد وانه ع كان يامر الخادم
اذا اعطيت السائل ان يامره ان يدعو بالخير وعن احدهما ع اذا اعطيتموهم فلقنوهم الدعا فانه يستجاب لهم فيكم ولا يستجاب لهم في
انفسهم وما قيل من ان ارباب القلوب لا يتوقعون الدعا من القابض لانه شبيه المكافاة وكانوا يقابلون الدعا بمثله ولو ارسلوا معروفا
الى فقير قالوا للرسول احفظ ما يدعو به ليردوا عليه مثل قوله فلا يخطر في ذلك طريقة ائمتنا الراشدين ع فلا اعتبار به عندنا ومما ينبغي له ايضا
ان يصرف الصدقات الى من يكثر باعطائه الاجر كاهل الورع والعلم وارباب التقوى والصدق والكاملين في الايمان والتشيع قال رسول
الله ص لا تاكل طعامك الا تقي وقال اطعموا طعامكم الاتقياء وقال اضيف بطعامك من تحبه في الله ولكن تعطيهم من الزكوة الواجبة وتعم
عليهم بالهدايا والصلات والتصدقات لا بها وساير الاموال وفي الخبر مستحق الزكوة المستضعفون من شيعة محمد وآله الذين
لم يقو بصايرهم واما من قويت بصيرته وحسنت بالولاية لاوليائهم والبراءة من اعدائهم معرفته فذاك اخوكم في الدين امس بكم رحما
من الآبا والامهات المخالفين فلا تعطوه زكوة ولا صدقة فان موالينا وشيعتنا منا كالجسد الواحد يحرم على جماعتنا الزكوة و
الصدقة ولكن ما تعطونه اخوانكم المستبصرين البر وارفعوهم عن الزكوة والصدقات ونزهوهم ان يصبوا عليهم اوساخكم ايحب احدكم
ان يغسل وسخ بدنه ثم يصبه على اخيه المؤمن ان وسخ الذنوب اعظم من وسخ البدن فلا توسخوا اخوانكم الحديث ولا ينبغي ان يصرف
الى من نظره الى الوسايط بل ينبغي ان يصرف الى من بلغ مقام التوحيد ويرى النعمة من الله ولا ينظر الى الوسايط اذ من لم يصف
باطنه عن رؤية الوسايط الا من حيث انهم وسايط فغير خال عن نوع من الشرك الخفي قال الصادق ع في قول الله تع وما يؤمن اكثرهم بالله
الا وهم مشركون هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لما اصبت كذا وكذا ولولا فلان لضاع عيالي الا ترى انه قد جعل معه
شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه فقال الراوي يجوز ان يقال لولا ان الله من علي بفلان لهلكت قال نعم لا باس بهذا ومن اهل
المرتبة والاختصاص بالبذل اليه من كان مستترا ساترا للحاجة كانما من اهل المروة متعينا في حليلا بالتجمل محبوسا في سبيل
الله محبوسا في طريق الاخرة بعيلة او مرض او ضيق معيشة او اصلاح قلب او سبب آخر من الاسباب والاولى من الكل الاقارب
واولوا الارحام من اهل الاحتياج فان الانفاق عليهم صدقة وصلة وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يخفى قال امير المؤمنين ع لان اصل
اخا من اخواني بدرهم احب الي من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصله بعشرين درهما احب الي من ان اتصدق بمائة درهم
ولان اصله بمائة درهم احب الي من ان اعتق رقبة وفي خبر اخر الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر
وصلة الاخوان بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين وفي الخبر ان افضل الصدقات الانفاق على ذي الرحم الكاشح يعني
المبغض كانه لمخالفة الهوى وصدوره عن الخلوص التقوى **فصل** ينبغي للفقير الاخذ ان يعلم ان الله تع اوجب صرف المال اليه ليكفي
مهمه فيتجرد للعبادة والاستعداد للموت فينبغي ان يتاهب لذلك فلا يصرفه في فضول الدنيا ويشكر الله على ذلك ويشكر
المعطي فيدعو له ويثني عليه مع رؤية النعمة من الله سبحانه قال رسول الله ص من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقال الصادق ع لعن الله
قاطعي سبيل المعروف قيل وما هم قال الرجل يصنع اليه المعروف فيكفره فيمنع صاحبه من ان يصنع ذلك الى غيره وقال امير المؤمنين ع
من صنع بمثل ما صنع اليه فانما كافاه ومن ضعفه كان شكورا ومن شكر كان كريما وينبغي له ايضا ان يستر عيوب صاحب العطا ولا يذمه
ولا يحقره ولا يعيره بالمنع اذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس اعطاءه حيث لا يخرجه عن كونه واسطة لئلا يكون مشركا وان
يتوقى مواقع الحرمة والريبة والشبهة في اصله ومقداره فلا ياخذ ممن لا يحل ماله او يشتبه كعمال السلاطين والجنود و
من اكثر كسبه من الحرام ولا الزيادة على قدر الحاجة ولا يسئل على رؤس الملاء ممن يستحي الرد ويتورع العالم والمتقي من اخذ الزكوة

والصدقات

فالصدقات ما لم يضطر اليها تنزيها لنفسه عن الاوساخ فلو كان يستر الاخذ بنية انه ابقى لستر المروة والتعفف واصون
لنفسه من الاهانة والاذلال واعون للمعطي على الاخفاء والاسرار واسلم لقلوب الناس من الحسد وسوء الظن او يظهر
بنية الاخلاص والصدق واظهار المسكنة والعبودية والبراءة عن الكبر وتبليغ الحال واقامة سنة الشكر او غير ذلك فانه يختلف
باختلاف النيات والاشخاص والاحوال ولكل امرئ ما نوى فكل مراقب للاحوال العارف بالغوايل والمفاسد يمكنه الاخذ بالارجح
الانفع **تتميم** اعلم ان كما في المال زكوة فكذلك للبدن زكوة وهو نقصه لينمو ظهرا بالبركة لصاحبه وهذا النقص اما يكون اختيارا بان يصرف
في الطاعة ويمنع عن المعصية او اضطرارا بان يصاب بمرض وآفة قال رسول الله ص يوما لاصحابه ملعون كل مال لا يزكى ملعون
كل جسد لا يزكى ولو في كل اربعين يوما مرة قيل يا رسول الله اما زكوة المال فقد عرفناها فما زكوة الاجسام قال ان يصاب بآفة فتغيرت
وجوه الذين سمعوا منه ذلك فلما رآهم قد تغيرت الوانهم فقال هل تدرون ما عنيت بقولي فقالوا لا يا رسول الله قال ان الرجل
يخدش الخدشة وينكب النكبة ويعثر العثرة ويمرض المرضة ويشاك الشوكة وما اشبه هذا حتى ذكر في حديثه اختلاج العين و
قال ع لكل شيء زكوة وزكوة الابدان الصيام وقال الصادق ع على كل جزء من اجزائك زكوة واجبة لله عز وجل بل على كل منبت شعر بل على كل
لحظة فزكوة العين النظر بالعبرة والغض عن الشهوات وما يضاهيها وزكوة الاذن استماع العلم والحكمة والقران وفوايد الدين
من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك وبالاعراض عما هو ضده من الكذب والغيبة واشباههما وزكوة اللسان النصح للمسلمين
والتيقظ للغافلين وكثرة التسبيح والذكر وغيره وزكوة اليدين البذل والسخا بما انعم الله عليك وتحريكهما بكتب العلوم ومنافع ينتفع
بها المسلمون في طاعة الله تع والقبض عن الشرور وزكوة الرجل السعي في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر واصلاح الناس وصلة
الرحم والجهاد وما فيه اصلاح قلبك وسلامة دينك وثانيهما الخمس وقد فرضه الله على عباده وصونا لذرية نبيهم عن الافتقار وتنزيها لهم عن الصدقات
التي هي اوساخ الناس فقال سبحانه واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم
بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير والمستفاد من الاية ان مانع الخمس لا ايمان له وقال امير المؤمنين ع هلك
الناس في بطونهم وفروجهم لانهم لا يؤدون الينا حقنا ولا ريب في عظم الثواب والاجر في ادائه وايصاله الى اهله كيف وهو اعانة ذرية الرسول
وقضاء حوائجهم وقد قال رسول الله ص حقت شفاعتي لمن اعان ذريتي بيده ولسانه وماله وقال اربعة انا لهم شفيع يوم القيمة ولو جاؤا
بذنوب اهل الدنيا المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم عند اضطرارهم والمحب لهم بقلبه ولسانه وقال من صنع الى احد من اهل بيتي يدا
كافيته يوم القيمة وعن الصادق ع اذا كان يوم القيمة نادى مناد ايها الخلايق انصتوا فان محمدا يكلمكم فينصت الخلايق فيقوم النبي ص فيقول
يا معشر الخلايق من كانت له عندي يد او منة او معروف فليقم حتى اكافيه فيقولون بآبائنا وامهاتنا واي يد واي منة واي معروف لنا بل اليد
والمنة لله ولرسوله على جميع الخلايق فيقول لهم بلى من آوى احدا من اهل بيتي او برهم او كساهم من عري او اشبع جائعهم فليقم حتى اكافيه فيقوم
اناس قد فعلوا ذلك فياتي النداء من عند الله يا محمد يا حبيبي قد جعلت مكافاتهم اليك فاسكنهم من الجنة حيث شئت قال فيسكنهم في الوسيلة
حيث لا يحجبون عن محمد واهل بيته صلوات الله عليهم وقد ظهر مما تقدم بعض ما يتعلق به من الاسرار والاداب والشرايط الباطنة
وينبغي ان يكون معطيه في غاية الحذر عن استعظامه وعن المن والاذى وان يكون في غاية التخضع والتواضع للذرية العلوية عند
اعطائه اياهم ويعلم انه عبد من عباد الله اعطاه مولاه شيئا من اموال ثم امره بان يوصل قليلا منها الى ذرية نبيه وجعل له في مقابل
هذا الايصال زيادة المال في الدنيا وعظيم الاجر والثواب في العقبى فالقبيح بالعاقل مع ذلك ان يستعظم ما يعطيه ويمن على اولاد نبيه ص
ومنها الانفاق على الاهل والعيال والتوسع عليهم وهو ايضا من الواجبات على النحو المقرر في كتب الفقه وما ورد في مدحه وعظم اجره

اكثر من ان يحصى قال رسول الله صلى الله عليه وآله الكادّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله وقال صلى الله عليه وآله خيركم خيركم لاهله وقال عليه السلام المؤمن يأكل بشهوة
اهله والمنافق يأكل اهله بشهوته وقال افضل الصدقة صدقة عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول واليد العليا خير من اليد السفلى
ولا يلوم الله تعالى على الكفاف وقال عليه السلام دينار انفقته على اهلك ودينار انفقته في سبيل الله ودينار انفقته في رقبة ودينار
تصدقت به على مسكين واعظمها اجراً الدينار الذي انفقته على اهلك وقال عليه السلام ما انفق الرجل على اهله فهو صدقة وان الرجل ليؤجر
في رفع اللقمة الى في امرأته وقال عليه السلام من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهمّ بطلب المعيشة وقال عليه السلام من كان له ثلاث بنات فانفق عليهن
واحسن اليهن حتى يغنيهن الله عنه اوجب الله له الجنة الا ان يعمل عملاً لا يغفر الله له وقال يوماً لاصحابه تصدّقوا فقال رجل
ان عندي ديناراً قال انفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال انفقه على ولدك قال ان عندي آخر قال انفقه على خادمك ثم
قال ان عندي آخر قال انت ابصر به وقال عليه السلام ملعون ملعون من القى كلّه على الناس ملعون ملعون من ضيّع من يعول وقال امير المؤمنين عليه السلام
بعد ما اتاه في البيت ينقي العدس وفاطمة جالسة عند القدر اسمع مني يا ابا الحسن وما اقول الا من امر ربي ما من رجل يعين امرأته في
بيتها الا كان له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها واعطاه الله من الثواب مثل ما اعطاه الصابرين داود النبي و
يعقوب وعيسى عليهم السلام يا علي من كان في خدمة العيال في البيت ولم يأنف كتب الله اسمه في ديوان الشهداء وكتب له بكل يوم وليلة ثواب
الف شهيد وكتب له بكل قدم ثواب حجة وعمرة واعطاه الله بكل عرق في جسده مدينة في الجنة يا علي ساعة في خدمة البيت خير
من عبادة الف سنة والف حج والف عمرة وخير من عتق الف رقبة والف غزوة والف مريض عاده والف جمعة والف جنازة والف جائع يشبعهم
والف عار يكسوهم والف فرس يوجهه في سبيل الله وخير له من ان يقرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان ومن الف اسير اشتراها فاعتقها
وخير له من الف بدنة يعطي للمساكين ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة يا علي خدمة العيال كفارة للكبائر وتطفئ غضب الرب
ومهور الحور العين ويزيد في الحسنات والدرجات يا علي لا يخدم العيال الا صدّيق او شهيد او رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة
وقال السجاد عليه السلام ارضاكم عند الله اسبغكم على عياله وقال عليه السلام لان ادخل السوق ومعي دراهم ابتاع لعيالي لحماً وقد قرموا اليه احب اليّ من ان اعتق
نسمة وقال الصادق عليه السلام كفى بالمرء اثماً ان يضيّع من يعول وقال عليه السلام من سعادة الرجل ان يكون القيّم على عياله وقال الكاظم عليه السلام ان عيال الرجل اسراؤه
فمن انعم الله عليه نعمة فليوسع على اسرائه فان لم يفعل اوشك ان تزول تلك النعمة منه وقال ابو الحسن الرضا ينبغي للرجل ان يوسع على عياله
لئلا يتمنوا موته وقال صاحب النعم يجب عليه التوسعة على عياله والاخبار الواردة في ثواب الانفاق على العيال وصلتهم والتوسع عليهم لا
تعدّ كثرة وما ذكرناه كاف لايقاظ اهل الاستبصار **فصل** ينبغي لطالب الاجر والثواب في انفاق العيال ان يقصد في كدّه وسعيه
في تحصيل النفقة وفي انفاقه وجه الله وثواب الآخرة اذ لا ثواب بدون القربة وان يجتنب من تحصيل الحرام والشبهة ولا يدخل على عياله
الا الحلال اذ اخذ الحرام وانفاقه اعظم الذنوب واشد المعاصي وان يقتصد في التحصيل والانفاق فليحترز عن الاقتار لئلا يضيع عياله
وعن الاسراف لئلا يضيع عمره في طلب المال فيكون من الخاسرين الهالكين قال الله سبحانه كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال الذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً وعن الصادق عليه السلام انه تلا هذه
الآية فاخذ قبضة من حصى وقبضها بيده فقال هذا الاقتار الذي ذكره الله في كتابه ثم اخذ قبضة اخرى فارخى كفه كلها ثم قال
هذا الاسراف ثم اخذ قبضة اخرى فارخى بعضها وامسك بعضها فقال هذا القوام وينبغي ان لا يستأثر نفسه او بعض عياله
بمأكول طيب ولا يطعم سائرهم منه فان ذلك يوغر الصدور ويبعد من المعاشرة بالمعروف الا ان يضطر اليه لمرض وضعف او
نحو ذلك وينبغي ان لا يصف عندهم طعاماً ليس يريد اطعامهم اياه وان يقعد عياله كلهم على مائدة عند الاكل فقد روي ان الله

وملائكته

وملائكته يصلون على اهل بيت يأكلون في جماعة واما الامور المستحبة فاولها صدقة التطوع وفضلها وفوائدها في الدنيا والآخرة
فالاخبار فيه كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله تصدقوا ولو بتمرة فانها تسدّ من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال عليه السلام اتقوا النار
ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة وقال عليه السلام ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيباً الا كان الله
عز وجل يأخذها بيمينه فيربيها كما يربي احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال عليه السلام ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة
على تركته وقال عليه السلام كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال عليه السلام ارض القيامة نار ما خلا ظل المؤمن فان صدقته تظله وقال عليه السلام ان الله لا اله الا هو
ليدفع بالصدقة الداء والدبيلة والحرق والغرق والهدم والجنون وعدّ سبعين باباً من الشر وقال عليه السلام صدقة السر تطفئ غضب الرب جل جلاله
وقال عليه السلام اذا طرقكم سائل ذكر بليل فلا تردوه وفائدة التخصيص بالذكر والليل ان من يسأل ليلاً في صورة الانسان يحتمل ان يكون ملكاً اتاك
للامتحان كما روي انه سبحانه اوحى الى موسى بن عمران وقال يا موسى اكرم السائل ببذل او بردّ جميل انه يأتيك من ليس بانس ولا جان بل ملائكة
من ملائكة الرحمن يبلونك فيما خولتك ويسألونك فيما نولتك فانظر كيف انت صانع يا ابن عمران ولذا حثّ رسول الله صلى الله عليه وآله على عدم ردّ السائل وقال
اعط السائل ولو على ظهر فرس وقال لا تقطعوا على السائل مسألته فلولا ان المساكين يكذبون ما افلح من ردّهم وقال الباقر عليه السلام البر والصدقة ينفيان الفقر
ويزيدان في العمر ويدفعان عن صاحبهما سبعين ميتة سوء وقال الصادق عليه السلام داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء واستنزلوا الرزق
بالصدقة فانها تفك من بين لحي سبعين سبعمائة شيطان وليس شيء اثقل على الشيطان من الصدقة على المؤمن وهي تقع في يد الرب قبل
ان تقع في يد العبد وقال عليه السلام الصدقة باليد تقي ميتة السوء وتدفع سبعين نوعاً من البلاء ويفك عن لحي سبعين شيطاناً كلهم يأمره ان لا يفعل
وقال يستحب للمريض ان يعطي السائل بيده ويأمروا ان يدعو له وقال عليه السلام باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطاها ومن تصدق بالصدقة اول النهار دفع
الله عنه شر ما ينزل من السماء في ذلك اليوم فان تصدق اول الليل دفع الله شر ما ينزل من السماء في تلك الليلة وكان عليه السلام اذا اعتم اي صلى العتمة العتمة
وذهب من الليل شطره اخذ جراباً فيه خبز ولحم ودراهم وحمله على عنقه ثم ذهب الى اهل الحاجة من اهل المدينة فقسمه فيهم ولا يعرفونه
فلما مضى عليه السلام فقدوا ذلك فعلموا انه كان ابا عبد الله عليه السلام وسئل عليه السلام عن السائل يسأل ولا يدرى ما هو فقال اعط من وقع في قلبك الرحمة له
وقال عليه السلام في السؤال ثلاثة اعطوا ثلاثة وان شئتم ان تزدادوا فازدادوا والا فقد اديتم حق يومكم وقال عليه السلام في الرجل يعطي غيره الدراهم يقسمها
قال يجري له من الاجر مثل ما يجري للمعطي ولا ينقص من اجره شيئاً ولو ان المعروف جرى على سبعين يداً لاوجروا كلهم من غير ان ينقص من اجر صاحبه
شيء وقد ورد اخبار كثيرة في فضل تصدق الماء وثوابه قال امير المؤمنين عليه السلام اول ما يبدأ به في الآخرة صدقة الماء يعني في الاجر وقال ابو جعفر عليه السلام ان
الله تعالى يحب ابراد الكبد الحراء ومن سقى كبداً حراء من بهيمة وغيرها اظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وقال الصادق عليه السلام من سقى الماء في موضع
يوجد فيه الماء كان كمن اعتق رقبة ومن سقى الماء في موضع لا يوجد فيه الماء كان كمن احيا نفساً ومن احيا نفساً فكأنما احيا الناس جميعاً تنبيه
سئل رسول الله صلى الله عليه وآله اي الصدقة افضل قال ان تتصدق وانت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا **فصل** لا كلام في ان الاسرار بالصدقة المندوبة افضل من اظهارها للمعطي اعطاء وقد قال الصادق عليه السلام
الصدقة في السر والله افضل من الصدقة في العلانية وقوله كلما فرض الله عليك فاعلانه افضل من اسراره وكل ما كان تطوعاً فاسراره افضل
من اعلانه وانما الكلام في ان الافضل للآخذ اخذها ان يأخذها سراً او علانية فقيل الافضل له اخذها خفية لانه ابقى للتعفف وستر المروة
واسلم لقلوب الناس والسنتهم من الحسد وسوء الظن والغيبة واعون للمعطي على اسرار العمل وقد علمت افضلية السر على الجهر في الاعطاء و
اصون لنفسه عن الاذلال والاهانة واخلص من شوب شركة الحضار فان المستفاد من الاخبار ان الحضار شركاء من اهدي له الهدية
والصدقة مثلها اذا كان الحضار من اهلها قال رسول الله صلى الله عليه وآله من اهدي له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وقال الباقر عليه السلام جلساء الرجل

شركاؤه في الهدية وقال اذا اهدي الى الرجل هدية من طعام وعنده قوم فهم شركاؤه في الهدية الفاكهة او غيرها وقيل الافضل اخذها علانية
والتحدث بها لنفي الكبر والرياء وتلبيس الحال والجابر للاخلاص والصدق واقامة سنة الشكر واسقاط الجاه والمنزلة والعبودية
والمسكنة مع ان العارف ينبغي له ان لا ينظر الا الى الله والسر والعلانية في حقه واحد فاختلاف الحال شرك في التوحيد والحق ان الحكم بافضلية
احدهما على الاطلاق غير صحيح اذ تختلف افضلية كل منهما باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الاحوال والاشخاص فينبغي لطالب
السعادة ان يراقب نفسه ويلاحظ حاله ووقته ويرى ان اي الحالتين من السر والجهر بالنظر اليه اقرب الى الخلوص عن الغرض والبعد
من الرياء والتلبيس وساير الافات فيختار ذلك ولا يتمثل بالحيل الغرور ولا يتخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان مثلا اذا كان طبعه
مائلا الى الاسرار وكان باعث هذا الميل حفظ الجاه والمنزلة وخوف سقوط القدر من اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين
الازدراء والى المعطي كونه منعما محسنا اليه او خوف ان لا يعطيه الناس بعد ذلك لعلمهم باخذه فلينتقل عن الاسرار ويأخذها
علانية اذ لو ابقى نفسه على ما استكن فيه من الداء الدفين وعمل بمقتضاه صار هالكا وان كان طبعه مائلا الى الاسرار وايقن
بان باعث الميل اليه ابقاء التعفف وستر المروة وصيانة الناس عن الحسد وسوء الظن والغيبة ولم يكن باعثه شيء من المفاسد المذكورة
فالاولى ان ياخذها سرا ايضا ويعرف بان يكون تألمه بانكشاف اخذه للصدقة كتألمه بانكشاف صدقة واخذها بعض اقرانه
واخوانه المؤمنين فانه ان كان طالبا لبقاء السر واعانة المعطي على الاسرار وصيانة العلم عن الابتذال وحفظ الناس عن الحسد والغيبة
وسوء الظن فينبغي ان يكون طالبا لها في صدقة اخيه ايضا لحصول ما يحذره من هتك الستر وابتذال العلم ووقوع الناس في الغيبة
والحسد بانكشاف صدقة اخيه ايضا فان كان انكشاف صدقته اثقل عليه من انكشاف صدقة غيره فتقديره الحذر من هذه المعاني
تلبيس من النفس ومكر من الشيطان واذا كان طبعه مائلا الى الاظهار ووجد ان باعث هذا الميل هو التطييب لقلب المعطي والاستحثاث
له على مثله والاظهار للغير بانه من المبالغين في الشكر حتى يرغبوا في الاحسان اليه فليتنبه ان هذا من الداء الدفين الذي يهلكه لو لم
يعالجه فليترك اخذها جهرا والتحدث بها وينتقل الى الاخذ خفية وان تيقن من نفسه بان الباعث هو اقامة السنة في الشكر والتحدث
بالنعمة او اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة او غير ذلك من المقاصد الصحيحة من دون تطرق شيء من المفاسد
المذكورة فالاظهار افضل ويعرف ذلك بان يميل نفسه الى الشكر حيث لا ينتهي الخبر الى المعطي ولا الى من يرغب في عطائه وبين يدي
جماعة يعلم انهم يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم ان لا يعطوها الا من يخفيها ولا يتحدث بها ولا يشكر عليها
ثم اذا جزم بكون الباعث اقامة السنة في الشكر فلا ينبغي ان يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر انه ان كان ممن يحب الشكر والنشر
فينبغي الاخفاء وعدم الشكر لان قضاء حقه ان لا ينصره على الاثم وان كان ممن لا يحب الشكر ولا يطلب النشر فالاولى ان يشكره ويظهر صدقته وينبغي
لكل من يريد تحصيل الاخلاص ان يلاحظ هذه الدقايق ولا يهملها اذ اعمال الجوارح مع اهمالها ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب فيها مع عدم
نفع لها والعلم بهذه الدقايق وملاحظتها هو العلم الذي ورد فيه ان تعلم مسئلة واحدة منه افضل من عبادة سنة اذ بهذا
العلم يحيى عبادة العمر وبالجهل يموت عبادة العمر وثانيها الهدية وهو ما يعطى ويرسل الى اخيه المسلم فقيرا كان او غنيا طلبا للاستيناس
وتأكيد الصحبة والتودد وهو مندوب اليه من الشرع ومع سلامة القصد والنية يكون عبادة قال رسول الله صلى الله عليه وآله
تهادوا تحابوا فانها تذهب بالضغاين وقال ص لو اهدي الي ذراع لقبلت وقال امير المؤمنين ع لان اهدي لاخي المسلم هدية احب
الي من ان اتصدق بمثلها وقال الصادق ع من تكرمة الرجل لاخيه المسلم ان يقبل تحفته ويتحفه بما عنده ولا يتكلف له شيئا وثالثها
الضيافة وثوابها جزيل واجرها جميل وفضلها عظيم وتركها جسيم قال رسول الله ص لا خير فيمن لا يضيف ومر ص برجل له ابل

وبقر

وبقر فلم يضفه ومر بامراة لها شويهات فذبحت له فقال ص انظروا اليهما فانما هذه الاخلاق بيد الله عز وجل فمن شاء ان يمنحه
خلقا حسنا فعل وقال ص الضيف اذا جاء فنزل بالقوم جاء برزقه معه من السماء فاذا اكل غفر الله لهم بنزوله وقال ما من ضيف
حل بقوم الا ورزقه في حجره وقال من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال لا يزال امتي بخير ما تحابوا وادوا الامانة
واجتنبوا الحرام واقروا الضيف واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط وقال ص اذا اراد الله بقوم
خيرا اهدى اليهم هدية قالوا وما تلك الهدية قال الضيف ينزل برزقه ويرتحل بذنوب اهل البيت وقال ص كل بيت لا يدخل فيه
الضيف لا يدخله الملائكة وقال الضيف دليل الجنة وقال امير المؤمنين ع ما من مؤمن يحب الضيف الا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر
ليلة البدر فينظر اهل الجمع فيقولون ما هذا الا نبي مرسل فيقول ملك هذا مؤمن يحب الضيف ويكرمه ولا سبيل له الا ان دخل الجنة
وقال ع ما من مؤمن يسمع بهمس الضيف وفرح بذلك الا غفرت له خطاياه وان كانت مطبقة بين السماء والارض وبكى ع يوما
فقيل له ما يبكيك قال لم ياتني ضيف سبعة ايام اخاف ان يكون الله قد اهانني وعن محمد بن قيس عن ابي عبد الله ع قال ذكر
اصحابنا فقلت والله ما اتغدى ولا اتعشى الا ومعي منهم اثنان او ثلثة او اقل او اكثر فقال ع فضلهم عليك اكثر من
فضلك عليهم فقلت جعلت فداك كيف وانا اطعمهم طعامي وانفق عليهم من مالي ويخدمهم خادمي فقال اذا دخلوا عليك دخلوا
من الله بالرزق الكثير واذا خرجوا خرجوا بالمغفرة وكان ابراهيم الخليل ع اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من يتغدى معه
وكان يكنى ابا الضيفان وجميع الاخبار الواردة في فضيلة اطعام المؤمن وسقيه يدل على فضيلة الضيافة كقوله ص بعد سؤاله
عن الحج المبرور هو اطعام الطعام وطيب الكلام وقوله ص من اطعم ثلثة نفر من المسلمين اطعمه الله من ثلث جنان في ملكوت السموات
الفردوس وجنة عدن وطوبى شجرة تخرج في جنة عدن غرسها ربنا بيده وقول الصادق ع من اشبع مؤمنا وجبت له الجنة وقوله
من اطعم مؤمنا حتى يشبعه لم يدر احد من خلق الله ما له من الاجر في الاخرة لا ملك ولا نبي مرسل الا الله رب العالمين وسئل ص
ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل السلام وقال ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام
واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال من احب الاعمال الى الله اشباع جوعة المؤمن وتنفيس كربته وقضاء دينه
وقال ان الله يحب الاطعام في الله ويحب الذي يطعم الطعام في الله والبركة في بيته اسرع من الشفرة في سنام البعير وقال خيركم من اطعم الطعام
وقال من اطعم الطعام اخاه المؤمن حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة
خمسمائة عام وفي الخبر ان الله تعالى يقول للعبد في القيمة يا ابن ادم جعت فلم تطعمني فيقول كيف اطعمك وانت رب العالمين
فيقول جاع اخوك فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال ع من سقى مؤمنا ظمأنا سقاه الله من الرحيق المختوم وقال ع من
سقى مؤمنا شربة من ماء من حيث يقدر على الماء اعطاه الله بكل شربة سبعين الف حسنة وان سقاه من حيث لا يقدر
على الماء فكانما اعتق عشر رقاب من ولد اسمعيل **فصل** ينبغي ان يقصد في ضيافته التقرب الى الله والتسنن بسنة رسول
الله واستمالة قلوب الاخوان وادخال السرور على قلوب المؤمنين ولا يقصد به الرياء والمفاخرة والمباهاة والاصطناع
وان يدعو الفقراء والاتقياء وان كانت ضيافة الاغنياء ومطلق الناس فضيلة ايضا وينبغي ان لا يهمل في ضيافته الاقارب
والجيران اذ اهمالهم قطع رحم وايحاش وان لا يدعو من يعلم انه يشق عليه الاجابة وينبغي ان يعجل في احضار الطعام لانه
من اكرام الضيف وقد ورد ان العجلة من الشيطان الا في خمسة اشياء فانها من سنة رسول الله اطعام الضيف
وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الدين والتوبة من الذنب وان يحضر من الطعام قدر الكفاية اذ التقليل عنه نقص

في المروة والزيادة عليه تضييع وان يسعى في اكرام الضيف من طلاقة الوجه وطيب الكلام معه عند دخوله وخروجه وعلى المائدة
والخروج معه الى باب الدار اذا خرج قال ان من سنة الضيف ان تشيعه الى باب الدار ومما ينبغي له ان لا يستخدم الضيف قال
الباقر م من الجفا استخدام الضيف وكان عند الرضا ع ضيف فكان يصلح بعض الحوائج فنهاه عن ذلك وقام بنفسه
الى تلك الحاجة وقال رسول الله ص نهى ان يستخدم الضيف **فصل** ينبغي لكل مؤمن ان يجيب دعوة اخيه الى الضيافة من غير
ان يفرق بين الغني والفقير بل يكون اسرع اجابة الى دعوة الفقير وان لا يمنعه بعد المسافة عن الاجابة اذا امكن احتمالها عادة
قال رسول الله ص اوصي الشاهد من امتي والغايب ان يجيب دعوة المسلم ولو على خمسة اميال ولا يمنع صوم التطوع عن
الاجابة بل الخير ان علم سرور اخيه بالافطار فليفطر وليحتسب في افطاره افضل ما يحتسب في صومه قال الص م من دخل على اخيه و
هو صائم فافطر عنده ولم يعلمه بصومه فيمن عليه كتب الله صوم سنة وان علم انه متكلف ولا يسر بافطاره فليتعلل وينبغي
ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن ليدخل على امور الدنيا بل ينوي الاقتداء بسنة رسول الله واكرام اخيه المؤمن ليكون
في عمله مطيعا لله مثابا في الاخرة وان لا يجيب عن الاجابة اذا كان الداعي من الظلمة والفساق او كان ضيافته للفخر والمباهاة
او كان طعامه حراما او شبهة او لم يكن موضعه او بساط المفروش حلالا او كان في الموضع شيء من المنكرات كاناء فضة او تصوير
حيوان على سقف او حائط او احد الات اللهو من المزامير واما لهاو التشاغل على شيء من اللهو واللعب والهزل وكل ذلك
ما يمنع الاجابة ويوجب تحريمها او كراهيتها قال الص م لا ينبغي للمؤمن ان يجلس مجلسا يعصى الله تع فيه ولا يقدر على تغييره و
من اكل الحضور طعام ظالم اكراها او تقية فليقلل الاكل ولا ياكل اطايب الطعم وينبغي للضيف انه اذا دخل الدار ان لا يتصدر
ولا يقصد احسن الاماكن بل يتواضع ويرضى بالدون من المجلس وان اشار اليه صاحب الدار بموضع فلا يخالفه ويجلس فيه وان
اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع او الانحطاط وان لا يجلس في مقابلة باب حجرة النسوان ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج
منه الطعام فانه دليل الشره وخسة النفس وان يخص بالتحية والسؤال اولا من يقرب منه وينبغي لمن دعي الى الضيافة ان
لا يطول الانتظار عليهم ولا يعجل بحيث يفاجئهم قبل تمام الاستعداد ورابعها الحق المعلوم وحق الحصاد والجداد
والمراد من الاول ما يفرضه الرجل ويقدره في ماله من قليل او كثير غير الصدقات الواجبة يعطيه محتاجا او يصل به رحما والمراد
بالثاني ما يعطى الى الفقراء من الضغث بعد الضغث اي القبضة بعد القبضة من الزرع يوم حصاده ومن الحفنة بعد الحفنة
اي ملاءة الكف من التمر او الحنطة او غيرهما من الثمار والفواكه والحبوب عند قطعها وتصفيتها وهذان النوعان من الانفاق
معدودان في صدقة التطوع وحكمه وخصوصها اخبار كثيرة لشدة استحبابها قال ان الله فرض للفقراء في اموال الاغنياء
فريضة لا يحمدون الا بادائها وهي الزكوة بها حقنوا دماءهم وبها سموا مسلمين ولكن الله فرض في اموال الاغنياء حقوقا غير الزكوة
فقال تع في اموالهم حق معلوم والحق المعلوم غير الزكوة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه ان يفرضه على قدر
طاقته وسعة ماله فيؤدي الذي فرض على نفسه ان شاء كل يوم وان شاء كل جمعة وان شاء كل شهر وقال الحق المعلوم ليس
من الزكوة هو الشيء تخرجه من مالك ان شئت كل جمعة وان شئت كل شهر ولكل ذي فضل فضله قال الله تع والذين في اموالهم
حق معلوم فالحق المعلوم غير الزكوة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه انه في ماله ويجب عليه ان يفرضه بقدر طاقته وقال ان عليكم
في اموالكم غير الزكوة فقال الراوي وما علينا في اموالنا غير الزكوة قال سبحان الله اما تسمع الله تع يقول والذين في اموالهم حق
معلوم للسائل والمحروم قال قلت فما الحق المعلوم فقال هو والله الشيء يعلمه الرجل في ماله يعطيه في اليوم او في الجمعة او

الشهر قل

الشهر قل او كثر غير انه يدوم عليه وقال في قول الله تع في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم هو الرجل يؤتيه الله الثروة من
المال فيخرج منه الالف والالفين والثلثة الاف والاقل والاكثر فيصل به رحمه ويحمل به الكل عن قومه وقال في الزرع حقان حق تؤخذ
به وحق تعطيه اما الذي تؤخذ به فالعشر ونصف العشر واما الذي تعطيه فيقول الله تع واتوا حقه يوم حصاده يعني من
حصدك الشيء ثم الشيء والضغث ثم الضغث حتى تفرغ وقال لا تصرم بالليل ولا تحصد بالليل ولا تضح بالليل ولا تبذر بالليل
فانك ان فعلت ذلك لم ياتك القانع والمعتر قال الراوي وما القانع والمعتر قال القانع الذي يقنع بما اعطيته والمعتر الذي
يمر بك فيسألك وان حصدت بالليل لم ياتك السؤال وهو قول الله تع واتوا حقه يوم حصاده عند الحصاد يعني عند القبضة
بعد القبضة اذا حصدته واذا خرج فالحفنة بعد الحفنة وكذلك عند الصرام وكذلك عند البذر ولا تبذر بالليل لانك تعطي
من البذر كما تعطي من الحصاد وقال الباقر م في قول الله تع واتوا حقه يوم حصاده هذا من الصدقة تعطي المسكين القبضة
بعد القبضة ومن الجداد الحفنة بعد الحفنة حتى يفرغ وفي مضمون هذه الاخبار اخبار كثيرة اخر وخامسها القرض وهو ايضا
من ثمرات السخاء لان السخي يسمح نفسه بان يقرض اخاه المحتاج بعض امواله الى حين استطاعته كما يسمح نفسه بان يبذل اليه اصل ماله
والبخيل يشق عليه ذلك وثواب القرض عظيم وفضله جسيم قال الباقر م من اقرض رجلا قرضا الى ميسرة كان ماله في زكوة وكان هو
في الصلوة مع الملئكة حتى يقبضه وقال الص م مكتوب على باب الجنة الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وقال ما من مؤمن
اقرض مؤمنا يلتمس به وجه الله الا حسب الله اجره بحساب الصدقة حتى يرجع ماله اليه يعني اعطاه الله بكل ان اجر صدقة وذلك
لان له اقتضاءه في كل ان فلما لم يفعل فكانما اعطاه ثانيا وثالثا وهلم جرا الى ان يقبضه وقال لا تمنعوا قرض الخمير والخبز و
اقتباس النار فانه يجلب الرزق على اهل البيت مع ما فيه من مكارم الاخلاق وقال لا تمانعوا قرض الخمير والخبز فان منعهما يورث
الفقر وسادسها انظار المعسر والتحليل وهو ايضا من انواع البذل المترتب على السخاء وحكمه وفي فضله اخبار كثيرة قال الص م
من اراد ان يظله الله يوم لا ظل الا ظله فلينظر معسرا او ليدع له من حقه وقال ان رسول الله قال في يوم حار وقبض كفه اي لوآها
من احب ان يستظل من فور جهنم قالها ثلث مرات فقال الناس في كل مرة نحن يا رسول الله فقال من انظر غريما او ترك المعسر وقال م
صعد رسول الله المنبر ذات يوم فحمد الله واثنى عليه وصلى على انبيائه ثم قال ايها الناس ليبلغ الشاهد الغايب منكم الا ومن
انظر معسرا كان على الله في كل يوم ثواب صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه وقيل له ان لعبد الرحمن بن سنان دينا على رجل قد مات
وكلمناه ان يحلله فابى فقال ويحه اما تعلم ان له بكل درهم عشرة اذا حلله فان لم يحلله فانما له درهم بدل درهم وفي معناه اخبار كثيرة
اخر وسابعها غير ما ذكر من وجوه الاعانة بالمسلم كبذل الكسوة والسكنى وحمله على الدابة واعطائه الماعون واعارة المتاع
وسائر ما يحتاج اليه واطراف العمل وغير ذلك فان جميع ذلك من ثمرات السخاء ومنعها من نتائج البخل ولكل واحد منها فضيلة
وثواب وقد ورد في فضيلة كل منها اخبار وما يدل على فضل كسوة المؤمن قول الباقر م لان احج حجة احب الي من ان اعتق رقبة
ورقبة ورقبة حتى انتهى الى عشرة ومثلها ومثلها حتى انتهى الى سبعين ولان اعول اهل بيت من المسلمين اشبع جوعتهم واكسو
عورتهم واكف وجوههم عن الناس احب الي من ان احج حجة وحجة وحجة حتى انتهى الى عشرة وعشرة ومثلها ومثلها حتى انتهى الى سبعين وقال
الص م من كسا اخاه كسوة شتاء او صيف كان حقا على الله ان يكسوه من ثياب الجنة وان يهون عليه من سكرات الموت وان
يوسع عليه في قبره وان يلقى الملئكة اذا خرج من قبره بالبشرى وهو قول الله تع في كتابه وتتلقيهم الملئكة هذا يومكم الذي
كنتم توعدون وقال من كسا احدا من فقراء المسلمين ثوبا من عري او اعانه بشيء مما يقوته من معيشته وكل به سبعة الاف ملك

من الملئكة يستغفرون لكل ذنب عمله الى ان ينفخ في الصور ومنها ما يبذل لوقاية العرض وحفظ الجاه ودفع شر الاشرار وظلم الظلمة فان السخي لا يقصر في شيء من ذلك والبخيل ربما امتنع عن ذلك فاهتك عرضه وذهب جاهه وفي بعض الاخبار دلالة على ان البذل لذلك صدقة حيث قال ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وكذا بذل ما يقتضيه المروة والعادة من ثمرات الجود والسخاء

ومن منعه كان بخيلا وثانيها صرفه فيما ينفع في المنافع العامة والخيرات الجارية من بناء المساجد والمدارس والربط والقناطر واجراء القنوات وامثال ذلك مما يبقى اثره بعد الموت ويصل نفعه وثوابه الى صاحبه كل وقت الى يوم القيمة ولا يخفى ثواب ذلك

والاخبار الواردة في مدحه وفضيلته اكثر من ان تحصى ولا حاجة الى ذكرها لاشتهارها بين الناس تنبيه اعلم ان لفظ الانفاق والمعروف والبر يتناول جميع ما تقدم من الانفاقات الواجبة والمستحبة والفرق بينها ان الانفاق خاص بالمال

والمعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب اليه والاحسان الى الناس وكل ما ندب اليه الشرع من فعل وترك وهو من الصفات الغالبة اي امر معروف بين الناس اذا راوه لا ينكرونه والغالب في الاخبار ارادة ما يتعلق بالمال من معانيه والبر كالمعروف في شموله لجميع اعمال الخير في الاصل والا نصراف اطلاقه غالبا في الاخبار الى ما يتعلق بالمال من وجوه الانفاقات المتقدمة باسرها وربما خص بما سوى الصدقة منها ما ورد ان البر والصدقة ينفيان الفقر ويزيدان في العمر والظاهر ان هذا من الجمع لذكر الخاص بعد العام

فالوجه للتخصيص ثم الصدقة يتناول جميع ما تقدم من وجوه الانفاق سوى المروة وعلى ان تقديم الاية والاخبار ان ملوته من الايات والاخبار في فضيلة مطلق الانفاق والمعروف والبر يدل على فضيلة كل واحد مما تقدم من وجوه الانفاق كقوله سبحانه انفقوا من طيبات ما كسبتم وقوله وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون

وقوله واتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى الاية وما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين الخ وقوله يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقوله مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل الاية وقوله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقول رسول الله اول من يدخل الجنة المعروف واهله واول من يرد الحوض وقوله ص ان البركة اسرع الى البيت الذي يمتار منه المعروف من الشفرة الى سنام البعير ومن السيل الى منتهاه وقول الباقر ع ان من احب عباد الله الى الله لمن حبب اليه المعروف وحبب اليه فعاله وقول الصادق ع ان من بقاء المسلمين وبقاء الاسلام ان يصير الاموال عند من يعرف فيها الحق ويصنع المعروف وان من فناء الاسلام وفناء المسلمين ان يصير الاموال في ايدي من لا يعرف فيها الحق ولا يصنع فيها المعروف وقوله ع رايت المعروف كاسمه وليس شيء افضل من المعروف الا ثوابه وقوله ع ثلثة اذا تعلمها المؤمن كانت زيادة في عمره وبقاء النعمة عليه تطويله في ركوعه وسجوده في صلوته وتطويله لجلوسه على طعامه اذا اطعم على مائدته واصطناعه المعروف الى اهله وقوله ع اقيلوا لاهل المعروف عثراتهم واغفروا لهم فان كف الله عليهم هكذا واومى بيده كانه يظلل بها شيئا وقوله ع صنايع المعروف تقي مصارع السوء

وقال ان للجنة بابا يقال له المعروف لا يدخله الا اهل المعروف واهل المعروف في الدنيا هم اهل المعروف في الاخرة يعني كانهم يصنعون المعروف في الدنيا كذلك يصنعونه في الاخرة يهبون حسناتهم لمن شاؤا كما قال الصادق ع في خبر اخر يقال لهم ان ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم وادخلوا الجنة وقال ع لاصحابه قالوا ما ذلك يا رسول الله قال اما انا وانتما ان اصحاب المعروف في الدنيا عرفوا بمعروفهم فبم يعرفون في الاخرة فقال ان الله اذا ادخل اهل الجنة الجنة امر ريحا عبقة طيبة فلزقت باهل المعروف فلا يمر احدهم بملاء من اهل الجنة الا وجدوا ريحه فقالوا هذا من اهل المعروف ومنها اي ومن ذلك

القوة الشهوية

القوة الشهوية طلب الحرام وعدم الاجتناب عنه ولا ريب في كونه من توابع حب الدنيا والحرص عليها وهو اعظم المهلكات وبه هلك اكثر من هلك من الناس وهو مانع عن السعادة لاجلة ومنعه عن توفيق الوصول الى الله بسببه ومن تامل يعلم ان اكل الحرام اعظم الحجب للعبد من نيل درجة الابرار وهو المانع له من الوصول الى عالم الانوار وهو الموجب لظلمة القلب وكدورته وهو الباعث لخبثه وغفلته وهو العلة العظمى لخسران النفس وهلاكها وهو السبب الاقوى لضلالتها وجنايتها وهو الذي انساها وهو الذي اهواها في مهاوي الضلالة والردى وما للقلب المتكون من الحرام والاستعداد لفيوضات عالم القدس واني للنطفة الحاصلة منه والوصول الى مراتب الانس كيف يدخل النور والضياء الظلمة الحاصلة من الحرام وكيف تحصل الطهارة والصفاء للنفس من قذارة المشتبهات ولامرها اصبحت اصحاب الشرع واساطين الدين يحذرون عنه غاية التحذير وزاجرين منه اشد الزجر قال رسول الله ص ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل اي نافلة ولا فريضة وقال ص من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال كل لحم نبت من حرام فالنار اولى به وقال ص من اصاب مالا من ماثم فوصل به رحما او تصدق به او انفقه في سبيل الله جمع الله ذلك جميعا ثم ادخله في النار وقال ص ان اخوف ما اخاف على امتي من بعدي هذه المكاسب الحرام والشهوة الخفية والربوا وقال من اكتسب مالا من الحرام فان تصدق به لم يقبل منه وان تركه كان زاده الى النار وقال ص اذا اكتسب الرجل مالا من غير حله ثم حج فلبى نودي لا لبيك ولا سعديك وان كان من حله نودي لبيك وسعديك وقال ص كسب الحرام يبين في الذرية وقال الصادق ع في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ان اعمالهم كانت اشد بياضا من القباطي فيقول الله تعالى لها كوني هباء وذلك انهم كانوا اذا شرع لهم حرام اخذوه وقال الكاظم ع ان الحرام لا ينمى وان نمى لم يبارك فيه وما انفقه لم يوجر عليه وما خلفه كان زاده الى النار وفي بعض الاخبار ان العبد يوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى تفنى تلك المطالبات تمام اعماله فلا يبقى له حسنة فينادي الملئكة هذا الذي اكل عياله حسناته في الدنيا وارتهن اليوم باعماله وورد ان اهل الرجل واولاده يتعلقون به يوم القيمة فيوقفونه بين يدي الله ويقولون ما ربنا خذ لنا بحقنا منه فانه ما علمنا بالجهل وكان يطعمنا من الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه

فصل ينبغي لطالب النجاة ان يفر من الحرام فراره من الاسد ويحترز منه احترازه من الحية السوداء بل اشد واني يمكنه ذلك في امثال زماننا التي لم يبق فيها من الحلال الا الماء الفرات والعشب والحشيش النابت في ارض الموات وما عداه قد اخبثته الايدي العادية والمعاملات الفاسدة فما من درهم الا وقد غصب من اهله مرة بعد اولى وما من دينار الا وقد خرج من ايدي من اخذه قهرا كرة بعد اولى والمياه والاراضي من اهلها مغصوبة فاني يمكن القطع بحلية الاقوات واكثر المواشي والحيوانات من اهلها منهوبة فاين يتاتى القطع بحلية اللحوم والالبان والدسوم تصحيحات ذلك هي من تاجر الا ومعاملته مع الظلمة وما من ذي عمل الا وهو يخالط مع الجائرين من عمال السلاطين وبالجملة الحلال في امثال زماننا مفقود والسبيل دون الوصول اليه مسدود ولعمري ان فقده افحم في الدين خرقها وثارا استتارا في الخلق شرها والظاهر ان اكثر الاعصار كان حالها كذلك ولذلك قال الامام جعفر بن محمد الصادق ع المؤمن ياكل في الدنيا بمنزلة المضطر وقال رجل للكاظم ادع الله جل وعز ان يرزقني الحلال فقال اتدري ما الحلال قال الكسب الطيب فقال كان علي بن الحسين ع يقول الحلال قوت المصطفين ولكن قل اسئلك من رزقك الواسع ومع ذلك كله لا ينبغي للمؤمن ان ييأس من تحصيل الحلال ويترك الفرق والفصل بين الاموال فان الله سبحانه اجل واعظم من ان يكلف عباده باكل الحلال ويسد عنهم طريق تحصيله

فصل اعلم ان الاموال على اقسام ثلثة حلال بين وحرام بين وشبهات بين ذلك ولكل منها درجات فان الحرام وان كان كله خبيثا الا ان بعضه اخبث من بعض فان ما يوخذ بالمعاملة الفاسدة مع التراضي لفقد شرط كالبيع الذي يوخذ قهرا وكذا الحلال وان كان كله طيبا الا ان بعضه اطيب من بعض والشبهة كلها مكروهة ولكن بعضها اشد كراهة من بعض وكان الطبيب يحكم على كل حلو بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولى وبعضها

في الثانية وبعضها في الثالثة وبعضها في الرابعة فكذا الحرام بعضها خبيث في الدرجة الاولى وبعضها في الثانية وبعضها في الثالثة والرابعة كذلك درجات الحلال في الصفا والطيبة ودرجات الشبهة في الكراهة ثم الحرام اما لعينه كالكلب والخنزير والتراب وغيرها من المحرمات العينية او لصفة حادثة فيه كالخمر لاسكاره والطعام المسموم لسميته او لخلل في جهة اثبات اليد عليه ولاقسام غير محصورة كالماخوذ بالظلم والقهر والغصب والسرقة والخيانة في الامانة وغيرها والغش والتدليس والرشوة والبخس في الوزن والكيل او باحد المعاملات الفاسدة من الربوا والصرف والاسكار وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه وقد نهى الله سبحانه عن جميع ذلك في آيات كثيرة كقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وقوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وعن خصوص الربوا بقوله يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين ثم قال فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس اموالكم ثم قال ومن عاد فاولئك اصحاب النار جعل اكل الربوا في اول الامر مؤذنا بالمحاربة لله وفي اخره متعرضا للنار وقد ورد في الذم والتشديد على كل واحد منها بالخصوص اخبار كثيرة وهي في كتب الاخبار والفقه مذكورة وتفصيل جميع المحرمات موكول الى كتب الفقه وليس هيهنا موضع بيانه فليرجع فيه الى فتاوى الفقهاء وربما يتوهم الاشتباه في بعض الموارد بين الرشوة والهدية فلنشر الى جلية الحال فيها فنقول هيهنا صور الاولى ان يسلم احد شيئا او مالا الى بعض اخوانه لطلب الاستيناس وتاكيد الصحبة والتودد وتكون هذه هدية وحلالا سواء قصد به الثواب في الاخرة والتقرب الى الله تعالى ايضا او لم يقصد به الثواب بل قصد مجرد الاستيناس والتودد الثانية ان يقصد بالبذل عوضا ماليا معينا في العاجل كان يهدي الفقير الى الغني شيئا طمعا في عوض اكثر او مساو من ماله وهذا ايضا نوع هدية وحقيقته يرجع الى هبة بشرط العوض وحل اذا وفى بما طمع من العوض والا ففي حليته … قال الصادق ع الربوا ربوان ربا يؤكل وربا لا يؤكل فاما الذي يؤكل فهديتك الى الرجل تطلب منه الثواب افضل منها فذلك الربوا الذي يؤكل وهو قول الله تعالى وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله واما الذي لا يؤكل فهو الذي نهى الله عنه واوعد عليه النار وعنه ع قال قال رسول الله ص الهدية على ثلثة اوجه هدية مكافاة وهدية مصانعة وهدية لله عز وجل وفي بعض الاخبار نوع اشعار بالحل وان لم يتحقق الوفاء بما يطمع من العوض كخبر اسحق بن عمار عن الصادق ع قال قلت له الرجل الفقير يهدي الي الهدية يتعرض لما عندي فآخذها ولا اعطيه شيئا ايحل لي قال نعم هي لك حلال ولكن لا تدع ان تعطيه وهل يحل مع اعطائه العوض المطموع فيه اذا لم يكن من ماله بل كان من الاموال التي اعطيته الناس ليصرفه الى الفقراء من الزكوة والاخماس وسائر وجوه البر والظاهر الحل اذا كان المهدي من اهل الاستحقاق والمهدى معطيا اياه وان لم يكن ليهدي له شيئا وفيه تامل كما يظهر بعد ذلك الثالثة ان يقصد به الاعانة بعمل معين كالمحتاج الى السلطان او في شوكته يهدي الى وكيله او من له مكانة عنده الى ذلك العمل فان كان حراما كالسعي في تنجز ادرار حرام او ظلم انسان او غير ذلك او واجبا كدفع ظلم او استخلاص حق يجب الدفع والاستخلاص او شهادة معينة او حكم شرعي يجب عليه او امثال ذلك فهي رشوة محرمة يحرم اخذها وان كان العمل مباحا لا حراما ولا واجبا فان كان فيه تعب بحيث جاز الاستيجار عليه فما ياخذه حلال وجار مجرى الجعالة كان يقول اوصل هذه القصة الى السلطان ولك دينار او ادفع على فلان ان يعينني على كذا او توقف تنجز غرضه على تعب او كلام طويل فما ياخذه في جميع ذلك صحيح اما كان الغرض مشروعا مباحا وهو مثل ما ياخذه وكيل القاضي للخصومة بين يديه بشرط ان لا يتعدى عن الحق وان لم يكن العمل مما فيه تعب بل كان مثل كلمة او فعلة لا تعب فيها اصلا ولكن كانت تلك الكلمة او تلك الفعلة من ذي حشمة مفيدة لكونه ذا منزلة كقوله للا د عند باب السلطان افتح الباب فقال بعض العلماء الاشفق ان هذا حرام اذ لم يثبت في الشرع جواز ذلك ولو قرب من هذا اخذ الطبيب العوض على كلمة واحدة ينبه بها على دواء ينفرد بمعرفته وفيه نظر اذ الظاهر جواز هذا الاخذ مع مشروعية الغرض وعدم كونه واجبا عينيا

الرابعة

الرابعة ان يطلب به حصول التودد والمحبة ولكن لا من حيث انه تودد فقط بل ليتوصل بجاهه الى اغراض ينحصر جنسها وان لم ينحصر عينها وكان بحيث لولا جاهه لكان لا يهدي اليه فان كان جاهه لاجل علم او ورع او نسب فالامر فيه اخف والظاهر كون الاخذ مكروها لانه هدية في الظاهر مع كونه مشابها للرشوة وان كان لاجل ولاية تولاها من قضاء او حكومة او ولاية صدقة او وقف او جباية مال او غير ذلك من الاعمال السلطانية فالظاهر كون ما ياخذه حراما لو كان بحيث لا يهدي اليه لولا تلك الولاية لانه رشوة عرضت في معرض الهدية اذ القصد بها في الحال طلب التقرب واكتساب المحبة ولكن لامر ينحصر جنسه لظهور ما يمكن التوصل اليه بالولايات اذ قال رسول الله ص سيأتي على الناس زمان يستحل السحت فيه بالهدية والقتل بالموعظة يقتل البرئ ليوعظ به العامة وقد روي انه ص بعث واليا الى صدقات الازد فلما جاء امسك بعض ما معه وقال هذا لكم وهذا هدية لي فقال ص الا جلست في بيتك وبيت ابيك وبيت امك حتى تاتيك هديتك ان كنت صادقا ثم قال ما لي استعمل الرجل منكم فيقول هذا لكم وهذه هدية لي الا جلس في بيت امه ليهدى له والذي نفسي بيده لا ياخذ منكم احد شيئا بغير حقه الا اتى الله يحمله ولا ياتين احدكم يوم القيمة ببعير له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى راى بياض ابطيه وقال اللهم هل بلغت وعلى هذا فينبغي لكل وال وحاكم وقاض وغيرهم من عمال السلاطين ان يقدر نفسه في بيت ابيه وامه معزولا بلا شغل فما كان يعطى في هذه الحالة ان ياخذه في ولايته ايضا وما لا يعطى معزولا ويعطى لولايته يحرم اخذه وما اشكل عليه من عطايا اصدقائه فهو شبهة وطريق الاحتياط فيها واضح

فصل ضد عدم الاجتناب عن الحرام التنزه والاحتياط عنه وهو الورع باحد اطلاقيه فان الورع قد يفسر بملكة التنزه والاجتناب عن مال الحرام اكلا وطلبا واخذا واستعمالا وقد يفسر بكف النفس عن مطلق المعاصي ومنعها عما لا ينبغي فعلى الاول يكون ضد العدم الاجتناب عن المال الحرام ويكون من رذائل قوة الشهوة وعلى الثاني يكون ضد الملكة الولوع على مطلق المعصية ويكون من رذائل القوة الغضبية والشهوية جميعا ثم الظاهر ان التقوى في بعض الاخبار على هذا المعنى وثانيهما ملكة الاتقاء عن مطلق المعاصي خوفا عن سخط الله وطلبا لرضاه فعلى الاول يكون ضد العدم التنزه عن المال الحرام ورذيلة لقوة الشهوة وعلى الثاني يكون ضد الملكة ارتكاب المعاصي ورذيلة للقوتين معا ثم اللائق على طريقتنا ان يذكر الورع والتقوى بالتفسير الاول هنا وبالتفسير الثاني في المقام الرابع الذي يذكر فيه ما يتعلق بالقوتين وبالثلث من الرذائل والفضائل الا انا نذكر ما ورد في فضيلتهما هنا لدلالة ما ورد في فضيلتهما بالتفسير الثاني على فضيلتهما بالتفسير الاول ايضا ولعدم فائدة في استيناف عنوان على حدة لمطلق المعصية وذكر ما ورد في ذمها وتذييلها بضدها الذي هو الورع والتقوى بتفسيرها العام اذ بعد ذكر جميع الاجناس والانواع والاصناف مع ذكر ما ورد في ذمها من المعاصي والطاعات باحكامها ولوازمها وذمها ومدحها لا فائدة لاستيناف ذكر مطلق المعصية او الطاعة اذ لا يتعلق بها غرض سوى ذكر ما ورد في ذمها مطلق وما ورد في مدح مطلق الطاعة وهذا امر ظاهر لا حاجة اليه في كتب الاخلاق نعم نشير الى مطلق العصيان وضده اعني الورع والتقوى بالمعنى الاعم اجمالا ضبطا للانواع والاقسام

فصل الورع والتقوى من المنجيات واعظم المنجيات وعمدة ما ينال به الى السعادات ورفع الدرجات قال رسول الله ص خير دينكم الورع وقال ص من لقي الله سبحانه ورعا اعطاه الله ثواب الاسلام كله وفي بعض الكتب السماوية واما الورعون فاني استحيي ان احاسبهم وقال الباقر ع ان اشد العبادة الورع وقال ع ما شيعتنا الا من اتقى الله واطاعه فاتقوا واعلموا ان ما عند الله ليس بين الله وبين احد قرابة احب العباد الى الله تعالى اكرمهم عليه اتقاهم واعملهم بطاعته وقال الصادق ع اوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد ولا ينفع اجتهاد لا ورع فيه وقال اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع وقال انا لا نجد لكم من الله الا بالورع وقال ع ان الله ليضمن لمن اتقاه ان يحوله عما يكره الى ما يحب ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى وقال

ما نقل الله عبدا من ذل المعاصي الى عز التقوى الا اغناه من غير مال واعزه من غير عشيرة وآنسه من غير بشر وقال م انما اصحابي اشد
ورعا وصبرا على الحالتين ومجاهدة ومجانبة وقال عمر ابتاع امرنا فاداؤنا الورع فترتقي ابرحكم الله وكيد وا اعدائنا به بنعشكم الله وقال الباقر ع
اعينونا بالورع فان من لقي الله منكم بالورع لكان عند الله فرجا ان الله تعالى يقول ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا وقال م قال الله تعالى يا ابن ادم اجتنب ما حرمت عليك تكن
من اورع الناس وقال الصادق ع الورع من يتورع عن محارم الله تعالى ويكون طلب الطهارة ومعدم الاجتناب عنه باعث الهلاكة وتوقعا النجاة والسعادة
في الآخرة على الورع عن الحرام مع افتقار الناس في الدنيا الى المطاعم والملابس وعد في فضيلة كسب الحلال ومدحه ما ورد قال رسول الله م
طلب الحلال فريضة على كل مسلم ومسلمة وقال م من بات كالا من طلب الحلال بات مغفورا له وقال م العبادة سبعون جزءا افضلها طلب
الحلال وقال العبادة عشرة اجزاء تسعة اجزائه في طلب الحلال وقال من اكل من كد يده مر على الصراط كالبرق الخاطف وقال من اكل من كد يده
نظر الله اليه بالرحمة ثم لا يعذبه ابدا وقال من اكل من كد يده حلالا فتح الله له ابواب الجنة يدخل من ايها شاء وقال من اكل من كد يده كان يوم
القيمة في عداد الانبياء ويأخذ ثواب الانبياء وقال م من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وتعطفا على جاره لقي الله تعالى ووجهه كالقمر
ليلة البدر وكان م اذا نظر الى الرجل واعجبه قال هل له حرفة فان قالوا لا سقط من عيني قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال لان المؤمن اذا لم يكن له
حرفة يعيش بدينه وقال م من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله وقال من طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء وقال من
اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وطلب عنه م بعض الصحابة ان يجعله الله مستجاب الدعوة فقال له اطب
طعمتك يستجب دعوتك وقال الصادق ع اقرؤوا من لقيتم من اصحابكم السلام وقولوا لهم فلان بن فلان يقرئكم السلام ويقول عليكم بتقوى الله عز وجل
وما ينال به ما عند الله وعليكم بالجد والاجتهاد واذا صليتم الصبح وانصرفتم فبكروا في طلب الرزق واطلبوا الحلال فان الله عز وجل سيرزقكم
ويعينكم عليه **وصل** اعلم ان مداخل الحلال خمسة الاول ما لا يوجد من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد والاحتطاب والاحتشاش
والاستقاء من الشطوط والانهار وهذا بشرط عدم سبق غيره من الناس وتفصيل ذلك موكول الى كتاب احياء الموات
الثاني ما يؤخذ قهرا من لا حرمة له وهو الفيء والغنيمة وسائر اموال الكفار المحاربين حلال للمسلمين بالشروط المقررة في كتاب الغنائم والجزية
الثالث ما ينتقل اليه بالرضا من غير عوض من حي او ميت كالهبة والميراث والوصية والصدقات وهذا حلال بشرط ان يكون المنقول منه
اكتسبه من محل حل ويكون متضمنا سائر الشروط المقررة في كتاب الهبات والفرائض والوصايا والصدقات الرابع ما يؤخذ تراضيا بمعاوضة
وذلك حلال بالشرائط والآداب المقررة في المعاملات من الفقه من البيع والسلم والاجارة والصلح والشركة والمضاربة والمزارعة و
المساقاة والحوالة والضمان والكتابة والخلع والصداق وغير ذلك من المعاوضات الخامس ما يحصل من الزراعة ومنافع الحيوانات وهو
حلال اذا كان الارض والبذر والماء والحيوانات حلالا باحد الوجوه المتقدمة فهذه مداخل الحلال فينبغي لطالب النجاة ان يكون ما يكتسبه
من احد هذه المداخل بعد تحقيق الفقيه العدل لحصول شرائط الحلية **عقل** قسم بعض العلماء الورع والتقوى عن الحرام على اربع درجات
الاولى ورع العدول وهو الاجتناب عن كل ما يلزم الفسق باقتحامه ويسقط به العدالة ويثبت به العصيان والتعرض للنار وهو الورع
الورع عن كل ما يحرمه فتوى المجتهدين الثانية ورع الصالحين وهو الاجتناب من الشبهات ايضا الثالثة الورع عما يخاف اداؤه
الى المحرم او شبهة ايضا وان لم يكن في نفسه حراما ولا شبهة وهو ترك ما لا باس به مخافة ما به باس الرابعة ورع الصديقين وهو
الاجتناب عن كل ما ليس لله ويتناول لغير الله وعزيمة التقوى على عبادته وان كان حلالا لا يؤدي الى الحرام او شبهة
والصديقون الذين هذه درجتهم هم الموحدون المتجردون عن حظوظ انفسهم المتفردون لله بالقصد الذين كل ما ليس لله

حرام العالمين

حرام العالمين بقوله سبحانه قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون تتميم قال الصادق ع التقوى على ثلثة اوجه تقوى من خوف النار والعقاب وهو
ترك الحرام وهو تقوى العام وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلا عن الحرام وهو تقوى الخاص وتقوى في الله وهو ترك الحلال فضلا
عن الشبهة والى هذه المراتب اشير في الكتاب الالهي بقوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا والله يحب المحسنين ومنها الغدر والخيانة في المال والعرض والجاه ويدخل تحته الذهاب بحقوق الناس
خفية وحبسها من غير عسر وبالبخس في الوزن والكيل وبالغش بما يخفى وغير ذلك من التدليسات المموهة والتلبيسات المحرمة وجميع ذلك
من جنايات القوة الشهوية ورذائلها ومن الرذائل المهلكة وجنايتها وقد ورد في ذم الخيانة باقسامها اخبار كثيرة وجميع ما يدل على
على الذهاب بحقوق الناس واخذ اموالهم بغير رضاهم يدل على ذمها وضد الخيانة الامانة وقد ورد في مدحها وعظم فوائدها اخبار
كثيرة كقوله م ان الله لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر وقوله ع لا تغتروا بصلوتهم ولا بصيامهم
فان الرجل ربما لهج بالصلوة والصوم حتى لو تركهما استوحش ولكن اختبروهم عند صدق الحديث واداء الامانة وقوله ع انظر ما بلغ
به علي عند رسول الله م فالزمه فان عليا ع انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله م بصدق الحديث واداء الامانة وقوله م ثلثة لا عذر
فيها لاحد اداء الامانة الى البر والفاجر والوفاء بالعهد الى البر والفاجر وبر الوالدين برين كانا او فاجرين وقوله ع اربع من كن فيه كمل الايمان ولو كان ما بين قرنه الى قدمه ذنوب لم ينقصه ذلك وهي الصدق واداء الامانة والحياء وحسن الخلق وقوله اهل الارض
مرحومون ما تخافوا وادوا الامانة وعملوا بالحق وقيل له ع ان امرأة بالمدينة كان الناس يضعون عندها الجواري فتصلحهن ومع ذلك
ما راينا مثل ما صب عليها من الرزق فقال انها صدقت الحديث وادت الامانة وذلك يجلب الرزق والاخبار في فضيلة الامانة كثيرة
ولقد قال لقمان ما بلغت الى ما بلغت اليه من الحكمة الا بصدق الحديث واداء الامانة ومن تامل في ذم الخيانة وما يجلبها من الفضيحة والعار
في الدنيا والعذاب في الآخرة والنار وفي فضيلة الامانة وادائها الى خير الدنيا وسعادة الآخرة سهل عليه ترك الخيانة والاتصاف بالامانة ومنها
انواع الفجور من الزنا واللواط وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي واستعمال الالات من العود والمزمار والرباب والدف وامثالها فان
كل ذلك من رذائل القوة الشهوية وكذا لبس الذهب والحرير للرجال وقد ورد في ذم كل واحد منها بالخصوص اخبار كثيرة ولا حاجة الى ذكرها
لشيوعها واشتهارها ومنها الخوض في الباطل وهو التكلم في المعاصي والفجور وحكايتها كحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات
الفساق وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومة واحوالهم المكروهة وامثال ذلك فكل ذلك من رداءة القوة الشهوية
وخباثتها ثم لما كان انواع الباطل غير محصورة لكثرتها فالخوض فيها ايضا كذلك فيكون للانواع غير متناهية ولا يفتح باب كلها الا ويفتح
الجواهد منها فلا خلاص منها الا باقتصار الكلام على قدر الحاجة من مهمات الدين والدنيا وربما وقعت من الرجل من انواع الخوض في
الباطل كلمة يهلكه وهو يستحقرها فان اكثر الخوض في الباطل حرام ولذا قال رسول الله م اعظم الناس خطايا يوم القيمة اكثرهم خوضا في
الباطل والى الاشارة بقوله وكنا نخوض مع الخائضين وقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال م ان الرجل ليتكلم بالكلمة
من رضوان الله ما يظن انها تبلغ به ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه الى يوم القيمة وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط ما يظن انها تبلغ به ما بلغت
فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمة وقال سلمان الفارسي اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله وقد كان رجل من
الانصار يمر على حلق الخائضين في الباطل فيقول لهم توضؤوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث ثم الخوض في الباطل هو ذكر محظورات
سبق وجودها بمجرد شهوة النفس من غير ضرورة وحاجة اليه فلا مدخلية له بمثل الغيبة والنميمة والفحش والمراء والجدال وامثالها ويدخل
فيه الخوض في حكايات البدع والمذاهب الفاسدة فان الحديث عنها خوض في الباطل وضد الخوض الصمت ومنها التكلم بما لا يعني او بالفضول والمراد

بالاولى التكلم بما لا فائدة فيه اصلا لا في الدين ولا في الدنيا والثاني اعني الفضول الكلام اعم منه اذ يتناول الخوض فيما لا يعني والزيادة فيما يعني
على قدر الحاجة فان من يعنيه امر ويتمكن من تقريره وتأدية مقصوده بكلمة واحدة ومع ذلك ذكر كلمتين فالثانية فضول اي فضل
على الحاجة ولا ريب في ان التكلم بما لا يعني وبالفضول مذموم وان لم يكن فيه اثم وهو ناش من رداءة القوة الشهوية اذ الباعث عليه
ليس الا حب تفرج النفس وهواها والشره ذمه انه يوجب تضييع الوقت والمنع من الذكر والفكر وربما يبنى لاحد تهليلة او تسبيحة
قصر في الجنة وربما ينفتح من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم جدواه فمن قدر على ان يأخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة
لا ينتفع بها اكثر كان خاسرا فمن ترك ذكر الله والفكر في عجايب قدرته واشتغل بمباح لا يعنيه وان لم يأثم فقد خسر حيث فاته
الربح العظيم بذكر الله وفكره ولذا قال راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر بها ثوابا في الاخرة فقد
ضيع راس ماله على ان الغالب فيما لا يعني وفي الفضول الخوض في الباطل وربما ادى الى الكذب بالزيادة والنقصان ولذا ورد في ذمه
ما ورد وروي انه استشهد يوم احد غلام من اصحاب النبي ص ووجد على بطنه حجرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه
وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال النبي ص وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وورد ايضا ان رسول الله ص قال لبعض
اصحابه وهو مريض البشر فقالت امه هنيئا لك الجنة فقال ص وما يدريك لعله قال ما لا يعنيه حوسب عليه او منع ما لا يعنيه يعني و
انما يتهنأ الجنة لمن لا يحاسب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا يتهنأ له الجنة مع المناقشة في الحساب
فانه نوع من العذاب وروي انه تكلم رجل عند النبي ص فاكثر فقال له النبي ص كم دون لسانك من باب فقال شفتاي واسناني فقال
اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي رواية اخرى انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستغرق في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل لسانه
وروي انه قدم رهط من بني عامر على رسول الله فشرعوا بالمدح والثناء عليه ص فقال ص قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان
ومراده ص ان اللسان اذا اطلق في الثناء ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى الزيادة المستغنى عنها وقال بعض الصحابة
ان الرجل ليكلمني بالكلام وجوابه اشهى الي من الماء البارد على الظمآن فاتركه خيفة ان يكون فضولا وقال بعض الاكابر من كثر كلامه
كثر كذبه وقال بعضهم يهلك الناس في خصلتين فضول المال وفضول الكلام **فصل** التكلم بما لا يعني وبالفضول لا ينحصر انواعه
واقسامه لعدم تناهيها وانما حده ان يتكلم بما لو سكت عنه لم تأثم ولم يتضرر في شيء مما يتعلق بك ولم يتعطل شيء من امورك مثاله
ان تحكي مع قوم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من الوقايع وما استحسنته من الاطعمة والثياب وما
تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقايعهم فهذه امور لو سكت عنها لم تأثم ولم تتضرر بها ليس فيها فائدة دينية ولا دنيوية
لا صلحا وان بالغت في الاجتهاد حتى لا يمتزج بحكايتك زيادة ونقصان ولا تزكية نفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال
الامور العظيمة ولا اغتياب لشخص ولا مذمة لشيء مما خلقه الله فانك مع ذلك كله مضيع وقتك ثم كما ان التكلم بما لا يعنيك مذموم كذلك
سؤالك غيرك عما لا يعنيك مذموم بل هو اشد ذما لانك بالسؤال مضيع وقتك وقد الجأت ايضا صاحبك بالجواب الى تضييع وقته
وهذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السؤال عنه آفة ولو كان في جوابه آفة كما هو الشان في اكثر الاسئلة عما لا يعنيك كنت اثما عاصيا
مثلا لو سالت غيرك عن عبادته فتقول هل انت صائم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه الرياء وان لم يدخل الرياء سقطت
عبادته من ديوان عبادة السر وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك
وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسؤال اما للكذب او للاستحقار او للتعب في حيلة
الدفع وكذلك سؤالك عن كل ما يخفيه ويستحيي من اظهاره او عما يحتمل ان يكون في اظهاره مانع كان يحدث احد غيرك فتسأله وتقول

ماذا يقول

ماذا تقول وفيه اثم وكان ترى انسانا في الطريق فتقول من اين اذ ربما يمنعه مانع من اظهار مقصوده ومن هذا القبيل سؤالك من غيرك لم انت
ضعيف او ما هذا الضعف او ما هذا الهزال الذي حدث بك او اي مرض فيك وامثال ذلك والباعث من ذلك ان تحقق مرضا اشتد مرضه وتقول
ما اسم مرضك وما اسوء حالك فان جميع ذلك وامثالها كونها من فضول الكلام والخوض فيما لا يعني يتضمن ايذاء او ليس منجرا التكلم
بما لا يعني والفضول الى ما يخرج ما لا يعني ما لا يقصد فيه ايذاء وكسر خاطر واستحياء من الجواب كما روي ان لقمان دخل على داود وهو يسرد الدرع
ولم يكن يراها قبل ذلك فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يسأله عن ذلك فمنعته الحكمة فامسك نفسه ولم يسأله فلما فرغ داود قام ولبسها وقال
نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكم وقليل فاعله وهذا وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيها اضرار وهتك ستر وايقاع في رياء وكذب فهو
مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام **فصل** سبب الخوض فيما لا يعني وفي فضول الكلام اما الحرص على معرفة ما لا حاجة اليه او المباسطة بالكلام على
سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فائدة فيها وكل ذلك من رداءة القوة الشهوية وعلاج ذلك من حيث العلم ان يتذكر ذمه
كما تقدم ومدح ضده اعني الصمت وتركه كما ياتي ويعلم ان الموت بين يديه وانه مسؤول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله وان لسانه شبكة يقدر
على ان يقتنص بها الحور العين فاهماله وتضييعه خسران ومن حيث العمل ان يعتزل عن الناس مهما امكن ويلتزم نفسه السكوت عن بعض
ما يعنيه ليتعود لسانه ترك ما لا يعنيه وان يقدم التامل والتروي على كل كلام يريد ان يتكلم به فان كان فيه فائدة دينية او دنيوية تكلم به
والا تركه وكان بعضهم يضع في فمه حجرا ليمنعه من التكلم بالفضول وما لا يعنيه **وصل** ضد الكلام التكلم بما لا يعني وبالفضول تركهما اما بالصمت
او بالتكلم فيما يعنيه مما يتعلق بدينه او دنياه وفوايد الصمت ومدحه ياتي في موضعه وقد ورد اخبار في المدح على الخصوص تركهما لا يعني
وفضول الكلام كقول النبي ص من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وقوله ص طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله وانظر
كيف قلب الناس الامر في ذلك فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وروي انه ص قال ذات يوم ان اول من يدخل من هذا الباب
رجل من اهل الجنة فلما دخل الرجل قالوا له اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني رجل ضعيف العمل واوثق ما ارجو الله به سلامة الصدر
وتركي ما لا يعنيني وقال ص لابي ذر الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قال بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق
وتركك ما لا يعنيك وقال ابن عباس خمس هن احسن من الدهم الموقفة لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا امن عليك الوزر ولا تتكلم
فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعنت ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك
وان السفيه يؤذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه
مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمان ما حكمتك قال لا اسأل عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وما ورد في فضيلة ترك
ما لا يعني في اخبار اخر وكلمات الاكابر من الحكماء والعرفاء اكثر من ان يحصى وما ذكرناه كاف لاهل الاستبصار **المقام الرابع** فيما يتعلق
بالقوى الثلاث من العاقلة وقوتي الغضب والشهوة او باثنتين منها من الرذائل والفضائل فمنها الحسد وهو تمني زوال نعم الله
عن اخيك المسلم مما له فيه صلاح فان لم ترد زوالها عنه ولكن تريد لنفسك مثلها فهو غبطة ومنافسة فان لم يكن له فيها صلاح
واردت زوالها عنه فهو غيرة ثم ان كان باعث حسدك مجرد الحرص على وصول النعمة الى نفسك فهو من رداءة القوة الشهوية وان كان
باعثه محض وصول المكروه الى المحسود فهو من رذايل القوة الغضبية ويكون من نتايج الحقد الذي هو من نتايج الغضب وان كان باعثه مركبا
منهما فهو من رداءة القوتين وضده النصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله على اخيك المسلم مما له فيه صلاح ولا ريب في انه لا يمكن الحكم على القطع
بكون هذه النعمة صلاحا او فسادا فيما كانت وبالاعلى صاحبه فسادا مع كونها نعمة وصلاحا في بادي النظر فالمناط في ذلك غلبة الظن
فما ظن كونه صلاحا فارادة زواله حسد وارادة بقائه نصيحة وما ظن كونه فسادا فارادة زواله غيرة ثم ان اشتبه عليك الصلاح والفساد

في القوى الثلث

في الحسد

فلا تريد زوال نعمة اخيك ولا بقاءها الا مقيدا بالتقوى بعد شرط الصلاح لتخلص من حكم الحسد وتحصيل حكم النصيحة والمعاداة في كونك ناصحا ان تريد لاخيك ما تريد لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك وفي كونك حاسدا ان تريد له ما تكره لنفسك وتكره له ما تريد لنفسك

فصل الحسد اشد الامراض واصعبها واسوأ الرذائل واخبثها ويؤدي بصاحبها الى العقوبة العظمى والعذاب الالهي في الدنيا والاخرة اذ هو في الدنيا لا يخلو لحظة عن الحزن والالم اذ هو يتألم بكل نعمة يرى لغيره ونعم الله غير متناهية لا ينقطع عن عباده فيدوم حزنه وتألمه فوبال حسده يرجع الى نفسه ولا يضر المحسود اصلا بل يوجب ازدياد حسناته ورفع درجاته من حيث انه يعيبه ويقول فيه ما لا يجوز في الشريعة فيكون ظالما عليه فيحمل بعض اوزاره وينقل صالحات اعماله الى ديوان حسناته لا يؤثر فيه اصلا ضرا ونفعا ومع ذلك يكون في مقام التضاد والتعاند مع رب الارباب وخالق العباد اذ هو الذي افاض النعم والخيرات على البرايا كما شاء واراد بمقتضى حكمته ومصلحته فحكمه الحق الكامل اوجبت بقاء هذه النعم على هذا العبد والحاسد المسكين يريد زوالها وهل هو الا سخط قضاء الله في تفضيل بعض عباده على بعض وتمني انقطاع فيوضات الله التي صدرت عنه بحسب حكمته وارادة خلاف ما اراده الله على مقتضى مصلحته بل هو يريد نقصه سبحانه وعدم اتصافه بصفاته الكمالية اذ افاضة النعم منه سبحانه في اوقاتها اللائقة على محالها المستعدة من صفاته الكمالية التي عدمها نقص عليه تعالى والالم الحاصل عنه وهو يريد ثبوت هذا النقص لتمنيه زوال النعم الالهية التي هي الموجودات ورجوع الشرور الى الاعدام فيكون طالبا للشر ومحبا له وقد صرح الحكماء بان من رضي بالشر ولو بوصوله الى العدو فهو شرير والحسد اشنع الرذائل والحاسد شر الناس واي معصية اشد من كراهة راحة مسلم من غير ان يكون له فيها مضرة ولذا ورد بالذم الشديد في الآيات والاخبار قال الله سبحانه في معرض الانكار ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وقال رسول الله صلى الله عليه وآله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وآله قال الله تعالى لموسى بن عمران لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي التي قسمت بين عبادي ومن يك كذلك فلست منه وليس مني وقال صلى الله عليه وآله لا تحاسدوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال صلى الله عليه وآله دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا الا انبئكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وآله كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وآله سيصيب امتي داء الامم قالوا وما داء الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال صلى الله عليه وآله اخوف ما اخاف على امتي ان يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وآله ان لنعم الله اعداء فقيل ومن ذلك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وورد في بعض الاحاديث القدسية ان الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال الامام ابو جعفر الباقر عليه السلام ان الرجل ليأتي بأي بادرة فيكفر وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب وقال ابو عبد الله عليه السلام آفة الدين الحسد والعجب والفخر وقال ان المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط وقال الحاسد مضر بنفسه قبل ان يضر بالمحسود كابليس اورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى والرفع الى محل حقائق العهد والاصطفاء فكن محسودا ولا تكن حاسدا فان ميزان الحاسد ابدا خفيف بثقل ميزان المحسود والرزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وما يضر المحسود الحسد والحسد اصله من عمى القلب وجحود فضل الله وهما جناحان للكفر وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الابد وهلك مهلكا لا ينجو منه ابدا ولا توبة للحاسد لانه مصر عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض به ولا سبب والطبع لا يتغير عن الاصل وان عولج وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وقال بعض العقلاء ما رأيت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال بعض الاكابر الحاسد لا ينال من المجالس الا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا

لعنة وبغضا

لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق الا جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا فضيحة ونكالا والاخبار والآثار في ذم الحسد اكثر من ان تحصى وما ذكرناه يكفي لطالب الحق ثم ينبغي ان يعلم انه اذا اصاب النعمة كافر او فاجر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وايذاء الخلق وافساد ذات البين فلا مانع من كراهتها عليه وحب زوالها عنه من حيث انها آلة للفساد لا من حيث انها نعمة

فصل قد علمت ان المنافسة هي تمني مثل ما للمغبوط من غير ان يريد زواله عنه وهي ليست مذمومة بل في الواجب واجبة وفي المندوب مندوبة وفي المباح مباحة وقال الله سبحانه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال صلى الله عليه وآله لا حسد الا في اثنين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس اي لا غبطة الا في ذلك وسمى الغبطة حسدا كما يسمى الحسد منافسة اتساعا لمقاربتهما وسبب الغبطة حب النعمة التي للمغبوط فان كان امرا دينيا فسببها حب الله وحب طاعته وان كانت دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها والاول لا كراهة فيه بوجه بل هو مندوب اليه والثاني وان لم يكن حراما الا انه ينقص درجته في الدين ويحجب عن المقامات الرفيعة لمنافاته الزهد والتوكل والرضا ثم الغبطة لو كانت مقصورة على حب الوصول الى مثل ما للمغبوط لكونه من مقاصد الدين او الدنيا من دون حب مساواته له وكراهة نقصانه عنه فلا حرج فيه بوجه وان كان معه حب المساواة وكراهة التخلف والنقصان فهنا موضع خطر اذ زوال النقصان اما بوصوله الى نعمة المغبوط او بزوالها عنه فاذا انسد احد الطريقين لكاد النفس لا تنفك عن شهوة للطريق الآخر اذ يبعد ان يكون انسان يريد المساواة ويعجز عن النعمة ثم ينفك عن ميل الى زوالها اذ الاغلب ميله اليه حتى اذا زالت النعمة عنه كان ذلك اشهى عنده من بقائها عليه اذ بزوالها يزول نقصانه وتخلفه عنه فان كان بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه كان حاسدا حسدا مذموما وان منعه مانع العقل من ذلك السعي ولكنه وجد من طبعه الفرح والارتياح بزوال النعمة عن المغبوط من غير كراهة لذلك ومجاهدة لدفعه فهو ايضا من مذموم الحسد وان لم يكن في مرتبة الاول وان كره ما يجد في طبعه من السرور والانبساط بزوال النعمة بقوة عقله ودينه وكان في مقام المجاهدة لدفع ذلك من نفسه فمقتضى الرحمة الواسعة ان يعفى عنه لان دفع ذلك ليس في وسعه وقدرته الا بمشاق الرياضات اذ ما من انسان الا وهو يرى من هو فوقه من معارفه واقاربه في بعض النعم الالهية فاذا لم يصل الى مقام التسليم والرضا كان طالبا للمساواة له فيه وكارها عن ظهور نقصانه عنه فاذا لم يقدر ان يصل اليه مال طبعه بلا اختيار الى زوال النعمة عنه وكراهة وارتاح به حتى ينزل هو الى مساواته وهذا وان كان نقصانا ينحط به النفس عن درجات المقربين سواء كان من مقاصد الدنيا او الدين الا انه لكراهته له بقوة عقله وتقواه وعدم العمل بمقتضاه يعفى عنه ان شاء الله ويكون كراهته لذلك من نفسه كفارة له وقد ظهر من تضاعيف ما ذكر ان للحسد المذموم مراتب اربع الاولى ان يحب زوال النعمة عن المحسود وان لم ينتقل اليه وهذا اخبث المراتب واشدها ذما الثانية ان يحب زوالها عنه لرغبته في عينها كرغبته في دار حسنة معينة او امرأة جميلة بعينها ويحب زوالها من حيث توقف وصوله اليها عليه لا من حيث تنعم غيره بها ويدل على تحريم هذه المرتبة وذمها قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض الثالثة ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها الا انه لو عجز عن مثلها احب زوالها عنه كيلا يظهر التفاوت بينهما ومع ذلك لو خلي وطبعه اجتهد وسعى في زوالها الرابعة كالثالثة الا انه ان اقتدر على ازالتها منعه قاهر العقل او غيره من السعي فيه ولكنه يجد في نفسه ارتياحا من غير كراهة وقهر على نفسه من ذلك الارتياح والغبطة ايضا مرتبتان الاولى ان يشتهي الوصول الى مثل ما للمغبوط من غير ميل الى المساواة وكراهة النقصان فلا يحب زوالها عنه مطلقا الثانية ان يشتهي الوصول اليه مع ميل الى المساواة وكراهة النقصان بحيث لو عجز عن نيله وجد من طبعه حبا خفيا لذلك لزوالها عنه وارتاح من ذلك ادراكا للمساواة ودفعا للنقصان الا انه كان كارها من هذا الحب ومغضبا على نفسه

لذلك الارتياح وذ بما ينتهي هذه المرتبة بالحسد المعفو عنه وكانه المقصود من قوله صلى الله عليه وآله ثلث لا ينفك المؤمن عنهن الحسد
والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبتغ اي ان وجدت في قلبك شيئا فلا تعمل به وكن كارها
واذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض **فصل** بواعث الحسد سبعة الاول خبث النفس وشحها بالخير
لعباد الله فانك تجد في زوايا العالم من لا يشتغل برياسة ولا تكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد من عباد الله
فيما انعم الله عليه يشق ذلك عليه واذا وصف له اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره
وان لم يكن بينه وبينهم عداوة ولا رابطة ولم يوجب ذلك تفاوتا في حاله من وصوله الى جاه او مال او غير ذلك واذا وصف
عنده حسن حال العبد من عباد الله وانتظام اموره شق ذلك عليه وان لم يوجب ذلك نقصانا في شيء من حاله فهو يبخل بنعم الله على
عباده من دون قصد غرض ولا تصور انتقال النعم اليه فيكون ناشيا عن خبث نفسه ورذالة طبعه ولذا يعسر علاجه
لكونه مقتضى خباثة الجبلة وما يقتضيه الطبع والجبلة يعسر ازالته بخلاف ما يحدث من الاسباب العارضة الثاني العداوة والبغضاء
وهو اشد اسبابه اذ كل احد الا وحده من المجاهدين اذا اصابت عدوه بلية فرح بذلك اما لظنه انها مكافاة من الله له على
اوجيه طبعا ضعفه وهلاكته ومهما اصابته نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما تصور لاجله انه لا منزلة له عند الله حيث
لم ينتقم من عدوه وانعم عليه فيحزن لذلك الثالث حب الرياسة وطلب الجاه والمال فان من غلب عليه حب التفرد والثناء
واستفزه الفرح بما يمدح به من انه وحيد الدهر وفريد العصر في فنه من شجاعة او علم او عبادة او جمال او غير ذلك
بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك وارتاح بموته او زوال النعمة التي يشاركه فيها ليكون فائقا على الكل في فنه ومتفردا بالمدح
والثناء في صنعته الرابع الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد منهما يحسد
صاحبه في وصوله الى هذا المقصود طلبا للتفرد به كتحاسد الضرات في مقاصد الزوجية والاخوة في نيل المنزلة والكرامة
في قلب الابوين توصلا الى مالهما والتلامذة لاستاذ واحد في نيل المنزلة في قلبه وندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة و
الكرامة عنده والوعاظ والفقهاء المتزاحمين على اهل بلدة واحدة في نيل القبول والمال عندهم اذا كان غرضهم ذلك
الخامس التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه بعض اقرانه ويعلم انه لو اصاب بعض النعم يستكبر عليه ويستصغره وهو
لا يطيق ذلك لعزة نفسه فيحسده لو اصاب ذلك النعم تعززا لنفسه فليس غرضه ان يتكبر لانه قد رضي بمساواته
بل غرضه ان يدفع كبره السادس التكبر وهو ان يكون في طبعه الترفع على بعض الناس ويتوقع منه الانقياد والمتابعة في مقاصده
فاذا نال بعض النعم خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن خدمته وربما اراد مساواته او التفوق عليه فيعود مخدوما
بعد ان كان خادما فيحسده في وصوله النعم لاجل ذلك وقد كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله من هذا القبيل
حيث قالوا كيف يتقدم علينا غلام فقير يتيم ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم السابع التعجب و
هو ان يكون المحسود في نظر الحاسد حقيرا والنعمة عظيمة فيتعجب عن فوز مثله بمثلها فيحسده واحب زوالها عنه و
من هذا القبيل حسد الامم على انبيائهم حيث قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم
بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من فوز من هو مثلهم برتبة الوحي والرسالة وحسدوهم بمجرد ذلك من دون قصد
تكبر او رياسة او عداوة او غيرها من اسباب الحسد وقد يجتمع هذه الاسباب او اكثرها في شخص واحد فيعظم لذلك
حسده ويقوى قوة لا يقدر معها على المجاملة فيظهر العداوة بالمكاشفة وربما يقوى قوة الحسد بحيث

يتمنى صاحبه

يتمنى صاحبه ان يزول عن كل احد ما يراه له من النعم وينتقل اليه ومثله لا ينفك عن الجهل والحرص اذ هو يتمنى
استجماع جميع النعم والخيرات الحاصلة لجميع الناس له ولا ريب في استحالة ذلك ولو قدر امكانه لا يمكنه الاستمتاع بها فلو
لم يكن حريصا لم يتمن ذلك اصلا ولو كان عالما لدفع هذا التمني بقوة العاقلة **تنبيه** بعض الاسباب المذكورة كما
يقتضي تمني زوال النعم والسرور به كذلك يقتضي تمني حدوث البلية والارتياح منه الا ان المعدود من الحسد
هو الاول والثاني معدود من العداوة فالعداوة اعم منه اذ هي تمني وقوع مطلق الضرر بالعدو سواء كان
زوال نعمة او حدوث بلية والحسد تمني مجرد زوال النعمة **فصل** الاسباب المذكورة انما يكثر بين اقوام تجمعهم روابط
يجتمعون لاجلها في مجالسات المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف بعضهم بعضا في غرض من
اغراضه ابغضه وثبت فيه الحقد فعند ذلك يريد استحقاره والتكبر عليه ويكون في صدد مكافاته على المخالفة لغرضه
ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه فيتحقق الحسد ولذا ترى انه لا تحاسد بين شخصين في بلدتين متباعدتين
لعدم رابطة بينهما الا اذا كان تجاورا في محل واحد وردا على مقاصد يظهر فيها المخالفة بينهما فيحدث منها التباغض
وتتولد منه بقية اسباب الحسد وترى كل صنف يحسد مثله دون غيره لتواردهما على المقاصد وتزاحمهما على صنعة
واحدة فالعالم يحسد العالم دون العابد والتاجر يحسد التاجر دون غيره لا لسبب آخر سوى الاجتماع على الحرفة
وهكذا نعم من اشتد حرصه على حب الجاه واحب الصيت والاشتهار في جميع اطراف العالم وشاق التفرد بما هو فيه
فانه يحسد كل من في العالم ممن يشاركه في الفن الذي يتفاخر به ثم منشأ جميع ذلك حب الدنيا او منافعها لضيقها
وانحصارها يصير محل التزاحم والتعاند بحيث لا يمكن وصول منفعة منها او منصب او مال الى احد الا بزوالها
عن الآخر واما الآخرة فلا ضيق فيها فلا تنازع بين اهلها ومثالها في الدنيا العلم فانه منزه عن التزاحم فمن يحب العلم
بالله وصفاته وافعاله ومعرفة النظام الجملي من المبدأ الى النهاية لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا اذ العلم لا يضيق
عن كثرة العالمين والمعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح كل واحد منهم بمعرفته ويلتذ به ولا ينقص لذته
بمعرفة غيره بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة اذ معرفة الله بحر واسع لا ضيق
فيه وكل علم يزيد بالانفاق وتشريك غيره من ابناء النوع يصير منشأ لزيادة اللذة والبهجة وقس على العلم التقرب
والمنزلة عند الله وغيرهما من النعم الاخروية فان اجل ما عند الله من النعم واعلى مراتب المنزلة والقرب عنده تعالى
لذة لقائه وليس فيها مانعة ومزاحمة ولا يضيق بعض اهل اللقاء على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم وقد ظهر مما ذكر
انه لا تحاسد بين علماء الآخرة لانهم يلتذون ويبتهجون بكثرة المشاركين في معرفة الله وحبه وانسه وانما يقع
التحاسد بين علماء الدنيا وهم الذين يقصدون بعلمهم طلب المال والجاه اذ المال اعيان واجسام اذا وقعت
في يد واحد خلت عنها ايدي الآخرين والجاه ملك القلوب واذا امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم
الآخر او نقص عنه لا محالة فيكون ذلك سببا للتحاسد واما اذا امتلأ قلب من الابتهاج بمعرفة الله لم يمنع
من ان يمتلئ غيره به فلو ملك انسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يملكه غيره لضيقه وانحصاره واما العلم
فلا نهاية له ومع ذلك لو ملك انسان بعض العلوم يمنع ذلك من تملك غيره له فظهر ان الحسد انما هو
في التوارد على مقصود مضيق عن الوفاء بالكل فلا حسد بين العارفين ولا بين اهل العليين لعدم ضيق و

مزاحمة في المعرفة ونعيم الجنة ولذا قال الله سبحانه فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين
بل الحسد من صفات اهل المسجونين في سجن السجين فيا حبيبي ان كنت مشفقا على نفسك طالبا للعادة وسلب
فاطلب نعيم لا ازاحم فيها ولذة لا تكدر لها وما هي الا لذة معرفة الله وحبه والانس والانقطاع الى جناب قدسه
وان كنت لا تلتذ بذلك ولا تشتاق اليه ويحصر لذاتك بالامور الحسية والوهمية فاعلم ان جوهر ذاتك
معيوب وعن عالم الانوار محجوب وعنقريب تحشر مع البهائم والشياطين وتكون مغلولا معهم في اسفل السافلين
ومثلك في عدم درك هذه اللذة مثل الصبي والعنين في عدم درك لذة الوقاع فكما ان هذه اللذة يختص بها
رجال اصحاء فكذلك لذة المعرفة يختص بها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ولا يشتاق غيرهم اليها اذ الشوق
بعد الذوق فمن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم
يدرك كان مطرودا عن العليين ممنوعا عن مجاورة المقربين محبوسا مع المحرومين في اضيق دركات السجين ومن
يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين **فصل** لما علمت ان الحسد من الامراض المهلكة للنفوس فاعلم ان
امراض النفوس لا يداويه الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد ان تعرف انه تضرك في الدين والدنيا ولا
يضر محسودك فيهما بل ينتفع به فيهما ومهما عرفت ذلك عن بصيرة وتحقيق ولم يكن عدو نفسك وصديق
عدوك فارقت الحسد اما انه يضرك في دينك ويؤديك الى عذاب الابد وعقاب السرمد فلما علمت من الايات
والاخبار الواردة في ذمه وعقوبة صاحبه ولما عرفت من كون الحاسد ساخطا لقضاء الله وكارها النعم التي قسمها
لعباده ومنكرا لعدله الذي اجراه في ملكه ومثل هذا السخط والانكار لاجل انه الضدية والعناد لخالق العباد
ان ينيل التوصل اصل التوحيد والايمان فضلا عن الضرر بهما على ان الحسد يوجب الغش والعداوة بالمؤمن و
ترك نصيحته وموالاته وتعظيمه ومراعاته ومفارقة انبياء الله واوليائه في حبهم الخير والنعمة لهم ومشاركة الشيطان
واحزابه في فرحهم بوقوع المصايب والبلايا عليه وزوال النعم عنه وهذه خبائث في النفس تاكل الحسنات كما تاكل النار
الحطب واما انه يضرك في الدنيا فلانك تتالم وتتعذب به ولا تزال في تعب وغم وكمد اذ نعم الله لا ينقطع عن عباده
ولا عن اعدائك فانت تتعذب بكل نعمة تراها لهم وتتالم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى دائما مغموما محزونا ضيق
النفس متشعب القلب فانت باختيارك تجر الى نفسك ما تريد لاعدائك وما العجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله
ومقته في الاجل ودوام الضر والالم في العاجل فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى وفائدة واما انه لا يضر المحسود
في دينه ودنياه فظاهر لان النعمة لا تزول عنه بحسدك اذ ما قدره الله من النعم على عباده لا بد ان يستمر الى وقته ولا
ينفع التدبير والحيلة في دفعه لا مانع لما اعطاه ولا راد لما قضاه لكل اجل كتاب وكل شيء عنده بمقدار ولو كانت النعم تزول
بالحسد لم يبق عليك وعلى كافة الخلق نعمة لعدم خلوك وخلوهم عن الحساد بل لم يبق نعمة الايمان على المؤمنين اذ الكفار
يحسدونهم كما قال الله سبحانه ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون ولو تصورت
زوال النعمة عن محسودك بحسدك وعدم زوالها عنك بحسد حاسدك لكنت اجهل الناس واشدهم غباوة نعم ربما
صار حسدك منشأ الانتشار فضل المحسود كما قيل واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود واذا لم يزل
نعمته بحسدك لم يضره في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الاخرة واما انه ينفعه في الدين فذلك ظاهر من حيث كونه مظلوما

من جهتك

من جهتك سيما اذا اخرجك الحسد الى ما لا ينبغي من القول والفعل كالغيبة والبهتان وهتك ستره وافشاء سره
والقدح فيه وذكر مساويه فتحمل بهذه الهدايا التي تهديها اليه بعض من اوزاره وعصيانه وتنقل شطرا
من حسناتك الى ديوانه فتلقاه يوم القيمة مفلسا محروما عن الرحمة كما كنت تلقاه في الدنيا محروما عن
النعمة فاضفت له نعمة الى نعمة ولنفسك نقمة الى نقمة واما انه ينفعه في الدنيا فهو ان اهم اغراض الناس مساءة
الاعداء وسوء حالهم وكونهم متالمين معذبين ولا عذاب ما انت فيه من الم الحسد فقد فعلت بنفسك ما
هو غاية مراد حسادك في الدنيا واذا تاملت هذا عرفت ان كل حاسد عدو نفسه وصديق عدوه فمن تامل
في ذلك وتذكر ما ياتي من فوائد النصيحة وحب الخير والنعمة للمسلمين ولم يكن عدو نفسه فارق الحسد البتة
واما العمل النافع فيه فهو ان يواظب على اثار النصيحة التي هي ضده وان يقسم على ان يكلف نفسه بنقيض ما تقتضيه
الحسد من قول وفعل فان بعثه الحسد على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له وان بعثه على غيبته والقدح فيه كلف
لسانه المدح والثناء عليه وان بعثه على العبس والخرق بالنسبة اليه كلف نفسه لحسن البشر واللين معه و
ان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه زيادته ومهما فعل ذلك عن تكلف وكرره وداوم عليه انقطع عنه مادة
الحسد على التدريج على ان المحسود اذا عرف منه ذلك طاب قلبه واحبه واذا ظهر حبه للحاسد زال الحسد وايضا
ايضا فيتولد بينهما الموافقة ويرتفع عنهما مادة المحاسدة وهذا هو العلاج العلمي والعملي الكلية لمطلق مرض الحسد والعلاج
النافع لكل نوع منه ان لا يقمع سببه من خبث النفس وحب الرياسة والكبر وعزة النفس وشدة الحرص وغير ذلك
مما ذكر وعلاج كل واحد من هذه الاسباب ياتي في محله **تنبيه** واعلم ان مساواة حسن حال العدو وسوء حاله وعدم
وجدان التفرقة بينهما في النفس ليست مما يدخل تحت الاختيار فالتكليف به تكليف بالمحال فالواجب في نفي الحسد اذا الله
هو القدر الذي يمكن دفعه وبيان ذلك كما اشير اليه ان الحسد اما يبعث صاحبه على اظهاره بقول او فعل بحيث يعرف حسده
من اثاره الاختيارية ولا ريب في كونه مذموما محرما وكون صاحبه اثما عاصيا الا لمجرد اثاره الظاهرة التي هي الغيبة
والبهتان مثلا اذ هي افعال صادرة عن الحسد محلها الجوارح وليست عين الحسد اذ هو صفة القلب لا صفة الفعل و
محلها القلب دون الجوارح قال الله سبحانه ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء وقال ان تمسسكم حسنة تسؤهم فلو كان الاثم على مجرد افعال الجوارح لم يكن اصل الحسد الذي هو صفة
القلب معصية والامر ليس كذلك فيكون عاصيا بنفس الحسد الذي في قلبه ايضا اعني ارتياحه بزوال النعمة مع عدم كراهة ذلك
من نفسه والاثم حقيقة على عدم كراهته وعدم مقته وقهره نفسه لهذا الارتياح الذي يجده منها لكونه اختياريا
ممكن الزوال لا على نفس الارتياح والاهتزاز لما اشير اليه من انه طبعي غير ممكن الدفع لكل احد فهذا القسم من الحسد اشد
انواعه لترتب معصيتين على اصله واخرها ما يصدر عنه من اثاره المذمومة او لا يبعثه على اظهاره بالاثار القولية
الفعلية بل يكف ظاهره عنها الا انه بباطنه يحب زوال النعمة من دون كراهة في نفسه لهذه الحالة ولا ريب في كونه مذموما
محرما ايضا لانه كسابقه بعينه والفرق الاول انه لا يصدر عنه الاثار الفعلية والقولية الظاهرة فهو ليس ظلما يجب الاستحلال لانها
بل معصية بينه وبين الله لان الاستحلال انما هو من الافعال الظاهرة الصادرة من الجوارح او لا يبعثه على الاثار الذميمة
الظاهرة ومع ذلك يلزم قلبه كراهة ما يترشح منه طبعا من حب زوال النعمة حتى انه يمقت نفسه ويقهرها على هذه الحالة

التي سخت فيها والفرق عدم ترتب الاثم عليه او يكون كراهته الة من جهة في مقابلة الميل من جهة الطبع فقد ادى الواجب
الذي عليه واصل الميل الطبعي لا يدخل تحت الاختيار غالبا اذ تغير الطبع بحيث يستوي عنده المحسن والمسيء وعدم التفرقة
بين ما يصل منهما اليه من النعمة والبلية ليس شريعة لكل واحد نعم من تنور قلبه بمعرفة ربه واشرق نفسه باضواء حب وصال
مستغرقا بجناب الله تعالى مثل السكران الواله واستشعر بالارتباط الخاص الذي بين العلة والمعلول والاتحاد الذي بين الخالق
والمخلوق وعلم انه اقوى النسب والروابط ثم تيقن بان الموجودات باسرها من رشحات وجود الكائنات بر قيتها صادرة
عن فيضة وجوده وان الاعيان الممكنة متساوية في استطلاع لبانا لوجود من ثديه واحدة والحقايق الكونية غير متفاوتة
في شرب الرحمة والجود من منبع الوحدة الحقيقية فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت نفسه الى تفاصيل احوال العباد
بل ينظر الى الكل بعين واحدة وهو عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعاله ويراهم متحيرين له فلا ينظر الى شيء بعين والمسا
وان تعدد منه اليه ما ورد من السوء والبلية لانه لا ينظر اليه من حيث هو حتى يظهر التفاوت بل من حيث انتسابه اليه سبحانه
والكل في الانتساب اليه سواسية ثم من الناس من ذهب الى انه لا اثم على الحسد ما لم يظهر اثاره على الجوارح وعلى هذا يحمل الحسد
المحرم في القسم الاول واحتج على ما ذهب اليه من انه لا اثم على الحسد ما لم يظهر اثاره على الجوارح بما ذكرناه من قوله ص ثلث لا ينفك عنهن
الحسد الخ وبقوله ثلثة في المؤمن له منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والصحيح ان يحمل امثال هذه الاخبار على القسم الثالث
وهو ما يكون فيه ابتهاج النفس بزوال النعمة طبعا مع كراهته له من جهة العقل والدين حتى يكون هذه الكراهة في مقابلة
حب الطبع اذ اخبار ذم الحسد يدل بظاهرها على ان كل حاسد اثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن الافعال الظاهرة و
على هذا المذهب لا يكون اثم على صفة القلب بل انما يكون على مجرد الافعال الظاهرة على الجوارح فقد اتضح بما ذكر ان الاحوال المتصورة
لكل احد بالنسبة الى اعدائه ثلثة الاول ان يحب مساءتهم ويظهر الفرح بمساءتهم بلسانه وجوارحه او يظهر ما يؤذيهم قولا
او فعلا وهذا محظور محرم قطعا وصاحبه عاص اثم جزما الثاني ان يحب مساءتهم طبعا ولكن يكره حبه لذلك بعقله ويمقت
نفسه عليه ولو كانت له حيلة في ازالة ذلك الميل لازاله وهذا معفو عنه وفاعله غير اثم اجماعا الثالث وهو ما بين الاولين
ان يحسد بالقلب من غير مقته لنفسه على حسده ومن غير انكار منه على قلبه ولكن يحفظ جوارحه عن صدور اثار الحسد عنها
وهذا محل الخلاف وقد عرفت ما هو الحق فيه وصل قد عرفت ان ضد الحسد النصيحة وهي ارادة بقاء نعمة الله على المسلمين
وكراهة وصول الشر اليهم وقد يطلق في الاخبار على ارشادهم الى ما فيه مصلحتهم وغبطتهم وكان ذم المعنى الاول فينبغي ان نشير
الى فوايدها وما ورد في مدحها تحريكا للطالبين على المواظبة عليها لما يقع بها ضدها اعلم ان من احب الخير والنعمة للمسلمين
كان شريكا في الخير بمعنى انه في الثواب كالمنعم وفاعل الخير وقد ثبت من الاخبار ان من لم يدرك درجة الاخيار لصالحات
الاعمال ولكنه احبهم يكون يوم القيمة محشورا معهم كما ورد ان المرء يحشر مع من احب وقال اعرابي لرسول الله ص الرجل
يحب القوم ولما يلحق بهم فقال هو مع من احب وقال رجل بحضرة النبي ص متى الساعة فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثيرة
صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال ص انت مع من احببت قال الراوي فما فرح المسلمون بعد اسلامهم
كفرحهم يومئذ اذ اكثر ثقتهم كان بحب الله وحب رسوله وروي انه قيل له ص الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب
الصوام ولا يصوم حتى عد اشياء فقال هو مع من احب وبهذا المضمون وردت اخبار كثيرة والاخبار الواردة في مدح خصوص
النصيحة وذم تركها وفي ثواب ترك الحسد وعظم فوايده اكثر من ان يحصى قال رسول الله ص ان اعظم الناس منزلة عند

الله يوم القيمة امشاهم في ارضه بالنصيحة لخلقه وقال ص لينصح الرجل منكم اخاه كنصيحته لنفسه وقال الباقر ع يجب للمؤمن
على المؤمن النصيحة وقال الصادق ع يجب للمؤمن على المؤمن النصيحة له في المشهد والمغيب وقال ع عليك بالنصح لله في
خلقه فلن تلقاه بعمل افضل منه وبمضمونها اخبار اخر وقال رسول الله ص من سعى في حاجة اخيه المؤمن ولم يناصحه فقد
خان الله ورسوله وقال الصادق ع من مشى في حاجة اخيه ثم لم يناصحه فيها كان كمن خان الله تع ورسوله وكان الله تع
خصمه والاخبار الاخر بهذا المضمون ايضا كثيرة وروي ان رسول الله ص شهد لرجل من الانصار بانه من اهل
الجنة وكان باعثه بعد التفتيش خلوه عن الغش والحسد على خير اعطى احدا من المسلمين وروي ان موسى ع لما تعجل
الى ربه راى في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا الكريم على ربه فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره باسمه
وقال احدثك عن عمله كان لا يحسد الناس على ما اتيهم الله من فضله وكان لا يعق والديه ولا يمشي بالنميمة وغاية
النصيحة ان يحب لاخيه ما يحب لنفسه قال رسول الله ص المؤمن يحب للمؤمن ما يحب لنفسه وقال ص لا يؤمن احدكم
حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال ع ان احدكم مراة اخيه فاذا راى به شيئا فليمط عنه ومنها الايذاء والاهانة
والاحتقار والاديب في كون ذلك في الغالب مترتبا على العداوة والحسد وان ترتب بعضا او دهلة بعض الاحيان
على مجرد الطمع او الحرص ليكون من رداوة القوة الشهوية او على مجرد الغضب وسوء الخلق والكبر وان لم يكن حقد و
على اي تقدير لا شبهة في ان ايذاء المؤمن واحتقاره محرم في الشريعة موجب للهلاكة الابدية قال الله سبحانه والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقال رسول الله ص من اذى مؤمنا
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله فهو ملعون في التورية والانجيل والزبور والفرقان وفي خبر اخر
فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وقال ص المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه وقال ص لا يحل
للمسلم ان ينظر الى اخيه بنظرة تؤذيه وقال ص الا انبئكم بالمؤمن من ائتمنه المؤمنون على اموالهم وانفسهم
الا انبئكم بالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن حرام على المؤمن ان يظلمه ويخذله او يغتابه او يدفعه
دفعة وقال الصادق ع قال الله تع ليأذن بحرب مني من اذى عبدي المؤمن وقال ص اذا كان يوم القيمة ينادي
مناد اين المؤذون لاوليائي فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم فيقال هؤلاء الذين اذوا المؤمنين ونصبوا لهم
وعاندوهم وعنفوهم في دينهم ثم يؤمر بهم الى جهنم وقال رسول الله ص قال الله تع من اهان لي وليا فقد ارصد
لمحاربتي وقال ع ان الله يقول من اهان لي وليا فقد ارصد لمحاربتي وانا اسرع شيء الى نصرة اوليائي وقال ع قال
رسول الله ص قد نابذني من اذل عبدي المؤمن وقال ع من حقر مؤمنا مسكينا او غير مسكين لم يزل الله تع
له حاقرا ماقتا حتى يرجع عن محقرته اياه وفي معناها اخبار كثيرة اخر ومن عرف النسبة التي بين العلة والمعلول والربط
الخاص الذي بين الخالق والمخلوق يعلم ان ايذاءه واهانتهم يرجع في الحقيقة الى ايذاء الله تع واهانته وكفاه بذلك
ذما فيجب على كل عاقل ان يكون دائما متذكرا للاثم ايذاء المسلمين واحتقارهم ولمدح ضدهما من دفع الاذية عنهم و
اكرامهم كما ياتي فيحافظ نفسه عن ارتكابهما لئلا يفتضح في الدنيا ويعذب في الاخرة وصل لا ريب في فضيلة احد
اضدادهما ما ذكر وفوايدها من كف الاذى من المؤمنين واكرامهم وتعظيمهم والظواهر الواردة في مدح دفع
الضرر وكف الاذى عن الناس كثيرة كقول النبي ص من رد عن قوم من المسلمين عادية ماء او نار وجبت له الجنة

وقوله ص افضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده وقوله في حديث طويل امر فيه بالفضايل فان لم تقدر فدع
الناس من الشر فانها صدقة تصدق بها على نفسك وقوله ص رايت رجلا يتقلب في الجنة لاجل شجرة قطعها عن ظهر الطريق
كانت تؤذي المؤمنين وقوله ص من زحزح من طريق المسلمين شيئا يؤذيهم كتب الله له بها حسنة اوجب له بها الجنة
وكذا الاخبار التي وردت في مدح اكرام المؤمن وتعظيمه كثيرة وقال الصادق ع قال الله تعالى ليأذن بحرب مني من اكرم
عبدي المؤمن وقال رسول الله ص من اكرم اخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته لم يزل في ظل الله الممدود
عليه الرحمة ما كان في ذلك وقال ص ما في امتي عبد الطف اخاه في الله بشيء من لطف الا اخدمه الله من خدم الجنة
وقال ص ايما مسلم خدم قوما من المسلمين الا اعطاه الله مثل عددهم خداما في الجنة وقال الصادق ع من اخذ من وجه اخيه
المؤمن قذاة كتب الله تعالى له عشر حسنات ومن تبسم في وجه اخيه كانت له حسنة وقال ص من قال لاخيه مرحبا كتب
الله له مرحبا الى يوم القيمة وقال من اتاه اخوه المسلم فاكرمه فانما اكرم الله تعالى وقال ص لاسحق بن عمار احسن يا اسحق بن عمار
يا اسحق الى اوليائي ما استطعت فما احسن مؤمن الى مؤمن ولا اعانه الا خمش وجه ابليس وقرح قلبه ثم ينبغي تخصيص بعض
طبقات الناس بزيادة التعظيم والاكرام كاهل العلم والورع لما ورد من الحث الاكيد في الاخبار الكثيرة قال رسول
الله ص من عرف فضل كبير لسنه فوقره امنه الله من فزع يوم القيمة وقال ص من اجلال الله تعالى اجلال الشيخ الكبير
وقال ص ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا والاخبار بهذا المضمون كثيرة وكذا ينبغي تخصيص كريم كل قوم
بزيادة الاكرام لقول النبي ص اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذا ينبغي تخصيص الذرية العلوية بزيادة الاكرام
والتعظيم قال رسول الله حقت شفاعتي لمن اعان ذريتي بيده ولسانه وماله وقال ص اربعة انا لهم شفيع يوم
القيمة ولو جاءوا بذنوب اهل الدنيا المكرم لذريتي والقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم عند اضطرارهم والمحب لهم بقلبه ولسانه
وقال ع اكرموا اولادي وحسنوا آدابي وقال اكرموا الصالحين لله والطالحين لي والاخبار في فضل السادات وثواب
من يكرمهم ويعينهم اكثر من ان تحصى واما ادخال السرور في قلب المؤمن فقريب من معنى ايذائه ورباما كان الاول اخص منه وكذا ما فوقه
ايصال النفع اليه قريب من معنى ضده واخص منه فما يدل على مدحه يدل على مدحهما والا سيما ايصال النفع الى
المؤمنين من شرايف الصفات والافعال والاخبار الواردة في فضيلته كثيرة قال رسول الله ص الخلق عيال الله
فاحب الخلق الى الله من نفع عيال الله وادخل على اهل بيت سرورا وسئل ص من احب الناس الى الله تعالى قال انفع الناس
للناس وقال رسول الله ص خصلتان من الخير ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله تنبيه اعلم
ان الظلم قد يراد به ما هو ضد العدالة وهو التعدي عن الوسط في اي شيء كان وهو جامع للرذايل باسرها
كما اشير اليه وهو الظلم بالمعنى الاعم وقد يطلق عليه الجور ايضا وقد يراد به ما يرادف الاضرار والايذاء بالغير وهو يتناول
قتله وضربه وشتمه وقذفه وغيبته واخذ ماله قهرا ونهبا وغصبا وسرقة وغير ذلك من الاقوال والافعال المؤذية وهو
الظلم بالمعنى الاخص وهو المراد اذا اطلق في الآيات والاخبار وفي عرف الناس وباعتبار ان كان العداوة والحسد يكون من
رذايل قوة الغضب وان كان الحرص والطمع في المال يكون من رذايل قوة الشهوة وهو اعظم المعاصي واشدها عذابا
باتفاق جميع الطوايف ويدل على ذمه بعد ما ورد في ذم كل واحد من الامور المندرجة تحته كما ياتي بعضها ما تكرر في
القرآن من اللعن على الظالمين وكفاه ذما انه تعالى قال في ذم الشرك انه ظلم عظيم وقال جل شانه انما السبيل على الذين يظلمون

الناس

الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم وقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون وسيعلم
الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون وقال رسول الله ان اهون الخلق على الله من ولي امر المسلمين فلم يعدل لهم وقال ص جور
ساعة في حكم اشد واعظم عند الله من معاصي تسعين سنة وقال رسول الله ص اتقوا الظلم فانه ظلمات يوم القيمة وقال ص
من خاف القصاص كف عن ظلم الناس وروي انه تعالى اوحى الى داود قل للظالمين لا تذكروني فان حقا علي ان اذكر
من ذكرني وان ذكري اياهم ان العنهم وقال علي بن الحسين ع لابنه ابي جعفر ع حين حضرته الوفاة يا بني اياك وظلم
من لا يجد عليك ناصرا الا الله وقال ابو جعفر ع ما من احد يظلم بمظلمة الا اخذه الله تعالى بها في نفسه او ماله وقال
رجل له ع اني كنت من الولاة فهل لي من توبة فقال لا حتى تؤدي الى كل ذي حق حقه وقال ع الظلم ثلثة ظلم يغفره الله
وظلم لا يغفره الله وظلم لا يدعه فاما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك واما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرجل
نفسه فيما بينه وبين الله واما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد وقال الصادق ع في قول الله تعالى ان ربك
لبالمرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة وقال ع ما من مظلمة اشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها
عونا الا الله تعالى وقال ع من اكل مال اخيه ظلما ولم يرده اليه اكل جذوة من النار يوم القيمة وقال ع اوحى الله
الى نبي من الانبياء في مملكة جبار من الجبابرة ان ايت هذا الجبار فقل له اني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ
الاموال وانما استعملتك لتكف عني اصوات المظلومين واني لن ادع ظلامتهم وان كانوا كفارا وقال ع اما ان المظلوم
ياخذ من دين الظالم اكثر مما ياخذ الظالم من مال المظلوم ثم قال من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر اذا فعل به اما انه يحصد
ابن آدم ما يزرع وليس يحصد احد من المر حلوا ولا من الحلو مرا وقال ع من ظلم سلط الله عليه من يظلمه او على عقبه
او على عقب عقبه قال الراوي يظلم هو فيسلط على عقبه او على عقب عقبه فقال ان الله يقول وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا والظاهر ان مؤاخذة الاولاد بظلم ابائهم انما هو
في الاولاد الذين كانوا راضين بفعل آبائهم او وصل اليهم اثر ظلمهم اي انتقل اليهم منهم بعض اموال المظلومين وقال
بعض العلماء الوجه في ذلك ان الدنيا دار مكافاة وانتقام وان كان بعض ذلك مما يؤخر الى الاخرة وفايدة ذلك اما
بالنسبة الى الظالم فانه يردعه عن الظلم اذا سمع به واما بالنسبة الى المظلوم فانه يستبشر بنيل الانتقام في الدنيا مع نيله
ثواب الظلم الواقع عليه في الاخرة فانه ما ظفر احد بخير ما ظفر به المظلوم لانه ياخذ من دين الظالم اكثر مما اخذ الظالم
من ماله كما تقدم وهذا مما يصحح الانتقام من عقب الظالم او عقب عقبه فانه وان كان في صورة الظلم لان انتقام
من غير اهله مع انه لا ترزر وازرة وزر اخرى الا انه نعمة من الله عليه في المعنى من جهة ثوابه في الدين فان ثواب المظلوم
في الاخرة اكثر مما جرى عليه من الظلم في الدنيا ثم ان معين الظالم والراضي بفعله والساعي له في قضاء حوايجه وحصول مقاصده
كالظالم بعينه في الاثم والعقوبة قال الصادق ع العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلثتهم وقال ع من عذر ظالما
بظلمه سلط الله عليه من يظلمه فان دعا لم يستجب له ولم ياجره الله على ظلامته وقال رسول الله ص شر الناس المثلث
قيل وما المثلث قال الذي يسعى باخيه الى السلطان فيهلك نفسه ويهلك اخاه ويهلك السلطان وقال ع من مشى
مع ظالم فقد اجرم وقال ص اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الظلمة واعوان الظلمة من لاق لهم دواة او ربط
لهم كيسا او مد لهم مدة قلم فاحشروهم معهم وصل ضد الظلم بالمعنى الاخص هو العدل بالمعنى الاخص وهو الكف

عنه ودفعه والاستقامة واقامة كل احد على حقه والعدل بهذا المعنى هو المراد عند اطلاقه في الايات والاخبار وفي
فضيلته اكثر من ان يحصى قال الله سبحانه ان الله يأمر بالعدل والاحسان الخ وقال تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل وقال رسول الله ص عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام
ليلها وصيام نهارها وقال ع من اصبح ولا يهم بظلم احد غفر له ما اجترم وقال الصادق ع من اصبح لا ينوي ظلم احد غفر الله
له ذنب ذلك اليوم ما لم يسفك دما او يأكل مال يتيم حراما وقال الص ع العدل احلى من الماء يصيبه الظمآن ما اوسع العدل
اذا عدل فيه وان قل وقال العدل احلى من الشهد والين من الزبد واطيب ريحا من المسك وقال ع اتقوا الله واعدلوا
فانكم تعيبون على قوم لا يعدلون ومما يدل على فضيلة العدل بهذا المعنى ما ورد في ثواب رد المظالم قال رسول الله درهم
يرده العبد الى الخصماء خير له من عبادة الف سنة وخير له من عتق الف رقبة وخير له من الف حجة وعمرة وقال ع من رد
درهما الى الخصماء اعتق الله رقبته من النار واعطاه بكل دانق ثواب نبي وبكل درهم مدينة من درة حمراء وقال ع
من رد دانقا الى الخصماء جعل الله بينه وبين النار سترا كما بين السماء والارض ويكون في عداد الشهداء وقال ع
من ارضى الخصماء من نفسه وجبت له الجنة بغير حساب ويكون في الجنة رفيق اسمعيل بن ابراهيم وقال ع ان في الجنة
مداين من نور على المداين ابواب من ذهب مكلل بالدر والياقوت وفي جوف المداين قباب من مسك وزعفران
من نظر الى تلك المداين يتمنى ان يكون له مدينة منها قالوا يا نبي الله لمن هذه المداين قال
للتائبين النادمين المرضين الخصماء من انفسهم فان العبد اذا رد درهما الى الخصماء اكرمه الله كرامة سبعين شهيدا فان
درهما يرده العبد الى الخصماء خير له من صيام النهار وقيام الليل ومن رده ناداه ملك من تحت العرش يا عبد الله
استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وقال ع من مات غير تائب زفرت جهنم في وجهه ثلث زفرات
فاول لها لا يبقى دمعة الا جرت من عينيه والزفرة الثانية لا يبقى دم الا خرج من منخريه والزفرة الثالثة لا يبقى قيح
الا خرج من فمه فرحم الله من تاب ثم ارضى الخصماء فمن فعل فانا كفيله بالجنة وقال ع لرد دانق من حرام يعدل
عند الله سبعين الف حجة مبرورة ومنها اخافة المؤمن وادخال الكرب في قلبه وهما شعبتان من الايذاء
والاضرار مترتبان غالبا على العداوة والحسد وقد يترتبان على مجرد الغضب او سوء الخلق او الطمع وهما من
رذايل الافعال والاخبار الواردة في ذمها كثيرة كقول النبي ص من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها اخافه الله تعالى يوم
لا ظل الا ظله وقول الص ع من روع مؤمنا بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ومن روع مؤمنا
بسلطان ليصيبه منه مكروه فاصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار وقول الص ع من ادخل السرور على مؤمن
فقد ادخله على رسول الله ومن ادخله على رسول الله فقد وصل ذلك الى الله وكذلك من ادخل عليه كربا والاخبار
الواردة في هذا المعنى كثيرة وصل وضد ذلك ازالة الخوف وتفريج كربه وادخال السرور في قلبه وهي من
اعظم شعب النصيحة ولا حد للثواب المترتب عليها كما نطقت به الاخبار قال رسول الله من حمى مؤمنا من ظالم
بعث الله له ملكا يوم القيمة يحمي لحمه من نار جهنم وقال ص من فرج عن مغموم او اعان مظلوما
غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة وقال انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصره ظالما قال تمنعه من الظلم وقال
الامام ابو عبد الله الصادق ع من اغاث المؤمن اللهفان اللهثان عند جهده فنفس كربته او اعانه على نجاح حاجته

كتب الله

كتب الله تعالى له بذلك ثنتين وسبعين رحمة من الله تعجل له منها واحدة يصلح بها امر معيشته ويدخر له احدى وسبعين
رحمة لافزاع يوم القيمة واهواله وقال ع من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الاخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد
وقال الرضا ع من فرج عن مؤمن فرج الله قلبه يوم القيمة وقال رسول الله ص من سر مؤمنا فقد سرني ومن سرني فقد سر الله
وقال ص ان احب الاعمال الى الله تعالى ادخال السرور على المؤمنين وقال الباقر ع تبسم الرجل في وجه اخيه حسنة
وصرف القذى عنه حسنة وما عبد الله بشيء احب الى الله من ادخال السرور على المؤمن وقال ع ان فيما ناجى الله تعالى به عبده
موسى ع قال ان لي عبادا ابيحهم جنتي واحكمهم فيها قال يا رب ومن هؤلاء قال من ادخل على مؤمن سرورا ثم قال ان مؤمنا
كان في مملكة جبار فولع به فهرب منه الى دار الشرك فنزل برجل من اهل الشرك فاظله وارفقه فلما حضره الموت اوحى الله تعالى
اليه وعزتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لاسكنتك فيها ولكنها محرمة على من مات بي مشركا ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه
ويؤتى برزقه من طرفي النهار قلت من الجنة قال من حيث شاء الله وقال ع لا يرى احدكم اذا ادخل على مؤمن سرورا انه عليه
ادخله فقط بل والله علينا بل والله على رسول الله ص وقال ع ان المؤمن اذا اخرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول له ابشر بالكرامة
من الله والسرور فيقول له بشرك الله بخير قال ثم يمضي معه يبشره بمثل ما قال واذا مر بهول قال ليس هذا لك واذا مر بخير قال
هذا لك فلا يزال معه يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يحب حتى يقف معه بين يدي الله فاذا امر به الى الجنة قال له المثال ابشر فان
الله قد امر بك الى الجنة قال فيقول من انت رحمك الله تبشرني من حين خرجت من قبري وآنستني في طريقي وخبرتني عن ربي قال فيقول
انا السرور الذي كنت تدخله على اخوانك في الدنيا خلقت منه لابشرك واونس وحشتك وروي عن ابن سنان انه قرأ رجل عنده
هذه الاية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا فقال فما ثواب من ادخل عليه السرور
فقلت عشر حسنات قال اي والله والف الف حسنة ومنها ترك اعانة المسلمين وعدم الاهتمام بامورهم فان من يعاد غيره
او عصاه لما سره يترك اعانته ولا يهتم بامره وربما كان ذلك من نتايج الكسالة او ضعف النفس او البخل وبالجملة لا ريب في كونه
من رذايل الصفات ودليلا على ضعف الايمان وما ورد في ذمه من الاخبار كثير قال الباقر ع من بخل بمعونة اخيه المسلم والقيام
له في حاجته ابتلي بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يوجر وقال الصادق ع ايما رجل من شيعتنا اتاه رجل من اخوانه فاستعان به في
حاجة فلم يعنه وهو يقدر ابتلاه الله تعالى بان تقضي حوايج غيره من اعدائنا فيعذبه الله عليها يوم القيمة وقال ايما مؤمن
منع مؤمنا شيئا مما يحتاج اليه وهو قادر عليه من عنده او من عند غيره اقامه الله تعالى يوم القيمة مسودا وجهه مزرقة عيناه مغلولة
يداه الى عنقه فيقال هذا الخائن الذي خان الله تعالى ورسوله ثم يؤمر به الى النار وقال من كانت له دار واحتاج مؤمن الى
سكناها فمنعه اياها قال الله تعالى يا ملائكتي ابخل عبدي على عبدي بسكنى الدنيا وعزتي وجلالي لا يسكن جناني ابدا وقال ع
لنفر عنده ما لكم تستخفون بنا فقام اليه رجل من اهل خراسان فقال معاذ لوجه الله ان نستخف بك او بشيء من امرك فقال
انك احد من استخف بي فقال معاذ لوجه الله ان استخف بك فقال له ويحك الم تسمع فلانا ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك
احملني قدر ميل فقد والله اعييت والله ما رفعت به رأسا لقد استخففت به ومن استخف بمؤمن فبنا استخف وضيع حرمة
الله عز وجل وقال ع من اتاه اخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط الله عليه شجاعا ينهش ابهامه في قبره الى يوم القيمة
مغفورا له او معذبا وقال ابو الحسن ع من قصد اليه رجل من اخوانه مستجيرا به في بعض احواله فلم يجره بعد ان يقدر عليه فقد
قطع ولاية الله تعالى وقال رسول الله ص من لم يهتم بامور المسلمين فليس بمسلم وقال ع من اصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس

منهم ومن جمع رجلا يناديه يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم وصل ضد هذه الرذيلة قضاء حوائج المسلمين والسعي في انجاح مقاصدهم
وهو من اعظم افراد النصيحة والاخبار المتواترة عنهم قال رسول الله صلعم من قضى حاجة لاخيه فكانما خدم الله عمره وقال ع من مشى
في حاجة ساعة من ليل او نهار قضاها او لم يقضها كان خيرا له من اعتكاف شهرين وقال ابو جعفر ع اوحى الله تع الى موسى ان من
عبادي من يتقرب الي بالحسنة فاحكمه في الجنة فقال موسى يا رب وما تلك الحسنة فقال يمشي مع اخيه المؤمن في حاجة قضيت
او لم تقض وقال ع من مشى في حاجة اخيه المسلم اظله الله تع بخمسة الاف ملك ولم يرفع قدما الا كتب
الله له حسنة وحط بها سيئة ويرفع له بها درجة فاذا فرغ من حاجته كتب الله له بها اجر حاج ومعتمر وقال ع ان المؤمن لترد
عليه الحاجة لاخيه فلا يكون عنده فيهتم بها قلبه فيدخله الله تع بهمه الجنة وقال الصع من قضى لاخيه المؤمن حاجة قضى الله
له يوم القيمة مائة الف حاجة من ذلك اولها الجنة ومن ذلك ان يدخل قرابته ومعارفه واخوانه الجنة بعد ان لا يكونوا نواصبا
وقال ع ان الله تع خلق خلقا من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة فان استطعت ان
تكون منهم فكن وقال ع قضاء حاجة المؤمن خير من عتق الف رقبة وخير من حملان الف فرس في سبيل الله وقال ع لقضاء حاجة
امرء مؤمن احب الي الله من عشرين حجة كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة الف وقال ع من طاف بهذا البيت طوافا واحدا كتب
الله له ستة الاف حسنة ومحى عنه ستة آلاف سيئة ورفع له ستة الاف درجة حتى اذا
كان عند الملتزم فتح له سبعة ابواب من الجنة قلت له جعلت فداك هذا الفضل كله في الطواف قال نعم واخبرك بافضل من ذلك
قضاء حاجة المؤمن افضل من طواف وطواف حتى بلغ عشرا وقال ع تنافسوا في المعروف لاخوانكم وكونوا من اهله فان للجنة
بابا يقال له المعروف لا يدخله الا من اصطنع المعروف في الحيوة الدنيا فان العبد ليمشي في حاجة اخيه المؤمن فيوكل الله تع به ملكين
واحدا عن يمينه وآخر عن شماله يستغفران له ويدعوان بقضاء حاجته ثم قال والله لرسول الله صلعم اسر بقضاء حاجة المؤمن
اذا وصلت اليه من صاحب الحاجة وقال ع ما قضى مسلم لمسلم حاجة الا ناداه الله تع علي ثوابك ولا ارضى لك بدون الجنة وقال ع ايما مؤمن اتى اخاه في حاجة فانما
ذلك رحمة من الله ساقها الله اليه وسببها له فان قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها وان رده عن حاجته وهو يقدر
على قضائها فانما رد عن نفسه رحمة من الله تع ساقها اليه وسببها له وذخر الله تع تلك الرحمة الى يوم القيمة حتى يكون
المردود عن حاجته هو الحاكم فيها ان شاء صرفها الى نفسه وان شاء صرفها الى غيره ثم قال ع للراوي فاذا كان يوم القيمة وهو
الحاكم في رحمة من الله قد شرعت له فالى من ترى يصرفها قال لا اظن يصرفها عن نفسه قال لا تظن ولكن استيقن فانه
لن يردها عن نفسه وقال ع من سعى في حاجة اخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى يقضى له كتب الله له بذلك مثل اجر
حجة وعمرة مبرورتين وصوم شهرين من اشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام ومن مشى فيها بنية ولم يقض كتب الله
له بذلك مثل حجة مبرورة فارغبوا في الخير وقال ع لان امشي في حاجة اخ لي مسلم اطلب وجه الله كتب الله تع له الف الف حسنة
يغفر فيها لاقاربه وجيرانه واخوانه ومعارفه ومن صنع اليه معروفا في الدنيا فاذا كان يوم القيمة قيل له ادخل النار فمن وجدته
فيها صنع اليك معروفا في الدنيا فاخرجه باذن الله تع الا ان يكون ناصبا وقال ابو الحسن ع ان لله عبادا في الارض
يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيمة ومن ادخل على مؤمن سرورا فرح الله قلبه يوم القيمة والاخبار في هذه
المضامين كثيرة وما ذكرناه كاف لتحريك الطالبين على قضاء حوائج المؤمنين وما يدل على مدح وشرافة ما ورد في ثواب
اطعام المؤمن وسقيه وكسوته كما ياتي ومنها التهاون والمداهنة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو ناشئ

اما من ضعف النفس وصغرها او من الطمع المالي ممن يسامح به فيكون من رذايل القوة الغضبية من جانب التفريط او من
رذايل القوة الشهوية من جانب الافراط فهو من المهلكات التي يعم فسادها وضررها ويسري الى معظم الناس اثرها
وشرها وكيف ولو طوي بساط الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اضمحلت الديانة وتعطلت النبوة وعمت الفترة و
فشت الضلالة وشاعت الجهالة وضاع احكام الدين واندرست آثار شريعة رب العالمين وهلك العباد وخربت البلاد
ولذا ترى ان في كل عصر نهض باقامة هذه السنة بعض المؤيدين من غير ان ياخذهم في الله لومة لائم من
اقوياء العلماء المتكفلين لعلمها والقادها ومن سعداء الامراء المخلصين الساعين في اجرائها وامضائها على الناس
الحريصين على الطاعات والخيرات وفتحت عليهم بركات الارض والسموات وفي كل قرن لم يقم باحيائها عالم عامل ولا سلطان
عادل استمر الفساد واتسع الخرق وخربت البلاد واسترسل الناس في اتباع الشهوات الشهوات والهوى ومحت
اعلام الهداية والتقوى ولذا ترى في عصرنا لما اندرس هذا القطب الاعظم علما وعملا وانمحى بالكلية حقيقته واسمه ورسمه
على بسيط الارض دين لحرس الشريعة واستولت على القلوب مداهنة الخليقة ان الناس في بيداء الضلالة حيارى
وفي ايدي جنود الابالسة اسارى لم يبق من الاسلام الا اسمه ومن الشرع الا رسمه ولاجل ذلك ورد الذم الشديد في الآيات
والاخبار على ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمداهنة فيهما قال الله سبحانه لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقال رسول الله ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان
ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وقال ص ان الله ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له
قيل وما المؤمن الذي لا دين له قال الذي لا ينهى عن المنكر قيل له ص اتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله
قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصي الله وقال صعم لتامرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم
فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم وقال ع ان الله ليسئل العبد ما منعك اذ رايت المنكر ان تنكره وقال ع ان الله لا يعذب
الخاصة بذنوب العامة حتى يظهر المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكرونه وقال امير المؤمنين ع في بعض
خطبه انما هلك من كان قبلكم حيث عملوا بالمعاصي ولم ينههم الربانيون والاحبار عن ذلك ولما تمادوا في المعاصي ولم ينههم
الربانيون والاحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وقال ع ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما اعزه الله ومن خذلهما خذله الله وقال ع من ترك انكار المنكر بقلبه ويده ولسانه
فهو ميت بين الاحياء وقال ع امرنا رسول الله ان نلقى اهل المعاصي بوجوه مكفهرة وقال ان اول ما يقلبون عليه من الجهاد
الجهاد بايديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه معروفا ولم ينكر منكرا نكس فجعل اعلاه اسفله وقال الباقر ع اوحى الله
الى شعيب النبي ص اني معذب من قومك مائة الف اربعين الفا من شرارهم وستين الفا من خيارهم فقال يا رب هؤلاء
الاشرار فما بال الاخيار فاوحى الله اليه داهنوا اهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي وقال الصع ما قدست امة لم يؤخذ
لضعيفها من قويها بحقه وقال ع قيل لقوم لا يدينون الله بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال ان الله بعث
ملكين الى اهل مدينة ليقلباها على اهلها فلما انتهيا الى المدينة وجدا رجلا يدعو الله ويتضرع فقال احد الملكين
اما ترى هذا الداعي فقال قد رايته ولكن امضي ما امر به ربي فقال لا ولكن لا احدث شيئا حتى ارجع الى ربي فعاد الى الله تعالى
فقال يا رب اني انتهيت الى المدينة فوجدت عبدك فلانا يدعوك ويتضرع اليك فقال امض ما امرتك به فان

ذا رجل لم يتغير وجهه غيظا لله قط وقال ع لقوم من اصحابه حق لى ان اخذ البرئ منكم بالسقيم وكيف لا يحق لى ذلك وانتم
يبلغكم عن الرجل منكم القبيح ولا تنكرون عليه ولا تهجرونه ولا تؤذونه حتى يتركه وقال لاحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم
الى ان قال ما منعكم اذا بلغكم عن الرجل منكم ما تكرهون ان تاتوه وتعزلوه وتقولوا له قولا بليغا قيل له لا يقبلون منا قال
اهجروهم واجتنبوا مجالستهم وفى بعض الاخبار النبوية ان امتى اذا تهاونوا بالامر فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فليأذنوا
بحرب من الله وقد ورد اخبار بالمنع عن حضور مجالس المنكر اذا لم يمكنه دفعه والنهى عنه ولو حضر نزلت عليه اللعنة وعلى هذا
لا يجوز حضور مجالس الظلمة والفسقة ولا حضور المشاهد التى يشاهد فيها المنكر ولا يقدر على تغييره اذ لا يجوز مشاهدة
المنكر فى الاسواق والمجامع والاعياد مع عجزهم عن التغيير ثم اذا كان الامر فى المداهنة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر بهذه
المثابة فيعلم ان الامر بالمنكر والنهى عن المعروف كيف حاله قال رسول الله ص كيف بكم اذا فسدت نساؤكم وفسق شبابكم
ولم تامروا بمعروف ولم تنهوا عن المنكر فقيل له ويكون ذلك يا رسول الله قال نعم وشر من ذلك كيف بكم اذا رايتم المعروف
منكرا والمعروف المنكر معروفا وفى رواية وعند ذلك يبتلى الناس بفتنة يصير الحليم فيها حيران ومن تامل فى الاخبار و
الاثار واطلع على التواريخ والسير وقصص الامم السالفة والقرون الماضية وما حلت لهم من العقوبات وضم الى ذلك
التجربة والمشاهدة فى عصره من ابتلاء الناس ببعض البلايا وتسلط الظالمين والاشرار السماوية والارضية يعلم ان
كل عقوبة سماوية وارضية من الطاعون والوباء والقحط والغلاء وحبس المياه والامطار وتسلط الظالمين والاشرار
ووقوع القتل والغارات وحدوث الصواعق والزلازل وامثال ذلك يكون مسبوقا بترك الامر بالمعروف والنهى عن
المنكر بين الناس وحصول صنف المداهنة فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر هو السعى فيهما والتشمير لهما وهو اعظم المهم فى الدين
والمهم الذى بعث لاجله النبيين ومن نصب من بعدهم الخلفاء والاوصياء وجعل نوابهم اولى النفوس القدسية من العلماء بل
هو القطب الذى يدور عليه ارحية الملل والاديان ولو تركا لاضمحلت الديانة وتعطلت النبوة وشاعت الضلالة وكثر الفساد
ومدحه والترغيب عليه ما لا يمكن احصاؤه من الايات والاخبار قال الله سبحانه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون وقال كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقال فلما
نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون وقال لا خير فى كثير
من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما
وقال يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط والقيام بالقسط هو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وقال رسول الله
ما اعمال البر عند الجهاد فى سبيل الله كنفثة فى بحر لجى وما جميع اعمال البر والجهاد فى سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
الا كنفثة فى بحر لجى وقال ص اياكم والجلوس على الطرقات قالوا ما لنا بد منها انما هى مجالسنا نتحدث فيها قال فاذا
ابيتم الا ذلك فاعطوا الطريق حقه وما حق الطريق قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن
المنكر وقال ص ما بعث الله نبيا الا وله حوارى فيمكث النبى بين اظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله ويامرهم حتى
اذا قبض الله نبيه مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم فاذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون
رؤس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رايتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده وان لم يستطع
ذلك فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام وقال امير المؤمنين ع ان من رأى عدوانا يعمل به ومنكرا يدعى اليه فانكره بقلبه

فقد سلم

فقد سلم وبرئ ومن انكره بلسانه فقد اجر وهو افضل من صاحبه ومن انكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى
فذلك الذى اصاب سبيل الهدى وقام على الطريق وقال ع فمنهم المنكر للمنكر بيده ولسانه وقلبه فذلك المستكمل لخصال الخير ومنهم
المنكر بلسانه وقلبه والتارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير ومضيع خصلة ومنهم المنكر بقلبه والتارك
بيده ولسانه فذلك الذى ضيع اشرف الخصلتين من الثلث وتمسك بواحدة ومنهم تارك لانكار المنكر بلسانه وقلبه
ويده فذلك ميت الاحياء وما اعمال البر كلها والجهاد فى سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهى عن المنكر الا كنفثة فى بحر لجى
ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يقربان من اجل ولا ينقصان من رزق وافضل من ذلك كلمة عدل عند امام جائر
وفى خبر جابر عن الباقر ع ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض
وتامن المذاهب وتحل المكاسب وترد المظالم وتعمر الارض وينتصف من الاعداء ويستقيم الامر فانكروا بقلوبكم و
الفظوا بالسنتكم وصكوا بها جباههم ولا تخافوا فى الله لومة لائم فان اتعظوا والى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم انما السبيل
على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم هنالك فجاهدوهم بابدانكم وابغضوهم بقلوبكم
غير طالبين سلطانا ولا باغين مالا ولا مريدين بالظلم ظفرا حتى يفيئوا الى امر الله ويمضوا على طاعته فصل مقتضى الايات
والاخبار المذكورة وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا خلاف فيه ايضا انما الخلاف فى كون وجوبهما كفائيا او عينيا
والحق الاول كما ياتى ثم الواجب منهما هو الامر بالواجب والنهى عن الحرام واما الامر بالمندوب والنهى عن المكروه فمندوب وانما
يجبان بشروط اربعة الاول العلم بكونهما معروفا ومنكرا ليامن من الغلط فلا يجبان فى المتشابه فمن علم بالقطع الوجوب والحرمة
وعلم جواز الاختلاف فيه من ضرورة الدين او المذهب او الاجماع القطعى النظرى او الكتاب والسنة او من قول العلماء
فله ان يامر وينهى ويحتسب على كل احد ومن لم يعلمهما بالقطع بل علمهما بالظن الحاصل من الاجتهاد او التقليد وجوز الاختلاف
فيه فليس له الامر والنهى والحسبة الا على من كان على هذا الاعتقاد من مجتهد او مقلد او لزم عليه ان يكون على هذا
الاعتقاد وان لم يكن عليه بالفعل للجهل كالمقلد المطلق لمجتهد اذا لم يعلم بعض العقائد الاجتهادية لمجتهده فلا يتاتى
لغيره ان يحتسب به عليه وحاصل ما ذكر ان القطعيات الوفاقية يتاتى لكل عالم بها ان يحتسب بها على كل احد بعد علمها
وغير القطعيات الجائز فيها الاختلاف المرجح فيها بالاجتهاد لا يتاتى لمجتهدها ومقلده فيها الاحتساب اى الامر بالمعروف
والنهى الا على من كان موافقا فى الاعتقاد او يلزم ان يكون موافقا الثانى تجويز التاثير فلو علم او غلب على ظنه انه لا يؤثر
لم يجب لعدم الفائدة الثالث القدرة والتمكن منه وعدم تضمنه مفسدة فلو ظن توجه الضرر اليه او الى احد من المسلمين
بسببه سقط اذ لا ضرر ولا ضرار فى الدين الرابع ان يكون المامور والمنهى مصرا على الاستمرار فلو ظهر منه امارة الاقلاع
سقط للزوم العبث ثم هذه الشروط يختلف اشتراطها بحسب اختلاف درجات الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كما ياتى و
يدل على اشتراط الثلثة الاولى ما روى انه سئل عن مولانا الصادق ع ان الامر بالمعروف والنهى عن المنكر اواجب هو على الامة جميعا
فقال لا فقيل له ولم قال انما هو على القوى المطاع العالم بالمعروف من المنكر لا على الضعيف الذين لا يهتدون سبيلا
والدليل على ذلك من كتاب الله قوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
فهذا خاص غير عام كما قال الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون ثم سئل عنه عن الحديث النبوى
ان افضل الجهاد كلمة عدل عند امام جائر ما معناه قال هذا على ان يامره بعد معرفته وهو مع ذلك يقبل عنه وفى خبر

امر انما يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ وجاهل فيتعلم واما من يأمره بغير معرفة وهو مع ذلك يقبل عنه
صاحب سوط او سيف فلا وفي خبر اخر من تعرض لسلطان جائر فاصابته بلية لم يوجر عليها ولم يرزق الصبر عليها و
من الشرايط ان يظهر المنكر على المحتسب من غير تجسس فلا يجب بل لا يجوز التجسس كفتح الباب المغلق ووضع الاذن
لاحساس الصوت والريح وطلب الاذاءة مالحت الثوب وامثال ذلك لنص الكتاب والسنة **فصل** لا يشترط فيه العدالة
والاتيان بما الامر بما يامر به والانتهاء الناهي عما ينهى عنه لاطلاق الادلة ولان الواجب على فاعل الحرام المشاهد فعله من غيره
امران تركه وانكاره ولا يسقط بترك احدهما وجوب الاخر كيف ولو شرط ذلك لاقتضى عدم وجوب ذلك الا على المعصوم
فينسد باب الحسبة بالكلية واما الانكار في قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وقوله لم تقولون ما
لا تفعلون وكبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وما في حديث الاسراء من قرض مقاريضهم بالنار فانما هو
على عدم العمل بما يامر به وبقوله لا على الامر والقول وكل ما روي من انه اوحى الى عيسى عم اعظ نفسك فان اتعظت فعظ
الناس والا فاستحي مني وقس على ذلك جميع ما ورد من هذا القبيل وما قيل ان هداية الغير فرع الاهتداء وتقويم الغير
فرع الاستقامة ففيه ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يكون بالوعظ وتارة بالقهر ومن لم يكن مهتديا مستقيما
ليسقط عنه الحسبة بالوعظ لعلم الناس بفسقه فلا يمضي وعظه وكلامه فايدة ولا يؤثر في العالم بفسقه والحاج ذلك
وعظ وقوله عن الجواز كالحاج حسبة القهر تعن التاثير والفايدة ايضا اذ الفاسق اذا منع غيره قهرا عن الزنا واللواط
وشرب الخمر واراق الخمور وكسر الات الملاهي حصل التاثير والفايدة بلا شبهة والحاصل ان احد نوعي الاحتساب اعني
الوعظي يتوقف تاثيره على العدالة واما نوعه الاخر اعني القهري فلا يتوقف عليه مطلقا فان قيل اذا حمل امراة اكرها
في مستورة الوجه فكشفت وجهها باختيارها فاشنع وافتح ان ينهاها الرجل في اثناء الزنا عن كشف وجهها لقول
لها انت مكرهة في الزنا ومختارة في كشف الوجه لغير المحرم وما انا بمحرم لك فاستري وجهك قلنا القبح والاستنكار
انما هو للجاهل انه ترك الاهم واشتغل بما هو الاهون كما اذا ترك المتشبه واكل الحرام او ترك الغيبة ويشهد
بالزور لا لان هذا النهي هو حرام في نفسه او خرج عن الوجوب الى الاباحة او الكراهة او لان نهيه هذا خرج بفسقه
عن التاثير والفايدة فالاستنكار عليه ويقبح نهيه عن هذا من حيث انه نزل نفسه مقام من يوثق بقوله مع انه ليس كذلك
كما تقدم انفا ثم ما ذكرنا من عدم اشتراط العدالة والعمل بما يامر به وينهى عنه انما هو في احاد الحسبة الصادرة
من افراد الرعية المطلعين على المنكر واما من نصب نفسه لاصلاح الناس ونصحهم وبيان الاحكام الالهية نيابة
عن رسول الله صم والائمة المعصومين عم فلا بد فيه من العدالة والتفقه والعلم بالكتاب والسنة وغير ذلك
من شرايط الاجتهاد وعلى هذا يحمل جواب آخر عن الايات والاخبار الواردة في الانكار على الواعظ غير المتعظ
بتخصيصها به دون افراد الرعية وعليه يحمل قول الصادق عم في مصباح الشريعة من لم ينسلخ عن هواجسه ولم يتخلص
من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان ولم يدخل في كنف الله وتوحيده وامان عصمته لا يصلح له الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر لانه اذا لم يكن بهذه الصفة فكلما اظهر امرا كان حجة عليه ولا ينتفع به الناس قال الله تعالى اتامرون
الناس بالبر وتنسون انفسكم ويقال له يا خائن اتطالب خلقي بما خنت به نفسك وارخيت عنه عنانك وكذا يحمل
عليه قول النبي صم صاحب الامر بالمعروف يحتاج الى ان يكون عالما بالحلال والحرام فارغا من خاصة نفسه مما يامرهم

وينهاهم

وينهاهم عنه ناصحا للخلق رحيما لهم رفيقا بهم داعيا لهم باللطف وحسن البيان عارفا بتفاوت اخلاقهم فينزل كلا منزلته بصيرا
بمكر النفس ومكايد الشيطان صابرا على ما يلحقه لا يكافيهم بها ولا يشكو منهم ولا يستعمل الحمية ولا يغتاظ لنفسه مجردا نيته
لله تعالى مستعينا به ومبتغيا لوجهه فان خالفوه وجفوه صبر وان وافقوه وقبلوا منه شكر مفوضا امره الى الله تعالى
ناظرا الى عيبه **تنبيه** اعلم ان المحتسب عليه اعني من يؤمر به او ينهى عنه وان اشترط كونه عاقلا بالغا الا ان هذا الشرط
انما هو في غالب الاوامر والنواهي وبعضها لا يشترط فيه ذلك اذ من راى صبيا او مجنونا يشرب الخمر وجب عليه ان
يمنعه ويريق خمره وكذا ان راى مجنونا يزني بمجنونة او بهيمة فعليه ان يمنعه منه ولا يلزم منه ان يكون منع بهيمة
عن افساد زرع الناس حسبة ونهيا عن منكر اذ لا يصدق اسم المحتسب عليه والمنهي الا على من كان الفعل الممنوع
عنه في حقه منكرا اذ هو لا يكون الا الانسان دون ساير الحيوانات **فصل** اعلم ان للامر بالمعروف والنهي عن المنكر
مراتب الاولى الانكار بالقلب بان يبغض على ارتكاب المعصية وهذا مشروط بعلم الناهي واصرار المنهي ولا يشترط
بالشرطين الاخرين الثانية التعريف بان يعرف المرتكب للمنكر بانه معصية فان بعض الناس قد يرتكب بعض
المعاصي لجهله بانه معصية ولو عرف كونه معصية تركه الثالثة اظهار الكراهة والاعراض والمهاجرة الرابعة
الانكار باللسان بالوعظ والنصح والتخويف والزجر مرتبا الايسر فالايسر الى ان يصل الى التعنيف بالقول
والتغليظ في الكلام كقوله يا جاهل يا احمق الا تخاف الله وههنا شبكة عظيمة للشيطان يصطاد بها اكثر
الوعاظ فينبغي لكل عالم ناصح ان يراعيها بنور البصيرة وهي انه يحضر عند الوعظ والارشاد ويلقي في قلبه تعززه و
شرافته بالعلم وذلة من يعظه بالجهل والخطأ فربما يقصد بالتعريف والوعظ الادلال والتجهيل
واظهار شرف نفسه بالعلم وهذه آفة عظيمة تتضمن كبرا ورياء وينبغي لكل واعظ دين الا يغفل عن
ذلك ويعرف بنور بصيرته عيوب نفسه وقبح سريرته وعلامة براءة نفسه من هذه الآفة ان يكون اتعاظ ذلك
العاصي بوعظ غيره اذا امتناعه من المعصية احب اليه من اتعاظه بوعظه **فصل** المنع بالقهر مباشرة بكسر
الات اللهو واراقة الخمر واستلاب الثوب المغصوب ورده الى صاحبه وامثال ذلك **فصل** التهديد و
التخويف كقوله دع عنك هذا والا ضربتك او كسرت راسك وغير ذلك مما يجوز له ان يفعل لو لا تنتهي
عن معصيته ولا يجوز ان يهدده بما لا يجوز فعله كقوله دع هذا والا اضرب عنقك واضرب ولدك او انهب
زوجتك وامثال ذلك **فصل** مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما دون ان ينتهي الى شهر سلاح
وجرح **فصل** الجرح بشهر بعض الاسلحة وجوزه المرتضى من اصحابنا وجماعة والباقون اشترطوا اذن الامام
في ذلك اذ ربما لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج فيه الى اعوان واضداد يشهرون السلاح وربما يستمد الفاسق ايضا باعوانه
فيؤدي الى المقاتلة والمحاربة وحدوث فتنة عظيمة **فصل** اذا اجتمعت الشرايط وكان المطلع منفردا تعين عليه وان
كان ثمة غيره وشرع احدهما في الامر والنهي فان ظن الاخر ان لمشاركته تاثيرا في تعجيل ترتب الاثر وحصول الانزجار وجب عليه
ايضا والا فلا لان الغرض وقوع المعروف وارتفاع المنكر فاذا حصلا بفعل واحد كان السعي من الاخر عبثا وهذا معنى كون
وجوبهما كفائيا **فصل** ينبغي لكل امر بالمعروف وناه عن المنكر ان يكون حسن الخلق صابرا حليما قويا في نفسه لئلا ينزعج
ولا يضطرب اذا قيل في حقه ما لا يليق به فان اكثر الناس اتباع الهوى فاذا نهوا عما يميلون اليه شق ذلك عليهم وربما

اطلقوا السنتهم في حق الناس ويقولون ما لا يليق بشانه وربما تجاوزوا الى سوء الادب قولا وفعلا بالمشافهة وان
يكون رفيقا بالناس فان الوعظ بالرفق والملائمة اوقع واشد تاثيرا في قلوب اكثر الناس وان يكون قاطعا للطمع عن
الناس فان الطامع من الناس في اموالهم او اطلاق السنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبة ولذا نقل ان بعض المشايخ كان
له سنور وكان يأخذ من قصاب في جواره كل يوم شيئا من الغدد لسنوره فراى على القصاب منكرا فدخل الدار اولا
واخرج السنور ثم جاء ووعظ القصاب وشدد عليه القول فقال القصاب ما اكل سنورك شيئا بعد ذلك فقال ما احتسب
عليك الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع عنك تتميم اعلم ان المنكرات اما محظورة او مكروهة والمالوفة منها في
العادات اكثر من ان يحصى فمنها ما يكون غالبا في المساجد كاساءة الصلوة والاخلال ببعض تعديلها والتاخير عن اوقاتها
وادخال النجاسة فيها والتكلم فيها بامور الدنيا والبيع والشرى ودخول الصبيان والمجانين فيها مع اشتغالهم باللهو واللعب
وقراءة القرآن فيها باللحن والغناء ودخول النسوان فيها مع ظن تطرق الريبة ونظر الاجانب اليهن ودخول الجنب والحايض
فيها او تغني المؤذنين بالاذان او غيره مما يقرؤن وتقديمهم الاذان على الوقت ووعظ من لا ينبغي ان يمكن من الوعظ لكن
يكذب في حديثه او يفتي بالمسائل وليس اهلا لها او يظهر من وعظه كونه مرائيا طالبا للجاه وامثال ذلك فان كل ذلك من
المنكرات بعضها محظورة وبعضها مكروهة ينبغي لكل مطلع ان ينهى عنها ومنها ما يكون غالبا في الاسواق من الكذب في
المحاورات والمعاملات واخفاء العيب والايمان الكاذبة والمنازعة بالضرب والشتم والطعن واللعن وامثال ذلك والبخس في
الكيل والميزان والمعاملات الفاسدة باقسامها على ما هو مقرر في الفقهيات ومنها ما يكون في الشوارع كوضع الاساطين وبناء
الدكات متصلة بالابنية المملوكة وتضييق الطرق على المارة بوضع الاطعمة والاحطاب وربط الدواب فيها وسوق الدواب
فيها وعليها الاشواك والنجاسات اذا تاذى الناس منها او امكن العدول بها الى موضع واسع وان لم يمكن فلا منع اذ حاجة اهل
البلد ربما تمس الى ذلك وتحميل الدواب ما لا يطيقها من الحمل ونبذ القشر على الطريق او على باب دكانه بحيث تتلوث الطرق
بالدم وطرح الكناسة على جواد الطرق ورش الماء على الطريق بحيث يخشى منه الزلق وارسال الماء من الميازيب المخرجة من الحايط
الى الطرق المضيقة وغير ذلك وقس على ذلك منكرات الحمامات وخانات الاسواق ومجالس العامة وجوامع القضاة ومدارس الفقهاء
ورباطات الصوفية ودواوين السلاطين وغيرها فان امثال ذلك مما ذكر من المنكرات يجب ان ينهى عنها فلو قام بالاحتساب والنهي عنها
احد سقط الحرج عن البواقي والا اثم الحرج اهل البلد جميعا وامثال ما ذكرنا هو من المنكرات اليسيرة الجزئية واما المنكرات العظيمة
من البدعة في الدين والقتل والظلم والزنا واللواطة وشرب الخمر وانواع الغناء والنظر الى غير المحارم واكل الحرام والصلوة في الاماكن
المغصوبة والوضوء والغسل من المياه المحرمة والتصرف في اموال الاوقاف مع غصبها والمعاملة مع الظالمين والجهل عن الاصول الاعتقادية
والفروع الواجبة وآفات اللسان فلا يمكن حصرها لكثرتها سيما في امثال زماننا فلو امكن لمؤمن ديّن ان يغير هذه المنكرات
كلا او بعضا بالاحتساب فليس له ان يقعد في بيته بل وجب عليه الخروج للنهي والتعليم بل ينبغي لكل مسلم ان يبتدئ بنفسه فيصلحها
بالمواظبة على الطاعات وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهله واقاربه ثم يتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى اهل محلته ثم الى اهل
بلده ثم الى اهل السواد المكتنف الى بلده ثم الى غيرهم وهكذا فالاقرب فالاقرب الى اقصى العالم فان قام به الادنى سقط
عن الابعد والا لزم الحرج على كل قادر عليه قريبا كان او بعيدا ولا يسقط الحرج ما دام يبقى على وجه الارض جاهل بفرض
من فروض دينه وهو قادر ان يسعى اليه بنفسه او بغيره فيعلم فرضه وهذا شغل شاغل لمن يهمه امر دينه ليشغله عن

سائر

سائر المشاغل الا ان اعراض الناس عن امور دينهم في عصرنا لم يبلغ حدا يقبل الاصلاح الا ان يتعلق به مشية الله فينهض
بعض عباده السعداء الاقوياء فيدفع هذه الزحمة ويسد هذه الثلمة ويتلافى هذه الفترة ومنها الهجرة والتباعد
لا ريب في كونه من نتايج العداوة والحقد والحسد او البخل فيكون من رذايل قوة الغضب والشهوة وهو من ذمايم الافعال
قال رسول الله صلعم ايما رجلين مسلمين تهاجرا فمكثا ثلثا لا يصطلحان الا كانا خارجين من الاسلام ولم يكن بينهما ولاية
فايهما سبق الى الكلام صاحبه كان السابق الى الجنة يوم الحساب وقال عم لا يحل للمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث وقال الصادق عم
لا يفترق رجلان على الهجران الا استوجب احدهما البراءة واللعنة وربما استوجب ذلك كلاهما فقال له معتب هذا الظالم
فما بال المظلوم قال لانه لا يدعو اخاه الى صلته ولا يتغامس له عن كلامه سمعت ابي عم يقول اذا تنازع اثنان فعاز احدهما
الاخر فليرجع المظلوم الى صاحبه حتى يقول لصاحبه اي اخي انا الظالم حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه فان الله تعالى حكم
عدل ياخذ للمظلوم من الظالم وقال عم لا يزال ابليس فرحا ما تهاجر المسلمان فاذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت
اوصاله ونادى يا ويله ما لقي من الثبور وقال الباقر عم ان الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع احدهم عن دينه فاذا فعلوا
ذلك استلقى على قفاه وتمدد ثم قال فزت فرحم الله امرءا الّف بين ولينا يا معاشر المؤمنين بالعفو وتعاطفوا والاخبار
الواردة في ذم الهجرة والتباعد كثيرة فيجب على كل طالب للنجاة الاخروية ان يتامل في امثال هذه الاخبار ثم يتذكر فوايد صلة ذلك
وفوايد ضده اعني التالف والتزاور بين الاخوان فيحافظ نفسه عن حصول الانقطاع والمباعدة مع احد اخوانه ولو حصل ذلك
كلف نفسه المبادرة الى زيارته وان الفجر يغلب على الشيطان ونفسه الامارة ويغضبها برجوع المنقول من عظيم الاجر
وجزيل الثواب وقد اشير الى ان ضد التباعد والهجران هو التزاور والتألف وهو من ثمرات النصيحة والمحبة
وثوابه اكثر من ان يحصى قال رسول الله صلعم حدثني جبرئيل ان الله تعالى اهبط الى الارض ملكا فاقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع الى
باب عليه رجل يستاذن على رب الدار فقال له الملك ما جاء بك الى هذه الدار فقال اخ لي مسلم زرته في الله فقال له الملك اني رسول الله
اليك وهو يقرئك السلام ويقول وجبت لك الجنة وقال ان الله تعالى يقول ايما مسلم زار مسلما فليس اياه زار بل اياي
زار وثوابه على الجنة وقال امير المؤمنين عم لقاء الاخوان نعيم جسيم وان قلوا وقال ابو جعفر الباقر عم ان لله جنة لا يدخلها الا
ثلثة رجل حكم على نفسه بالحق ورجل زار اخاه المؤمن في الله ورجل اثر اخاه المؤمن في الله وقال عم ان المؤمن ليخرج الى اخيه يزوره
فيوكل الله تعالى به ملكا فيضع جناحا في الارض وجناحا في السماء يظله فاذا دخل الى منزله ناداه الجبار تبارك وتعالى ايها العبد
المعظم لحقي المتبع لاثار نبيي حق علي اعظامك سلني اعطك ادعني اجبك اسكت ابتدئك فاذا انصرف شيعه الملك يظله
بجناحه حتى يدخل الى منزله ثم يناديه تعالى ايها العبد المعظم لحقي حق علي اكرامك قد اوجبت لك جنتي وشفعتك في عبادي
وقال ايما مؤمن خرج الى اخيه يزوره عارفا بحقه كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحيت عنه سيئة ورفعت له درجة فاذا
طرق الباب فتحت له ابواب السماء فاذا التقيا وتصافحا وتعانقا اقبل الله تعالى عليهما بوجهه ثم باهى بهما الملائكة فيقول انظروا
الى عبدي تزاورا وتحابا في حق علي ان لا اعذبهما بالنار بعد هذا الموقف فاذا انصرف شيعه الملائكة عدد نفسه وخطاه
وكلامه يحفظونه من بلاء الدنيا وبوائق الاخرة الى مثل تلك الليلة من قابل فان مات فيما بينهما اعفي من الحساب وان كان المزور
يعرف من حق الزائر ما عرفه الزائر من حق المزور كان له مثل اجره وقال الصادق عم من زار اخاه لله تعالى لا لغيره التماس موعد الله
وتنجز ما عند الله وكل الله به سبعين الف ملك ينادونه الا طبت وطابت لك الجنة وقال عم من زار اخاه في الله قال الله تعالى

اياي ذوت وتوليت عليّ ولست ارضى لك ثوابا دون الجنة وقال عم من زار اخاه في الله في مرض او صحة لا يأتيه خداعا
ولا استبدالا وكل الله به سبعين الف ملك ينادون في قفاه ان طبت وطابت لك الجنة فانتم زوار الله وانتم وفد الرحمن
حتى يأتي منزله وقال من زار اخاه في الله تعالى ولله جاء يوم القيمة يتخطى فيتطلى من نور لا يمر بشيء الا اضاء له حتى يقف بين
يدي الله تعالى فيقول الله تعالى له مرحبا فاذا قال له مرحبا اجزل الله تعالى له العطية وقال عم لزيارة مؤمن في الله خير من عتق عشر
رقاب مؤمنات ومن اعتق رقبة مؤمنة وقى كل عضو عضوا من النار حتى ان الفرج يقي الفرج وقال عم البر صلح لكم بينك
وبين البصرة قالت في الماء حمى اذا طابت الريح وعلى الظهر ثمانية ع حتى ذلك فقال ما اقرب هذا تزاوروا ويتعاهد بعضكم
بعضا فانه لابد يوم القيمة من ان يأتي كل انسان بشاهد يشهد له على دينه وقال ان المسلم اذا رأى اخاه كان حيوة للدين
اذا ذكر الله وقال رسول الله صلعم مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين يغسل احديهما الاخرى ما التقى المؤمنان قط الا افاد الله
احدهما من صاحبه خيرا والاخبار الواردة بهذه المضامين كثيرة والسر في هذا الترغيب التشديد على تزاور المؤمنين
وملاقاتهم كونه دافعا للحسد والعداوة جالبا للتآلف والمحبة وهو اعظم ما يصلح به امر دنياهم وعقباهم ولذا ورد
الثناء والمدح في الآيات والاخبار على نفس الالفة وانقطاع الوحشة لا سيما اذا كانت الرابطة هي التقوى والدين
وورد الذم في التفرقة والوحشة قال الله سبحانه في مقام الامتنان على المؤمنين بنعمة الالفة لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال فاصبحتم بنعمته اخوانا اي بنعمة الالفة وقال سبحانه واعتصموا بحبل
الله جميعا ولا تفرقوا وقال رسول الله صلعم المؤمن الف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف هذا هو السر في غير
الترغيب على التسليم والمصافحة والمعانقة قال رسول الله صلعم اولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام وقال امير
المؤمنين ع لا تغضبوا ولا تغضبوا افشوا السلام واطيبوا الكلام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام
ان الله يحب افشاء السلام وقال من التواضع ان تسلم على من لقيت قال النبي صلعم تصافحوا فانها تذهب بالسخيمة وقال الباقر ع
مصافحة المؤمن افضل من مصافحة الملئكة وقال الباقر ع ان المؤمنين اذا التقيا فتصافحا ادخل الله تعالى يده
بين ايديهما واقبل بوجهه على اشدهما حبا لصاحبه فاذا اقبل الله بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما تتحات الورق من
الشجر وقال رسول الله صلعم اذا التقى احدكم اخاه فليسلم وليصافح فان الله تعالى اكرم بذلك الملئكة فاصنعوا صنع الملئكة
وقال الصادق ع ان المؤمنين اذا اعتنقا غمرتهما الرحمة فاذا التزما لا يريدان بذلك الا وجه الله ولا يريدان غرضا من اغراض الدنيا
قيل لهما مغفورا لكما فاستأنفا ومنها قطع الرحم وهو ايذاء ذوي اللحمة والقرابة او عدم مواساتهم بما ناله من الرفاهية
والثروة والخيرات الدنيوية مع احتياجهم اليه وباعثه اما العداوة او البخل والخسة فهو من رذائل القوة الغضبية
او الشهوية ولا ريب في كونه من اعظم المهلكات المفسدة للدنيا والدين قال الله سبحانه والذين ينقضون عهد
الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار وقال
رسول الله صلعم ابغض الاعمال الى الله تعالى الشرك بالله ثم قطيعة الرحم ثم الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقال صلعم لا تقطع
رحمك وان قطعك وقال ع انا الرحمن وهي الرحم شققت لها اسما من اسمي من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته
وقال صلعم حافتا الصراط يوم القيمة الرحم والامانة فاذا مر الوصول للرحم المؤدي للامانة نفذ الى الجنة واذا مر الخائن
للامانة القطوع للرحم لم ينفعهما معهما عمل وتكفأ به الصراط في النار وقال امير المؤمنين ع في خطبته اعوذ بالله من الذنوب

التي تعجل

التي تعجل الفنا فقام اليه عبد الله بن الكوا وقال يا امير المؤمنين او يكون ذنوب تعجل الفنا فقال نعم ويلك قطيعة الرحم ان
اهل البيت ليجتمعون ويتواسون وهم فجرة فيرزقهم الله جل وعز وان اهل البيت ليتفرقون ويقطع بعضهم بعضا فيحرمهم
الله وهم اتقياء وقال ع اذا قطعوا الارحام جعلت الاموال في ايدي الاشرار وقال الباقر ع في كتاب علي ثلث خصال لا يموت
صاحبهن ابدا حتى يرى وباله البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة يبارز الله بها وان اعجل الطاعة ثوابا الصلة الرحم
~~لتذران الديار~~ وان القوم ليكونون فجارا فيتواصلون فتنمو اموالهم ويثرون وان اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم
لتذران الديار بلاقع من اهلها وينقل الرحم وان نقل الرحم انقطاع النسل وقال الصادق ع اتقوا الحالقة فانها تميت الرجال
قيل وما الحالقة قال قطيعة الرحم وجاء رجل اليه ع وشكى اقاربه فقال له اكظم غيظك وافعل فقال انهم يفعلون ويفعلون
فقال اتريد ان تكون مثلهم فلا ينظر الله تعالى اليكم وكتب امير المؤمنين ع الى بعض عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وذلك
لان التجاور يورث التزاحم على الحقوق وذلك ربما يورث التحاسد والتباغض وقطيعة كما هو مشاهد في اكثر ابناء عصرنا
وليس الخبر كالمعاينة واذا لم يتجاوروا وتراحت ديارهم كان اوجب للتحابب كما قيل بالفارسية دوري ودوستي
وصل ضد قطيعة الرحم صلة الرحم وهو تشريك ذوي اللحمة والقرابات بما ناله من المال والجاه وساير خيرات الدنيا وهو اعظم
القربات وافضل الطاعات قال الله سبحانه فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى الآية
وقال واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وقال الذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون
ربهم ويخافون سوء الحساب الى قوله اولئك لهم عقبى الدار وقال رسول الله صلعم اوصي الشاهد من امتي والغائب منهم ومن في
اصلاب الرجال وارحام النساء الى يوم القيمة ان يصل الرحم وان كان منه على مسيرة سنة فان ذلك من الدين وقال صلعم ان
اعجل الخير ثوابا صلة الرحم وقال صلعم من سره النسأ في الاجل والزيادة في الرزق فليصل رحمه وقال صلعم ان القوم ليكونون
فجرة ولا يكونون بررة فيصلون ارحامهم فتنمي اموالهم ويطول اعمارهم فكيف اذا كانوا ابرارا بررة وقال صلعم الصدقة بعشرة
والقرض بثمانية عشر وصلة الاخوان بعشرين وصلة الرحم باربعة وعشرين وقيل له صلعم اي الناس افضل فقال اتقاهم لله
واوصلهم للرحم وامرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر وقال صلعم ان اهل البيت ليكونون فجارا فتنمي اموالهم ويكثر عددهم
اذا وصلوا ارحامهم وقال صلعم افضل الفضايل ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال صلعم من سره
ان يمد الله في عمره وان يبسط في رزقه فليصل رحمه فان الرحم لها لسان يوم القيمة ذلق يقول يا رب صل من وصلني واقطع
من قطعني فالرجل ليرى انه بسبيل خير اذا اتته الرحم التي قطعها فتهوي به الى اسفل قعر في النار وقال امير المؤمنين صلوا ارحامكم
ولو بالتسليم يقول الله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وقال الباقر ع الرحم متعلقة
يوم القيمة بالعرش يقول اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني هذا تمثيل للمعقول بالمحسوس واثبات لحق الرحم على ابلغ
وجه وتعلقها بالعرش يقول اللهم كناية عن مطالبة حقها بشهد من الله وقال ع صلة الارحام تحسن الخلق وتسمح الكف وتطيب
وتزيد في الرزق وتنسي في الاجل وقال صلة الارحام تزكي الاعمال وتنمي الاموال وتدفع البلوى وتيسر الحساب وتنسي
في الاجل وقال الصادق ع صلة الرحم والبر ليهونان الحساب ويعصمان من الذنوب فصلوا ارحامكم وبروا باخوانكم ولو بحسن
السلام ورد الجواب وقال ع صلة الرحم تهون الحساب يوم القيمة وهي منسأة في العمر وتقي مصارع السوء وقال ع صلة الرحم
وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقال ع ما نعلم شيئا يزيد في العمر الا صلة الرحم حتى ان الرجل يكون اجله ثلث

سنين فيكون وصول الرحم فيزيد الله في عمره ثلثين سنة فيجعلها ثلثا وثلثين سنة ويكون اجله ثلثا وثلثين سنة
فيكون قاطع الرحم فينقصه الله ثم ثلثين سنة ويجعل اجله الى ثلث سنين والاخبار الواردة في فضيلة صلة الرحم
وعظم مثوبتها اكثر من ان تحصى وما ذكرناه كاف لتنبيه العاقل تنبيه المراد بالرحم الذي يحرم قطعه وتجب صلته ولو وهب
له شيء للطول الرجوع عنه هو مطلق القريب المعروف بالنسب وان بعدت النسبة وجاز النكاح والمراد بقطعه ان يؤذيه
بالقول او الفعل او كان له شدة احتياج الى ما يقدر عليه زيادة على قدر حاجته من مسكن وملبوس ومأكول فمنعه او
امكنه ان يدفع عنه ظلم ظالم ولم يفعله او هاجره غيظا وحقدا من دون ان يعوده الى مرض ويزوره اذا قدم من سفر وامثال
ذلك فان جميع ذلك وامثاله قاطع للرحم واضدادها من دفع الاذية ومواساته بماله وزيادته واعانته باللسان واليد
والرجل والجاه وغير ذلك صلته ثم الظاهر تحقق الواسطة بين القطع والصلة اذ كل احسان ولو كان مما لا يحتاج اليه قريبه
وهو محتاج اليه يسمى صلة وعدمه لا يسمى ومنها عقوق الوالدين وهو اشد انواع قطع الرحم اذ اخص الارحام واشدها الولادة
فيتضاعف تأكد الحق فيها فهو كقطيعة الرحم اما يكون ناشيا من الحقد والغيظ او من البخل وحب الدنيا فيكون من رذايل
احدى قوتي الغضب والشهوة ثم جميع ما يدل على ذم قطيعة الرحم يدل على ذم العقوق ولكونه اشد انواع القطيعة و
اقطعها ورد في خصوص ذمه آيات واخبار اخر كثيرة كقوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا
اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما وقول رسول الله صلى الله عليه وآله كن بارا واقتصر على
الجنة وان كنت عاقا فظا فاقتصر على النار وقوله صلى الله عليه وآله اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة يوجد من مسيرة الف عام ولا يجدها
عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء انما الكبرياء لله رب العالمين وقوله صلى الله عليه وآله من اصبح مسخطا لابويه اصبح
له بابان مفتوحان الى النار وقال الباقر عليه السلام ان ابي عليه السلام نظر الى رجل ومعه ابنه يمشي والابن متكئ على ذراع الاب قال فما كلمه ابي مقتا له
حتى فارق الدنيا وقال الصادق عليه السلام من نظر الى ابويه نظر ماقت وهما ظالمان له لم يقبل الله تعالى له صلوة وقال عليه السلام اذا كان يوم القيمة
كشف غطاء من اغطية الجنة فوجد ريحها من كانت له روح من مسيرة خمسمائة عام الا صنفا واحدا فقيل له من هم قال العاق لوالديه
وقال عليه السلام لو علم الله شيئا هو ادنى من اف لنهى عنه وهو من ادنى العقوق ومن العقوق ان ينظر الرجل الى والديه فيحد النظر اليهما
وسئل الكاظم عليه السلام عن الرجل يقول لابنه بابي انت وامي او بابويه انت اتراه بذلك باسا فقال ان كان ابواه حيين فارى
ذلك عقوقا وان كانا قد ماتا فلا باس والاخبار في ذم العقوق اكثر من ان تحصى وورد في بعض الاخبار القدسية وعزتي وجلالي
وارتفاع مكاني لو ان العاق لوالديه يعمل باعمال الانبياء جميعا لم اقبلها منه وروي ايضا ان اول ما كتب الله في اللوح المحفوظ
اني انا الله لا اله الا انا من رضي عنه والداه فانا منه راض ومن سخط عليه والداه فانا عليه ساخط وقد ورد عن رسول الله
انه قال كل المسلمين يرى يوم القيمة الا عاق الوالدين وشارب الخمر ومن سمع اسمي ولم يصل علي وقد ثبت من الاخبار والتجربة
ان دعاء الوالدين على ولدهما لا يرد ويستجاب البتة ودلت الاخبار على ان من لم يرض عنه ابواه يشتد عليه سكرات الموت وعذاب
القبر وكفى للعقوق ذما انه ورد في الاسرائيليات انه تعالى اوحى الى موسى ان من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق
والديه كتبته عاقا وصل ضد العقوق بر الوالدين والاحسان اليهما وهو افضل القربات واشرف السعادات ولذلك ورد ما
ورد من الحث عليه والترغيب اليه قال الله سبحانه واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وقال
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة
والجهاد

والجهاد في سبيل الله وقال من اصبح مرضيا لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وقال يا رسول الله
اوصني فقال لا تشرك بالله شيئا وان حرقت بالنار وعذبت الا وقلبك مطمئن بالايمان ووالديك فاطعهما وبرهما حيين
كانا او ميتين وان امراك ان تخرج من اهلك ومالك فافعل وجاءه آخر وسأله عن بر الوالدين فقال ابرر امك ابرر امك
ابرر امك ابرر اباك ابرر اباك ابرر اباك وبدأ قبل الاب وجاءه آخر وقال يا رسول الله من ابر قال امك قال ثم من قال امك
قال ثم من قال اباك واتاه رجل آخر وقال اني رجل شاب نشيط واحب الجهاد ولي والدة تكره ذلك فقال صلى الله عليه وآله ارجع فكن
مع امك والذي بعثني بالحق لانسها بك ليلة خير من جهاد في سبيل الله سنة وروي انه صلى الله عليه وآله اتته اخته من الرضاعة
فلما نظر اليها سر بها وبسط ملحفته لها فاجلسها عليها ثم اقبل يحدثها ويضحك في وجهها ثم قامت فذهبت فجاء اخوها
فلم يصنع ما صنع بها فقيل له يا رسول الله صنعت باخته ما لم تصنع به وهو رجل فقال لانها كانت ابر بوالديها منه وقال
الصادق عليه السلام افضل الاعمال الصلوة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله وقال له عليه السلام رجل ان ابي قد كبر وضعف فنحن نحمله
اذا اراد الحاجة فقال ان استطعت ان تلي ذلك منه فافعل ولقمه بيدك فانه جنة لك غدا وقال له عليه السلام رجل ان لي ابوين
مخالفين فقال برهما كما تبر المسلمين ممن يتولانا وقال رجل للرضا عليه السلام ادعو لوالدي اذا كانا لا يعرفان الحق قال ادع لهما
وتصدق عنهما وان كانا حيين لا يعرفان الحق فدارهما قال رسول الله صلى الله عليه وآله ان الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق وقد ورد في اخبار
اخر في الامر بالبر والاحسان الى الوالدين وان كانا على خلاف الحق وقال عليه السلام ما يمنع الرجل منكم ان يبر والديه حيين وميتين
يصلي عنهما ويتصدق عنهما ويحج عنهما ويصوم عنهما فيكون الذي صنع لهما وله مثل ذلك فيزيده الله ببره وصلته خيرا
كثيرا والاخبار في ثواب بر الوالدين غير محصورة وينبغي لكل مؤمن ان يكون شديد الاهتمام في تكريمهما وتعظيمهما واحترامهما
ولا يقصر في خدمتهما وحسن صحبتهما وان لا يتركهما حتى يسألاه شيئا مما يحتاجان اليه بل يبادر الى الاعطاء قبل ان يفتقرا الى السؤال
كما ورد في الاخبار وان اضجراه فلا يقل لهما اف وان ضرباه لا يعبس وجهه وقال لهما غفر الله لكما ولا يملأ عينيه من النظر اليهما
الا برحمة ورقة ولا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يده فوق ايديهما ولا يتقدم قدامهما بل مهما امكن له الجلوس عندهما وكلما
بالغ في التذلل والتخضع لهما كان اجره ازيد وثوابه اعظم وبالجملة اطاعتهما واجبة وطلب رضاهما حتم فليس للولد ان
يرتكب شيئا من المباحات والمستحبات بدون اذنهما ولذا افتى العلماء بانه لا يجوز المسافرة في طلب العلم الا باذنهما الا اذا
كان في طلب علم الفرائض من الصلوة والصوم او اصول العقائد ولم يكن في بلده من يعلمه ولو كان فيه من يعلمه لم تجز المسافرة
وقد روي انه هاجر رجل من اليمن الى رسول الله صلى الله عليه وآله واراد الجهاد فقال له ارجع الى ابويك فاستأذنهما فان اذنا لك فجاهد والا
فبرهما ما استطعت فان ذلك خير مما تلقى به بعد التوحيد وجاء آخر اليه للجهاد فقال الك والدة فقال نعم قال الزمها فان الجنة
تحت قدمها وجاء آخر وطلب البيعة على الهجرة الى الجهاد وقال ما جئتك حتى ابكيت والدي قال ارجع اليهما فاضحكهما كما
ابكيتهما ولو وقع بين الوالدين مخالفة بحيث توقف رضا احدهما على سخط الآخر ينبغي ان يجتهد في الاصلاح بينهما
باي طريق امكن ولو بالعرض الى فقيه البلد حتى يطلبهما ويعظهما ويفيئهما على الوفاق لئلا يبقى منكسر خاطر احدهما منه
واعلم ان حق كبير الاخوة على صغيرهم عظيم فينبغي محافظته قال رسول الله صلى الله عليه وآله حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده
تذنيب حق الجوار قريب من حق الرحم اذ الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم
وزيادة من عدم قصر في حقه عداوة او بخلا فهو اثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له

في عقوق الوالدين

العاق لترك ما ورد

في حق الجار

في بر الوالدين

ثلثة حقوق فالجار الذي له ثلثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له
حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الاسلام الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف اثبت للمشرك
حق الجوار وقال صلعم احسن مجاورة من جاورك تكن مسلما وقال صلعم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره
وقال لا يؤمن من عبد حتى يامن جاره بوائقه وقيل له صلعم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال صلعم هي
في النار وعن علي ع ان رسول الله صلعم كتب بين المهاجرين والانصار ومن لحق بهم من اهل يثرب ان الجار كالنفس غير مضار ولا اثم وحرمة
الجار على الجار كحرمة امه وقال الصادق ع حسن الجوار زيادة في الاعمار وعمارة في الديار وقال ع ليس منا من لم يحسن مجاورة
من جاوره وقال ع قال رسول الله صلعم ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع وقال ع ان يعقوب لما ذهب منه بنيامين
نادى يا رب اما ترحمني اذهبت عيني واذهبت ابني فاوحى الله اليه لم ذلك في وقت فلان شاة وشويتها واكلت
وفلان في جوارك صائم لم تنله منها شيئا فكان بعد ذلك يعقوب ينادي مناديه كل غداء ومساء من منزله على فرسخ
الا من اراد الغداء والعشاء فليأت الى يعقوب وفي بعض الاخبار ان الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيمة ويقول
سل يا رب هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وتتميم معرفة الجوار موكول الى العرف فاي دار يطلق عليه الجار عرفا
يلزم مراعاة حقوق اهله والمستفاد من بعض الاخبار ان كل اربعين دارا من كل واحد من الجوانب الاربع جيران ثم
لا ينحصر حق الجار في مجرد كف الاذى اذ ذلك يستحقه كل احد بل لا بد من الرفق واسداء الخير والمعروف وتشريكه فيما ملكه
ويحتاج اليه من المطاعم كما ظهر من بعض الاخبار المتقدمة وينبغي ان يبدءه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عن حاله السؤال
ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة ويقوم معه في العزاء ويهنئه في الفرح ويصفح عن زلاته ويستر ما اطلع عليه
من عوراته ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره ولا في صب الماء من ميزابه ولا مطرح التراب في فنائه ولا في المرور في
طريقه ولا يمنع ما يحتاج اليه من الماعون ويغض بصره عن حرمته ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته ويتلطف
لاولاده في كلمته ويرشده الى ما يصلحه من امر دينه ودنياه وان استعانه اعانه وان استقرضه اقرضه ولا يستطيل
عليه بالبناء فيحجب عنه الريح الا باذنه واذا اشترى شيئا من لذايذ المطاعم وطرفها فليهد له فان لم يفعل فليدخلها بليته
سرا ولا يخرج بها اولاده حتى يطلع عليها بعض اولاد الجارة فتشتهيه ويتكسر لذلك خاطره ومنها طلب العثرات و
تجسس العيوب والعورات واظهارها ولا ريب في كونه من نتايج العداوة والحسد وربما حدث في القوة الشهوية
ورداءة يوجب الاهتزاز والانبساط من ظهور عيب بعض المسلمين وان لم يكن عداوة وحسد كما قيل وعين الرضا عن كل
عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا ومن تصفح الايات والاخبار يعلم ان من تتبع عيوب المسلمين واظهرها
بين الناس اسوء الناس واخبثهم قال الله تع ولا تجسسوا وقال سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا
لهم عذاب اليم وقال رسول الله صلعم من اذاع فاحشة كان كمبتديها ومن عير مؤمنا بشيء حتى لم يمت حتى يركبه وقال ع كل
معافا الا المجاهرون والمجاهر ان يعمل الرجل سوء سرا فيخبر به وقال صلعم من استمع من قوم هم له كارهون صبت في اذنيه
الانك يوم القيمة وقال صلعم يا معشر من اسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه لا تتبعوا عثرات المسلمين فانه من يتبع عثرات
المسلمين يتبع الله عثراته ومن يتبع الله عثراته يفضحه وقال الباقر ع اقرب ما يكون العبد الى الكفر ان يواخي الرجل
على الدين فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعيره بها يوما وقال الصادق ع من انبت مؤمنا انبه الله تع في الدنيا والاخرة وقيل للعم ع

شيء يقي الناس عورة المؤمن على المؤمن حرام فقال ليس حيث تذهبون انما عورة المؤمن ان يزل زلة او يتكلم بشيء يعاب عليه
فيحفظ عليه ليعيره بها يوما وقال الباقر ع كفى بالمرء عيبا ان يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه او يعير الناس بما لا يستطيع تركه او يؤذي
جليسه بما لا يعنيه والاخبار الواردة بامثال هذه المضامين كثيرة وصل ضد كشف العيوب سترها واخفاؤها وهو من اعظم شعب
النصيحة واحد انواعه كما يستفاد من الاخبار الكثيرة قال رسول الله صلعم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والاخرة وقال صلعم
لا يستر عبد عيب عبد الا ستره الله يوم القيمة وقال صلعم لا يرى امرء من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة وكفى في ستر العيوب
فضلا انه من اوصاف الله سبحانه ومن شدة اعتنائه بستر الفواحش اناط ثبوت الزنا وهو افحشها بما لا يمكن اتفاقه الا نادرا
وهو مشاهدة اربعة عدول كالميل في المكحلة فانظر الى الله تع كيف اسبل الستر على العصاة من خلقه في الدنيا بتضييق الطرق
المؤدية الى كشفه ولا نظن انه يحرم هذا الستر يوم تبلى السرائر فقد ورد في الحديث ان الله تع اذا ستر على عبد عورة في الدنيا
فهو اكرم من ان يكشفها في الاخرة وان كشفها في الدنيا فهو اكرم من ان يكشفها اخرى وورد ايضا انه يؤتى يوم القيمة بعبد يبكي
فيقول الله سبحانه له لم تبكي فيقول ابكي على ما ستكشف عني من عورتي وعيوبي عند الناس والملائكة فيقول الله تع عبدي ما فضحتك
في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك وانت تعصيني وتضحك فكيف افضحك اليوم بكشفها وانت لا تعصيني وتبكي وفي خبر آخر
ان رسول الله يطلب من الله سبحانه ان لا يحاسب امته بحضرة من الملائكة والرسل وساير الامم لئلا يظهر عيوبهم عندهم بل يحاسبهم بحيث
لا يطلع على معاصيهم غيره سبحانه وسواه صلعم فيقول الله سبحانه يا حبيبي انا ارأف بعبادي منك فاذا كرهت كشف عيوبهم
عند غيرك فانا اكره كشفها عندك ايضا فاحاسبهم وحدي بحيث لا يطلع على عثراتهم غيري فاذا كان عناية الله سبحانه في ستر عيوب العباد
بهذه المثابة فلك ايها المسكين المبتلى بانواع العيوب والمعاصي تسعى في كشف عيوب عباد الله مع انك مثلهم في الاتصاف بانواع
العيوب والعثرات وتامل انه لو ظهر احد بعض فواحشك عند الناس كيف يكون حالك وقس عليه حال غيرك ممن يكشف لنفسه بعض
فواحشه وقد تبين ووضح من الاخبار والتجربة ان من يفضح يفتضح فيا حبيبي ترحم على نفسك وتأس بربك فاسبل الستر على عيوب
غيرك ومنها افشاء السر واذاعته وهو اعم من كشف العيب اذ السر قد يكون عيبا وقد لا يكون بعيب ولكن في افشائه
ايذاء واهانة لحق الاصدقاء او غيرهم من المسلمين وهو من رذايل القوة الغضب ان كان منشأه العداوة
ومن رذايل قوة الشهوة ان كان منشأه تصور نفع مالي او مجرد اهتزاز النفس بذلك اجمالا وهو مذموم منهي عنه
قال رسول الله صلعم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة وقال صلعم الحديث بينكم امانة وورد ان من الخيانة ان تحدث
بسر اخيك وقال عبد الله بن سنان للصادق ع عورة المؤمن على المؤمن حرام قال نعم فقال يعني سفليه قال ليس حيث تذهب
انما هو اذاعة سره وصل ضد افشاء السر كتمانه وهو من الافعال المحمودة وقد امر به في الاخبار قال رسول الله طوبى لعبد نومة
عرفه ولم يعرفه الناس اولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ينجلي عنهم كل فتنة مظلمة ليسوا بالمذاييع البذر ولا بالجفاة المرائين
وقال امير المؤمنين طوبى لكل عبد نومة لا يؤبه يعرف الناس ولا يعرفه الناس يعرفه الله منه برضوان اولئك مصابيح الهدى ينجلي
عنهم كل فتنة ويفتح لهم باب كل رحمة ليسوا بالبذر المذاييع ولا الجفاة المرائين وقال ع قولوا الخير تعرفوا به واعملوا الخير تكونوا
من اهله ولا تكونوا عجلا مذاييع فان خياركم الذين اذا نظر اليهم ذكر الله وشراركم المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة
المبتغون للبراء المعايب تكملة النميمة يطلق في الاكثر على ان ينم قول الغير الى المقول فيه كما تقول فلان تكلم فيك بكذا وكذا او فعل
فيك كذا وكذا وعلى هذا يكون نوعا خاصا من افشاء السر وهتك الستر وهو الذي يتضمن فسادا او سعاية وقد يطلق على ما لا
يختص بالمقول بل على كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه او المنقول اليه او كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول

او الكتابة او بالرمز والايماء وسواء كان المنقول من الاعمال او من الاقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصانا على المنقول عنه او لم يكن
وعلى هذا يكون مساوقا لافشاء السر وهتك الستر فكل ما يرى من احوال الناس مما يكرهونه فافشاؤه واذاعته نميمة فاللازم على كل
مسلم ان يسكت عما يطلع عليه من احوال غيره الا اذا كان في حكايته نفع لمسلم او دفع لمعصية كما اذا راى احدا يتناول مال غيره فعليه
ان يشهد به مراعاة لحق المشهود له واما اذا راه يخفي مالا لنفسه فحكايته وافشاؤه للسر ثم الباعث على النميمة اما ارادة السوء
بالمحكي عنه فيكون داخلا تحت الايذاء وربما كان باعثه اظهار المحبة للمحكي له او التفرج بالحديث او الخوض في الفضول لكن
على اي تقدير لا ريب في ان النميمة ارذل الافعال القبيحة واشنعها وما ورد في ذمها من الايات والاخبار لا يحصى كثرة
قال الله سبحانه هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم والزنيم هو ولد الزنا فليستفاد من الاية ان كل من يمشي
بالنميمة فهو ولد الزنا وقال سبحانه ويل لكل همزة لمزة اي النمام المعتاب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي خبر اخر
لا يدخل الجنة قتات اي النمام وقال عليه السلام احبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يالفون ويؤلفون وان
ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة بين الاحبة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات وقال عليه السلام الا اخبركم بشراركم
قالوا بلى يا رسول الله قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وقال عليه السلام من اشاع على مسلم
كلمة ليشينه بها بغير حق شانه في النار يوم القيمة وقال ايما رجل شاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله
ان يذيبه بها يوم القيمة في النار وقال ان الله لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت سعد من دخلني قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي
لا يسكن فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث
ولا قاطع رحم ولا الذي يقول علي عهد الله ان فعل كذا وكذا ثم لم يف به وقال الباقر عليه السلام الجنة محرمة على العيابين المشائين
بالنميمة وقال عليه السلام يحشر القتات يوم القيمة وما نداه وما فيه ونفع اليه بشفرة الحجامة او فوق ذلك فيقول له هذا سهمك من دم فلان
فيقول يا رب انك لتعلم انك قبضتني وما سفكت دما فيقال سمعت من فلان رواية كذا وكذا فرويتها عليه فنقلت
حتى صارت الى فلان الجبار فقتله وهذا سهمك من دمه وقال عليه السلام من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم
مروته ليسقط من اعين الناس اخرجه الله تعالى من ولايته الى ولاية الشيطان ولا يقبله الشيطان وروي انه اصاب بني اسرائيل
قحط فاستسقى موسى مرات فما اجيب فاوحى الله تعالى اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد اصر على النميمة فقال موسى
يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وروي ان ثلث عذاب
القبر من النميمة ومن عرف حقيقة النميمة يعلم ان النمام شر الناس واخبثهم كيف وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر
والخيانة والغل والحسد والنفاق والافساد بين الناس والخديعة وقد قال الله سبحانه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض والنمام يسعى في قطع ما امر الله به ان يوصل ويفسد في الارض وقال الله انما السبيل على الذين يظلمون
الناس ويبغون في الارض بغير الحق والنمام منهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قاطع اي قاطع بين الناس والنمام قاطع بينهم
وقال عليه السلام شر الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم والنمام اعظم شرا من كل احد نقل ان رجلا باع عبدا فقال للمشتري ما فيه عيب
الا النميمة قال رضيت فاشتراه فمكث الغلام اياما ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك لا يحبك وهو يريد ان يتسرى عليك و
انا اسحره في شعره فقالت كيف اقدر على اخذ شعره فقال اذا نام فخذي الموسى واحلقي من قفاه عند نومه شعرات
حتى اسحره عليك فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم
فجاءت بالموسى فظن انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهلها وقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الامر بينهم

ثم يلزم على

ثم يلزم على من حمل اليه النميمة ان لا يصدق النمام لانه فاسق والفاسق مردود الشهادة لقوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا
وان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله لقوله تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر وان يبغضه في الله لكونه مبغوضا عنده
تعالى وان لا يظن باخيه سوءا بمجرد قوله لقوله اجتنبوا كثيرا من الظن وان لا يحمله على التجسس والبحث لتحقيق ما حكي له لقوله تعالى ولا
تجسسوا وان لا يرضى لنفسه ما نهى عنه النمام فلا يحكي نميمته فيقول فلان قد حكى كذا وكذا فيكون به نماما ومغتابا وروى محمد بن
الفضيل عن الكاظم عليه السلام انه قال له جعلت فداك الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي اكرهه فاساله عن ذلك فينكر ذلك
وقد اخبرني عنه قوم ثقات فقال لي يا محمد كذب سمعك وبصرك عن اخيك فان شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولا
فصدقه وكذبهم لا تذيعن عليه شيئا تشينه به وتهدم مروته فتكون من الذين قال الله تعالى في كتابه ان الذين يحبون ان
تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب شديد وقد روي عن امير المؤمنين عليه السلام ان رجلا اتاه يسعى اليه برجل فقال يا هذا
نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك قال اقلني
يا امير المؤمنين ونقل ان رجلا زار بعض الحكماء واخبره بخبر عن غيره فقال له قد ابطات عن الزيارة وبغضت الي اخي
وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة تتمة السعاية هي النميمة بشرط كون المحكي له ممن يخاف جانبه كالسلاطين
والامراء والحكام والرؤساء وامثالهم فهي اشد انواع النميمة اثما ومعصية وهي ايضا يكون من العداوة ومن حب المال وطمع فيكون
من رذائل القوتين وجناياتهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس لغير رشدة يعني ليس بولد حلال وذكرت السعاة
عند بعض الاكابر فقال ما ظنك بقوم يحمد الصدق من كل طائفة الا منهم ومنها الافساد بين الناس وهو في الاكثر يحصل بالنميمة
وان لم يوجب كل نميمة افسادا ولا ريب في كونه من المهلكات المؤدية الى النار قال الله سبحانه الذين ينقضون عهد الله من
بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افساد ذات
البين هي الحالقة وضده الاصلاح بين الناس وهو اعظم انواع النصيحة ولا غاية لمثوبته عند الله قال الله افضل
الصدقة اصلاح ذات البين وقال عليه السلام اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين يوم القيمة وقال عليه السلام
ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا وقال عليه السلام كل الكذب مكتوب الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة
او يكذب بين اثنين فيصلح بينهما الخ وقال الصادق عليه السلام صدقة يحبها الله تعالى اصلاح بين الناس اذا تفاسدوا وتقارب بينهم
اذا تباعدوا وقال عليه السلام للمفضل اذا رايت بين اثنين من شيعتنا منازعة فافتدها من مالي وقال عليه السلام لابن عمار ابلغ عني
كذا وكذا في اشياء امر بها فقال له ابن عمار فابلغهم عنك واقول عني ما قلت لي وغير الذي قلت قال نعم ان المصلح ليس
بكذاب انما هو الصلح ليس بكذب وقال عليه السلام المصلح ليس بكاذب يعني اذا تكلم بما لا يطابق الواقع فيما يتوقف عليه الاصلاح
لم يعد كلامه كذبا وهذا يدل على وجوب الاصلاح بين الناس لان ترك الكذب واجب ولا يسقط الواجب الا بواجب
اكد منه ومنها الشماتة وهو اظهار الفرح بما اصاب غيره من البلية والمصيبة اما هو من سوء فعله واساءته الغالب صدوره
عن العداوة والحسد وعلامته ان يكون مع فرح وسرور وقد يصدر عن رذائل القوة الشهوية بان يعير بالشماتة
ويميل اليه مع جهله بمواقع القضاء والقدر وان لم يكن معه حقد وحسد والتجربة والاخبار شاهدان على ان كل من شمت
مسلما بمصيبة لم يخرج من الدنيا حتى يبتلى بمثلها وشماتة غيره بها قال عليه السلام لا تبد الشماتة لاخيك فيرحمه الله تعالى ويبتليك
وقال ومن شمت بمصيبة نزلت باخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن على ان كل بلية ومصيبة يرد على مسلم يمكن بان يكون كفارة

لذنوبه او باعثا لرفع درجاته واعتلاء مرتبته في دار الآخرة والدليل على ذلك ان اعظم البلايا والمصايب موكل بالانبياء
ثم بالاولياء ثم بالامثل فالامثل في درجات الاعتلاء ولا ريب في ان ورود المصايب والمحن عليهم ليس من سوء فعلهم واسائتهم
فينبغي لكل عاقل ان يتأمل اولا ان الشماتة لمسلم بمصيبة لا ينفك في الدنيا من ابتلائه بمثلها وثانيا انها ايذاء لاخيه المسلم
فلا ينفك عن العذاب في الآخرة وثالثا ان ورود هذه المصيبة به لا يدل على سوء حاله عند الله بل الارجح دلالته على حسن
حاله وتقربه عند الله سبحانه فيحافظ نفسه عن ايذاء الشماتة لاحد من المسلمين ويتحفظ من ذلك من الشاكين من عقوبة
العاجل وعذاب الآجل ومنها المراء والجدال والخصومة اعلم ان المراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير غرض سوى
تحقيره واهانته واظهار تفوقه وكياسته والجدال مراء يتعلق باظهار المسائل الاعتقادية وتقريرها والخصومة لجاج في
الكلام لاستيفاء مال او حق مقصود وذلك يكون تارة ابتداء وتارة اعتراضا والمراء لا يكون الا اعتراضا على كلام سبق فالمراء
داخل تحت الايذاء ويكون ناشيا من العداوة او الحسد واما الجدال والخصومة فربما صدرا من احدهما ايضا وربما لم يصدرا
منهما فالجدال ان كان بالحق اي تعلق باثبات احدى العقائد الحقة وكان الغرض منه الارشاد والهداية ولم يكن الخصم
للحق عنودا فهو الجدال بالاحسن وليس مذموما بل ممدوح معدود من الثبات في الايمان لانه من نتايج قوة المعرفة
وكبر النفس قال الله سبحانه ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن وان لم يكن بالحق فهو مذموم اقتضاه العصبية او حب
الغلبة او الطمع المالي فيكون من رذايل القوة الغضبية او الشهوية وربما اورث شكوكا وشبهات يضعف العقيدة
الحقة ولذا نهى الله سبحانه عنه وذم عليه فقال ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقال سبحانه واذا
رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم والخصومة ايضا ان كانت بحق اي
كانت يتوقف عليها استيفاء مال او حق ثابت فهو ممدوح معدود من فضائل القوة الشهوية وان كانت بباطل اي تعلقت
بما يعلم كذبا او بلا علم ويقين فهو مذموم معدود من رذائلها فالخصومة المذمومة يتناول المخاصم فيما يعلم قطعا
عدم استحقاقه وفيما لا علم له بالاستحقاق كخصومة وكيل القاضي فانه قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب يتوكل في الخصومة
من اي جانب كان فيخاصم من غير علم وايقان فيتخبط خبط عشوات وركاب الشبهات يضر بالمسلمين بلا غرض ويتحمل اوزار
الغير بلا عوض فهو اخسر الناس اعمالا واعظمهم في الآخرة اوزارا وانكالا ويتناول ايضا مخاصم من يطلب حقه ولكنه لا يقتصر
على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والعناد في الخصومة قصد التسلط او الايذاء ومن يمزج الخصومة كلمات موذية لا يحتاج
اليها في اظهار الحق وبيان الحجة ومن يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع استحقاره لذلك القدر من المال وربما
صرح بان قصده العناد والغلبة عليه وكسر عرضه واذا اخذت منه هذا المال رميته ولا ابالي ومثل اللدد واللجاج
فمحض الخصومة الجائزة مخاصمة المظلوم الذي يطلب حقه وينصر حجته بطريق الشرع من غير قصد عناد وايذاء مع الاقتصار
على قدر الحاجة في الخصومة من دون ان يتكلم بالزائد ولا بكلمات موذية فعله ليس بحرام وان كان الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا
اذ ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر او متعسر لانها توغر الصدور ويهيج الغضب ويذهب التنازع فيما بين
واستقل الحقد بين المتخاصمين حتى يحزن كل واحد بمسرة صاحبه ويفرح بمسائته فالخصومة مبدأ كل شر فينبغي ان لا يفتح
بابها الا عند الضرورة على قدر الضرورة ولا يتقاعد عن الواجب اذا قل دركها بحيث يتشوش الخاطر حتى انه في الصلوة يشتغل
بمحاجة الخصم ويتضمن الطعن والاعتراض اي التجهيل والتكذيب اذ من يخاصم غيره اما يجهله او يكذبه فيكون ايذاء الظلم

ويؤتى

ويؤتى به ضده اعني طيب الكلام مع ما ورد فيه من الثواب وكذا الحال في المراء والجدال فعلاج جملة المراء والجدال والخصومة
سوى ما استثني من ذمايم الافعال ومبادي اكثر الشرور والفتن ولذا ورد بها الذم الشديد في الاخبار قال رسول الله
من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال ابغض الرجال الى الله الالد الخصم وقال ص ما اتاني
جبرئيل قط الا وعظني فآخر قوله لي اياك ومشادة الناس فانها تكشف العورة وتذهب بالعز وورد اياك والخصومة
فانها تمحق الدين وما خاصم ورع قط في الدين وقال امير المؤمنين ع اياكم والمراء والخصومة فانهما يمرضان القلوب على الاخوان
وينبت عليهما النفاق وقال علي بن الحسين ع ويل امه فاسقا من لا يزال مماريا ويل امه فاجرا من لا يزال مخاصما ويل امه اثما
من كثر كلامه في غير ذات الله وقال الصادق ع لا تمارين حليما ولا سفيها فان الحليم يقليك والسفيه يؤذيك وقال ع
اياكم والمماراة فانها تورث المعرة وتظهر العورة وقال ع اياكم والخصومة فانها تشغل القلب وتورث النفاق
وتكسب الضغائن ومن تأمل فيما يدل على ذمها وسوء عاقبتها عقلا ونقلا مع عدم ترتب غاية عليها وما ورد في مدح
تركها وفوائد ضدها اعني طيب الكلام يسهل عليه ان يتركها ولم يحم حولها تذنيب طريق المعالجة في ترك المراء
والجدال والخصومة ان يعلم انها يوجب التباغض والمباينة ويزيل الالفة والمحبة ويقطع الالتيام والوحدة ولا ريب في ان
قوام النظام الاصلح في الالتيام والوحدة كما اقتضته العناية الالهية والحكمة الازلية والمباينة الراجعة الى الكثرة ينافيها
ولا ينبغي للعاقل ان يرتكب ما يضاد فعل الله وحكمته وهذا هو العلاج العلمي واما العملي فليواظب على ضد هذه الثلثة
اعني طيب الكلام ويكلف نفسه عليه حتى يصير ملكة له ويرتفع اضداده عنه بالمرة وصل قد اشير الى ان ضد الرذايل الثلث
طيب الكلام وما ورد في مدحه وفي ثواب تركها اكثر من ان يحصى قال رسول الله ص ثلث من لقي الله تعالى بهن دخل الجنة من اي
باب شاء من حسن خلقه وخشي الله في المغيب والمحضر وترك المراء وان كان محقا وقال ص يمكنكم من الجنة طيب الكلام واطعام الطعام
وقال ص ان في الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وقال ص
الكلمة الطيبة صدقة وروي ان عيسى ع مر به خنزير فقال له مر بسلامة فقيل له يا روح الله تقول هذا للخنزير فقال اكره ان
اعود لساني الشر وقال بعض الحكماء الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح ومنها السخرية والاستهزاء وهو
محاكاة اقوال الناس وافعالهم او صفاتهم وخلقتهم قولا او فعلا او ايماء واشارة على وجه تضحك منه وهو لا ينفك من الايذاء
والتحقير والتنبيه على العيوب والنقايص وان لم يكن ذلك بحضرة المستهزأ به فيتضمن الغيبة ايضا وباعثه اما العداوة
او التكبر واستصغار المستهزأ به فيكون من رذايل القوة الغضبية او قصد تخديل الاغنياء وتنشيط قلوبهم طمعا في بعض
اوساخهم الملوثة واخذ النتن من حطامهم المحرم ولا ريب في انه صفة من اخس الرذائل وشيمة ارذال احزاب الشياطين
لانهم يظهرون الاكاذيب والاقوال ويرتكبون اعاجيب الافعال ويخلعون قلايد الحياء عن الرقاب ويهتكون استار الحياء
بمحضر من اولي الالباب يتبعون عيوب المؤمنين وعوراتهم ويظهرون نقايص المسلمين وعثراتهم ويقلدون افعال
الاخيار عليها ومن يضحك الاشرار ويحاكون صفات الابرار على افضح الوجوه في الانظار ولا ريب في ان المرتكب لهذه
الافعال عن الانسانية بمراحل ومستوجب لعقوبة العاجل وعذاب الآجل الى سلم عن الصغار والهوان ولا وقع
له في قلوب اهل الايمان وكفاه ذما انه جعل تلك المعاصي الخبيثة وسيلة لتحصيل المال الحرام او لوقع في قلوب ابناء الدنيا
ويلزمه عدم اعتقاده بان الله سبحانه هو المتكفل لارزاق العباد والطريق في دفعه بعد التأمل في سوء عاقبته

ووخامة خاتمته وفيما يلزمه من الذلة والهوان في الدنيا ان يبادر الى ازالة العداوة والتكبر ان كان باعثه تنبيط
قلوب اهل الدنيا لطمعا في مالهم فليعلم ان كل نفس ما قدر لها من الاموال والارزاق تصل اليها من الله سبحانه البتة فان
من يتق الله ويتوكل عليه يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ويكون في الاخرة سعيدا وان اغواه الشيطان وحثه
على تحصيلها من المداخل الخبيثة لم يصل اليه اكثر مما قدر له وكان في الاخرة شقيا وليعلم ايضا ان المتوكل على الله والمتقي
بالطريقة لا يبدل التوكل والحرية لهذه الافعال الا لاجل الوصول الى بعض حبائث الاموال فليعاتب نفسه ويزجرها بالمواعظ
والنصائح ويتذكر ما ورد في الشريعة من ذم المستهزئين وتعذيبهم يوم القيمة بصورة الاستهزاء قال الله جل جلاله
لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم وقال رسول الله صلعم ان المستهزئ بين الناس يفتح لاحدهم باب من الجنة
فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتى اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتى اغلق
دونه فما يزال كذلك حتى يفتح له الباب ويقال له هلم هلم فما يأتيه وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الصغيرة والتبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وفيه اشارة الى ان الضحك
على الناس من الجرايم العظيمة ثم جميع ما ذكر انما هو في حق من يؤذي الناس ويهينهم باستهزائه وسخريته واما من جعل
نفسه سخرة ويسر بان يهزل ويسخر به وان كان هبوطا للماء على نفسه خارجا عن شعار المؤمنين حيث اهان نفسه
واذلها الا ان سخرية الغير من جملة المزاح ويأتي ما يذم منه وما يحمد وانما المحرم منه ما يؤدي الى ايذائه وتحقيره بان
يضحك على كلامه اذا خبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة او على صورته وخلقته اذا كان قصيرا او طويلا او
ناقصا بعيب من العيوب فالضحك على جملة ذلك داخل في السخرية المنهي عنها وطريق علاجه بعد تذكر ما تقدم ان المستهزئ
يوجب خزي نفسه يوم القيمة عند الله وعند الله والنبيين وعند الناس اجمعين فلو تفكر في حسرته وخسارته
وخجلته واخزائه يوم يحمل سيئات من استهزئ به ويساق الى النار لادهشه ذلك عن اخزاء غيره ولو عرف حقيقة حاله
يوم القيمة لكان الاولى له ان يضحك على نفسه تارة ويبكي عليها اخرى لانه باستهزائه عند بعض ارذال الناس عرض
نفسه لان يأخذ بيده يوم القيمة على ملأ من الناس ليسوقه تحت السياط كما يساق الحمار الى النار مستهزئا به مسرورا
بخزيه وتمكين الله تعالى اياه على الانتقام منه فمن تامل في ذلك لم يكن عدوا لنفسه اجتنب عن السخرية والاستهزاء
كل الاجتناب ومنها المزاح واصله مذموم منهي عنه وسببه اما خفة في النفس فيكون من رذايل القوة الغضبية
او ميل النفس وشهوتها اليه او تطييب خاطر بعض اهل الدنيا طمعا في مالهم فيكون من رذايل القوة الشهوية وسبب
الذم فيه انه يسقط المهابة والوقار وربما ادى الى التباغض والوحشة والضغينة وربما الجأ الى الهزل والاستهزاء
وادخل صاحبه في جملة المستهزئين وربما صار باعثا لظهور العداوة كما قيل ربما جرجرة اللعب وقال رسول الله صلعم
لا تمار اخاك ولا تمازحه وقال بعض الاكابر لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترئ عليك
وقال اخر اياكم والممازحة فانها تورث الضغينة وتجر القطيعة وقال اخر المزاح مسلبة للبهاء ومقطعة للاصدقاء
وقيل لكل شيء بذر وبذر العداوة المزاح ومن مفاسد المزاح انه سبب للضحك وهو منهي عنه قال الله تعالى فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا وهو يدل على ان الضحك علامة الغفلة عن الاخرة وقال بعض الاكابر من كثر ضحكه قلت هيبته
ومن مزح استخف به ومن اكثر شيئا عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه

ومن قل ورعه

ومن قل ورعه مات قلبه وخاطب عارف نفسه وقال اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال رجل لاخيه يا اخي هل
اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج عنها قال لا قال ففيم تضحك فما رأي بعد ذلك ضاحكا حتى مات ونظر بعضهم الى قوم يضحكون
في يوم الفطر فقال ان كان هؤلاء غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان كان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخائفين ثم المذموم من الضحك هو
القهقهة والتبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت ليس مذموما بل هو محمود لفعل النبي صلعم تذنيب الحق ان المذموم
من المزاح هو الافراط فيه والمداومة عليه او ما يؤدي الى الكذب والغيبة وامثالهما ويخرج صاحبه عن الحق واما القليل الذي
يوجب انبساط خاطر وطيبة قلب ولا يتضمن ايذاء ولا كذبا ولا باطلا فليس مذموما لقول رسول الله صلعم اني لامزح ولا اقول
الا حقا ولما روي انهم قالوا له صلعم يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول الا حقا ولما روي العامة انه صلعم
كان كثير التبسم وكان افكه الناس ولما روي ان امير المؤمنين عم كان يمزح بحيث عيبوه وقالوا لولا دعابة فيه لكان اولى الصحابة
بالخلافة وقال سلمان الفارسي عند مزاح له هذا ما اخرك الى الرابعة وورد ان رسول الله صلعم كسى ذات يوم واحدة من
نسائه ثوبا واسعا وقال البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وقال صلعم لعجوز لا يدخل الجنة عجوز فبكت العجوز فقال
انك لست يومئذ بعجوز وجاءت امرأة اليه وقالت ان زوجي يدعوك فقال صلعم زوجك هو الذي بعينه بياض فقالت لا
والله ما بعينه بياض قال بلى ان بعينه بياضا وما من احد الا بعينه بياض وهو البياض المحيط بالحدقة وجاءت امرأة اخرى
وقالت احملني يا رسول الله على بعير فقال نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال صلعم هل من بعير الا وهو ابن
البعير وكان يدلع لسانه للحسين عم فيرى لسانه فيهش له وقال لصهيب وبه رمد وهو يأكل التمر اتأكل التمر وانت ارمد
فقال انما اكل بالشق الاخر فتبسم رسول الله بحيث بدت نواجذه وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب
بطريق مكة وكان ذلك قبل اسلامه فاطلع عليه رسول الله صلعم فقال له ما لك مع النسوة قال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرد فمضى رسول
الله صلعم لحاجته ثم اطلع فقال يا ابا عبد الله فارق ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت وكنت بعد ذلك استخفي
منه حياء حتى اسلمت وقدمت المدينة فاطلع علي يوما وانا اصلي في المسجد فطولت الصلوة فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت
قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت فقال الله اكبر الله اكبر
اللهم اهد ابا عبد الله فحسن اسلامه وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا فاذا دخل المدينة شيء نفيس من اللباس والمطاعم
اشتراه وجاء به الى رسول الله صلعم ويقول هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى رسول الله صلعم وقال
يا رسول الله اعطه ثمن ما اهديته لك فيقول له النبي او لم تهده لنا فيقول لم يكن عندي والله ثمنه واحببت ان تأكله فيتبسم
رسول الله صلعم ويأمر لصاحبه بثمنه وامثال هذه المطايبات مروية عن رسول الله وعن الائمة عم واكثرها منقولة مع النسوان
والصبيان وكان ذلك معالجة لضعف قلوبهم من غير ميل الى هزل وكذب ولا باطل وكان صدور ذلك عنهم احيانا وعلى الندور
ومثلهم كانوا يقدرون على المزاح مع عدم خروجهم عن الحق والاعتدال واما غيرهم فاذا فتح باب المزاح فربما وقع في الافراط
والباطل فالاولى لامثالنا تركه مطلقا ومنها الغيبة وهي ان تذكر الغير بما يكرهه لو بلغه سواء كان ذلك بنقص في بدنه او
في اخلاقه او اقواله او في افعاله المتعلقة بدينه او دنياه بل وان كان بنقص في ثوبه او داره او دابته والدليل على هذا
التعميم بعد اجماع علماء الامة على ان من ذكر غيره بما يكرهه اذا سمعه فهو مغتاب ما روي عن رسول الله صلعم انه قال هل تدرون ما الغيبة
قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل ارأيت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته

في مدح المزاح وذمه

فان لم يكن فقد بهته وما روي انه ذكر رجل عنده صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال ان قلتم
ما ليس فيه فقد بهتموه وما روي انه ذكرت امرءة فقالت عايشة انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتبتها وما روي انها قالت لامرءة ذكرت
عند النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال لها الفظي فلفظت بضعة من لحم وقد عد احد الشيخين قال للاخر ان فلانا
لنوم ثم طلبا ادما من رسول الله ليكلا مع الخبز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ايتدمتما فقالا لا نعلم فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما واما
ما روي عن الصادق عليه السلام انه قال الغيبة ان يذكر احد بما ليس هو عند الله تعيب ويذم مطلقه العلم فيه واما الخوض
في ذكر غايب بما هو عند الله مذموم وصاحبه فيه ملوم فليس بغيبة وان كره صاحبه اذا سمع به وكنت انت معافى عنه خاليا منه
وتكون مبينا الحق من الباطل ببيان الله ورسوله ولكن على شرطان لا يكون للقائل بذلك مراد غير بيان الحق والباطل في دين الله
واما اذا اراد به نقيض المذكور بغير ذلك المعنى فهو ماخوذ بفساد مراده وان كان صوابا فهو مخصص بما اذا لم يكن صاحب عالما بقبحه
وكان ساترا على نفسه كارها لظهوره ويدل على ذلك ما روي عنه ايضا انه قال هو ان تقول لاخيك في دينه ما لم يفعل وتبث
عليه امرا قد ستره الله عليه لم يقم فيه حد وقال عليه السلام الغيبة ان تقول لاخيك ما ستر الله عليه واما الامر الظاهر فيه مثل الحدة والعجلة
فلا وقال الكاظم عليه السلام من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته ويأتي انحلال
معصية غير ساترها لا غيبة له فيها والحاصل ان الاجماع والاخبار متطابقان على ان حقيقة الغيبة هو ان تذكر الغير بما يكرهه
اذا سمعه سواء كان ذلك بنقص في نفسه او بدنه او في دينه او دنياه او فيما يتعلق به من الاشياء وربما قيل انه لا غيبة فيما يتعلق
بالدين لانه ذم من ذمه الله تعالى ورسوله فذكره بالمعاصي وذمه جايز وايدذلك بما روي انه ذكر عند رسول الله امرءة وكثرة
صومها وصلوتها ولكنها تؤذي جيرانها فقال هي في النار وذكرت امرءة انها بخيلة فقال فما خيرها اذن ولا ريب في بطلان
هذا القول لما عرفت من عموم الادلة وما ورد في ذم الاشخاص المعينة في كلام الله وكلام النبي انما هو لتعريف الاحكام وتنبيه
سؤال الاصحاب عنهم وذكرهم بالمعاصي انما كان لحاجتهم الى معرفة الاحكام لا للذم واظهار العيب ولذا لم يكن ذلك الا في مجلس الرسول
او الائمة عليهم السلام

فصل اعلم ان الغيبة لا ينحصر باللسان بل كلما يفهم نقصان الغير ويعرف ما يكرهه فهو غيبة سواء كان بالقول او الفعل
او التصريح او التعريض او بالاشارة والايماء او بالغمز والرمز او بالكتابة والحركة ولا ريب في ان الذكر باللسان غيبة لتفهيم
الغير نقصان اخيك وتعريفه بما يكرهه لا لكون المفهم والمعرف لسانا فكلما كان مفهما ومعرفا باظهار النقص بالفعل و
المحاكاة كمشية الاعرج بل هو اشد من الغيبة باللسان لانه اعظم في التصوير والتفهيم منه وبالايماء والاشارة وقد روي
انه دخلت امرءة على عايشة فلما ولت اومات بيدها انها قصيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتها وبالكتابة اذ القلم احد
اللسانين وبالتعريض كان تقول الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة والتبذل في طلب الجاه والمال او تقول نعوذ بالله
من قلة الحياء ونسأل الله ان يعصمنا منه معرضا في كل ذلك عن ارتكب ذلك فتذكره بصيغة الدعاء وبما قدم مدح من يريد
غيبته ثم اظهر باطنا دعيبه كان يقول لقد كان فلان حسن الحال لكنه ابتلي بما ابتلي به كلنا من سوء الحال وهو جمع
بين الرياء والغيبة ومدح نفسه بالتشبه بالصلحاء في ذم انفسهم ومن المغتابين المنافقين من يظهر في مقام غيبة مسلم
الاغتمام والحزن من سوء حاله كان يقول لقد ساءني ما جرى على صديقنا فلان من الاهانة والاستخفاف او ارتكابه
معصية فنسأل الله ان يجعله مكرما او يصلح حاله او يقول قد ابتلي ذلك المسكين بامر عظيم تاب الله علينا وعليه وهو
كاذب في ادعائه الحزن والكآبة وفي اظهار الدعاء اذ لو اغتم لاغتم باظهار ما يكرهه ايضا ولو قصد الدعاء لاخفاه في

خلواته

في الغيبة

وفي خلواته فاظهار الحزن والدعاء ناش عن خبث سريرته وهو يظن انه ناش من صفاء طويته هكذا يلعب الشيطان من
ليس له قوة البصيرة بمكائد اللعين وتلبيساته فيسخرهم ويضحك عليهم ويحبط عليهم اعمالهم بمكايده وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا وربما ذكر بعض المغتابين عيب مسلم ولم يتنبه بعض الحاضرين فيقول لاسماعه واعلامه ما يقول سبحان الله ما اعجب
هذا حتى يتوجه اليه ويعلم ما يريد فيستعمل اسم الله آلة لتحقيق خبثه ثم المستمع للغيبة احد المغتابين كما ورد به الخبر
وقد دل على ذلك ايضا ما تقدم من حديث الشيخين وما روي انه صلى الله عليه وسلم لما رجم ماعز قال رجل لاخر هذا اقعص
كما يقعص الكلب فمر النبي معهما بجيفة فقال انهشا من هذه الجيفة فقالا يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من
اخيكما انتن من هذه فجمع بينهما مع ان احدهما كان قائلا والاخر مستمعا وهو لا يبرء باستماعها الا انه لا ينكر باللسان
ولا يكرهه بالقلب او يسر ويفرح باستماعها الا ان النفاق وان دل حاله على عدم الفصد يتورد بما منع مفاد ياوتي هذا
مع كونه مشتهيا لها بقلبه وربما توسل بالحيل المرغبة للمغتاب في زيادة الغيبة مع التباس الامر عليه بانه يشتهيها
فيل ان يظهر التعجب ويقول عجبت منه ما علمت بانه كذلك وما عرفته الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا
عافانا الله من بلائه فان ذلك تصديق للمغتاب وباعث لزيادة نشاطه في الغيبة فكانه يستخرج منه الغيبة بهذا الطريق
والحاصل ان المستمع للخروج عن اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه او يقطع الكلام بكلام آخر او يقوم من المجلس وان لم يقدر
على شيء من ذلك فلينكر بقلبه وان قال بلسانه اسكت وهو مشتهي بقلبه فذلك نفاق لا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه بقلبه
ومع عدم الخوف لا يكفي ان يشير باليد او حاجب او جبينه اي اسكت اذ ذلك استحقار للمذكور مع انه ينبغي ان يعظمه
فيذب عنه صريحا قال النبي صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلايق
وقال من رد من عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله ان يرد عن عرضه يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من ذب عن عرض اخيه بالغيبة
كان على الله ان يعتقه من النار وقال من رد عن عرض اخيه كان له حجابا من النار وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل ذكر عنده اخوه
المسلم وهو يستطيع نصره ولو بكلمة ولم ينصره الا اذله الله عز وجل في الدنيا والاخرة ومن ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله
في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيمة من النار وقال صلى الله عليه وسلم من تطول على
اخيه في غيبة سمعها عنه في مجلس فردها رد الله عنه الف باب من الشر في الدنيا والاخرة وان لم يردها وهو قادر على ردها
كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة وقال الباقر عليه السلام من اغتيب عنده اخوه المؤمن فنصره واعانه نصره الله في الدنيا والاخرة
ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه حفظه خفضه الله تعالى في الدنيا والاخرة وهذه المضامين في اخبار كثيرة
اخر

فصل اعلم ان باعث الغيبة غالبا اما الغضب او الحقد او الحسد فيكون من نتايجها ومن رذايل قوة الغضب ومن بواعثها اخر
الاول السخرية والاستهزاء فان ذلك كما يجري في الحضور يجري في الغيبة ايضا وقد عرفت ان منشأها ماذا الثاني اللعب والهزل
والمطايبة فيذكر غيره بما يضحك الناس عليه على سبيل التعجب والمحاكاة ويأتي ان باعث الهزل والمزاح ماذا وانه متعلق
بقوة الشهوة الثالث ارادة الافتخار والمباهاة بان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان لا يعلم شيئا وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك
فضل نفسه وانه افضل منه وظاهر ان منشأ ذلك التكبر والحسد فيكون من رذايل القوة الغضبية الرابع ان ينسب الى جناية من
القبايح فيريد ان يتبرء منه بذكر الذي فعله وكان اللازم عليه ان يبرء نفسه منه ولا يتعرض للغير الذي فعله وقد يذكر غيره
بانه كان مشاركا له في الفعل ليتمهد بذلك عذر نفسه في فعله وربما كان منشأ ذلك ضعف النفس وخبثها الخامس موافقة الا

في بعث الغيبة

وساعدهم على الكلام حذرا عن تنفرهم واستثقالهم اياه لولاه فيساعدهم على اظهار عيوب المسلمين وذكر مساويهم ظنا منه انه مجامله
في الصحبة فيهلك معهم وباعث ذلك ايضا ضعف النفس والضعف السادس ان يستشعر من رجل انه سيذكر مساويه او يقبح حاله
عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ذلك باظهار عداوته او تقبيح حاله ليسقط اثر كلامه وشهادته او يبادر ذكره بما هو
فيه قطعا حتى تثبت ذلك عند السامعين ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق الاول ويستشهد به ويقول ليس الكذب
من عادتي فاني اخبرتكم قبل ذلك من احواله كذا وكذا فكان كما قلت فهذا ايضا صدق كسابقه وهذا ايضا منشاه الجبن
وضعف النفس السابع الرحمة وهو ان يحزن ويغتم بسبب ما ابتلي به غيره فيقول المسكين فلان قد غمني ما ارتكبه من القبيح
او ما حلت به من الاهانة والاستخفاف فيكون صادقا في اغتمامه الا انه لما ذكر اسمه واظهر عيبه صار مغتابا وقد كان له الاغتمام
بدون ذكر اسمه وعيبه ممكنا فاوقعه الشيطان فيه فيبطل ثواب حزنه ورحمته الثامن التعجب من صدور المنكر والغضب لله عليه
بان يرى منكرا من انسان او سمعه فيقول عند جماعة ما اعجب من فلان ان يعارف مثل هذا المنكر او لغضبه منه فيظهر غضبه وكم
منكره فانه وان كان صادقا في تعجبه من المنكر وغضبه عليه لكن كان اللازم ان يتعجب منه ويغضب عليه ولكنه لا يظهر اسمه
عند من لم يطلع بما صدر عنه من المنكر بل يظهر غضبه عليه بالنهي عن المنكر والامر بالمعروف من غير ان يظهره على غيره فلما اوقعه
الشيطان في ذكره بالسوء صار مغتابا وبطل ثواب تعجبه وغضبه وصار اثما من حيث لا يدري وهذه البلية الاخيرة مما يغفل
دركها لان اكثر الناس يظنون ان الرحمة والتعجب والغضب اذا كان لله كان عذرا في ذكر الاسم وهو خطا محض اذ المرخص في
الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر الاسم دون غيرها وقد روي ان رجلا مر على قوم في عصر النبي ص فلما جاوز
قال رجل منهم اني لابغض هذا الرجل لله فقال القوم والله لبئس ما قلت وانا نخبره بذلك فاخبروه به فاتى الرجل رسول الله ص
وحكى له ما قال وساله ان يدعوه فدعاه وساله عما قال في حقه فقال نعم قد قلت ذلك فقال له رسول الله ص ولم تبغضه فقال انا
جاره وانا به خبير والله ما رايته يصلي صلوة قط الا هذه المكتوبة فقال يا رسول الله فاسئله هل راني اخرتها عن وقتها
او اسات الوضوء لها او الركوع والسجود فاسئله فقال لا فقال والله ما رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه كل
بر وفاجر فقال فاسئله يا رسول الله هل راني افطرت فيه او نقصت من حقه شيئا فسئله فقال لا فقال والله ما رايته يعطي سائلا
قط ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيئا في سبيل الله الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال فاسئله هل راني نقصت
منها شيئا او ماكست فيها طالبها الذي يسالها فسأله فقال لا فقال رسول الله ص للرجل قم فلعله خير منك ولا ريب في ان
انكار القوم عليه مع تعليله له بالبغض لله يفيد عدم جواز اظهار المنكر الصادر من شخص لغيره وان كان في مقام الغضب لله
والبغض لله **فصل** لما علمت حقيقة الغيبة وبواعثها فاعلم انها اعظم المهلكات واشد المعاصي وقد نص الله سبحانه على
ذمها في كتابه وشبه صاحبها باكل لحم الميتة فقال ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
فكرهتموه وقال سبحانه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما وقال سبحانه ما يلفظ من قول الا
لديه رقيب عتيد وقال رسول الله ص كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تتناول العرض وقال ص اياكم و
الغيبة فان الغيبة اشد من الزنا فان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر
له صاحبه وقال ص مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت يا جبرئيل من هؤلاء قال هم الذين
يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وخطب ص يوما حتى اسمع العواتق في بيوتهن فقال يا معشر من آمن بلسانه و

ولم يؤمن بقلبه

ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فان من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته
وخطب ص يوما فذكر الربا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست وثلثين
زنية يزنيها الرجل وان اربى الربا عرض الرجل المسلم ومر ص على قبرين يعذب صاحبهما فقال اما انهما ليعذبان في كبيرة
اما احدهما فكان يغتاب الناس واما الاخر فكان لا يستبرئ من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما ثم امر بكل
كسرة فغرست على قبر وقال اما انه يهون من عذابهما ما كانتا رطبتين وروي انه ص امر الناس بصوم يوم وقال لا يفطرن احد
حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجيء فيقول يا رسول الله ظللت صائما فاذن لي لافطر فياذن له والرجل والرجل
حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلي ظلتا صائمتين وانهما تستحييان ان تاتياك فاذن لهما ليفطرا فاعرض عنه
ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده فقال انهما لم تصوما وكيف صام من ظل هذا اليوم ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا
صائمتين ان يستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا فقاءت كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي فاخبره فقال
والذي نفس محمد بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار واوحى الله تعالى الى موسى من مات تائبا من الغيبة فهو اخر من
يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو اول من يدخل النار وقال ص من مشى في غيبة اخيه وكشف عورته كانت اول خطوة
خطاها وضعها في جهنم وكشف الله عورته على رؤس الخلائق ومن اغتاب مسلما بطل صومه ونقض وضوءه فان مات
وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله وقال ص الغيبة اسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه وقال ص
الجلوس في المسجد انتظار الصلوة عبادة ما لم يحدث فقيل يا رسول الله وما الحدث قال الاغتياب وقال ص من اغتاب
مسلما او مسلمة لم يقبل الله صلوته ولا صيامه اربعين يوما وليلة الا ان يغفر له صاحبه وقال ص من اغتاب مسلما في شهر
رمضان لم يوجر على صيامه وقال ص من اغتاب مؤمنا بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما وكان المغتاب في النار خالدا
فيها وبئس المصير وقال ص كذب من زعم انه ولد من حلال وهو ياكل لحوم الناس بالغيبة فاجتنب الغيبة فانها
ادام كلاب النار وقال ص ما عمر مجلس بالغيبة الا خرب بالدين فنزهوا اسماعكم من استماع الغيبة فان القائل والمستمع لها شريكان
في الاثم وقال ص النار في التبن باسرع من الغيبة في حسنات العبد وقال ص من قال في مؤمن ما راته عيناه وسمعته اذناه فهو من
الذين قال الله عز وجل ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم وقال ص من روى على مؤمن رواية يريد
بها شينه وهدم مروته ليسقط من اعين الناس اخرجه من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان وقال ص من اغتاب
اخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان وقال ص الغيبة حرام على كل مسلم وانها لتاكل الحسنات كما تاكل النار الحطب و
الاخبار في ذم الغيبة مما لا يكاد ان يحصى وما ذكرناه كاف لايقاظ الطالبين والعقل يفصح لكم بانها اخبث الرذائل وقد كان
السلف لا يرون العبادة في الصوم والصلوة بل في الكف عن اعراض الناس لانه كان عندهم افضل الاعمال ويرون خلافه صفة
المنافقين ويعتقدون ان الوصول الى المراتب العالية في الجنة يتوقف على ترك الغيبة لما ورد عن رسول الله ص انه قال
من حسنت صلوته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين كان معي في الجنة كهاتين وما اقبح بالرجل المسلم ان يغفل عن عيوب
نفسه ويتجسس عيوب اخوانه ويظهرها بين الناس مع انه يبصر القذاة في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه فيا حبيبي اذا
اردت ان تذكر عيوب غيرك فاذكر عيوبك وتيقن بانك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو
فيك حتى تبدا باصلاح ذلك العيب واذا كان شغلك اصلاح عيوب نفسك كان شغلك في خاصة نفسك ولم يكن فرصة لا

بغير توح كنت من احب العباد الى الله لقول النبي صلى الله عليه وآله طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس واعلم ان عجزك في الاجتناب عن ذلك العيب وصعوبة ازالته عليه كعجزك عن الاجتناب عنه ان كان ذلك العيب فعلا اختياريا وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق تعالى فان من ذم صنعة فقد ذم صانعها قيل لبعض الحكماء يا قبيح فقال ما كان خلق وجهي الي فاحسنه ولو فرض براءتك عن جميع فاشكر الله ولا تلوث نفسك باعظم العيوب اذ اكل لحوم الميتات اشد العيوب واقبحها مع انك لو ظننت خلوك عن جميع العيوب لكنت اجهل الناس ولا عيب اعظم من مثل هذا الجهل ثم ينبغي ان يعلم المغتاب ان الغيبة تحبط حسناته وتزيد في سيئاته قال رسول الله صلى الله عليه وآله يؤتى باحد يوم القيمة فيوقف بين يدي الله تعالى ويدفع اليه كتابه فلا يرى حسناته فيقول الهي ليس هذا كتابي فاني لا ارى فيه طاعتي فيقول ان ربك لا يضل ولا ينسى ذهب عملك باغتياب الناس ثم يؤتى باخر ويدفع اليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول الهي ما هذا كتابي فاني ما عملت هذه الطاعات فيقول لان فلانا اغتابك فدفعت حسناته اليك وفي معناه اخبار اخر ولا ريب في ان العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما ينقل اليه سيئة واحدة ممن اغتاب به مسلما فيحصل به الرجحان ويدخل لاجله النار واقل ما في الباب ان ينقص من ثواب صالحات اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والمناقشة في الحساب وروى عن بعضهم ان رجلا قال له ان فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال بلغني انك قد اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافيك عليها فاعذرني لا اقدر ان اكافيك على التمام والحاصل ان العاقل ينبغي ان يتامل في ان من يغتابه ان كان صديقا محبا له فاظهار عيوبه وعثراته بعيد عن المروة والانصاف وان كان عدوا له فتحمل خطاياه ومعاصيه ونقل حسناته الى ديوانه غاية الحماقة والجهل **فصل** الطريق في علاج الغيبة وقت كلها ان يتذكر اولا ما تقدم من مفاسدها الاخروية ثم يتذكر مفاسدها الدنيوية فانه قد يصل الغيبة الى من اغتيب فيصير منشأ العداوة او زيادة عداوة ويتعرض لايذاء المغتاب واهانته وربما انجر الامر ببعضها الى ما لا يمكن تداركه من الضرب والقتل وامثال ذلك ثم يتذكر فوائد اضدادها كما نشير اليها وبعد ذلك فليراقب لسانه ويقدم التروي في كل كلام يريد ان يتكلم به فان تضمن غيبة سكت عنه ويكلف نفسه ذلك على الاستمرار حتى يرتفع عن نفسه الميل الجلي والخفي الى الغيبة والعمدة في العلاج ان يقطع اسبابها المذكورة وقد تقدم علاج الغضب والحقد والحسد والاستهزاء والسخرية ويأتي طريق العلاج في الهزل والمطايبة والافتخار والمباهات واما تنزيه النفس بنسبة ما نسب اليه من الخيانة الى الغير فعلاجه ان يعلم ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت المخلوق ومن اغتاب تعرض لمقت الله وسخطه قطعا ولا يدري انه يتخلص من سخط الناس ام لا فيحصل بجهله ذم الله وسخطه نقدا وينتظر دفع ذم الناس نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما تعرضه لمشاركة الغير في الفعل لتمهيد العذر لنفسه كان يقول اني اكلت الحرام لان فلانا ايضا اكل او قبلت مال السلطان لان فلانا ايضا قبل مع انه اعلم مني فالدبيب في انه جهل وسفه لانه اعتذر بالاقتداء بمن لا يجوز الاقتداء به فان من خالف الله لا يقتدى به كائنا من كان فلو دخل غيره النار وهو يقدر على عدم الدخول لم يقتدي به في الدخول ولو دخل عد سفيها احمق ففعله معصية وعذره غيبة وغباوة فجمع بين المعصيتين والحماقة ومثله كمثل الشاة اذا نظرت الى العنز يردى نفسها من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان له لسان ناطق واعتذرت عن فعلها بان العنز الكيس قد فعل وقد اهلكت نفسها فكذلك فعلت انا لكان هذا المغتاب كالعنز المعتذر يضحك عليهما مع ان حاله مثل حالها ولا تتعطف على نفسه والعجب ان بعض الاشقياء من العوام لما صار مغلوبهم عن الشيطان

وصرفوا

وصرفوا اعمارهم في المعاصي واشتغلت ذممهم بمظالم الناس بحيث لا يرجى لهم الخلاص مالت نفوسهم الخبيثة الى ان لا يكون معاد وحساب وحشر وعقاب ولما وجد ذلك الميل منهم اللعين تخرج من الكمين ووسوس في صدورهم بانواع الشكوك والشبهات حتى ضعف بها عقايدهم او افسدها وفي مقام الاعتذار عن اعمالهم الخبيثة ان يصرحوا بما ارتكن في قلوبهم ويتشبثون خوفا من القتل واجراء احكام الكفار عليهم ولم يدعهم ايضا تلبيسهم وتزويرهم وغلبة الشيطنة عليهم ان يعترفوا بالنقص وسوء الحال فحملهم الشيطان باغوائه على ان يعتذروا من سوء فعالهم بان بعض العلماء يفعلون ما يفعل ولا يجتنبون عن مثل اعمالنا من طلب الرياسة واخذ الاموال المحرمة ولم يدروا ان هذا القول ناش من جهلهم وخباثتهم اذ نقول لهم ان فعل هذا البعض ان صار منشأ لزوال ايمانكم بالمعاد والحساب فانتم كافرون وباعث اعمالكم الخبيثة هو الكفر وعدم الاذعان باحوال النشأة الاخرة وان لم يصر منشأ له بل ايمانكم ثابت فاللازم عليكم العمل بمقتضاه من غير تعرض لعمل الغير كائنا من كان فما الحجة في عمل هذا البعض مع اعتقادكم بانه على الباطل وايضا لو كان باعث اعمالكم الخبيثة فعل العلماء فلم اقتديتم بهذا البعض مع علمكم كونه من علماء الاخرة وعدم اطلاعه على حقيقة العلم ولو كنتم صادقين فيما ينسبون اليه هو المشاكل بعلمه فانما حصل شيئا من علوم الدنيا ليتوسل بها الى حطامها والابعد مثله عند اولي البصاير عالما بل هو متشبه بالعلماء ولم ما اقتديتم بعلماء الاخرة والمتخلعين لنزاهتهم عن الدنيا وحطامها وانكاركم وجود مثلهم والقدح في الكل مع كثرتهم في اقطار الارض غاية اللجاج والعناد ولو سلمنا منكم ذلك فلم ما اقتديتم بطوايف الانبياء والاوصياء مع انهم اعلم الناس باتفاق الكل وحقيقة العلم ليس الا عندهم فان انكروا اعلميتهم او عصمتهم من المعاصي واحتملوا كونهم امثالا لهم ظهر ما في بواطنهم من الكفر الخفي واما موافقة الاقران فعلاجه ان يتذكر ان الله يسخط عليه ويغضب اذا اختار رضاء المخلوقين على رضاه وكيف يرضى المؤمن ان يترك رضا ربه لرضا بعض اراذل الناس فهل هذا الا كونه تعالى اهون عنده منهم وهو ينافي الايمان واما استشعاره من رجل انه يقدح عند محتشم حاله او يشهد عليه بشهادة فيبادره بالغيبة اسقاطا لاثر كلامه فعلاجه ان يعلم اولا ان مجرد الاستشعار لا يستلزم الوقوع فلعله لا يقدح ولا يشهد عليه فالمؤاخذة بمجرد التوهم ينافي الديانة والايمان وثانيا ان اقتصاص له سقوط اثر كلام من اغتابه في خصم بمجرد التوهم فالتعرض لمقت الله يقينا بمجرد توهم ترتب فايدة دنيوية عليه محض الجهل والحماقة وثالثا ان تادى فعل الغير يقبح حاله عند محتشم مع ضعف وقوعه الى الحرام في حيز الشك اذ ربما لم يقبله المحتشم وربما لم يقبل شهادته شرعا فيقبح حاله ويحمل معاصيه بل والجزم بصيرورته سببا لايذائه محض الجهل والخذلان واما الرحمة له على اثمه والتعجب منه والغضب لله عليه وان كان كل منها حسنا الا انه اذا لم يكن معه غيبة واذا كان معه غيبة احبط اجره وبقي اثمها فالعلاج ان يتامل ان باعث الرحمة والتعجب والغضب هو الايمان وحماية الدين واذا كان معها غيبة اضرت بالدين والايمان وليس شيء من الامور الثلثة مستلزما للغيبة لامكان تحققها بدونها فمقتضى الايمان وحماية الدين ان يرحم ويتعجب ويغضب لله مع ترك واظهار الاسم والعيب ليكون ماجورا غير اثم **وصل** لما عرفت ان الغيبة ذكر الغير بما يكره لو سمعه فاعلم ان ذلك انما يحرم اذا قصد به هتك عرضه والتفكه به او اضحاك الناس منه واما اذا كان ذلك لغرض صحيح لا يمكن التوصل اليه الا به فلا يحرم والاغراض الصحيحة المرخصة امور الاول التظلم عند من له رتبة الحكم واحقاق الحقوق كالقضاة والسلاطين فان نسبة الظلم والسوء الى الغير عندهم لاستيفاء الحق جائز لقول النبي صلى الله عليه وآله لصاحب الحق مقال وقوله صلى الله عليه وآله لي الواجد يحل عرضه وعقوبته وعدم انكاره صلى الله عليه وآله على قول هند حين قالت ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني ايا ولدي افاخذ من غير علمه وقوله عليه السلام لها خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف

الثاني الاستعانة على دفع المنكر ورد العاصي الى الصلاح وانما يستباح بها ذكر مساويه بالقصد الصحيح لا بدونه الثالث نصح المستشير في التزويج وايداع الامانة وامثالهما وكذلك جرح الشاهد والمفتي والقاضي اذا سئل عنهم فله ان يذكر ما يعرفه من عدم العدالة والاهلية للافتاء والقضاء بشرط صحة القصد وارادة الهداية وعدم باعث حسد او تلبيس من الشيطان وكذا تحذير المسلمين من الشر والضرر وسراية الفسق والبدعة فان من راى متفقها يتردد الى ذي شر او فاسق او مبتدع وخاف ان يتعدى ويتعدى اليه الفسق والبدعة بمصاحبتهم فله ان يكشف له ما يعرفه من شره وفسقه وبدعته بشرط كون الباعث مجرد خوف دخول الشر والفساد او سراية الفسق والبدعة قال رسول الله ص اترعوون عن ذكر الفاجر حتى لا يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس ومن جملة ما يدخل في تحذير المسلمين وتوقيتهم الشر والضرر ذكر عيب يعلمه في مبيع وان كره البايع حفظا للمشتري من الضرر مثل ان يشهد عبدا وقد عرفه بالسرقة او الفسق او عيب اخر او يعرف مستقرضا بكونه مماطل الغير فله ان يظهر ذلك لاستلزام سكوته ضررا على المشتري الرابع من رد ادعى نسبا ليس له الخامس القدح في مقالة او دعوى باطلة في الدين السادس الشهادة على فاعل المحرم حسبة السابع اذا كان احد معروفا بلقب يعرب عن عيبه يتوقف تعريفه عليه لم يكن اثم على ذكره بشرط عدم امكان التعريف بعبارة اخرى لفعل الرواة والعلماء في الاعصار والامصار فانهم يقولون روى الاعمش والاعرج وغير ذلك ولان الغالب صيرورته بحيث لا يكرهه صاحبه الثامن كون المقول فيه مستحقا للاستخفاف لتظاهره وتجاهره بفسق كالظلم والزنا وشرب الخمر وغير ذلك بشرط عدم التعدي عما يتظاهر به اذ لو ذكره بغير ما يتظاهر به كان اثما واما اذا ذكر منه مجرد ما يتجاهر به فلا اثم عليه اذ صاحبه لا يستنكف من ذكره وربما يتفاخر ويقصد اظهاره ومع قطع النظر عن ذلك فالاخبار دالة عليه كما تقدم جملة منها وقال رسول الله ص من القى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له وقال ليس لفاسق غيبة و الظاهر ان ذكر ما يتجاهر به من العيوب ليس على غيبة لا شرعا ولا عرفا الا انه غيبة استثني جوازها شرعا قال الجوهري الغيبة ان يتكلم خلف انسان مستور بما يغمه لو سمعه فان كان صدقا سمي غيبة وان كان كذبا سمي بهتانا انتهى وقد صرح جماعة بجواز الغيبة في موضعين اخرين احدهما ان يكون اثنان او اكثر مطلعين على عيب رجل فيقع من احدهم حكاية بينهم من غير ان يظهر لغيرهم مع علم عليه وفي بعض الاخبار المتقدمة دلالة على جوازه كالخبر وثانيهما ان يكون متعلقها اي المقول فيه غير محصور كان يقال قال قوم كذا او اهل البلد الفلاني كذا ومثله اذا قال بعض الناس يقول او يفعل كذا او من مر بنا اليوم شانه كذا اذا لم يتعين البعض عند المخاطب ولو انتقل الى شخص معين لابهام بعض القرائن كانت غيبة محرمة وكذا لو قال بعض من قدم من السفر او بعض من يدعي العلم ان كان معه قرينة يفهم منها الشخص فهو غيبة والا فلا وكذا ذكر مصنف كتاب وقائل مثلا معينا وتهجين كلامه بلا اقتران شيء من الاعذار المحوجة الى ذكره غيبة واما لو ذكره بدون تعيينه كان يقول واحد من الفضلاء متصلا عنه في القيام المقام هفوة او عثرة فليس غيبة ثم الشرط في اشتراط الغيبة بكونه تعريضا لشخص معين وعلم كون التعريض بالمبهم وغير المحصور غيبة عدم حصول الكراهة مع الابهام وعدم الاحصاء كما لا يخفى وربما كان في بعض الاحيان على استعماله وقد كان رسول الله ص اذا كره من انسان شيئا يقول ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا من دون تعيين للفاعل

تذنيب كفارة الغيبة بعد التوبة والندم للخروج عن حق الله ان يخرج من حق من اغتابه بطريق الخروج من حق ان كان ميتا او غائبا لم يمكن الوصول اليه ان يكثر له من الاستغفار والدعاء ليحسب ذلك يوم القيمة من حسناته ويقابل بها سيئة الغيبة وان كان حيا يمكن الوصول اليه ولم يبلغ اليه الغيبة وكان في بلوغها اليه مظنة العداوة والغيبة فليكثر له ايضا من الدعاء

والاستغفار

والاستغفار من دون ان يخبره بها وان بلغت اليه او لم يبلغ ولم يكن في بلوغها ظن الفتنة والعداوة فيستحله معتذرا متاسفا مبالغا في الثناء عليه والتودد اليه والتواظب على ذلك حتى يطيب له قلبه وحله فان لم يطب قلبه من ذلك ولم يحله كان اعتذاره وتودده حسنة يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة والدليل على هذا التفصيل قول الصادق ع انك ان اغتبت فبلغ المغتاب فاستحل منه وان لم تلحقه فاستغفر الله وذلك لان في الاستحلال مع عدم البلوغ اليه اثارة للفتنة وجلب للضغائن وفي حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول اليه بموت او غيبة وعلى هذا فقول النبي ص كفارة من اغتبته ان تستغفر له محمول على صورة عدم امكان الوصول اليه او امكانه مع ايجاب الاعلام والاستحلال لاثارة الفتنة والعداوة وقوله ص من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليتحللها من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنة اخذ من سيئات صاحبه فيحتمل على سيئاته محمول على صورة البلوغ او عدم البلوغ مع عدم ايجاب الاعلام والاستحلال فتنة وعداوة

تتميم قد ظهر مما تقدم ان البهتان ان تقول في مسلم ما يكرهه ولم يكن فيه فان كان ذلك في غيبة كان كذبا وغيبة وان كان بحضوره كان اشد انواع الكذب وعلى اي تقدير هو اشد اثما من الغيبة والكذب قال الله سبحانه ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا وقال رسول الله ص من بهت مؤمنا او مؤمنة او قال فيه ما ليس فيه اقامه الله على تل من نار حتى يخرج مما قال فيه وقال الصادق ع من بهت مؤمنا او مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال قلت وما طينة خبال قال صديد يخرج من فروج المومسات ثم ما ورد في ذم اللسان وكونه شر الاعضاء ومنبع اكثر المعاصي كما ياتي في موضعه يدل على ذم الغيبة والبهتان كما يدل على ذم جميع افات اللسان مما تقدم من الفحش واللعن والطعن والسخرية وغير ذلك وما ياتي من الكذب والمزاح والخوض في الباطل وفضول الكلام وغير ذلك

وصل الغيبة لما كانت راجعة الى الذم فضدها المدح ودفع الذم والبهتان لما كان كذبا فضده الصدق وكما ان لكل واحد من افات اللسان مما تقدم ومما ياتي ضدا خاصا فكذا لجميعها ضد واحد عام هو الصمت كما اشير اليه فيما سبق ايضا وضد البهتان اعني افات اللسان وقد تقدم ايضا بيان ثواب دفع الذم الذي هو احد اضداد الغيبة فهنا نشير الى بيان المدح وما يحمد منه حتى يكون ضدا لها وفضيلة للقوة الغضبية او الشهوية وما يذم حتى يكون رذيلة لاحديهما فنقول لا ريب في ان مدح المؤمن في غيبته وحضوره ممدوح مندوب اليه لكونه ادخالا للسرور عليه وقد علم مدحه وثوابه ولما ورد من ان رسول الله اثنى على اصحابه وانه قال للجماعة لما اثنوا على بعض الموتى وجبت لكم الجنة وانتم شهداء الله في الارض ولما ورد من ان لبني ادم جلساء من الملائكة فاذا ذكر احد اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك مثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن ادم المستور عورته اربع على نفسك واحمد الله اذ ستر عورتك ولكنه ليس راجحا مندوبا على الاطلاق بل اذا سلم من افاته وهو ان يكون صادقا لا يفرط المادح فيه بحيث ينتهي الى الكذب وان لا يكون المادح فيه مرائيا منافقا بان يكون غرضه اظهار الحب مع عدم كونه محبا في الواقع سواء كان صادقا فيما ينسب اليه من المدح ام لا وان لا يمدح الظالم والفاسق وان كان صادقا فيما يقول في حقه لانه يفرح به وادخال الفرح على الظالم او الفاسق غير جائز قال رسول الله ص ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح ليفرح وان لا يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه وهذه الافة انما تتطرق في المدح بالاوصاف المطلقة كقولك انه تقي وورع زاهد خير او قولك انه عدل رضي وامثال ذلك لتوقف الصدق في ذلك على قيام الادلة والخبرة الباطنة وتحققهما في غاية الندرة فالغالب ان المدح بامثال ذلك يكون من غير تحقق وتثبت وان لا يحدث في الممدوح كبرا او عجبا او يوجب اهلاكه ولا رضى عن نفسه يوجب فتوره

عن العمل اذ من اطلقت الالسنة عليه بالثناء عليه يرضى عن نفسه ويظن انه قد ادرك وهذا يوجب فتوره عن العمل اذ المتشمر له انما هو من يرى نفسه مقصرا ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل مدح رجلا ويحك قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما افلح وقال عليه السلام اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه الموسى وقال عليه السلام لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله وقال عليه السلام لو مشى رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه والسر في هذه الاخبار ان المدح يوجب الفتور عن العمل او الكبر او العجب وهو مهلك كقطع العنق والعقر وامرار الموسى والسكين على الحلق وبذلك يظهر وجه ما قيل ان المدح الذبح فان سلم المدح عن الافات المذكورة المتعلقة بالمادح والممدوح كان محمودا والا كان مذموما وبذلك يحصل الجمع بين ما ورد في مدحه وما ورد في ذمه كما تقدم فاللازم على المادح ان يحترز عما تقدم من الافات المتعلقة به وعلى الممدوح ان يحترز من افة الكبر والعجب والفتور والرياء بان يعرف نفسه ويتذكر خطر الخاتمة ولا يغفل عن دقايق الرياء ويظهر كراهة المدح واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وآله احثوا التراب في وجوه المداحين وبالجملة اللازم على الممدوح ان لا يتفاوت حاله بالمدح وعدمه فمع معرفة نفسه ويتذكر ما لا يعرفه المادح من عيوبه وينبغي ان يظهر انه ليس كما عرفوه قال بعض الصالحين لما اثني عليه اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني وانت تعرفني وقال امير المؤمنين عليه السلام لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون ثم الظاهر عدم المؤاخذة والاثم بالانبساط والارتياح بالمدح لكون النفوس مجبولة على الفرح والسرور بنسبة الكمال اليها ولكن بشرط ان يكره من نفسه ذلك الارتياح ويقصر نفسه ويعاتبها على ذلك ويجتهد في ازالة ذلك عنها اذ مقتضى العقل الفرح بوجود الكمال له لا بنسبته اليه فيما ينسب اليه ان كان موجودا له فينبغي ان يكون فرحه به لا بنسبته اليه اذ الانبساط بتصريح رجل بانك صاحب هذا الكمال حمق وسفه وان لم يكن موجودا فيه فاللازم ان يحزن ويغضب لكونه استهزاء لا امتداحا والحاصل ان العاقل ينبغي ان لا يسره مدح الغير ولا يحزن بذمه اذ من ملك ياقوتة شريفة حمراء اي ضرر عليه اذا قال رجل انها خزفة واذا ملك خزفة اي فايدة له اذا قال انها ياقوتة ومنها الكذب وهو اما في القول اي الاخبار عن الاشياء على خلاف ما هي عليه وصدوره اما عن العداوة او الحسد او الغضب فيكون من رذايل قوة الغضب او من حب المال او الطمع او الاعتياد الحاصل من مخالطة اهل الكذب فيكون من رذايل قوة الشهوة او في النية والارادة وهو عدم تمحيضها لله بان لا يكون الله سبحانه بانفراده باعث طاعاته وحركاته بل يمازجه شيء من حظوظ النفس وهذا يرجع الى الرياء ويأتي كونه من رذايل اي قوة واما في العزم اي الجزم على الخير وذلك بان يعزم على شيء من الخيرات والقربات ويكون في عزمه نوع ميل وضعف وتردد ايضا يضاد الصدق في العزيمة وهذا ايضا من رذايل قوة الشهوة واما في الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال لعدم مشقة في الوعد فاذا حقت الحقايق وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا ايضا من رذايل قوة الشهوة ومن انواع الشهوة واما في الاعمال وهو ان يدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به اي لا يكون باطنه مثل ظاهره لا باحترازه وهذا غير الرياء لان المرائي هو الذي يقصد غير الله تعالى في اعماله ورب واقف على هيئة الخشوع في صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الله تعالى وعن الصلوة فمن نظر اليه ما يصيبه من ظاهره من الخشوع والاستكانة يظن انه بسرايره منقطع الى جناب ربه وصرف صلوته عن حضور قلبه وهو بكليته عنه تعالى غافل والى امر من امور الدنيا متوجه وكذلك قد يمشي الرجل على هيئة الطمأنينة والوقار بحيث من يراه يجزم بانه صاحب السكينة والوقار مع ان باطنه ليس موصوفا بذلك فمثل ذلك كاذب في عمله وان لم يكن مرائيا ملتفتا الى الخلق ولا نجاة من هذا الكذب الا باستواء السريرة والعلانية او كون الباطن

احسن من الظاهر

احسن من الظاهر وهذا القسم من الكذب ربما كان من رذايل قوة الشهوة وربما كان رذيلة لقوة الغضب وربما كان من رذايل القوة المدركة بان كان باعثه مجرد الوسواس واما في مقامات الدين كالكذب في الخوف والرجاء والزهد والتقوى والحب والتعظيم والتوكل والتسليم وغير ذلك من الفضايل الخلقية والحالية فان لها مبادي يطلق الاسم بظهورها ثم لها حقايق ولوازم وغايات والصادق المحقق من نال حقايقها ولوازمها وغاياتها فمن لم يبلغها كان كاذبا فيها مثلا الخوف من الله تعالى له مبدأ هو الايمان به سبحانه وحقيقة هو تألم الباطن واحتراقه ولوازم واثار هي اصفرار اللون وارتعاد الفرايص وتكدر العيش وتقسم الفكر وغير ذلك وغايات هي الاجتناب عن المعاصي والسيئات والمواظبة على الطاعات والعبادات فمن آمن بالله تعالى صدق عليه كونه خائفا منه خوفا يطلق عليه الاسم الا انه ان لم يكن معه حرقة القلب وتكدر العيش والتشمر للعمل كان خوفا كاذبا وان كان معه ذلك كان خوفا صادقا اي بالغا درجة الحقيقة قال امير المؤمنين عليه السلام اياكم والكذب فان كل راج طالب وكل خائف هارب اي لا تكذبوا في ادعائكم الرجاء والخوف من الله تعالى وذلك لان كل راج طالب لما يرجو ساع في اسبابه وانتم لستم كذلك وكل خائف هارب مما يخاف منه مجتنب مما يقربه منه وانتم لستم كذلك وهذا مثل قوله عليه السلام كذب والله العظيم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله وكل من رجا عرف رجاؤه الا رجاء الله فانه مدخول وكل خوف محقق الا خوف الله فانه معلول الحديث ثم الكذب في كل مقام لما كان راجعا الى عدمه فيكون متعلقة بالقوة التي هذا المقام فضيلة متعلقة بها وبما ذكر يظهر ان من كان له مبدأ الايمان اعني الاقرار بالشهادتين وكان فاقد الحقيقة اعني اليقين القطعي بالمبدأ والمعاد او اللوازم والغايات اعني الخوف الصادق منه تعالى والتعظيم الحقيقي له سبحانه والاهتمام البالغ في امتثال اوامره ونواهيه كان كاذبا في دعوى الايمان **فصل** الكذب اقبح الذنوب واخبثها واخبث العيوب واشنعها قال الله سبحانه انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون وقال سبحانه فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون وقال رسول الله صلى الله عليه وآله اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار و[illegible] وقال المؤمن اذا كذب بغير عذر لعنه سبعون الف ملك وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية اهونها كمن يزني مع امه وسئل عنه صلى الله عليه وآله هل يكون المؤمن جبانا قال نعم قيل ويكون بخيلا قال نعم قيل ويكون كذابا قال لا وقال عليه السلام كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا هو لك مصدق وانت به كاذب وقال عليه السلام الكذب ينقص الرزق وقال عليه السلام ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وآله رأيت كان رجلا جاءني فقال قم فقمت معه فاذا انا برجلين احدهما قائم والاخر جالس وبيد القائم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقم الجانب الاخر فيمده فاذا مده رجع الاخر كما كان فقلت للذي اقامني ما هذا فقال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وقال عليه السلام الا اخبركم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقول الزور اي الكذب وقال ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقال صلى الله عليه وآله ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وقال روح الله لاصحابه من كثر كذبه ذهب بهاؤه وقال امير المؤمنين عليه السلام لا يجد العبد طعم الايمان حتى يترك الكذب هزله وجده وقال عليه السلام اعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب وشر الندامة ندامة يوم القيمة وقال علي بن الحسين عليه السلام اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل فان الرجل اذا كذب في الصغير اجترى على الكبير وقال ابو جعفر عليه السلام ان الله تعالى جعل للشر اقفالا وجعل مفاتيح تلك الاقفال الشراب والكذب شر من الشراب وقال عليه السلام الكذب هو خراب الايمان وقال عليه السلام من يكذب الكذاب الله ثم الملكان اللذان معه ثم هو يعلم انه كذاب وقال الامام الزكي العسكري عليه السلام جعلت الخبائث كلها في بيت وجعل مفتاحها

الكذب والاخبار الواردة في ذم الكذب اكثر من ان تحصى واشد انواع الكذب اثما ومعصية على الله وعلى رسوله وعلى الائمة ع وقال
وكفاه ذما انه يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة على الاقوى قال الصادق ع ان الكذبة لتفطر الصائم قال الراوي واينا لا يكون
ذلك منه قال ليس حيث تذهب انما ذلك الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الائمة وقال الكذب على الله وعلى رسوله من الكبائر
وذكر عنده الحائك وكونه ملعونا فقال ذاك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله وقال الباقر ع لا تكذب علينا فتسلب
الحنيفية **فصل** الكذب حرام لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره او لايجابه اعتقاد المخاطب خلاف الواقع فيصير سبب الجهل وهذا
القسم مع كونه اهون الدرجات واقلها اثما محرم ايضا اذ القاء خلاف الواقع على الغير وسببية جهله غير جائز الا اذا كان له
مما يتوقف عليه تحصيل مصلحة مهمة ولم يمكن التوصل اليها بالصدق زالت الحرمة وارتفع اثمه فان كانت المصلحة مما يجب تحصيله كانقاذ
مسلم من القتل والاسر او حفظ عرضه او ماله المحترم كان الكذب فيه واجبا وان كانت راجحة غير بالغة حد الوجوب فالكذب لتحصيلها
مباح او راجح مثلها كالاصلاح بين الناس والغلبة على العدو في الحرب وتطييب خاطر امرأته واسترضائها هذا وقد وردت الاخبار
المتكثرة بجواز الكذب اذا توقف على تحصيل هذه المقاصد الثلاثة كما ان رسول الله ص لم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول
القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها وقال ص ليس بكذاب من
اصلح بين اثنين فقال خيرا وقال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين رجلين يصلح بينهما وقال ص كل الكذب مكتوب
كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحناء فيصلح بينهما او يحدث امرأته يرضيها وقال
لا كذب على مصلح وقال امير المؤمنين ع اذا حدثتكم عن رسول الله ص فلان اخر من السماء احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما
بيني وبينكم فالحرب خدعة وقال الصادق ع كل كذب مسئول عنه صاحبه يوما الا في ثلثة رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه او رجل اصلح
بين اثنين يلقى هذا بغير ما يلقى به هذا يريد بذلك الاصلاح فيما بينهما او رجل وعد اهله شيئا وهو لا يريد ان يتم لهم وقال ع الكلام ثلثة
صدق وكذب واصلاح بين الناس فسئل ما الاصلاح بين الناس قال تسمع من الرجل كلاما يبلغه فتخبث نفسه فتلقاه فتقول
قد سمعت من فلان قيل فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه وقد تقدمت اخبار اخر في هذا المعنى وهذه الاخبار وان اختصت
بالمقاصد الثلثة الا ان غيرها من المقاصد الضرورية التي فوقها او مثلها في المصلحة ملحقة بها من باب الاولوية او اتحاد الطريق
والاخبار التي وردت في ذم هتك الستر وكشف العيوب والفواحش يفيد وجوب القول بعدم الاطلاع وان كان المطلع كونه كذبا
فلا اثم على احد بصدور الكذب عنه اذا كان وسيلة الى شيء من المقاصد الصحيحة الضرورية له او لغيره من المسلمين فان اخذه
ظالم ويسأله عن ماله فله ان ينكر وان اخذه سلطان ويسأله عن فاحشة ارتكبها بينه وبين الله فله ان ينكر وان سال عما يعلم من
عيب اخيه او سره فله ان ينكره ولو وقع بين اثنين فساد فله ان يكذب توسلا الى الاصلاح بينهما وكذا يجوز الاصلاح بين الضرات
من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه وان كانت امرأته لا تطيعه الا بوعد لا يقدر عليه جاز ان يعدها في الحال تطييبا لقلبها
وان لم يكن صادقا في وعده ويلحق بالنساء الصبيان فان الصبي اذا لم يرغب فيما يؤمر به من المكتب وغيره الا بوعد او وعيد او تخويف
كان ذلك جائزا وان لم يكن في نيته الوفاء به وكذا لو تكدر منه انسان وكان لا يطيب قلبه الا بالاعتذار اليه بالكذب واظهار
زيادة تودد كان ذلك جائزا وان لم يكن صدقا والحاصل ان الكذب لدفع ضر او شر او فساد جائز بشرط صحة القصد وقد
ورد ان الكذب المباح يكتب ويحاسب عليه لتصحيح قصده فان كان قصده صحيحا يعفى عنه والا يؤاخذ به فينبغي ان يجتهد في
تصحيح قصده وان يحترز عنه ما لم يضطر اليه ويقتصر فيه على حد الواجب ولا يتعدى الى ما يستغنى عنه ولا ريب ان ما

ويضطر اليه

ويضطر اليه هو الكذب لامور في فواتها محذورات واضرار وليس كذلك الكذب لزيادة المال والجاه وغير ذلك مما
يستغنى عنه فانه محرم قطعا اذ فواته لا يوجب ضررا وفسادا لما هو الموجود بل انما يوجب فوات حظ من حظوظ النفس وكذلك
فتوى العالم بما لا يتحققه وفتوى من ليس له اهلية الافتاء اظهارا للفضل وطلبا للجاه والمال بل هو اشد انواع الكذب
اثما وحرمة لانه مع كونه كذبا لما يستغنى عنه كذب على الله وعلى رسوله فالكذب اذا كان وسيلة الى ما يستغنى عنه حرام مطلقا
واذا كان وسيلة الى ما لا يستغنى عنه ينبغي ان يوازن محذور الكذب مع محذور الصدق ويترك اشدهما وقعا في نظر الشرع
وبيان ذلك ان الكذب في نفسه محذور والصدق في المواضع المذكورة يوجب محذورا فينبغي ان يقابل احد المحذورين
بالاخر ويوزنا بالميزان القسط فان كان محذور الكذب اهون من محذور الصدق فله الكذب وان كان محذور الصدق اهون
وجب الصدق وقد يتقابل المحذوران بحيث يتردد فيهما فح فالميل الى الصدق اولى اذ الكذب اصله الحرمة وانما يباح بضرورة
او حاجة مهمة فاذا شك في كون الحاجة مهمة لزم الرجوع الى اصل التحريم تنبيه كل موضع يجوز فيه الكذب ان امكن عدم التصريح
به والعدول الى التعريض والتورية كان الاولى ذلك وما قيل ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب وان فيها ما يغني الرجل
عن الكذب ليس المراد به انه يجوز التعريض بدون حاجة واضطرار اذ التعريض بالكذب يقوم مقام التصريح به لان
المحذور من الكذب تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في نفسه وهذا موجود في الكذب بالمعاريض فالمراد ان التعريض يجوز
اذا اضطر الانسان الى الكذب ومست الحاجة اليه واقتضته المصلحة في بعض الاحوال وفي تاديب النساء والصبيان ومن يجري
مجراهم وفي الحذر عن الظلمة والاشرار وفي قتال الاعداء فمن اضطر الى الكذب في شيء من ذلك فهو جائز له لان نطقه فيه انما هو على
مقتضى الحق والدين فهو في الحقيقة صادق وان كان كلامه مفهما غير ما هو عليه لصدق نيته وصحة قصده وارادته الخير و
الصلاح فمثل هذا النطق لا يكون خارجا عن حقيقة الصدق اذ الصدق ليس مقصودا لذاته بل للدلالة على الحق فلا ينظر
الى قالبه وصورته بل الى معناه وحقيقته نعم ينبغي في هذه المواضع ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليها سبيلا لان الصدق
اللفظي وان كان مشاركا مع التصريح في تفهيم الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع وقد كان رسول الله ص اذا توجه الى سفر
وراه بغيره لئلا ينتهي الخبر الى الاعداء فيقصدونه ومما يدل على جواز التعريض مع صحة النية ما روي في الاحتجاج انه سئل
الصادق ع عن قول الله تعالى في قصة ابراهيم ع قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون قال ما فعله كبيرهم وما كذب
ابراهيم قيل وكيف ذلك قال انما قال ابراهيم فاسئلوهم ان كانوا ينطقون اي ان نطقوا فكبيرهم فعل وان لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم
شيئا فما نطقوا وما كذب ابراهيم وسئل عن قوله في يوسف ايتها العير انكم لسارقون قال انهم سرقوا يوسف عن ابيه الا ترى
انه قال لهم حين قالوا ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولم يقولوا سرقتم صواع الملك انما سرقوا يوسف من
ابيه وسئل عن قول ابراهيم فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ما كان ابراهيم سقيما وما كذب انما عنى سقيما في دينه اي مرتادا
وطريق التعريض والتورية ان ينطق المتكلم المخاطب بلفظ ذي احتمالين احدهما غير مطابق للواقع والظاهر في المقام فيحمله
المخاطب عليه وثانيهما مطابق لم يرده المتكلم كما ظهر من خبر الاحتجاج ومن امثلته انه اذا طلبك ظالم وانت في دارك
ولا تريد الخروج اليه ان تقول للاحد ان تضع اصبعه في موضع ويقول ليس هيهنا واذا بلغ عنك شيء الى رجل واردت
تطييب قلبه من غير ان تكذب تقول ~~للاحد ان تضع~~ له ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء على ان يكون لفظ ما عندك
للابهام وعند المستمع للنفي وقد ظهر مما ذكر ان كل تعريض لغرض باطل كالتصريح في عدم الجواز لان فيه تقريرا للغير على

كاذب نعم قد يباح المعاريض لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجوز وفي عين زوجك
بياض وتحملك على ولد البعير وقس عليه امثال ذلك ومن الكذب الذي يجوز ولا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة
كقولك قلت لك كذا مائة مرة وطلبتك مائة مرة وامثال ذلك لانه لا يراد بذلك تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة
فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا يأثم وان لم يبلغ مائة ومن الكذب الذي
لا اثم عليه ما يكون في انواع المجاز والاستعارات والتشبيهات اذ الغرض تفهيم نوع من المناسبة والمبالغة لا دعوى الحقيقة
والمساواة من جميع الجهات ومن الكذب الذي جرت العادة به ويتساهل فيه قول الرجل اذا قيل له كل الطعام لا اشتهيه
مع كونه مشتهيا له وهذا منهي عنه كما يدل بعض الاخبار الا اذا كان فيه غرض صحيح ومما جرت العادة به قول الرجل الله
يعلم فيما لا يعلم وهو اشد انواع الكذب قال عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله ان يقول العبد ان الله يعلم ما لا يعلم
ومن الكذب الذي عظم ذنبه ويتساهل فيه الكذب في حكاية المنام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى
غير ابيه او يري عينيه في المنام ما لم ير ويقول علي ما لم اقل وقال صلى الله عليه وسلم من كذب في حلم كلف يوم القيمة ان يعقد بين شعيرتين
تذنيب من انواع الكذب واخبثها شهادة الزور واليمين الكاذبة وخلف الوعد ويدل على ذم الاول قوله تعالى في صفة
المؤمنين والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراما وقول النبي صلى الله عليه وسلم شاهد الزور كعابد الوثن وعلى ذم الثاني
قول النبي صلى الله عليه وسلم التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله اليس الله قد احل البيع فقال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون
وقوله صلى الله عليه وسلم ثلثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم المنان بعطيته والمنفق سلعته بالحلف الفاجر
والمسبل ازاره وقوله صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقوله صلى الله عليه وسلم
ثلثة يشنأهم الله التاجر او البايع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وعلى ذم الثالث قول النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله و
اليوم الاخر فليف اذا وعد وعن الصحيحة المؤمن اخاه نذر لا كفارة له فمن اخلف فبخلف الله تعالى بدا ولمقته تعرض وذلك
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع
من كن فيه منافقا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من خلال النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا وعد اخلف
واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ومن وعد وكان عند الوعد عازما على ان لا يفي او كان عازما على الوفاء وتركه بدون عذر
فهو منافق واما ان عاقه عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقا وان جرى عليه ما هو صورة النفاق فالاولى ان يحترز عن صورة
النفاق ايضا كما يحترز عن حقيقته وذلك بان لا يجزم في الوعد بل تعلقه على المشية ومثلها ايقاظ طريق معالجة الكذب ان
يتامل فيما ورد في ذمه من الايات والاخبار ليعلم انه لو لم يتركه لادركه الهلاكة الابدية ثم يتذكر ان كل كاذب ساقط
عن القلوب في الدنيا ولا يعتني احد بقوله وكثيرا ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه من اسباب اقتضاها ان الله سبحانه
يسلط عليه النسيان حتى انه لو قال شيئا ينسى انه قاله فيقول خلاف ما قاله اولا فيفتضح والى ذلك اشار الصادق عليه السلام بقوله
ان مما اعان الله به على الكذابين النسيان ثم يتامل في الايات والاخبار الواردة في مدح ضده اعني الصدق كما ياتي
بعد ذلك ان لم يكن عدوا لنفسه فليقدم التروي في كل كلام يريد ان يتكلم به فان كان كذبا تركه وليجتنب عن مجالسة الفساق
واهل الكذب ويجالس الصلحاء واهل الصدق وصل ضد الكذب الصدق وهو اشرف الصفات المرضية ورئيس الفضائل
النفسية وما ورد في مدحه وعظم فايدته من الايات والاخبار لا يمكن احصاؤه قال الله سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله

عليه

عليه وقال اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقال الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين
بالاسحار وقال سبحانه انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون وقال عز وجل
ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر ثم قال والصابرين في البأساء والضراء الى قوله اولئك الذين صدقوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تقبلوا الى بست اتقبل لكم بالجنة اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا ائتمن فلا يخن
وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم واحفظوا فروجكم وعن الصادق عليه السلام ان الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقا وعن الصادق عليه السلام
قال كونوا دعاة الناس بالخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع وعنه عليه السلام من صدق لسانه زكى عمله ومن
حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره باهل بيته زيد في عمره وعنه عليه السلام قال لا تنظروا الى طول ركوع الرجل وسجوده فان
ذلك شيء اعتاده ولو تركه لاستوحش لذلك ولكن انظروا الى صدق حديثه واداء امانته وقال عليه السلام لبعض اصحابه انظر ما بلغ
به علي عليه السلام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزمه فان عليا عليه السلام انما بلغ ما بلغ به عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بصدق الحديث واداء الامانة وعنه عليه السلام قال ان الله لم يبعث
نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر وقال عليه السلام اربع من كن فيه كمل ايمانه ولو كان ما بين قرنه الى قدمه ذنوب لم ينقصه
ذلك قال هي الصدق واداء الامانة والحياء وحسن الخلق وقد وردت لهذه المضامين اخبار كثيرة اخر ومن انواع الصدق
الصدق في الشهادة وهو ضد شهادة الزور والصدق في اليمين وهو ضد الكذب فيه والوفاء بالعهد وهو ضد خلف
الوعد وهذا القسم من الصدق اعني الوفاء بالعهد افضل انواع الصدق واوجبها ولذا اثنى الله تعالى نبيه اسمعيل به وقال
انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا قيل انه واعد انسانا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يوما في انتظاره وروي
انه بايع رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعده ان يأتيه في مكانه ذلك فنسي وعده في يومه وأتاه في اليوم الثالث وهو
في مكانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العدة دين وقال عليه السلام الورع اي الوعد مثل الدين او افضل تكميل الصدق كالكذب انواع
ستة الاول الصدق في القول وهو الاخبار عن الاشياء على ما هي عليه وكمال هذا النوع بترك المعاريض من دون
ضرورة حذرا من تفهيم الخلاف وكسب القلب صورة كاذبة ورعاية معناه في الفاظه التي يناجي بها الله سبحانه فمن قال
وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وفي قلبه سواه وقال اياك نعبد وهو يعبد الدنيا بتقييد قلبه بها وكل من تقيد
قلبه بشيء فهو عبد له كما دلت عليه الاخبار فهو كاذب الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص وهو تمحيض النية
وتخليصها لله بان لا يكون لبواعثه وطاعاته بل في جميع حركاته وسكناته الا الله فالشوب يبطله ويكذب صاحبه الثالث
الصدق في العزم اي الجزم على الخير فان الانسان قد يقدم العزم على العمل ويقول في نفسه ان رزقني الله كذا تصدقت
منه كذا وان خلصني الله من تلك البلية فعلت كذا فان كان في باطنه جازما على هذا العزم مصمما على العمل بمقتضاه فعزمه
صادق وان كان في عزمه نوع ميل وضعف وتردد كان عزمه كاذبا اذ التردد في العزيمة يضاد الصدق فيها وكان الصدق
هنا بمعنى القوة كما يقال لفلان شهوة صادقة اي قوية تامة او شهوة كاذبة اي ناقصة ضعيفة الرابع الصدق في
الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد فاذا جاء حين العمل بمقتضاه هاجت الشهوات
وتعارضت مع باعث الدين وربما غلبته بحيث انحلت العزيمة ولم يتفق الوفاء بمتعلق الوعد وهذا ايضا يضاد الصدق
فيه ولذلك قال الله سبحانه رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الخامس الصدق في الاعمال وهو تطابق الباطن والظاهر
واستواء السريرة والعلانية او كون الباطن خيرا من الظاهر بان لا يدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو

لا بان يترك الاعمال بل بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا على مراتب الاخلاص لامكان تحقق نوع من الاخلاص بدون
ذلك وهو ان يخالف الباطن الظاهر من دون قصد فان ذلك ليس ريا فلا يمنع صدق اسم الاخلاص عليه وتوضيح ذلك ان الاول
هو ان يقصد غير الله سبحانه في الاعمال وقد يصدر من انسان اعمال ظاهرة على هيئة يدل على انه صاحب فضيلة باطنة من التوجه
الى الله والانس به او السكينة والوقار او التسليم والرضا وغير ذلك مع انه فاقد منها لحصول الغفلة المانعة عن تحققها
او اتفاق صدور الاعمال الظاهرة بهذه الهيئة من دون ان يقصد بها مشاهدة غيره سبحانه فهذا غير صادق في عمله كاذب
في دلالة الظاهر على الباطن وان لم يكن مرائيا ولا ملتفتا الى الخلق فاذن مخالفة الظاهر للباطن ان كانت من قصد سميت
رياء ويفوت بها الاخلاص وان كانت من غير قصد سميت كذبا ويفوت بها الصدق وربما لم يعتد بها في بعض مراتب
هذا النوع من الصدق اعني مساواة السر والعلانية او كون خيرا منها اعلى واعز من الانواع السابقة عليه ولذلك كرر
طلبه من الله سيد الرسل ص في دعواته بقوله ص اللهم اجعل سريرتي خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وورد انه اذا
ساوت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة ويقول هذا عبدي حقا وكان بعض الاكابر يقول من يدلني على بكاء
بالليل بسام بالنهار ونعم ما قيل اذا السر والاعلان في المؤمن استويا فقد عز في الدارين واستوجب الثناء وان خالف الاعلان
سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعناء كما خالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه المردود لا يقتضي المنى ومن
جملة هذا الصدق موافقة القول والفعل فلا يقول ما لا يفعل ولا يامر بما لا يعمل فمن وعظ ولم يتعظ نفسه كان كاذبا
ومن هنا قال امير المؤمنين ع اني والله ما احثكم على طاعة الا واسبقكم اليها ولا انهاكم عن معصية الا واتناهى قبلكم
عنها السادس الصدق في مقامات الدين من الصبر والشكر والتوكل والحب والرجاء والخوف والزهد والتعظيم والرضا
والتسليم وغير ذلك وهو اعلى درجات الصدق واعزها فمن اتصف بحقايق هذه المقامات ولوازمها وآثارها وغاياتها
فهو الصديق الحق ومن كان له مجرد ما يطلق عليه الاسم من دون اتصافه بحقايقها وآثارها وغاياتها فهو كاذب فيها
اما ترى ان من خاف سلطانا او مثله كيف يصفر لونه ويتعذر عليه اكله ونومه وينتقص عليه عيشه ويتفرق عليه فكره
ويرتعد ايضا وترتعد له اركانه وجوارحه وقد ينزعج عن وطنه ويفر عن اهله وولده فيستبدل بالانس الوحشة
وبالراحة التعب والمشقة ويتعرض للاخطار ويختار مشقة الاسفار كل ذلك خوفا من درك المحذور فمثل هذا الخوف هو
الخوف الصادق المحقق ثم انه يدعي الخوف من الله او من النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند ادا قبيح المعصية وصدورها
عنه فخوفه خوف كاذب قال النبي ص لم ار مثل النار نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها ثم الغاية لهذه المقامات
حتى يمكن الانسان نيل غاياتها بل لكل عبد منها حظ بحسب حاله ومرتبة معرفة الله وتعظيمه والخوف منه غير متناهية و
لذلك لما راى النبي ص جبرئيل على صورته الاصلية خر مغشيا عليه وقال بعد عوده الى صورته الاولى وافاقته ما ظننت
ان احدا من خلق الله هكذا قال له فكيف لو رايت اسرافيل ان العرش على كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين
السفلى ومع ذلك يتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع اي كالعصفور الصغير وقال رايت ليلة اسري بي انا وجبرئيل
بالملأ الاعلى كالحلس البالي من خشية الله اي كالكساء الذي يلقى على ظهر البعير فانظر الى اعاظم الملائكة والنبيين كيف يصير
حالهم من شدة الخشية والتعظيم وهذا انما هو بقوة معرفتهم بعظمة الله وجلاله وفوق ما لم يدركوه من عظمته
وقدرته ومراتب غير متناهية فاختلاف الناس في مراتب الخوف والتعظيم والحب والانس انما هو بحسب اختلافهم

في معرفة

في معرفة الله وليس يمكن ان يوجد من بلغ غاياتها ولذلك ورد انه ما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يرى الناس كلهم حمقى في دين الله
وقال ع لا يبلغ احد حقيقة الايمان حتى يرى الناس كالاباعر في جنب الله فاختلاف الناس انما هو في القدر الذي يمكن ان
يبلغ اليه والبلوغ اليه في الجميع انما هو نادر فالصادق في جميع المقامات عزيز جدا ومن علامات هذا الصدق كتمان المصائب
والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها وقد ورد ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام اني اذا احببت عبدا ابتليته
ببلاء لا تقوم لها الجبال لانظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وان وجدته جزوعا يشكو الى خلقي
خذلته ولا ابالي وقال ع اذا اردت ان تعلم اصادق انت ام كاذب فانظر في قصد معناك وغور دعواك وعيرهما
بقسطاس من الله عز وجل كانك في القيمة قال الله عز وجل والوزن يومئذ الحق فاذا اعتدل معناك بغور دعواك ثبت لك الصدق
وادنى حد الصدق ان لا يخالف اللسان القلب ولا القلب اللسان ومثل الصادق الموصوف بما ذكرنا كمثل النازع روحه ان
لم ينزع فماذا يصنع تنبيه اعلم ان اكثر ما تقدم من الرذائل المذكورة في هذا المقام من الكذب والغيبة والبهتان والشماتة
والسخرية والمزاح وغيرها هادي المقام الثالث اعني التكلم بما لا يعني والفضول والخوض في الباطل من آفات اللسان وهو اضر الجوارح
بالانسان واعظمها هلاكا له وآفاته اكثر من آفات ساير الاعضاء وهي وان كانت من المعاصي الظاهرة الا انها يؤدي الى
مساوي الاخلاق والملكات اذ الاخلاق انما يترسخ في النفس بتكرير الاعمال اذ الاعمال انما تصدر من القلب بتوسط الجوارح
وكل جارحة يصلح لان يصدر منها الاعمال الحسنة الجالبة للاخلاق الجميلة وان يصدر منها الاعمال القبيحة المورثة للاخلاق
السيئة فلا بد من مراعاة الجوارح ومعالجتها الى الخيرات ومنعها من الشرور وعمدة ما يصدر منها الاثام الظاهرة
المؤدية الى الرذائل الباطنة هو اللسان وهو اعظم آلة للشيطان في استغواء نوع الانسان فمراقبته ومحافظته اوجب
واللزوم والسر فيه كما قيل انه من نعم الله العظيمة ولطائف صنعه الغريبة فانه وان كان صغيرا جرمه ولكن عظيم طاعته وجرمه اذ لا
يتبين الايمان والكفر الا بشهادته ولا يهتدى الى شيء من امور الدنيا بغير الالة وما من موجود ومعدوم الا وهو
يتناوله ويتعرض له باثبات او نفي اذ كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم يتناوله وهذه
خاصية لا توجد في ساير الاعضاء اذ العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل
الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضاء واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وله في الخير مجال
وسيع وفي الشر ذيل سحيب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخي العنان سلك به الشيطان في كل ميدان واوقعه في اودية الضلالة
والخذلان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى الهلاكة والبوار ولذلك قال سيد الرسل ص وهل يكب الناس
على مناخرهم في النار الا حصائد السنتهم فلا ينجو من شر اللسان الا ان يقيد بلجام الشرع ولا يطلق الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة
ويكف عن كل ما يخشى غائلته في العاجلة والآجلة وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه
على من عرفه ثقيل عسير وهو اعصى الاعضاء على الانسان اذ لا تعب في تحريكه ولا مؤنة في اطلاقه فلا بد عن التساهل في الاحتراز
عن آفاته وغوائله والحذر عن مصائده وحبائله والآيات والاخبار الواردة في ذمه وفي كثرة آفاته وفي الامر بحفظه
والتحذير عنه كثيرة وهي بعمومها تدل على ذم جميع آفاته كما ياتي قال الله سبحانه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد وقال لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال رسول الله ص من يتكفل لي
ما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال ص من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن

والذي بين الفرج واللقلق اللسان وقيل له ص ما النجاة قال املك عليك لسانك وقال ص اكثر ما يدخل الناس النار
الاجوفان الفم والفرج والمراد بالفم اللسان وقال هل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم وقال ص اخوف
ما اخاف على امتي رجل منافق عليم اللسان وقال هذا وقال لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال اذا اصبح ابن
ادم اصبحت الاعضا كلها تستكفي اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وقال لرجل
اوصني فقال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شئت انبأتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه
وقال ص ان الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرء على ما يقوله وقال من لم يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه وقال
يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئا من الجوارح فيقول اي رب عذبتني بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح فيقال
له خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الارض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام
وعزتي لاعذبنك بعذاب لا اعذب به شيئا من جوارحك وقال ان كان في شيء شوم ففي اللسان وقال امير المؤمنين لرجل يتكلم بفضول
الكلام ما هذا انك تملي على حافظيك كتابا الى ربك فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك وقال ص المرء مخبو تحت لسانه وفي ترك الكلام
او اعرضه على العقل فان كان لله وفي الله فتكلم وان كان غير ذلك فالسكوت خير منه وليس على الجوارح عبادة اخف مؤنة وافضل منزلة
واعظم قدرا عند الله من الكلام في رضاء الله ولوجهه ونشر الائه ونعمائه في عباده الا ترى ان الله عز وجل لم يجعل فيما بينه وبين
رسله معنى يكشف ما اسر اليهم من مكنونات علمه ومخزونات وحيه غير الكلام وكذلك بين الرسل والامم يثبت بهذا انه افضل الوسائل
والطف العبادة وكذلك لا معصية اثقل على العبد واسرع عقوبة عند الله واشد ملامة واعجلها سامة عند الخلق منه واللسان
ترجمان الضمير وصاحب خبر القلب وبه ينكشف ما في سر الباطن وعليه يحاسب الخلق يوم القيمة والكلام خمر يسكر العقول ما كان
منه بغير الله وليس شيء احق بطول السجن من اللسان وقال السجاد ع ان لسان بن ادم يشرف على جوارحه كل يوم فيقول كيف
اصبحتم فيقولون بخير ان تركتنا ويقولون الله الله فينا ويناشدونه ويقولون انما نثاب ونعاقب بك وقال الص ع
ما من يوم الا وكل عضو من اعضا الجسد يكفر للسان يقول نشدتك الله ان نعذب فيك فيما سبق ان الصمت ضد جميع افات
اللسان وبالمواظبة عليه يزول كلها وهو من خصايل قوة الغضب او الشهوة وفضيلة عظيمة وفوايده جسيمة فان فيه جميع الهمم
ودوام الوقار والفراغ للعبادة والفكر والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن حسابه في الاخرة ولذا امر به الشرع
وحث عليه قال رسول الله ص من صمت نجا وقال الصمت حكم وقليل فاعله وقال من كف لسانه ستر الله عورته وقال الا اخبركم
بايسر العبادة واهونها على البدن الصمت وحسن الخلق وقال ص من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وقال ص
رحم الله عبدا تكلم خيرا فغنم او سكت فسلم وجاء اليه ص اعرابي فقال دلني على عمل تدخلني الجنة قال اطعم الجايع واسق الظمآن
وامر بالمعروف وانه عن المنكر وان لم تطق فكيف فكف لسانك الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال ص اذا رايتم
صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقي الحكمة وقال ص الناس ثلثة غانم وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر والسالم الساكت
والشاجب الذي يخوض في الباطل وقال ع ان لسان المؤمن وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم
امضاه بلسانه ثم وان لسان المنافق امام قلبه فاذا هم بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبره بقلبه وقال ص اسلك لسانك
فانها صدقة تصدق بها على نفسك ثم قال ولا يعرف حقيقة الايمان حتى يخزن من لسانه وقال ص لرجل اتاه الا ادلك على امر
يدخلك الله به الجنة قال بلى يا رسول الله ص قال انل مما انالك الله قال فان كنت احوج ممن انيله قال فانصر المظلوم

قال فان كنت

قال فان كنت اضعف ممن انصره قال فاصنع للاخرق يعني اشر عليه قال فان كنت اخرق ممن اصنع له قال فاصمت لسانك الا من
خير اما يسرك ان تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك الى الجنة وقال ص نجاة المؤمن حفظ لسانه وجاء رجل اليه ص فقال
يا رسول الله اوصني قال احفظ لسانك قال يا رسول الله ص اوصني قال احفظ لسانك قال يا رسول الله اوصني قال احفظ
لسانك ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار الا حصايد السنتهم وقيل لعيسى بن مريم ع دلنا على عمل يدخل به الجنة
قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا بخير وقال ايضا العبادة عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت
وجزء في الفرار عن الناس وقال لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فان الذين يكثرون الكلام قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون
وقال لقمن لابنه يا بني ان كنت زعمت ان الكلام من فضة فان السكوت ذهب وقال ابو جعفر الباقر ع كان ابو ذر
يقول يا مبتغي العلم ان هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك وقال ع انما
شيعتنا الخرس وقال الص ع لمولى له يقال له سالم نعمان ووضع يده على شفتيه يا سالم احفظ لسانك تسلم ولا تحمل الناس على رقابنا
وقال ع في حكمة ال داود على العاقل ان يكون عارفا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه وقال ع لا يزال العبد المؤمن يكتب محسنا
ما دام ساكتا فاذا تكلم كتب محسنا او مسيئا وقال ع النوم راحة للجسد والنطق راحة للروح والسكوت راحة للعقل وقال ع
النوم راحة للجسد والسكوت راحة للعقل وقال ع الصمت كنز وافر وزين الحليم وستر الجاهل وقال ابو الحسن احفظ لسانك
تعز ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك وقال الرضا من علامات الفقه الحلم والعلم والصمت ان الصمت باب
من ابواب الحكمة ان الصمت يكسب المحبة انه دليل على كل خير وقال ع كان الرجل من بني اسرائيل اذا اراد العبادة صمت قبل ذلك
عشر سنين وفي مصباح الشريعة عن مولانا الص ع قال الصمت شعار المحققين بحقايق ما سبق وجف به القلم وهو مفتاح
كل راحة من الدنيا والاخرة وفيه رضاء الرب وتخفيف الحساب والصون من الخطايا والزلل وقد جعله الله سترا على الجاهل وزينا
للعالم ومعه عزل الهوى ورياضة النفس وحلاوة العبادة وزوال قسوة القلب والعفاف والمروة والظرف فاغلق باب
لسانك عما لك منه بد لا سيما اذا لم تجد اهلا للكلام والمساعد في المذاكرة لله وفي الله وكان الربيع بن خثيم يضع قرطاسا بين يديه
فيكتب كلاما يتكلم به ويحاسب نفسه عشية ما له وما عليه ويقول اوه نجى الصامتون وبقينا وكان بعض اصحاب رسول الله
يضع حصاة في فيه فاذا اراد ان يتكلم بما علم انه لله وفي الله ولوجهه اخرجها فان كثيرا من الصحابة كانوا يتنفسون تنفس الغرقى
ويتكلمون شبه المرضى وانما سبب هلاك الخلق ونجاتهم الكلام والصمت فطوبى لمن رزق معرفة عيب الكلام وصوابه وعلم الصمت
وفوايده فان ذلك من اخلاق الانبيا وشعار الاصفيا ومن علم قدر الكلام احسن صحبة الصمت ومن اشرف على ما في لطايف
الصمت وائتمن على خزائنه كان كلامه وصمته كله عبادة ولا يطلع على عبادته هذه الا الملك الجبار وقد ظهر من هذه الاخبار ان
الصمت مع سهولته انفع للانسان من كل عمل وكيف لا يكون كذلك وخطر اللسان الذي هو اعظم الاخطار وافاته التي هي اشد
المهلكات لا يندفع الا به والكلام وان كان في بعضه فوايد وعوايد الا ان الامتياز بين الممدوح والمذموم منه مشكل ومع العسر
فالاقتصار على مجرد الممدوح منه عند اطلاق اللسان مشكل وح فالصمت عما لا جزم بتضمنه للخير والثواب من الكلام اولى
انفع وقد نقل ان اربعة من اذكياء الملوك اعني ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر تلاقوا في وقت فاجتمعوا على
ذم الكلام ومدح الصمت فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولم اندم على ما لم اقل وقال الاخر اني اذا تكلمت بالكلمة ملكتني
ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه

وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر منى على رد ما قلت ومنها حب الجاه والشهرة والمراد بالشهرة انتشار الصيت ومعنى
الجاه ملك القلوب وتسخيرها بالتعظيم والاطاعة والانقياد له وبعبارة اخرى قيام المنزلة فى قلوب الناس وانما يصير القلوب
مملوكة مسخرة للشخص باشتمالها على اعتقاد اتصافه بكمال حقيقى او بما يظنه كمالا من علم وعبادة او ورع وزهادة او قوة وشجاعة
او بذل وسخاوة او سلطنة وولاية او منصب ورياسة او غنى ومال او حسن وجمال وغير ذلك مما يعتقده الناس كمالا وتسخير
القلوب وانقيادها على قدر اعتقادها وبحسب درجة ذلك الكمال عندها فبقدر ما يعتقد ارباب القلوب يذعن له قلوبهم
وبقدر اذعانها تكون قدرته عليهم وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه ثم ملك القلوب يبعث اربابها على المدح والثناء فان
المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثنى عليه وعلى الخدمة والاعانة فانه لا يبخل ببذل نفسه فى طاعته بقدر اعتقاده وعلى
الايثار وترك المنازعة والتعظيم والتوقير والابتداء بالسلام وتسليم الصدر فى المحافل والتقديم فى جميع المقاصد تنبيه حب الجاه
والشهرة ان كان من حيث ايجابهما الغلبة والاستيلاء يرجع حقيقة الى حبهما وكان طالبهما طالبا لهما فهو من رذائل قوة
الغضب وان كان من حيث التوصل بهما الى قضاء الشهوات وحظوظ النفس البهيمية فهو من رذائل قوة الشهوة وان كان من الجنسين
فهو من رذائلهما بالاشتراك يعنى مدخلية كل منهما فى حدوث خصوص هذه الصفة والاصل اشتراك القوتين فى حدوث حب الجاه و
الشهرة كما ذكرنا من جملة ما يتعلق بهما معا كحب المال فان الغالب ان حبه من حيث التوصل به الى قضاء حظوظ القوة الشهوية
وكونه لمجرد الاستيلاء عليه بالمالكية والتمكن على التصرف فيه نادر ولذا نذكره فيما يتعلق بقوة الشهوة فصل اعلم ان حب الجاه
والشهرة من المهلكات العظيمة وطالبهما طالب للآفات الدنيوية والاخروية ومن اشتهر اسمه وانتشر صيته لا يكاد ان
يسلم دنياه وعقباه الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب للشهرة منه ولذا ورد فى ذمهما ما لا يمكن احصاؤه من
الآيات والاخبار قال الله سبحانه تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا وقال من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل
ما كانوا يعملون وهذا بعمومه متناول لحب الجاه لانه اعظم لذة من لذات الحيوة الدنيا واكبر زينة من زينتها وقال رسول الله
ص حب الجاه والمال ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا فى زريبة غنم باكثر فسادا من حب الجاه والمال
فى دين الرجل المسلم وقال ص حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع وقال امير المؤمنين ع تبذل لا تشتهر ولا ترفع
شخصك لتذكر بعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال الباقر ع لا تطلبن الرياسة ولا تكن ذنبا فتأكل بالناس
فيفقرك الله وقال الصادق ع اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الا هلك
واهلك وقال ع ملعون من ترأس ملعون من هم بها ملعون من حدث بها نفسه وقال من اراد الرياسة هلك وقال ع
انى لا اعرف خياركم من شراركم بلى والله ان شراركم من احب ان توطأ عقبه انه لا بد من كذاب او عاجز الرأى والاخبار بهذه
المضامين كثيرة ولكثرة آفاتها ترى الاكابر العلماء واعاظم الاتقياء يفرون منها فرار الرجل من الحية السوداء حتى ان بعضهم
اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام من مجلسه وبعضهم يبكى لاجل انه بلغ اسمه المسجد الجامع وبعضهم اذا تبعه اناس من عقبه
التفت اليهم وقال على ما تتبعونى فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابى ما تبعنى منكم رجلان وبعضهم يقول لا اعرف رجلا
احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح واخر يقول لم يجد حلاوة الآخرة رجل يحب ان يعرفه الناس واخر يقول والله ما صدق الله عبد
الا سره ان لا يشعر بمكانه ومن فساد حب الجاه ان من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشعوفا بالتودد

اليهم والريا

اليهم والمراياة لاجلهم ولا يزال فى اقواله وافعاله ملتفتا الى تعظيم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق واصل الفساد ويجر
لا محالة الى التساهل فى العبادات والى اقتحام المحظورات للتوصل بها الى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله ص حب الشرف
والمال وافسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال ع انه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل اذ النفاق هو مخالفة الظاهر
للباطن بالقول او الفعل وكل من طلب المنزلة فى قلوب الناس فيضطر الى النفاق معهم والى التظاهر بخصال حميدة هو خال عنها وذلك
عين النفاق تنبيه الجاه احب من المال اذ ملك القلوب ترجح على ملك المال بوجوه الاول ان المال معرض للتلف والزوال لانه يغصب
ويسرق ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه الى الحفظ والحراسة ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت فهى من
هذه الآفات محفوظة نعم انما يزول ملك القلوب بتغير اعتقادها فيما صدقت من الكمال الحقيقى او الوهمى الثانى ان التوصل
بالجاه الى المال ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذى تقرر له جاه فى القلوب لو قصد اكتساب المال تيسر
له بسهولة لان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اذعنت له بالانقياد واعتقدت فيه اوصاف الكمال واما
الخسيس العارى عن الكمال اذا ظفر بكنز من المال ولم يكن جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل به الى الجاه لم يتيسر له الثالث
ان ملك القلوب يسرى وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومشقة اذ القلوب اذا اذعنت لشخص واعتقدت اتصافه
بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة بما فيها لا محالة فيصف ما يعتقده لغيره وهو ايضا يذعن به ويصفه لآخر فلا يزال
يستطار فى الاقطار ويسرى من واحد الى واحد الى ان يجتمع معظم القلوب على التعظيم والقبول واما المال فمن ملك شيئا
منه فلا يقدر على استنمائه الا بتعب ومقاساة ولهذه الوجوه يستحقر الاموال فى مقابلة عظم الجاه وانتشار الصيت وانطلاق
الالسنة بالمدح والثناء فصل كما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس والمسكن ومثله ليس بمذموم فكذا لا بد من
ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق اذ الانسان كما لا يستغنى عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام والمال الذى يباع
به الطعام فكذلك لا يستغنى عن خادم يخدمه ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه لان يكون له فى قلب
خادمه من المنزلة ما يدعوه الى الخدمة وفى قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته وفى قلب السلطان من المحل ما يدفع به الشر
عنه ليس بمذموم اذ الجاه كالمال وسيلة الى الاغراض فلا فرق بينهما الا ان هذا يفضى الى ان لا يكون المال والجاه محبوبين
باعيانهما بل من حيث التوصل بهما الى غيرهما ولا ريب فى ان كل ما يراد به التوصل الى محبوب فالمحبوب هو المقصود المتوصل
اليه دون الوسيلة ومثل هذا الحب مثل حب الانسان ان يكون فى داره بيت الخلاء لقضاء حاجته ولو استغنى عن قضاء الحاجة
لم يضطر اليه وكره استعماله ادارة على بيت الخلاء ومثل ان يحب زوجته ليدفع فضلة الشهوة ولو كفى مؤنة الشهوة لاجتنب
مهاجرتها فاذا كان حبهما لضرورة البدن والمعيشة لا لذاتهما لم يكن مذموما والمذموم ان يحبهما لذاتهما وفيما يجاوز
ضرورة البدن كحب زوجته لذاتها حب العشاق حتى لو كفى مؤنة الشهوة لبقى مستصحبا لحبها ثم حبهما باعيانهما وان كان
من موجبات حوجا لكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية ما لم يتوصل الى اكتسابهما
بكذب وخداع وتلبيس كان يظهر للناس قولا او فعلا اعتقد لاجله اتصافه بوصف ليس فيه مثل العلم والورع او
علو النسب وبذلك يطلب قيام المنزلة فى قلوبهم وما لم يتوصل الى اكتسابها بعبادة اذ التوصل الى المال والجاه بالعبادة
خيانة على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الرياء المحظور كما يأتى واما طلبهما بصفة هو متصف بها فهو مباح غير مذموم
وذلك كقول يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم حيث طلب المنزلة فى قلب الملك بكونه حفيظا عليما وكان

صادقا في قوله وكذا طلبها باخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلم فلا يزول به منزلته في قلبه مباح غير مذموم
او حفظ الستر على القبائح جائز بل لا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا ليس فيه كذب وتلبيس بل هو سد لطريق العلم بلا فائدة
في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب
اعتقاده الورع بل يمنع العلم بالشرب وهو جائز شرعا وعقلا **فصل** ان قيل الوجه في حبها بالعرض وفي حب قدر ما يضطر
اليه في المعيشة ومزيد البدن ظاهر وما الوجه في حبها باعيانها وفي جبلة الناس على قدر الضرورة مثلا لحب جمع المال وكنز الكنوز
وادخار الذخائر واستكثار الخزائن وراء جميع الحاجات وحب اتساع الجاه وانتشار الصيت الى اقاصي البلاد والتي يعلم قطعا
انه قط لا يطاها ولا يشاهدها ليعظموه ويعينوه على غرض من اغراضه فانه مع ذلك يلتذ به غاية الالتذاذ ويسر به غاية السرور
حتى الجلية نفسه لذة اقوى منه ويراه فوق جميع لذاته وابتهاجاته قلنا الوجه في ذلك امران احدهما دفع الم الخوف الناشي
من سوء الظن وطول الامل فان الانسان وان كان له من المال ما يكفيه في الحال الا انه لطول امله قد يخطر بباله ان المال الذي فيه
كفايته ربما يتلف فيحتاج الى غيره فاذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا بالامن الحاصل من وجود مال
يفزع اليه ان اصابت هذا المال آفة فهو ابدا لحبه الحيوة وتشفقه على نفسه يقدر طول الحيوة وهجوم الحاجات ويقدر امكان
تطرق الافات الى الاموال واستشعر الخوف منه فلا يطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطائفة من ماله
فزع الى الآخر وهذا خوف لا يتوقف عند مقدار مخصوص من المال ولذلك لم يكن لميله موقف الى ان يملك ما في الدنيا
ولذلك قال منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال ومثل هذه العلة يطرد في حب قيام المنزلة والجاه
الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اولئك عن اوطانهم الى وطنه ويحتاج الى
الاستعانة بهم ومهما كان ذلك ممكنا كان للنفس لذة وسرور في قيام المنزلة في قلوبهم لما فيه من الامن من هذا الخوف وثانيهما ان
الانسان تركب من اصول مختلفة هي القوة الشهوية والقوة السبعية والقوة الشيطانية والروح الذي هو امر رباني ولذلك
له ميل الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والايذاء والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغواء
والى صفات ربوبية كالعلم والقدرة والكبر والعز والتجبر والاستعلاء لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبية بالطبع و
معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد بالكمال بالوجود على سبيل الاستقلال والغلبة والاستيلاء على جميع الاشياء بالعلية
واستناد الكل اليه بالصدور منه والمعلولية وبالجملة مقتضى الربوبية التفرد بالوجود والكمال ورجوع كل وجود وكمال
اليه اذ عالم الربوبية هو التام وفوق التمام ولا يتحقق ذلك الا بالتفرد بالوجود والكمال والعلية والاستيلاء على جميع ما عداه
اذ المشاركة في الوجود نقص لا محالة فكمال الشمس في انها موجودة وحدها فلو كان معها شمس اخرى كان ذلك نقصا في
حقها اذ لم يكن متفردة بكمال معنى الشمسية واذا كان معنى الربوبية هو التفرد بالوجود والكمال وكل انسان كان فيه امر رباني
فالتفرد بالوجود والكمال محبوب له بالطبع وضده اعني العبودية مكروه على نفسه لانه علم ان المتفرد بالوجود والكمال هو
الله تعالى اذ ليس موجود سواه فان ما سواه اثر من آثار قدرته لا قوام له بذاته بل هو قائم به وليس له معية في الوجود
بالنسبة اليه تعالى اذ المعية يوجب المساواة في الرتبة وهو نقصان في الكمال اذ الكامل لا نظير له في الوجود والكمال بوجه من الوجوه
وان كان لغيره وجود وكمال بعد كونه صادرا منه معلولا له اذ تحقق الموجودات وذوات الكمال لا يوجب نقصا في ذاته
سبحانه بعد استناد جميعها اليه وكونها اضعف منه بمراتب غير متناهية في الوجود والكمال شدة وقوة فكما اشراق نور

الشمس

الشمس في اقطار الافاق ليس نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما نقصانها بوجود شمس اخرى مساوية لها في الرتبة
مستغنية عنها فكذلك الوجود كل ما في العالم اذا كان من اشراق نور القدرة الالهية تابعا لها لم يكن ذلك نقصانا في الواجب
سبحانه بل كان كمالا له ولما علم ذلك وتيقن بان التفرد بالوجود والكمال والاستيلاء التام على جميع الاشياء لا يليق به لانه عبد
مملوك مقهور تحت القدرة الالهية عرف انه عاجز عن درك منتهى الكمال الذي هو التفرد بالوجود والاستيلاء اي كونه وجود
غيره منه الا انه لم يسقط شهوته للكمال بل هو محب له متلذذ به لذاته لا لمعنى آخر وراء الكمال وطالب لتحصيل ما يتمكن منه فمطلق الكمال
محبوب عنده الا ان طلبه انما يتعلق بالكمال الممكن في حقه ومن الكمال الممكن في حقه ان يحصل له نوع استيلاء على كل الموجودات
فكان ذلك محبوبا عنده ومطلوبا له ولما كانت الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير كذات الواجب وصفاته وعالم المجردات
والى ما يقبل التغير ولكن لا يستولى عليه قدرة الخلق بالتصرف كالافلاك والكواكب وملكوت السموات ونفوس الملائكة
والجن والشياطين والجبال والبحار وغير ذلك والى ما يقبل التغير ويستولى عليه قدرة العباد كالارض واجزائها وما عليها
من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الادميين ونفوسهم لكونها قابلة للتغير والتاثير مثل اجسادهم واجساد
ساير الحيوانات فلم يكن للانسان ان يتصور امكان استيلائه على الكل بالتصرف فيه فلم يتعرض لطلبه ذلك بل احب في كل منها نوع
الاستيلاء الذي يمكن في حقه والاستيلاء الذي يمكنه في حقه بالنظر الى القسمين الاولين هو الاحاطة عليه بالعلم والاطلاع على
اسراره لان ذلك نوع استيلاء اذ المعلوم المحاط به تحت القدرة والعالم كالمستولي عليه ولذلك احب الانسان ان يعرف الواجب
والملائكة والافلاك والكواكب وعجايب الملك والملكوت لان ذلك نوع استيلاء والاستيلاء نوع كمال واما القسم الثالث
فيمكنه ان يستولي بالتصرف فيه كيف يريد فيقدر على الاراضي والاملاك بان يتصرف فيها بالحيازة والضبط والزرع
والغرس وعلى الاجساد الارضية الحيوانية والنباتية والجمادية بالركوب والضبط والحمل والنقل والوضع والتسليم و
المنع وعلى نفوس الادميين وعلى قلوبهم بان يكون مسخرة متصرفة تحت اشارته وارادته وصيرورتها محبة له باعتقاد
الكمال فيه ولكون هذا النوع من الاستيلاء نوع كمال احب الانسان هذا الاستيلاء على الاموال والقلوب وان كان لا يحتاج
اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد واستعباد الاحرار ولو بالقهر والغلبة وقد
ظهر مما ذكر ان محبوب النفس بذاتها هو الكمال بالعلم والقدرة والمال والجاه محبوب لكونه من اسباب القدرة ولما كانت
المعلومات والمقدورات غير متناهية فلا يكاد ان يقف النفس الى حد من العلم والقدرة ولها درجات غير متناهية في
كل نفس ولذتها بقدر الدرجة التي يدركها **فصل** لما عرفت ان المحبوب عند الانسان هو العلم والقدرة والمال
والجاه لكونها كمالا فاعلم انه اشتبه الامر عليه باغواء الشيطان حيث التبس عليه الكمال الحقيقي بالوهمي ويتيقن بكون جميع
ذلك كمالا واجبة اذ التحقيق ان بعضها كمال حقيقي وبعضها وهمي لا اصل له والسعي في طلبه جهل وخسران وتضييع وقت
وخذلان بيان ذلك انه لا ريب في عدم كون المال والجاه كمالا لان القدرة والاستيلاء على اعيان الاموال بوجوه التصرف
وعلى القلوب والابدان بالتسخير والانقياد ينقطع بالموت فمن ظن ذلك كمالا فقد جهل والخلق كلهم غمرة هذا الجهل
الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه
كمال فلما اعتقدوا كون ذلك كمالا احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي
الذي يوجب القرب من الله اعني العلم والحرية كما يأتي فهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم

العقاب ولا هم يحزنون وهم الذين لم يفهموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة والباقيات الصالحات خير عند ربك
ثوابا فالعلم والحرية وفضايل الاخلاق هي الباقيات التي تبقى كمالا للنفس بعد خراب البدن والمال والجاه هو الذي ينقضي على
القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث قال انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض الاية وكل ما يذروه رياح
الموت فهو زهرة الحيوة الدنيا وكل ما لا يقطعه الموت فهو من الباقيات الصالحات فقد ظهر ان كمال القدرة بالمال والجاه كمال
وهمي لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منها الى الكمال الحقيقي واما العلم فلا بد
في كون ما هو حقيقة كمالا حقيقيا اذ الكمال الحقيقي هو الذي يقرب من يتصف به من الله ويبقى كمالا للنفس بعد الموت
ولا شك ان العلم بالله وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت السموات والارض وترتيب الدنيا وما يتعلق به هو القرب
للعبد الى الله اذ هو علم ثابت لا يقبل التغير والانقلاب اذ معلوماته ازلية ابدية ليس لها تغير وانقلاب حتى يتغير العلم بتغيرها
مثل المتغيرات التي يتغير العلم بها بتغيرها وانقلابها كالعلم بكون زيد في الدار فهو علم ثابت ازلا وابدا من دون تغير واختلاف
كالعلم بجواز الجايزات ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فهذا العلم اعني معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله هو
الكمال الحقيقي الذي يبقى بعد الموت وينطوي فيه العلم بالنظام الجميل الاصلح وجميع المعارف المحيطة بالموجودات وحقايق
الاشياء اذ الموجودات كلها من افعاله تعالى عرفها من حيث هي فعل الله ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة كان هذه
المعرفة من تكملة معرفة التي يبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون نورا للعارفين بعد الموت يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا فهي راس مال يوصل الى كشف ما لم ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يمكن ان يصير ذلك سببا لزيادة
النور بسراج اخر يقتبس منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك
فمن ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور بل هو في ظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب
سحاب ظلمات بعضها فوق بعض وما عدا هذه المعرفة من المعارف اما لا فايدة فيها اصلا كمعرفة الشعر وانساب العرب
ومثلها اذ لا منفعة في معرفة الله كمعرفة لغة العرب والتفسير والفقه والحساب ومعرفة طريق تزكية النفس التي يفيد استعدادا
لقبول الهداية الى معرفة الله كما قال قد افلح من زكيها وقال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فهو من حيث انه
وسيلة الى معرفة الله والى تحصيل الحرية ثم لا بد منه بالعرض ثم ان المعرفة التي هي كمال حقيقي للانسان ليس كمال العلم وغايته
اذ لا يتصور كمال العلم ونهايته الا للواجب اذ كمال العلم انما يتحقق بامور ثلثة الاول ان يحيط بكل المعلومات ولا يتحقق ذلك
في علم البشر اذ ما اوتيه من العلم الا قليلا بل العلم الذي يحيط بجميع المعلومات هو علم الله تعالى وعلم العبد انما يتعلق ببعض
المعلومات وكلما كان معلوما اكثر كان علمه اقرب الى الله تعالى الثاني ان يتعلق بالمعلوم على ما هو به ويكون المعلوم منكشفا
فاحصلا في غاية الانكشاف وحد الوضوح بحيث لا يقبل انكشافا اتم منه وهذا ايضا غير ممكن التحقق في حق الانسان اذ علمه
لا يخلو عن كدورة وابهام بل الكشف التام الذي هو غاية الظهور والجلاء هو مختص بعلم الله اذ معلوماته مكشوفة باتم
انواع الكشف على ما هي عليها وعلم العبد له بعض مراتب الانكشاف فكلما كان اجلى واوضح واوفق للمعلوم في تفاصيل صفاته
كان اقرب الى علم الله الثالث ان يكون باقيا ابد الاباد بحيث لا يتغير ولا يزول وهذا ايضا مختص بعلم الله تعالى اذ علمه تعالى باق
لا يتصور ان يختلف ويتغير ويزول وعلم الانسان يتغير ويزول فكلما كان علمه بمعلومات لا يقبل التغير والانقلاب كان
اقرب الى علم الله تعالى هذا ومن الكمالات للانسان الحرية بفضايل الاخلاق والصفات الجليلة باصلاح النفس المودي الى البهجة

الدائمة

الدائمة والحرية اعني الخلاص عن اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلاء عليها بالقهر تشبها بالملائكة الذين لا يستفزهم الشهوة
ولا يستهويهم الغضب اذ دفع اثار الشهوة والغضب عن النفس كمال حقيقي لانه من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله سبحانه على نظرة التغير
والتاثر على حريم كبريائه فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب واما القدرة فقال بعض العلماء اما القدرة
فليس فيها كمال حقيقي للعبد اذ القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث من الاشياء عقيب ارادة العبد وقدرته فهي حادثة باحداث
الله تعالى نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة الى كمال العلم كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه
للادراك فان هذه القوى آلة للوصول به الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفاء هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه للتوصل
به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله فلا خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي
ينقضي على القرب ولا طريق للعبد الى اكتساب كمال القدرة الباقية بعد موته اذ قدرته على كل شيء من الارضيات كالمال والابدان
والنفوس ينقطع بالموت بل الموت انتهى وانت خبير بان لحقق نوع قدرة للعباد مما لا ريب فيه وان كان اسبابها واصلها من الله
الا ان القدرة على الامور الدنيوية الفانية كالمال والاشخاص وغير ذلك ليست كمالا حقيقيا لزوالها بالموت نعم الحق ثبوت
القدرة النفسية للعبد على غير تاثير نفسه في الغير من الكائنات تاثيرا روحانيا معنويا كما هو ظاهر من تاثير بعض النفوس في الانسان
والحيوان والنبات والجماد بانواع التاثيرات ومثل هذه القدرة يبقى للنفوس بعد الموت ولذا ترى ان من يستغيث ببعض النفوس
الكاملة من الاموات يرى منها عجايب التاثيرات والاستفاضات فما ذكره بعض العلماء من عدم بقاء قدرة للنفوس بعد الموت
علاج حب الجاه
محل نظر وقد ظهر بما ذكر ان الكمال الحقيقي للانسان هو العلم الحقيقي وفضايل الاخلاق والحرية والقدرة **فصل** اعلم ان علاج
حب الجاه مركب من علم وعمل وعلاج العلمي ان يعلم ان السبب الذي لاجله احب الجاه وهو كمال القدرة على اشخاص الناس وعلى قلوبهم
ان صفى وسلم فاخره الموت فليست من الباقيات الصالحات بل لو سجد لك كل من على وجه الارض الى خمسين سنة او اكثر لا بد
بالاخرة من موت الساجد والمسجود له ويكون حاله كحال من مات قبله من ذوي الجاه مع المتواضعين له فلا ينبغي للعاقل ان
يترك لمثل ذلك الدين الذي هو الحيوة الابدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في
عينه الا ان ذلك انما يصغر في عين من ينظر الى الاخرة كانه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل عنده وابصار اكثر
الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب كما قال الله تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والاخرة
خير وابقى وقال كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة فمن هذا مرتبته فينبغي ان يعالج قلبه في حب الجاه بمعرفة الافات
العاجلة وهو ان يتفكر في الاخطار التي يستهدف لها ارباب الجاه في الدنيا فان كل ذي جاه محسود ومقصود بالايذاء وخائف
على الدوام على جاهه ولا يزال في الاضطراب والخوف من ان يتغير منزلته في القلوب مع ان قلوب الناس اشد تغيرا وانقلابا لا
من القدر في غليانها فهي مترددة بين الاقبال والاعراض فكل ما يبنى على قلوب الخلق يضاهي ما يبنى على امواج البحر فانه لا ثبات
له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع كيد الحساد ومنع اذى الاعداء اشتغال عن الله وتعرض لمقته في
العاجل والاجل كل ذلك غموم عاجلة مكدرة للذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها فضلا عما يفوت في الاخرة
فبهذا ينبغي ان يعالج البصيرة الضعيفة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه فلا التفات له الى الدنيا فهذا هو العلاج
العلمي واما العلاج العملي فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق بالانس بضد الجاه الذي هو الخمول ويقنع بالقبول من الخالق
واقوى العلاج لقطع الجاه الاعتزال عن الناس والهجرة الى مواضع الخمول المجرد الاعتزال في بيته في البلدة التي فيها مشهور

لان المعتزل في بيته في البلدة التي هو بها مشهود عند اهلها الى سبب عزلته عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب فربما
يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور وانما سكنت نفسه لانها ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه
وذموه او نسبوه الى امر غير لايق به جزعت نفسه وتالمت وتوصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن
قلوبهم وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به وبه يتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة ولا يمكنه ان
لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع في الناس ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى
لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في القلوب وزن عنده بل من لم يطمع في الناس وكان من اهل المعرفة
كان الناس عنده كالبهايم فكيف يكون طالبا لقيام منزلته في قلوبهم والحاصل ان الغالب كون الباعث على قيام المنزلة في
قلوب الناس هو الطمع منهم ولذا ترى انك لا تطلب قيام منزلتك في قلوب من في اقصى المشرق والمغرب لعدم طمعك فيهم
ثم ينبغي ان يستعين على المعالجة بالاخبار الواردة في ذم الجاه كما مر وفي مدح الخمول كما يأتي ويحصل صاحب الجاه والشهرة حب
الخمول وهو شعبة من الزهد كما ان حب الجاه شعبة من حب الدنيا والزهد ضدان ثم الخمول من صفات المؤمنين و
صفات الموقنين وقد كان طوايف العرفاء الموحدين ومن يماثلهم من سلفنا الصالحين محبين له طالبين اياه وكل من عرف
الله واحبه وانس به كان محبا للخمول متوحشا من الجاه وانتشار الصيت كما ينادي به كتب السير والتواريخ وقد ورد بمدحه
اخبار كثيرة كقول رسول الله صلى ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا
حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة وقوله صلى رب ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم
اسئلك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا وقوله صلى الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم على الله لابره
وقوله ان اهل الجنة اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء
لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوايج احدهم تتخلخل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقوله صلى ان من امتي
من لو اتى احدكم يسأله دينارا لم يعطه اياه او يسأله درهما لم يعطه اياه ولو سأل الله تعالى الجنة اعطاه اياه لهوانه عليه وقوله صلى
ان اغبط اوليائي عندي مؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر والعلانية وكان غامضا في
الناس لا يشار اليه بالاصابع وصبر على ذلك عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وورد ان الله تعالى يقول في مقام الامتنان
على بعض عبيده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وقال بعض خيار الصحابة كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس
البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض ومن اطلع على احوال الاكابر الذين في
السلف الصالحين من ايثارهم الخمول والذل على الجاه والشهرة والغلبة ثم ما ورد في مدحها من الاخبار يتيقن بانها من اوصاف
المؤمنين ولابد للمؤمن من الاتصاف بها ولذا ورد ان المؤمن لا يخلو عن ذلة او علة او قلة ومنها حب المدح وكراهة الذم
وهما من نتايج حب الجاه ومن المهلكات العظيمة اذ كل محب للمدح والثناء وخايف من الذم يجعل افعاله وحركاته على ما يوافق رضا
الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم فيختار رضا المخلوق على رضا الخالق فيرتكب المحظورات ويترك الواجبات ويداهن
في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويتعدى عن الانصاف والحق وكل ذلك من المهلكات وليس المؤمن الا من لم يجعل هواه تابعا بل المؤمن
من لم يؤثر قط رضا المخلوق على رضا الخالق ولا ياخذه في الله لومة ولعظم فساد حب المدح وبغض الذم ورد في ذمهما ما ورد
في الاخبار قال رسول الله صلى انما هلك الناس باتباع الهوى وحب الثناء وقال صلى رأس التواضع ان تكره ان تذكر

بالبر والتقوى

بالبر والتقوى وقال لرجل اثنى على آخر في حضرته لو كان صاحبك حاضرا فرضي بالذي قلت فمات على ذلك دخل النار وقال للمادح
الا ويلك قطعت ظهره ولو سمعك ما افلح الى يوم القيمة وقال الا لا تمادحوا واذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب
وقال صلى ويل للصايم وويل للقايم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله صلى الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا
وابغض المدحة واستحب المذمة **فصل** اعلم ان لحب المدح وكراهة الذم مرتبتين احديهما ان يفرح بالمدح ويشكر الممدوح للمادح بدله
ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه او يطلب مكافاته وهذه حال اكثر الخلق واخريهما ان يفرح باطنه ويرتاح
للمادح ولكن يحفظ ظاهره من اظهار السرور ويبغض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه عن مكافاته وهذه و
ان كانت نقصانا الا انها بالنظر الى الاولى كمال وباعتبار آخر لحب المدح درجات الاولى ان يتمنى المدح وانتشار الصيت بحيث
يتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم
بالمدح وهذا من الهالكين الثانية ان يريد ذلك ويطلبه بالمباحات الا بالعبادات وارتكاب المحظورات وهذا على شفا جرف
الهلاك اذ حدود الكلام والاعمال التي يستميل بها القلوب لا يمكن ان يضبطها فيوشك ان يقع فيما لا يحل ليتوصل به
الى نيل المدح فهو قريب من الهالكين الثالثة ان لا يريد المدح ولا يسعى بطلبه ولكن اذا مدح ارتاح من غير وجدان كراهة في نفسه
لهذا السرور والارتياح وهذا ايضا نقصان وان كان اقل اثما بالاضافة الى ما قبله الرابعة ان يسر ويرتاح ولكن كره هذا
السرور والارتياح وكلف قلبه كراهة المدح وبغضه وهو في مقام المجاهدة ولعل الله يسامحه اذا بذل جهده ومع ذلك لم يقدر
على ربط نفسه على كراهة المدح دائما **فصل** لحب المدح والتذاذ اسباب الاول شعور النفس بكمالها فان الكمال لما كان محبوبا
فمهما شعرت النفس بكمالها ارتاحت واهتزت وتلذذت والمدح يشعر نفس الممدوح بكمالها فان كان ما به المدح وصفا مشكوكا
فيه صادرا عن خبير بصير لا يجازف في القول كالوصف بكمال العلم والورع وبالحسن المطلق فاللذة فيه عظيمة لان الانسان
ربما كان شاكا في كمال علمه وكمال حسنه ويكون مشتاقا الى زوال هذا الشك فاذا ذكره غيره سيما اذا كان من اهل البصيرة اورث
ذلك طمانينة وثقة بوجود ذلك الكمال فتعظم اللذة ولو كان صادرا ممن لا بصيرة له كانت اللذة اقل لقلة الاطمينان بقوله
وان كان ما به المدح وصفا جليا كاعتدال القامة وبياض اللون كان اللذة في غاية القلة لان ثناءه لا يورث ما ليس من
الطمانينة والثقة الا انه لا يخلو عن لذة اذ النفس قد تغفل عنه فتخلو عن لذته فتنبيهها عليه بالمدح يورث لذة ما ولضد
هذه العلة يبغض الذم ايضا لانه يشعر بنقصانه في نفسه والنقصان ضد الكمال الثاني ان المدح يدل على ان قلب المادح
ملك للممدوح وانه مريد له معتقد فيه ومسخر تحت مشيته وملك القلوب محبوب والشعور بحصوله لذيذ ولذلك تعظم
اللذة بما صدر ممن يتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والاكابر ولضد هذه العلة يكره الذم ويتالم القلب
الثالث ان المدح سبب اصطياد قلب كل من يسمع لا سيما اذا كان المادح ممن يعتني بقوله وهذا يختص بمدح على الملاء
الرابع ان المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح الى اطلاق اللسان بالثناء عليه طوعا او قهرا والحشمة محبوبة
لما فيها من الغلبة والقدرة فشعور النفس بها يورث لذة وهذه اللذة تحصل وان علم الممدوح ان المادح لا يعتقد
ما يقوله اذ ما يطلبه يحصل منه ولضد هذه العلة يبغض الذم ايضا وهذه الاسباب قد تجتمع في مدح واحد فيعظم به الالتذاذ
وقد يفترق فينقص وينقطع استشعار الكمال بان يعلم الممدوح ان المادح غير صادق في مدحه فان كان يعلم ان المادح
ليس يعتقد ما يقوله بطلت اللذة الثانية ايضا وهو استيلاؤه على قلبه وبقيت لذة الاستيلاء بالحشمة على

اضطر لسانه الى النطق بالمدح. **فصل** اذا علمت ان حب المدح وكراهة الذم من المهلكات فيجب ان يبادر الى العلاج، وعلاج الاول ان يلاحظ اسبابه ويعلم ان شيئا منها لا يصلح حقيقة لان يكون سببا له، اما استشعار الكمال بالمدح فلان المادح ان صدق فليكن الفرح من فضل الله حيث اعطاه هذه الصفات، وان كذب فينبغي ان يغمه ذلك ولا يفرح به لانه استهزاء به مع ان الفرح بما في صورة الصدق من السفاهة اذا الوصف الذي مدح به ان كان مما لا يستحق الفرح به كالثروة والجاه وغيرهما من المطالب الدنيوية فالفرح به من قلة العقل لانها كمالات وهمية لا اصل لها، وان كان مما يستحق الفرح به كالعلم والورع فالفرح انما هو لكونه مقربا الى الله، وهذا فرع حسن الخاتمة وهو غير معلوم، ففي الخوف من خطر الخاتمة شغل شاغل عن الفرح بكل شيء، واما دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه سببا للتسخير لتسخير قلب من يسمعه فجميع ذلك يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق طريق معالجته، واما دلالته على الحشمة فلانها ليست الا قدرة عارضة ناقصة لا ثبات لها والعاقل لا يفرح بمثلها. واما العلاج الثاني اعني كراهة الذم فيعلم بالمقايسة على علاج حب المدح، والقول الوجيز فيه ان من ذمك ان كان صادقا وقصده النصح والارشاد فلا ينبغي ان تبغضه وتغضب عليه بل ينبغي ان تفرح وتجتهد في ازالة صفتك المذمومة عن نفسك، وما اقبح بالمؤمن ان يغضب على من يهدي اليه عيوبه هداية، وان كان قصده الايذاء والتعنت فلا ينبغي ايضا ان تبغضه وتكره ذلك لانه ارشدك الى عيبك ان كنت جاهلا به وذكرك اياه ان كنت غافلا عنه وقبحه في عينك ان كنت متذكرا له، وعلى التقادير فقد استغنمت ما تنتفع به فينبغي لك ان تغتنم وتبادر الى ازالة عيبك، وان كان ذامك يفتري عليك بما انت منه بريء فينبغي لك ايضا ان لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه لانك وان خلوت من ذلك العيب الا انك لا تخلو من عيوب اخر مساوية له او افحش منها فاشكر الله على انه سترها ولم يطلع احدا عليها ودفعها بذكر ما انت بريء منه، مع انه كفارة لبقية مساويك، ومن ذمك اهدى عليك حسناته وجنى على دينه حتى سقط من عين الله واهلك نفسه بافترائه عليك، فما بالك تحزن لحط ذنوبك واهداء الحسنات اليك ولم تغضب عليه مع ان الله سبحانه غضب عليه وابعده من رحمته، فان ذلك كان للانتقام منه. **وصل** ضد حب المدح وكراهة الذم اما كراهة المدح وحب الذم او تساويهما عنده بحيث لا يسره المدح ولا يغمه المذمة، وقد تقدم بعض الاخبار الدالة على ذم من لم يتصف بالحالة الاولى، وهي وان كانت نادرة الوجود اذ ما اقل على بسيط الارض سيما في هذه الاعصار من يستوي عنده المدحة والمذمة فضلا عمن يكره المدح ويسر بالذم الا ان تحصيلها ممكن اذ كل من عرف ان الذام له والمادح مضر بدينه وقاصم لظهره فلا بد ان يكره ويبغض المادح لو كان عاقلا مشفقا على نفسه، وكذا من عرف ان الذام يرشده الى عيوبه ويهدي اليه بعض حسناته لا بد ان يحبه ويسر بذمه. واما الحالة الثانية فهي اول درجات الكمال ومن لم يتصف بها فهو ناقص فالاتصاف بها لازم على كل مؤمن، وربما ظن بعض الناس اتصافه بها مع كونه فاقدا عنها فمن ظن ذلك من نفسه فلا بد ان يمتحن نفسه بعلامتها ليظهر له صدق ظنه وكذبه، وعلامتها ان لا يكون سعيه ونشاطه في قضاء حوائج المادح اكثر منه في حق الذام، وان لا يكون ~~جلوس الذام عنده اثقل~~ يتفاوت عنده موتهما وابتلاؤهما بمصيبة، وان لا يكون زلة المادح اخف في قلبه وعينه من زلة الذام، وان لا يكون جلوس الذام عنده اثقل ولا قيامه اهون من جلوس المادح وقيامه، وبالجملة ان يستويا عنده من كل وجه، فمن وجد من نفسه استواءهما من جميع الجهات فهو ممن يتساوى عنده المدح والذم. ومنها الرياء وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بخصال الخير او ما يدل عليها من الآثار، فهو من اصناف الجاه

اذ هو طلب

اذ هو طلب المنزلة في القلوب باي عمل اتفق، والرياء طلب المنزلة باراءة خصال الخير او ما يدل على الخيرية، ثم خصال الخير يشمل اعمال البر باسرها وهي اعم من العبادات ان خصت العبادة بمثل الصلوة والصوم والحج والصدقة وامثال ذلك، ومساوقة لها ان اريد بالعبادة كل فعل يقصد به التقرب ويترتب عليه الثواب، اذ على هذا كل عمل من اعمال الخير سواء كان من الواجبات او المندوبات او المباحات في الاصل اذا قصد به القربة كان طاعة وعبادة، وان لم يقصد ذلك لم يكن عبادة ولا عمل خير ولو كان مثل الصلوة، ورب ما خص الرياء عادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادة بالمعنى الاخص. والمراد بالآثار الدالة على الخيرية هي كل فعل ليس في ذاته خيرا وانما يستدل به على الخيرية، وهي اما متعلقة بالبدن كاظهار النحول والصفار ليستدل بهما على قلة الاكل او الصوم وسهر الليل ويوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وغلبة الخوف من الله ومن اهوال الآخرة، وكخفض الصوت ليستدل به على ان وقار الشرع قد خفض صوته وقس عليها غيرها من الامور المتعلقة بالبدن الدالة على الخيرية قصدا الى تحصيل المنزلة في قلوب الناس، وكل ذلك يضر بالدين ويبطل الورع واليقين، ولذا قال عليه السلام: اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه خوفا من نزغ الشيطان بالرياء. ثم هذا رياء اهل الدين بالبدن، واما اهل الدنيا فيراؤن في البدن باظهار السمن وصفاء اللون ونظافة البدن وحسن الوجه وامثال ذلك. او متعلقة بالزي والهيئة كحلق الشارب واطراق الراس في المشي والهدوء في الحركة وابقاء اثر السجود على الجبهة ولبس الصوف او الثوب الخشن او الابيض وتعظيم العمامة ولبس الطيلسان والدراعة وامثال ذلك مما يدل على العلم والتقوى او الانخلاع عن الدنيا، والمراؤن من اهل الدين بالزي واللباس على طبقات: منهم من يطلب المنزلة بالثياب الخشنة، ومنهم من يرائي بالثياب الفاخرة، ومنهم من يرائي بالوسخة، ومنهم من يرائي بالنظيفة، وللناس فيما يعشقون مذاهب، واما اهل الدنيا فلا ريب في انهم يراؤن في اللباس بلبس الثياب النفيسة وركوب المراكب الرفيعة وامثال ذلك. او متعلقة بالقول والحركات كاظهار الغضب والاسف على المنكرات ومفارقة الناس بالمعاصي ليستدل به على حماية الدين وشدة الاهتمام على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع ان قلبه لم يكن متاثرا عن ذلك، وكارخاء الجفون وتنكيس الراس عند الكلام واظهار الهدوء والسكون في المشي ليستدل بذلك على وقاره، وربما اسرع المرائي في المشي الى حاجته فاذا اطلع واحد رجع الى الوقار خوفا من ان ينسب الى عدم الوقار، فاذا غاب الرجل عاد الى العجلة. او متعلقة بغير ذلك كمن يتكلف ان يكثر الزائرون والواردون عليه سيما من العلماء والعباد والامراء ليقال ان اهل الدين والعظماء يتبركون بزيارته. **فصل** الرياء من الكبائر الموبقة والمعاصي المهلكة، وقد تعاضدت الآيات والاخبار على ذمه، قال الله سبحانه: فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون، وقال سبحانه: فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا ولا يشرك بعبادة ربه احدا، وقال سبحانه: يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا، وقال: كالذي ينفق ماله رئاء الناس. وقال رسول الله: ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر، قالوا وما الشرك الاصغر؟ قال الرياء، يقول الله يوم القيمة للمرائين اذا جازى العباد باعمالهم: اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء. وقال: استعيذوا بالله من جب الحزن، قيل وما هو يا رسول الله؟ قال واد في جهنم اعد للقراء المرائين. وقال: يقول الله تعالى من عمل عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه بريء وانا اغنى الاغنياء عن الشرك. وقال: لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذرة من رياء. وقال: ادنى الرياء شرك. وقال: ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر يا غادر يا مرائي

فمن عمل وحبط اجره اذهب فخذ اجرك ممن تعمل له وكان ع يبكي فقيل له ما يبكيك قال اني تخوفت على امتي الشرك اما
انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراؤن باعمالهم وقال ع سيأتي على الناس زمان تخبث فيه سرائرهم
وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا لا يريدون به ما عند ربهم يكون دينهم رياء لا يخالطهم خوف يعمهم الله بعقاب فيدعونه
دعاء الغريق فلا يستجيب لهم وقال ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا به فاذا صعد بحسناته يقول الله تع اجعلوها
في سجين انه ليس اياي اراد به وقال ع ان الحفظة تصعد بعمل العبد الى السماء السابعة من صوم وصلوة ونفقة واجتهاد وورع
له دوي كدوي النحل وضوء كضوء الشمس معها ثلثة الاف ملك فيجاوزون به الى السماء السابعة فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا
اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه اضربوا به جوارحه واقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله
غير الله انه اراد رفعة عند الفقهاء وذكرا عند العلماء وصيتا في المدائن امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم يكن لله خالصا فهو رياء ولا يقبل الله
العمل المرائي قال وتصعد الحفظة بعمل العبد من صلوة وزكوة وصيام وحج وعمرة وخلق حسن وصمت وذكر الله وتشيعه
ملائكة السموات حتى يقطع الحجب كلها الى الله تع فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله قال
فيقول الله انتم الحفظة على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه
لعنتي فيقول الملائكة عليه لعنتك ولعنتنا ويقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع
ومن فيهن وقال امير المؤمنين اخشوا الله خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله
وكله الله الى عمله وقال الباقر ع الابقاء على العمل اشد من العمل قيل وما الابقاء على العمل قال يصل الرجل بصلة وينفق نفقة
لله وحده لا شريك له فكتبت له سرا ثم يذكرها فتمحى فتكتب له علانية ثم يذكرها فتمحى ويكتب له رياء وقال الصادق ع قال
الله تع انا خير شريك من اشرك معي غيري في عمل عمله لم اقبله الا ما كان لي خالصا وقال ع كل رياء شرك انه من عمل للناس كان
ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله وقال ع في قوله تع فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله انما يطلب تزكية الناس يشتهي ان يسمع به الناس فهذا الذي
اشرك بعبادة ربه ثم قال ما من عبد اسر خيرا فذهبت الايام ابدا حتى يظهر الله له خيرا وما من عبد يسر شرا فذهبت
الايام حتى يظهر الله له شرا وقال ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس يرجع الى نفسه فيعلم ان ذلك ليس كذلك
والله تع يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة اذا صحت قويت العلانية وقال ع ما اراد الله بالقليل من
عمله الا اظهر الله له اكثر مما اراد ومن اراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله الى الله الا ان يقلله في عين
من سمعه وقال ع لعباد البصري ويلك يا عباد اياك والرياء فانه من عمل لغير الله وكله الله الى من عمل له وقال اجعلوا
امركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فانه ما كان لله فهو لله وما كان للناس فلا يصعد الى الله وقال الرضا ع لمحمد بن
عرفة ويحك يا ابن عرفة اعملوا لغير رياء ولا سمعة فانه من عمل لغير الله وكله الله الى ما عمل ويحك ما عمل احد عملا الا رداه الله
به ان خيرا فخير وان شرا فشر اكفى للرياء ذما انه يوجب الاستخفاف لله وجعله اهون من عبادة الضعفاء الذين لا يقدرون
نفعا ولا ضرا اذ من قصد بعبادة الله عبدا من عبيده فلا ريب في ان ذلك لاجل ظنه بان هذا العبد اقدر على
تحصيل اغراضه من الله وانه اولى بالتقرب اليه منه تع واي استخفاف بمالك الملوك اشد من ذلك **فصل** الرياء
اما في العبادات او في غيرها والاول حرام مطلقا وصاحبه ممقوت عند الله وهو يبطل اصل العبادة لان الاعمال بالنيات ولانه

بالعبادة

التكليف

بالعبادة لم يقصد امتثال امر الله بل قصد ادراك مال او جاه او غرض اخر من الاغراض فلا يكون ممتثلا لامر الله خارجا عن عهدة
ثم مع بطلان عبادته وعدم خروجه عن عهدة التكليف يكون له اثم على حدة لاجل الرياء كما دل عليه الايات والاخبار ويكون اسوء حالا
ممن ترك العبادة راسا لانه والمرائي بالعبادة جمع بين الاستهزاء بالله والتلبيس والمكر لانه خيل الى الناس انه مطيع لله
من اهل الدين وليس كذلك واما الرياء في غير العبادات فقد يكون مذموما وقد يكون مباحا وقد يكون مستحبا وقد يكون واجبا اذ يجب على المؤمن
صيانة عرضه وان لا يفعل ما يعاب عليه فلا ينبغي لذوي المروات ان يرتكبوا الامور الخسيسة بانفسهم عند مشاهدة الناس وان
جاز لهم ذلك في الخلوة وحفظ تزين نفسه باللباس او غيره في اعين الناس حذرا من لومهم واستنقاصهم او استبعادهم اياه
كان ذلك مباحا اذ الحذر من الم الذم غير مذموم الا ان ذلك يختلف باختلاف الازمنة والبلاد والاشخاص من العباد فربما كان بعض
اقسام الرياء بغير العبادات مذموما بالنظر الى وقت او شخص او بلد غير مذموم بالنظر الى اخر وحكاية رسول الله ص اراد يوما ان يخرج
على اصحابه وكان ينظر في حب من الماء ويسوي عمامته وشعره فقيل له او تفعل ذلك يا رسول الله ص فقال نعم ان الله يحب من
العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج اليهم وقال امير المؤمنين ع ليتزين احدكم لاخيه المسلم كما يتزين للغريب الذي يحب ان يراه في
احسن الهيئة وقال الصادق ع الثوب النقي يكبت العدو وروي انه ع نظر الى رجل من اهل المدينة قد اشترى لعياله شيئا
وهو يحمله فلما رآه الرجل استحى منه فقال ع اشتريته لعيالك وحملته اليهم اما والله لولا اهل المدينة لاحببت ان اشتري
لعيالي الشيء ثم احمله اليهم اراد عليه السلام لولا مخافة ان يعيبوني على ذلك لفعلت ذلك هذا الا انه لما كان في زمان يعاب عليه
بمثله لم يجز له ان يرتكبه ولما لم يكن ذلك مما يعاب عليه في زمن امير المؤمنين ع كان يرتكبه وكان ذلك منقبة له وتعليما فظهر ان
ارتكاب بعض الامور وعدم ارتكابه لاجل الناس قد يكون رياء محمودا وقد يكون رياء مذموما **فصل** الرياء اما ان يكون مجردا
عن قصد القربة والثواب بحيث لولاه لانعدم صاحبه لترك العمل وهو اشد درجات الرياء واعظمها اثما او يكون مع قصدها
فان كان قصدا ضعيفا مرجوحا بحيث لو كان خاليا عن قصد الرياء لم يبعثه على العمل ولو كان قصد الرياء خاليا عنه بعثه عليه كان
قريبا من سابقه وان كان مساويا لقصد الرياء بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فالحق كونه مفسدا للعمل
ايضا فهو لظواهر الاخبار وان كان راجحا على قصد الرياء غالبا عليه بان يكون قصد الرياء واطلاع الناس مرجحا مقويا لنشاطه
بحيث لو لم يكن لم يترك العمل ولو كان قصد الرياء وحده لما اقدم على العمل فبعض العلماء على انه لا يحبط اصل العمل والثواب بل ينقص
من الثواب او يعاقب صاحبه على مقدار قصد الرياء ويثاب على مقدار الثواب وفيه نظر اذ ظواهر الاخبار يفيد ابطاله
اصل العمل والثواب لصدق الرياء عليه وصدق المرائي على صاحبه لقول امير المؤمنين ع ثلث علامات للمرائي ينشط اذا راى
الناس ويكسل اذا كان وحده ويحب ان يحمد في كل اموره وما نقلناه من الاخبار الدالة على ان كل عمل اشرك مع الله تع غيره
كان الله منه بريئا ولم يقبله صريح في المطلوب وحملها على حال تساوي القصدين او كون قصد الرياء ارجح خلاف الظاهر
ثم الظاهر ان البطلان في هذه الصورة انما هو اذا رجح قصده الحجة اطلاع الناس عليه ليقع منزلته في قلوبهم
ليتوسل بها الى نيل غرض من الاغراض الدنيوية واما اذا كان سروره وقصده من اطلاع لاجل المقاصد الصحيحة الاتية
فلا باس به ولا يبطل العمل تنبيه من كان قصده اخفاء الطاعة والاخلاص لله فاذا اتفق اطلاع الناس على طاعته
فلا باس في السرور به من حيث علمه بان الله اطلعهم عليه واظهر الجميل من حاله فيستدل به على حسن صنع الله به من
حيث انه ستر الطاعة والمعصية والله سبحانه ابى من معصيته على الستر واظهر طاعته فيكون وجه جميل نظر الله

وفضله لا لمدح الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وكان ظهر له بظهور الطاعة
ان عند الله مقبول ففرح به او من حيث استدلاله باظهار الجميل وستر القبيح في الدنيا انه كذلك يفعل به في الاخرة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ستر الله على عبد في الدنيا الا ستر الله عليه في الاخرة فالاول فرح بالقبول في الحال من غير ملاحظة المستقبل وهذا
التفات الى المستقبل او من حيث ظنه رغبة المطلعين في الاقتداء به في الطاعة فيتضاعف بذلك اجره اذ يكون له اجر السر
بما قصده اولا واجر العلانية بما ظهر آخرا ومن اقتدى به الناس في طاعة فله اجر اعمال المقتدين به من غير ان ينقص من
اجورهم شيء او من حيث فرحه بطاعة المطلعين لله في مدحتهم وحبهم للمطيع وميل قلوبهم الى الطاعة اذ من الناس من
يمقت اهل الطاعة او يستهزئ بهم وينسبهم الى الريا فهو في الحسن ايمان عباد الله وعلامة الاخلاص فيه ان يكون سروره
بمدحهم اياه على عدم البأس بالسرور فماذكر ما روى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسر العمل لا احب ان يطلع عليه احد
فيطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر العلانية وما روي انه سئل الباقر عن الرجل يعمل الشيء من الخير فيراه انسان
فيسره ذلك قال لا بأس ما من احد الا وهو يحب ان يظهر الله له في الناس الخير اذا لم يكن صنع ذلك لذلك وهذان الخبران
باطلاقهما يدلان على نفي البأس بالسرور لاجل المقاصد المذكورة ويخصص منهما ما هو المذموم من الفرح الحاصل من اطلاع
الناس وان كان قصده الاخفاء اولا وهو ان يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى يمدحوه ويعظموه ويقوموا
بحوائجه وانما يخصص ذلك منهما مع شمول اطلاقهما له ايضا لمعارض اقوى منه هذا وقد تقدم ان قصده اولا في حال عقد الطاعة
اطلاع الناس عليه وارتياحه به لاحد المقاصد المذكورة لا بأس به ايضا فعدم البأس للخفي بطرو القصد والارتياح بعد
العقد او بعد تمام العمل هو كالابأس بالسرور من ظهور الطاعات للمقاصد المذكورة فكذلك لا بأس بكتمان المعاصي و
اغتمامه باطلاع الناس عليها لاسباب نذكرها بل الحق رجحان الكتمان ومزيته بعد ارتكابها الا ان الاصل الاخلاص استواء السريرة
والعلانية ولذا قال بعض الاكابر عليك بعمل العلانية وهو ما اذا ظهر لم يستحي منه وقال بعضهم ما عملت عملا ابالي ان يطلع
الناس عليه الا اتياني اهلي والبول والغايط الا ان ذلك درجة عظيمة ليست شريعة لكل وارد ولا يصل اليها الا واحد بعد
اذ كل انسان الا من عصمه الله لا يخلو من ذنوب باطنة سيما ما يختلج بباله من الاماني الباطلة والامور الشهوية والله مطلع عليها
وهي مخفية عن الناس والسعي في اخفائها وكراهة ظهورها جايز بل راجح بشرط ان لا يكون باعث اخفائها قصد ان يعتقدوا
فيه الورع والصلاح بل كان الباعث اما كون الستر مامورا به او كون الهتك واظهار المعاصي منهيا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستره بستر الله تعالى ويعرف صدق ذلك بكراهة ظهورها عن الغير او كون ستر المعاصي
الله عليه في الدنيا دليلا على ستره في الاخرة لما ورد في الاثر الخبر ان من ستر الله في الدنيا ستر عليه في الاخرة او كون ظهوره
موجبا لذم الناس والذم يولم القلب ويشغله عن طاعة الله ويصده عن الاشتغال بتحصيل ما خلق لاجله ولكون التألم
بالذم جليا غير ممكن الدفع بسهولة يكون اخفاء ما ظهوره يؤدي الى الجرحة جايزا نعم كمال الصدق استواء المدح والذم
الا ان ذلك قليل جدا اذ اكثر الطباع يتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان نعم ربما كان التألم بالذم ممدوحا اذا كان
الذام من اهل البصيرة في الدين فان ذمه يدل على وجود نقصان فيه فينبغي ان يتألم منه ويغتم لرفعه او كون الناس شهداء الله
يوم القيمة كما ورد في حديث فالاخفاء لئلا يشهدوا عليها يوم القيمة او خوف ان يقصده بشر وسوء اذا عرف ذنبه او خوف
الذام عاصيا بذمه وهذا من كمال الايمان ويعرف بتسوية ذمه وذم غيره او خوف سقوطه وقع المعاصي من نفسه او اقتداء

الغير به فيها وهذه العلة هي المبيحة لاظهار الطاعة ويخص ذلك بمن يقتدي به من الائمة وامثالهم ولهذه العلة ينبغي ان
يخفي العاصي معصيته من اهله وولده ايضا لئلا يقتدوا به فيها او حب محبة الناس له لا للتوسل بها الى الاغراض الدنيوية بل ليستدل
بها على محبة الله لان من احبه الله تعالى جعل حبه في قلوب الناس او مجرد الحيا من ظهوره وقبائحه وهو غير خوف الذم والقصد بالستر
اذ هو من فضايل الاخلاق ومن كرم الطبع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا خير كله وقال الحيا شعبة من الايمان وقال الحيا لا ياتي الا بخير
وقال ان الله تعالى يحب الحيي الحليم ومن صدر عنه فسق ولم يبال بظهوره للناس فقد جمع الى الفسق الهتك وعدم الحيا فهو
الوقاحة فهو اسوأ حالا ممن يفسق ويستحيي فيستره ثم كثيرا ما يشتبه الحيا بالريا فيدعي من يرائي بانه يستحيي وان تركه السيئات
او اخفاءها او تحسينه للعبادات انما هو لاجل الحيا من الناس من دون الريا وذلك كذب وبيان ذلك ان الحيا خلق ينبعث
من الطبع الكريم ويمكن ان يهيج عقيبه داعية للريا فيرائي معه ويمكن ان يهيج داعية الاخلاص فيخلص معه مثلا من طلب من
صديقه قرضا فان رده صريحا من غير مبالاة ومن ان يتعلل يتعلل ارتكب الوقاحة وعدم الحيا وان اعطاه لمجرد انقباض
نفسه من استشعار قبح رده مشافهة من دون رغبة في الثواب والخوف من ذمه او حب الى مدحته لو طلبه مراسلة او
بتوسط غيره من الاجانب لرده فاعطاه هذا صادر عن مجرد الحيا من دون ترتب ريا او اخلاص عليه وان تعسر عليه الرد
للحيا وكان في نفسه من البخل ما يمنعه من الاعطاء فحدث خاطر الريا فخاطب نفسه بانه ينبغي ان تعطيه حتى يمدحك بالسخاء
ولا يذمك بالبخل فاعطاه لذلك فهو مزج الريا بالحياء والمحرك للريا هو هيجان الحياء وان تعسر عليه الرد للحيا والاعطاء
للبخل فهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية ففيه اجر عظيم وادخال السرور على قلب مسلم
صديق من اقرب القربات فسخت نفسه بالاعطاء فهو جمع بين الحياء والاخلاص ثم الحياء لا يكون الا في القبائح الشرعية او
العقلية او العرفية كالبخل ومقارفة الذنوب والظلم وصدور بعض الحركات القبيحة منها في المحافل والريا يكون في المباحات ايضا حتى
انه لو عاد الضاحك الى الانقباض والمستعجل في المشي الى الهدو بعد اطلاع الناس عليه كان مرائيا وربما ظن ان باعث ذلك هو
الحياء وهو جهل اذ باعثه مجرد الريا وما قيل ان بعض الحيا ضعف فالمراد به ان الحيا مما ليس بقبيح ناش من ضعف النفس كالحيا من وعظ
الناس وامامة الصلوة ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا اذا صدر وجد عنه بحسن الحيا معه كان يشاهد معصية من شيخ
فيستحيي من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله اجلال ذي الشيبة المسلم ولو استحيى من الله ولا يضيع الامر بالمعروف فكان حسنا
واقويا النفوس من اهل الايمان يؤثرون الحيا من الله الحياء من الخلق واما ضعفاء النفوس منهم فقد لا يقدرون
عليه ولا
في الرياء
فصل الريا اما باصل الايمان وهو اظهار الشهادتين مع التكذيب باطنا وهذا هو كفر النفاق وقد كان في
صدر الاسلام وقلما يوجد في امثال زماننا ان كثر انكار بعض ضروريات الدين كالجنة والنار والثواب والعقاب
واعتقاد بطلان احكام الشرع باطنا مثل الحق الملاحدة واهل الاباحة مع اظهارها للخلق ظاهرا وهذا ايضا
معدود من كفر النفاق وصاحبه مبتل من الدين مخلد في النار وصاحبه كفر النفاق مطلقا اسوء حالا من الكافر المجاهر لانه
جمع بين الكفر الباطن والنفاق الظاهر او باصول العبادات مع التصديق باصل الدين كان يصلي في الملاء دون الخلوة و
يصوم مع اطلاع الناس عليه ويفطر بدونه ومثله وان لم يزل من اصل الدين الا انه شر المسلمين لترجيحه الخلق على الخالق وكون
التقرب اليهم احب من التقرب لديه وكون خوفه من ذمهم اشد من خوفه من عقابه سبحانه او بالنوافل والسنن وهذا ايضا من
مهلك ولكنه دون ما قبله لان صاحبه وان قدم مدح الخلق على مدح الخالق الا انه لم يقدم خوف ذمهم على خوف عقابه

ترتب عقاب على ترك النافلة او باوصاف العبادة الواجبة والمستحبة كفعل ما في تركه نقصان او كراهة او ترك ما في فعله
احدهما او بزيادات خارجة عن نفس النوافل كحضوره الجماعة قبل القوم وقصده الصف وامثال ذلك وكل ذلك مذموم الا
ان بعضه اشد من بعض **فصل** باعث الريا اما التمكن من المعصية كاظهار الورع والتقوى ليفوض اليه الحكومة والقضاء
لينال الجاه والاستيلاء ويحكم بالجور وياخذ الرشا او ليسلم اليه الودايع والصدقات واموال اليتامى وامثال ذلك فيا خذ لنفسه
منها ما يقدر عليها كحضوره مجالس العلم والوعظ والتعزية لملاحظة النسوان والصبيان وهذا اشد درجات الريا اثما ويقرب
منه اظهار الديانة والتقوى ليدفع عن نفسه تهمة ما اقترفه من الجرايم او نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا كالاشتغال با
والتذكر والامامة والتدريس واظهار الصلاح والورع لتبذل له الاموال ويرغب في تزويجه النسوان او خوفا ان ينظر
اليه بعين النقص والحقارة او ينسب الى الكسالة والبطالة كترك العلماء والفضلاء بعد اطلاع الناس عليه خوفا من ان يعرف
باللهو والهزل فيستحقر وكالقيام للتهجد واداء النوافل اذا وقع بين المتهجدين والمتنفلين لئلا ينسب الى الكسالة و
لو خلى بنفسه لم يتنفل قط وكذا الامتناع من الكل والشرب في اليوم الذي يصام فيه تطوعا وتصريحه باني صايم خوفا
من ان ينسب الى البطالة وربما لم يصرح بكونه صايما بل يقول لي عذر وهو جمع بين ريايين الريا بكونه صايما والريا بكونه
مخلصا غير مراء ثم ان الجاية الكسالة والتهوة لعدم القيام الى النوافل وعدم الصبر عن الاكل والشرب ذكر لنفسه عذرا
تصريحا او تعريضا كان يتعلل الترك بمرض او ضعف او شدة او لعطش او تطييب خاطر فلان ومثلها غيرها من الكل والا
فانها لا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الريا في النفس والمخلص لا يريد غير الله والتقرب اليه ولا يعتني بالخلق وحصول المنزلة
في قلوبهم فان لم يصم لم يجب ان يعتقد غيره فيه ما يخالف علم الله ليكون ملبسا وان صام قنع بعلم الله ولم يشرك فيه غيره ثم هذه
البواعث لما كان بعضها صادرا من رداءة قوة الغضب وبعضها من رداءة قوة الشهوة فيكون بعض انواع الريا من رذايل
الاولى وبعضها من رذايل الثانية تبليسه الرجلي وخفي والجلي ما يبعث على العمل لولا قصد الثواب والخفي ما لا يبعث بمجرده الا انه
يخفف العمل الذي اريد به التقرب كالخلوة ويعرف بالسرور اذا اطلع عليه الناس لا للمقاصد المتقدمة بل لطلب نوع منزلة
في قلوب الناس حيث يتوقع التعظيم والتوقير وقضاء الحوائج منهم ووجدان الاستبعاد من نفسه لو قصر في احترام كان نفسه يتقاضى
والاحترام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع عليها احد ولا شك ان هذا التقاضي لا ينفك عن شوب خفي من الريا اخفى من دبيب
النمل ولو كان عنده وجود الطاعة كعدمها وكل ما يتعلق بالخلق وقنع بعلم الله بها لم يكن لهذا التوقع وجه فعلامة خلوص العمل
من الريا ان الخفي تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ومهما وجد تفرقة في ذلك فلا يكون منفكا عن توقع ما عن الناس
في طاعته وذلك مما يحبط العمل قال امير المؤمنين ان الله تعالى يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبدءون
بالسلام الم يكن يقضى لكم الحوايج فلا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم **فصل** لو عقد العمل على الاخلاص واستمر الى الفراغ
لم يحبطه السرور بظهوره بعده لامن قبله كما دل عليه بعض الظواهر السابقة ولا يعصي بايضا ان كان لاجل احد المقاصد السالفة
ويكتب له معصية ان كان بظنه حصول منزلة له في القلوب ولو كان ظهوره بعده من نفسه بالتحدث مع الرغبة والسرور بذلك
فربما قيل باحباط العمل اذ حب التحدث به يدل على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد خفي من الريا وقد ايد ذلك بما
روي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني صمت الدهر فقال له لا صمت ولا افطرت وما روي ان ابن مسعود سمع رجلا يقول قرات البارحة
سورة البقرة فقال ذلك حظه منها والظاهر انه لا يحبط عمله بل يثاب عليه وان عوقب على ما صدر منه بعد الفراغ من الريا و

التعليل

والتعليل لو تم لا يفيد البطلان اذ العقد الذي لم يشعر به صاحبه لا يؤاخذ به والا لزم التكليف بالمحال والخبر لو صح فانكاره
لاجل كراهة صوم الدهر لا الاظهار وقول ابن مسعود لو ثبت لا حجة فيه ولو عقد العمل على الاخلاص وورد في اثنائه وارد
السرور باطلاع بعض الناس عليه فان لم يكن باعثا على العمل مؤثرا فيه بحيث لولم يحدث لاتم العمل على الاخلاص من غير فتور وكان
ايضا لا لاحد المقاصد الصحيحة المتقدمة فلا بطلان ولا اثم لما تقدم من الاخبار وان لم يكن باعثا ولكن لم يكن لشيء من المقاصد المذكورة
بل كان لظنه نيل الجاه او المال بالظهور لما تقدم من الاخبار فالحق بطلان العمل وكونه اثما للعمومات السالفة وان كان باعثا
ومؤثرا فهو الريا المحرم سواء كان غالبا على قصد التقرب او مساويا له او مغلوبا عنه فيحبط العمل وعليه الاعادة لو كان فريضة لما تقدم
من العمومات ولقوله صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء اذا طاب اخره طاب اوله وقوله صلى الله عليه وسلم ربما يعمل ساعة حبط عمله الذي كان قبله ثم هذا في العمل المركب
الذي له اجزاء ويتوقف صحته على صحة كل واحد منها كالصلوة والصوم والحج واما العمل الذي كل جزء منه منفرد كالصدقة والقراءة
فما يطرء من الريا في اثنائه انما يفسد الباقي دون الماضي فطريه في الاثنا بالنسبة الى الماضي كطرءه بعد الفراغ في الاول وهذا حكم
الريا الطاري بعد عقد الطاعة على الاخلاص اما بعد الفراغ او قبله سواء لم يرجع عنه حتى يتمها او ندم بعده في الاثنا ايضا و
رجع واستغفر واما المقارن حال العقد بان ينوي الصلوة مثلا على قصد الريا فان اتمها عليه فلا خلاف في كونه اثما وعدم
الاعتداد بها وان ندم في الاثناء ورجع واستغفر فان كان مجرد القصد الى الباعث الى اطلاع الناس لبعض المقاصد المتقدمة
وارتياحه فلا باس به ولا يحبط العمل وان كان غيرها ذلك افسد سواء كان في ذلك جميع شقوقه المتقدمة كما علم وجهه فايدة
لما كان المناط في الاعمال صحة وفسادا هو القصد والنية اذ الاعمال بالنيات ولكل امرء ما نوى فكل عمل يدخله شوايب الريا فهو
فاسد سواء وقع سرا او علانية وكل عمل كان خالصا لله وامن صاحبه من دخول الريا فيه فلا باس باسراره ولا اظهاره ثم لو
تعلق قصد صحيح باظهار نفس العمل او التحدث به بعد الفراغ عنه كترغيب الناس في الخير وتنبيههم على الاقتداء به فيكون اظهاره
افضل من اسراره بشرط عدم اشتماله على ريا او فساد اخر كاهانة الفقير في التصديق فلو اشتمل على شيء من ذلك كان اسراره
افضل من اعلانه وبذلك يجمع بين الاحوال والاخبار والحاصل متى انفك القلب عن شوايب الريا بحيث يتم الاخلاص على
وجه واحد في الحالتين فالسر والعلانية افضل وما حصلت فيه شوايب الريا لم ينفع اقتدا غيره لكونه مهلكا
فالسر افضل منه فعلى من يظهر العمل ان يعلم لو يظن انه يقتدى به وان يراقب قلبه لئلا يكون فيه حب الريا الخفي فربما اظهر العمل
الاقتداء كان في نفسه قصد التجمل بالعمل وكونه مقتدى به وهذا حال كل من يظهر العمل الا من ايده الله بقوة النفس وخلوص
النية فلا ينبغي لضعيف ان يخدع نفسه فيضل ويضل ويهلك ويهلك من حيث لا يشعر فان الضعيف مثاله مثال
الغريق الذي يعلم سباحة ضعيفة فينظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم واقبل عليهم لينجيهم فتشبثوا به وهلك وهلكوا وهذا
الموضع مزلة لاقدام العلماء والعباد فانهم يتشبهون بالاقوياء في الاظهار ولا يقوى قلوبهم على الاخلاص فيحبط اجورهم
بالريا ودرك ذلك غامض جدا لا يبلغه الا الخائضون في غمرات علم الاخلاق ويعرف الخلوص في ذلك بان لا يتفاوت حاله بان
الناس يقتدون به او بغيره من اقرانه وامثاله فان كان قلبه اميل الى ان يكون هو المقتدى به فاظهاره العمل غير خال عن شوايب الريا
ايقاظ لما عرفت ان المناط صحة الاعمال وفسادها هو القصد والنية تعلم ان كل عمل لم يكن خالصا لوجه الله واريد به غيره
سبحانه ينبغي ان يترك ويعرض عنه وان كان خالصا له تعالى معقودا على قصد صحيح لا ينبغي تركه لمجرد بعض الوساوس و
الخواطر الشيطانية فان الشيطان يدعو اولا الى ترك العمل فان لم يجب يدعو الى الريا فاذا ايس منه يقول هذا العمل

خالصا بل هو ريا فاى فايدة فيه ثم الاعمال اما من الطاعات اللازمة التى لا تعلق لها بالغير كالصلوة والصوم والحج وامثالها
او من الطاعات المتعدية التى لها تعلق بالخلق كالامامة والقضاء والحكومة والافتاء والوعظ والتذكير والتعليم والتدريس
وانفاق المال وغير ذلك والقسم الاول ان دخله الريا قبل بان يكون باعثه الريا دون الخلوص والقربة فينبغى ان يترك والا شرع
فيه وان دخل بعد العقد او معه فلا ينبغى ان يترك لانه وجد له باعث دينى انما طرء باعث الريا فليجاهد فى دفع الريا و
تحصيل الاخلاص ويرد نفسه اليه بالمعالجات التى نذكرها كان فى مقام المجاهدة مع نفسه قاهرا عليها لميلها الى الريا واوجد
من طبعه كراهة هذا الميل فالنجاة فى حقه مرجو ولعل الله يسامحه بعظيم رحمته واما اذا لم يكن فى مقام المجاهدة ولم يكن كارها
لما يجد فى نفسه من الميل الى الريا بل اعطى زمام الاختيار الى نفسه الامارة وهى تؤدى فى الاعمال وهو يتبعه فى ذلك من غير تحرج عليها
وكراهة لفعلها فلا ريب فى فساد اعماله ولو نوى تركها وان كان باعثها ابتداء محض القربة ودخلها الريا مع العقد او بعده
واما القسم الثانى المتعلق بالخلق اعنى امامة الصلوة والقضاء والتدريس والافتاء والوعظ والارشاد وامثالها فاخطارها
عظيمة ومتى بتصاحبه فوائد اهليته ذلك من حيث العلم ان كان ذا نفس قوية لا يعتنى بالناس ولا يزعجها وساوس الخناس
وله معرفة تامة بعظمة ربه وقدرته وساير صفاته الكمالية بحيث شغله ذلك عن الالتفات الى الخلق وما فى ايديهم حتى يرى الكل
او يختار رضاهم على رضى ربه فالاولى لمثله ان لا يترك هذه المناصب ليفوز بمثوبتها العظيمة وان كان ذا نفس ضعيفة كخيط مرسل
فى الهواء تقلبها الريح مرة هكذا ومرة هكذا فهو لا يامن الريا وساير اخطارها فاللازم لمثله تركها ولذلك كان اهل اليقين
من السلف يتدافعون هذه المناصب ما وجدوا اليه سبيلا ويرد ما ورد من الاخبار فى عظم خطرها وكثرة آفاتها ولزوم التثبت
والاحتياط لمن يتولاها وما ورد من الوعيد الشديد فى حق علماء السوء يكفى للخوف والحذر من فتن العلم وغوائله ومما يقصم
ظهور امثالنا من الذين يقولون ما لا يعلمون ويامرون بما لا يفعلون قول عيسى بن مريم عليه السلام يا علماء السوء تصومون وتصلون
وتتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون تتوبون بالقول والامانى وتعملون
بالهوى وما يغنى عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك انتم
تخرجون الحكم من افواهكم ويبقى الغل فى صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا ينقضى من الدنيا شهوته ولا ينقطع
منها رغبته بحق اقول لكم ان قلوبكم تبكى من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم والعمل تحت اقدامكم بحق اقول لكم افسدتم
آخرتكم بصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاى الناس اخس منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون
فى محلة المتحيرين كانكم تدعون اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغنى عن البيت المظلم ان يوضع السراج
فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغنى عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا
يوشك الدنيا ان تقلعكم من اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ويدفعكم
العلم من خلفكم ثم يسلمكم الى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم بسوء افعالكم هذا ويعرف الصادق
المخلص من اهل هذه المناصب بانه اذا ظهر من هو اعلم واحسن وعظا واكثر علما منه واشتغل قبول الناس فرح به ولم يحسد
واذا حضر الاكابر والاعاظم مجلسه او اقتدوا به لم يتغير كلامه ولم يتفاوت حاله بل يبقى على ما كان عليه وينظر الى عباد الله بعين
واحدة تنبيه لما عرفت حقيقة الريا تعلم انه اذا صار عمل بعض الصالحين او قوله محركا لغيره على الاشتغال بطاعة
لم يكن هذه الطاعة ريا اذا صدقت على الخلوص وان لم يكن هذا الغير ان يفعل هذه الطاعة اذا لم يشاهدها من

بعض

بعض الصالحين او لم يسمع منه فان من لم يكن عادته التهجد وبات مع قوم متهجدين فى موضع فاذا قاموا للتهجد انبعث نشاطه للموافقة
ووافقهم فى التهجد لم يكن ذلك ريا بعد ان يكون قصده من التوابع التقرب الى الله اذ كل مؤمن راغب فى عبادة الله وفى قيام
الليل ولكن قد يعوقه العوايق ويمنعه الغفلة فاذا شاهد قوما يتهجدون ربما صار مشاهدة طاعتهم سببا لزوال غفلته
كما يصير توقفهم ووعظهم سببا لذلك فيتحرك باعث الدين دون الريا ويدعوه الى موافقتهم وربما كان الموضع مما ليس فيه عايق
فيبعثهم الفرصة ويبعثه ما فيه من الايمان الى الطاعة وقس على التهجد غيره من الصوم والتصدق والقراءة والذكر وغيرها من اعمال
البر **فصل** لما كان الاسباب الباعثة على الريا هى حب لذة المدح والفرار من الم الذم والطمع لما فى ايدى الناس فالطريق
فى علاجه ان يقطع هذه الاسباب وقد تقدم طريق العلاج فى قطع الاولين ويأتى طريق ازالة الثالث وما نذكره هنا من
العلاج العلمى للريا هو ان يعلم ان الشى انما يرغب فيه لكونه نافعا واذا علم انه ضار فيعرض عنه البتة فينبغى لكل مؤمن ان يتذكر
مضرة الريا وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عنه فى الحال من التوفيق وفى الاخرة من المنزلة عند الله وما يتعرض له من المقت
والعذاب بحيث تذكر ذلك وقابل ما يحصل له من الدنيا من الناس الذين راءى لاجلهم بما يفوته فى الاخرة من ثواب الاعمال ترك
الريا لا محالة مع ان العمل الواحد ربما يترجح به كفة حسناته لو خلص فاذا افسد بالريا حول الى كفة السيئات فيترجح به ويهوى الى
النار هذا مع ان المرائى فى الدنيا متشتت الهم متفرق البال بسبب ملاحظة قلوب الناس فان رضاهم غاية لا يدرك فكلما
يرضى به فريق يسخط به فريق ومن طلب رضاهم فى سخط الله سخط الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اى غرض له فى مدحهم وايثار ذم الله
لاجل مدحهم ولا يزيده مدحهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة ومن كان رياؤه لاجل الطمع بما فى
ايدى الناس ينبغى ان يعلم ان الله هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطاء وان الخلق مضطرون ولا رازق الا الله ومن طمع فى
الخلق لم يخل عن الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة واذا قرر ذلك فى نفسه فلما تمكن الامر زالت
غفلته وفتر عن الريا رغبته واقبل على الله بقلبه وانقطع بشراشره الى جناب ربه ويكفيه ان يعلم الناس لو علموا ما فى باطنه
من قصد الريا واظهار الاخلاص لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه اليهم ولو اخلص لله لكشف الله لهم اخلاصه
وحببه اليهم وسخرهم له وانطق الالسنة بمدحه وثنائه مع انه لا كمال فى مدحهم ولا نقصان فى ذمهم ثم من نور قلبه بنور
الايمان وانشرح صدره باليقين والعرفان وعرف معنى الواجب وحقيقة الممكن وتيقن بان الواجب هو الحقيقة التى يقتضى
بنفس ذاته التحقق والبقاء وهو صرف يجب ان يكون تاما فوق التمام ولا يتصور حقيقة اتم كمالا منه والحقيقة التى هذا شانها
يجب ان يكون ما سواها باسره مستندا اليها وصادرا عنها على اشرف انحاء الصدور واقواها وهذا النحو الاشرف الاقوى
الذى لا يتصور نحو فوقه هو الاختراع والابداع الصرف لكمال عظمة الموجد وقدرته وجهة كون ما سواه سبحانه من الموجودات
اما اعتبارات وشئونات لذاته او اشراقات لتجليات صفاته كما ذهب اليه قوم او كونها ماهيات امكانية اختراعية
علما وعينا صادرة عنه سبحانه بوجودات خاصة متعددة ارتباطية بمحض ارادته ومشيته كما ذهب اليه ولو لم يكن غيره من
الموجودات مستندا اليه على اقوى انحاء الاستناد لم يكن تاما فوق التمام او يكون الذات التى يستند الكل اليها باحد النحوين
اكمل منه واشرف واذا عرف انه سبحانه كذلك يعرف انه ليس فى الوجود حقيقة احد سواه وغيره حقيقة العدم وما له
من الوجود الظهور منه سبحانه وبعد هذه المعرفة لا يجد غيره يتم عليه ويعلم ان العباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم
نفعا ولا ضرا ولا يملكون موتا ولا حيوة فلا يتغير بمشاهدة هذا الخلق ولا يلتفت اليهم الا لحظات ضعيفة لا يبقى اثرها

حب لذة المدح

فيعمل عمل من لو كان بعلم وجه الارض وحده لكان يعمل بعمله واما العلاج العملي فهو ان يعود نفسه اخفاء العبادات واغلاق الابواب
دونها كما يغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله واطلاعه على عبادته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله به
وذلك وان شق في بداية المجاهدة لكن اذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل الطاف الله وما يمد به
عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهدة ومن الله الهداية والله
لا يضيع اجر المحسنين تتميم اذا قاتل معاقد الرياء من قلبه بقطع الطمع واستحقار مدح الناس وذمهم بعلم بمكر الشيطان بما
في اثناء العبادة معارضة بخطرات الرياء ونزغاته حتى احدثت في قلبه ميلا ضعيفا الى الرياء وحبائله والحق ان ذلك من الرياء المحرم ان
ولا يفسد به العبادة مع كونه كارها لهذا الميل والحب وقاهرا على نفسه ما قاتلها في تأثيرها وتغيرها عن نزغات الشيطان
ومنازعا للشيطان ومجاهدا اياه ليدفع خطراته لان الله لم يكلف عباده الا يطيقون وليس في وسعهم منع الشيطان عن
نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات وغاية ما يقدرون عليه ان يقابلوا نزغاته وميل الطبع بالكراهة و
القهر على النفس في هذا الميل مع المجاهدة في دفع ذلك بذكر المطلحات المفترة لدفع الرياء والوساوس واذا فعلوا ذلك
ادوا ما يجب عليهم ويدل على ذلك ما تقدم من الاخبار الدالة على عدم المؤاخذة بمجرد الوسوسة وقول النبي ص الحمد لله
الذي رد كيد الشيطان الى الوسوسة فوسوسة الشيطان وميل النفس لا يضران كلا مع ردهما بالكراهة والاباء اذ
الوساوس والخواطر والتذكرات والتخيلات المهيجة للرياء من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس
والاباء والكراهة من الايمان ومن اثار العقل فلا يضرهما من النفس والشيطان اذا قوبل بما من العقل والايمان ولذا قال
بعض الكاملين ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو عدوك وما كان من نفسك فرضيته بنفسك
لنفسك فعاتبها عليه ثم الطرق المتصورة في دفع خطرات الرياء في اثناء العبادة مع كراهتها اربع الاولى ان يشتغل بمجادلة
الشيطان في رد نزغاته ويطيل معه الجدال الثانية ان يقتصر على تكذيب الشيطان ودفعه من غير اشتغال بمجادلته الثالثة
ان لا يشتغل بتكذيبه ايضا بل يكتفي بما قرره في عقد ضميره من كراهة وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للعزم غير مشتغل بالمخاصمة
والتكذيب الرابعة ان يزيد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله وما يؤدي اليه كاخفاء العبادة والصدقة غيظا للشيطان
لان ذلك يغيظ الشيطان ويوجب ياسه وهو اعرف من عبدهم العادة كف عنه خوفا من ان يزيد في حسناته ولا ريب في ان الاشتغال
بالمجادلة والتكذيب واطالتهما يمنع الخلود ويصد عن التوجه الى الله وهو نقصان لاهل السلوك فالصواب لكل مؤمن
ان يقصد اما في عقد ضميره كراهة الرياء وكذب الشيطان ويعزم ابدا على انه اذا تهجم عليه الشيطان عارضه بنزغات الرياء
ذا دما هو فيه مما يغيظ الشيطان فاذا احدث خطرات الشيطان في الاثناء اكتفى بما عقد عليه اولا مستصحبا له وزاد في الاخلاص
وما يؤدي اليه فان ذلك يوجب قنوط الشيطان واذا اعرف العبد بهذه الصفة لا يتعرض له لئلا يزيد فيما يغيظه وينبغي
لكل مؤمن ان يكون هذا دينه في جميع الصفات والملكات مثلا اذا حصل اليقين بهذه الصفة والعقيدة الجازمة
بالمبدأ وصفاته الكمالية وقرر ذلك في نفسه واثبت في قلبه كراهة الشك وهو خطور الوساوس فاذا احدث بعض
الوساوس في اثناء عبادة او غيرها ينبغي ان لا يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان ويكتفي بما تقرر في قلبه من اليقين وكراهة
الشك والوسوسة معتقدا بان هذه الوساوس لا اصل لها ولا عبرة بها وكذا اذا قرر في نفسه النصيحة للمسلمين وكراهة
الحسد فاذا اوقع الشيطان نزغات الحسد في قلبه ينبغي ان لا يلتفت اليها ويستصحب ما كان عليه من النصيحة والكراهة

وقس عليها

وقس عليها سائر الصفات والاخلاق ثم مثل من يشتغل بطول المجاهدة مع الشيطان مثل من قصد مجلسا من مجالس العلم
والوعظ لينال الفائدة والهداية فعارضه ضال فاسق ودعاه الى مجلس خلاعة وانكر عليه واذا امرها الضال اباه اشتغل بالمجادلة
معه وهو ايضا ساعده على ذلك ليرد ضلالته ظانا ان ذلك مصلحة مع ان غرض الضال اذ قصده من المجادلة ان يمنعه عن نيل
مقصوده ومثل من يشتغل بالتكذيب مثل من لا يشتغل بالقتال مع الضال بعد دعوته الى مجلس الضلال بل وقف
لا بقدر ان يدفع في نحره ويذهب هو مستعجلا ففرح الضال بقدر توقفه للدفع ومثل من يكتفي بعقد الضمير مثل
من لم يلتفت الى الضال بعد دعوته اصلا واستمر على ما كان عليه من المشي ومثل من يزيد فيما كان له من الاخلاص وما يؤدي
اليه مثل من يزيد في عجلته بعد دعوته ليغيظه ولا يبقى للضال يمكن ان يعاود الحيل في الدعوة الى الضلالة
اذا مر عليه مرة اخرى الا الاخرة مخافة ان يزداد فايدة باستعجاله وصل ضد الرياء الاخلاص وهو تجريد القصد عن
الشوائب كلها فلو عمل طاعة رياء هو مراء مطلق ومن عملها وانضم الى قصد القربة قصد غرض دنيوي انضماما غير
مستقل فعمله مشوب غير خالص كقصد الانتفاع بالحمية من الصوم وقصد التخلص من مؤنة العبد او سوء خلقه
من عتقه وقصد صحة المزاج او التخلص من بعض الشرور والاحزان من الحج وقصد العزة بين الناس او سهولة
طلب المال من تعلم وقصد النظافة والتبرد وطيب الرائحة من الوضوء والغسل والتخلص من ابرام السائل من التصدق
عليه وهكذا ففي كان باعث طاعة هو التقرب ولكن انضاف اليه حظ من هذه الحظوظ خرج عمله عن الاخلاص
فالاخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها كثيرها وقليلها والمخلص من يكون عمله لمحض التقرب الى الله سبحانه من
دون قصد شيء اخر اصلا ثم اعلى مراتب الاخلاص وهو الاخلاص المطلق واخلاص الصديقين ارادة محض وجه الله سبحانه
من العمل دون توقع مقصد شيء عوض في الدارين ولا يتحقق الا لمحب لله تعالى مستهتر به مستغرق الهم بعظمته وجلاله بحيث
لم يكن ملتفتا الى الدنيا مطلقا وادناها وهو الاخلاص الاضافي قصد الثواب والاستخلاص من العذاب وقد اشار سيد
الرسل ص الى حقيقة الاخلاص بقوله هو ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت تعمل لله لا تحب ان تحمد عليه اي لا تعبد
هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذا اشارة الى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو
الاخلاص حقا ويتوقف تحصيله على كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب
والتفكر في صفات الله تعالى وافعاله والاشتغال بمناجاته حتى يغلب على قلبه نور جلاله وعظمته ويستولي عليه حبه وانسه
وكم من اعمال يتعب الانسان فيها ويظن انها خالصة لوجه الله تعالى ويكون فيها مغرورا لعدم عثوره على وجه الافة كما حكي عن بعضهم
انه قال قضيت صلوة ثلثين سنة كنت صليتها في المسجد جماعة في الصف الاول لاني تاخرت يوما لعذر وصليت في الصف
الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني فعرفت ان نظر الناس الي في الصف الاول كان يسرني وكان
سبب استراحة قلبي من ذلك من حيث لا اشعر وهذا دقيق غامض وقل ما تسلم الاعمال عن امثاله وقل من يتنبه له والغافلون
عنه يرون حسناتهم في الاخرة كلها سيئات وهم المرادون بقوله وبدا لهم سيئات ما عملوا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا
يحتسبون وبقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون
صنعا الاخلاص منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين وهو الكبريت الاحمر وتوفيق الوصول
اليه من الله الاكبر ولذا ورد في فضيلته ما ورد من الايات والاخبار قال الله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين

له الدين وقال الا لله الدين الخالص وقال الا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله وقال فمن
كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه وفي الخبر القدسي
الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببته من عبادي وقال رسول الله ص اخلص العمل يجزك منه القليل
وقد قال ص ما من عبد اخلص العمل لله تعالى اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقال ص ثلث لا يغل
عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله عز وجل قال امير المؤمنين ع لا تهتموا لقلة العمل واهتموا
للقبول وقال ع طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعا ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم يحزن
صدره بما اعطي غيره وقال الباقر ع ما اخلص عبد الايمان بالله اربعين يوما الا زهده الله في الدنيا وبصره داءها ودواءها
واثبت الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه وقال الصادق ع في قول الله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا ليس يعني اكثركم عملا ولكن
اصوبكم عملا وانما الاصابة خشية الله والنية الصادقة ثم قال الابقاء على العمل حتى يخلص اشد من العمل والعمل الخالص الذي
لا تريد ان يحمدك عليه احد الا الله عز وجل والنية افضل من العمل الا وان النية هو العمل ثم تلا قوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته يعني
على نيته وقال ع الاخلاص يجمع فواضل الاعمال وهو معنى مفتاح القبول وتوقيع الرضا فمن يقبل الله منه ويرضى عنه فهو المخلص
وان قل عمله ومن لا يتقبل الله منه فليس بمخلص وان كثر عمله اعتبارا بآدم وابليس وعلامة القبول وجود الاستقامة
ببذل كل المحاب مع اصابة كل حركة وسكون والمخلص ذائب روحه وباذل مهجته في تقويم ما به العلم والاعمال والعامل
والمعمول بالعمل لانه اذا ادرك ذلك فقد ادرك الكل واذا فاته ذلك فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد
كما قال الاول هلك العاملون الا العابدون وهلك العابدون الا العالمون وهلك العالمون الا الصادقون وهلك
الصادقون الا المخلصون وهلك المخلصون الا المتقون وهلك المتقون الا الموقنون وان الموقنين على خطر عظيم قال
الله تعالى لنبيه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وادنى حد الاخلاص بذل العبد طاقته ثم لا يجعل لعمله عند الله
قدرا فيوجب به على ربه مكافاة بعمله لعلمه انه لو طالبه بوفاء حق العبودية لعجز وادنى مقام المخلص في الدنيا السلامة من جميع الآثام
وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة ومن تامل في هذه الاخبار وغيرها مما لم نذكر يعلم ان الاخلاص راس الفضائل
ورئيسها وهو المناط في قبول الاعمال وصحتها ولا عبرة بعمل الا الاخلاص معه ولا خلاص من الشيطان الا بالاخلاص لقوله
الا عبادك منهم المخلصين وما ورد في الاسرائيليات من حكاية العابد والشيطان والشجرة مشهور وفي الكتب مسطور
الآفات التي تكدر الاخلاص وتشوشه لها درجات في الظهور والخفا اجلاها الريا الظاهر وهو ظاهر في تحسين
العبادة والسعي في الخشوع في الملأ دون الخلوة ليتأسى به الناس ولو كان عمله خالصا لله لم يتركه في الخلوة اذ من يرى الخشوع
وحسن العبادة خيرا لا يرتضي لغيره تركه فكيف يرتضي ذلك لنفسه في الخلوة ثم تحسينها في الملأ انما يقصد التسوية
بين الخلوة والملأ وهذا من الريا الغامض لانه حسن عبادته في الخلوة لتحسينها في الملأ فلا يكون فرق بينهما في الالتفات
فيها الى الخلق اذ الاخلاص الواقعي ان يكون مشاهدة الخلق لعبادته كمشاهدة البهايم لها من حيث تفاوت اصلا فكان
نفسه لا تسمح باساءة العبادة بين اظهر الناس ثم يستحي من نفسه ان يكون في صورة المرائين ويظن ان ذلك يزول باستواء
عبادته في الخلوة والملأ وليس كذلك اذ زوال ذلك موقوف على عدم الالتفات الى الخلق في الملأ والخلاء كالا يلتفت الى الجمادات
فيهما مع انه مشغول الهم بالخلق فيهما جميعا واخفاها ان يقول له الشيطان وهو في العبادة في الملأ هل يا مسكين

المكايد السابقة

المكايد السابقة انت واقف بين يدي الله سبحانه فتفكر في جلاله وعظمته واستحي من ان ينظر الى قلبك وهو غافل عنه
فيحضر بذلك قلبه ويخشع جوارحه وهذا اخفى مكايد الشيطان وخدعه اذ لو كان هذه الخطرة ناشية من الجلال
لما انفكت عنه في الخلوة ولم يختص حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الآفة ان يكون هذا الخاطر
مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الملأ ولا يكون حضور الغير سببا لحضوره كما لا يكون حضور بهيمة سببا له فما دام العبد يفرق
في احواله واعماله من مشاهدة انسان او مشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي
من الريا وهذا الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء كما ورد في الخبر
ولا يسلم منه الا من عصمه الله بخفي لطفه اذ الشيطان ملازم للمتشمرين لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة ليحملهم على الريا في كل
واحد من افعالهم واعمالهم تتميم الحق كما اشير اليه ان الشوب المزوج بالاخلاص ان كان من المقاصد الصحيحة الراجحة شرعا
لم يبطل العمل والاخلاص ولم ينقص الاجر والثواب اذ نية الخيرات المتعددة يوجب تضاعف الثواب بحسبها وان كان من
الاغراض الدنيوية الراجعة الى حب جاه او طمع مال فهو مبطل للعمل والثواب سواء كان الباعث الديني اضعف من الباعث
النفسي او مساويا له او اقوى منه لظواهر الاخبار المتقدمة ومع ابطال العمل يترتب عليه عقاب على حدة ايضا
اذ الريا في العبادة في نفسه منهي عنه محرم سواء كان هو الباعث وحده او انضم الى نية التقرب مستقلا او غير مستقل
فمن ارتكبه كان آثما لاجل الريا في نفسه وتاركا للعبادة من حيث دخول الريا فيها فان كانت واجبة ترتب اثم اخر على
تركها الا ان يسقط بقضائها وان كانت مستحبة لم يلزم قضاؤها ولم يترتب اثم على تركها بل كان اثمه منحصرا بما يترتب
على الريا في نفسه ثم الاثم المترتب على الريا المحض اشد واغلظ من المترتب على الريا المزوج بالقربة ويتزايد ثم المزوج
بحسب قلة وقوة باعث الريا بالنظر الى باعث الاخلاص وينقص بحسب نقصان ذلك وعلى ما ذكرناه فما انعقد عليه اجماع
الامة من ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه مع ان سفره ليس خالصا للحج فالوجه فيه ان التجارة تعرض للرزق
وهو ايضا عبادة وقد تقدم ان نية الخيرات المتعددة موجبة لتضاعف الثواب بحسبها فلا حاجة الى ما قيل ان التاجر
انما يثاب على اعمال الحج عند انتهائه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول المسافة ولا ثواب فيه
مهما قصد التجارة والى ما قيل مهما كان الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك نفس السفر عن ثواب
نعم اذا كان التجارة للجمع والادخار من غير حاجة فلا يبعد ان يرد ذلك وكذا اذا انضم الى قصد الحج قصد التفرج والدفع التوحش
عن الاهل لانضمامه غير مستقل ومثله اذا انضم الى نية الوضوء التبرد والى نية الصوم قصد الحمية والى نية العتق الخلاص من
المؤنة وسوء الخلق الى غير ذلك اذ لم يكن المنضمات مستقلة ومن العلماء من قال ان الباعثين ان تساويا تساقطا وصار
العمل لا له ولا عليه وان كان باعث الريا اقوى لم يكن العمل نافعا بل كان مضرا موجبا للعقاب وان كان عقابه اخف من عقاب
العمل المجرد للريا وان كان باعث التقرب اقوى فله ثواب بقدر ما فضل من قوته لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل
مثقال ذرة شرا يره وقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان قصد التقرب غالبا على الريا
حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادته وان كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد والسر ان
الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكد صفاتها فداعية الريا من المهلكات وقوة هذا المهلك بالعمل على وفقه وداعية الخير
من المنجيات وقوته بالعمل على وفقه فاذا اجتمعت الصفتان في القلب متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الريا فقد

قويت تلك الصفة وان عمل عملا وفق داعية الخير قويت ايضا تلك الصفة واحدهما محلل والاخر مرجح وان كان تقويته
للاخر فقد تقاوما وان كان احدهما غالبا زاد تاثيره بقدر الفاضل من قوته كما في تاثير الادوية والاغذية المتضادة
انتهى وفيه ان اطلاق الظواهر يفيد كون شوب الريا محبطا للعمل والثواب وقد تقدم بعضها ومنها ما روي ان رجلا سال النبي
عن مصطنع المعروف او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا والريب في انه قصد الحمد والاجر جميعا ومع ذلك نزلت في حصر هذه الاية ومنها ما روي ان
اعرابيا اتاه ص وقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال ص من
قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وحملها على صورة تساوي القصدين او غلبة قصد الريا خلاف الظ وما ذكر
من ان لكل قصد وفعل تاثيرا خاصا عليحدة ففيه ان ذلك اذا لم يبطله ضده ونحن نقول ان مقتضى الاخبار وصريح العقل
يدل على ان قصد الريا يبطل قصد القربة اذا تواردا على فعل واحد فلا يبقى لقصد التقرب تاثيرا يتصف بالزيادة على
تاثير قصد الريا ومنها النفاق وهو مخالفة السر والعلن سواء كان في الايمان او في الطاعات او في المعاشرات مع الناس
وسواء قصد به طلب الجاه والمال ام لا وعلى هذا فهو اعم من الريا مطلقا وان خص بمخالفة القلب واللسان او بمخالفة الظاهر
والباطن في معاملة الناس ومصاحبتهم فبينهما عموم وخصوص من وجه وعلى التقادير ان كان باعثه الجبن فهو من رذايل
قوة الغضب من جانب التفريط وان كان باعثه طلب الجاه فهو من رذايلها من جانب الافراط وان كان منشاؤه تحصيل مال او
منكح فهو من رداءة قوة الشهوة ولا ريب في انه من المهلكات العظيمة وقد تعاضدت الايات والاخبار على ذمه واشد انواع
النفاق بعد كفر النفاق كون الرجل ذا وجهين ولسانين بان يمدح اخاه المسلم في حضوره ويظهر له المحبة والنصيحة ويذمه
في غيبته ويؤذيه بالسب والسعاية الى الظالمين وهتك عرضه واتلاف ماله وغير ذلك او بان يتردد بين متعاديين ويكلم
كل واحد بكلام يوافقه ويحسن لكل منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه واثناه على ذلك اذ يعد كل واحد منهما انه ينصره او ينقل
كلام كل واحد الى الاخر وهذا شر من النميمة التي هي النقل من احد الجانبين وبالجملة هو بجميع اقسامه مذموم محرم قال رسول الله
من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيمة وقال ص تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين الذي
ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ص يجيء يوم القيمة ذو الوجهين دالعا لسانه في قفاه واخر من قدامه يتلهبان نارا حتى
يلهبا خده ثم يقال هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين وذا لسانين يعرف بذلك يوم القيمة ومعنى التورية بطلب
الامانة والرجل مع صاحبه بشفتين مختلفتين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين واوحى الله الى عيسى بن مريم ع
ليكن لسانك في السر والعلانية لسانا واحدا وكذلك قلبك اني احذرك نفسك وكفى بي خبيرا لا يصلح لسانان في فم واحد
ولا سيفان في غمد وقال الباقر ع بئس العبد عبدا يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري اخاه شاهدا وياكله غايبا ان اعطي
حسده وان ابتلي خذله ثم لا يخفى ان الدخول على المتعاديين والمجاملة مع كل منهما فعلا وقولا لا يوجب كونه منافقا وذا لسانين
اذا كان صادقا اذ الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة اذ الصداقة التامة يقتضي معاداة الاعداء وكذا
من ابتلى بذي شر يخاف شره يجوز ان يجامله ويتقيه ويظهر له في حضوره من المدح والمحبة ما لم يعتقد به قلبه وهو معنى المداراة
وهو ان كان نفاقا الا انه جايز شرعا للعذر قال الله سبحانه ادفع بالتي هي احسن السيئة وروي انه استاذن رجل على رسول الله
ايذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل الان له القول حتى ظن ان له عنده ص منزلة فلما خرج قيل له لما دخل قلت الذي قلت

ثم التفت له القول فقال ان شر الناس منزلة عند الله تع يوم القيمة من اكرمه الناس اتقاء شره ويدل على ذلك وعلى جواز ذلك
جميع اخبار التقية واخبار المداراة وفي الخبر ما وقي المرء به عرضه فهو له صدقة قال بعض الصحابة كنا نبشر في وجوه اقوام ونلعنهم
بقلوبنا ثم جواز ذلك انما اذا اضطر الى الدخول على ذي الشر ومدحه وكان في عدم معاشرته ومدحه مظنة الضرر اما لو كان
مستغنيا عن الدخول والثنا او عن احدهما ومع ذلك ابدى بلسانه ما ليس في قلبه من المدح فهو نفاق محرم ثم ضد النفاق
استواء السر والعلانية او كون الباطن خيرا من الظاهر وهو من شرايف الصفات وكان الاتصاف به والاجتناب من النفاق
اهم مقاصد المؤمنين من الصدر الاول ومن تامل فيما ورد في ذم النفاق وفي مدح موافقة الباطن مع الظاهر وتقدم الروية
في كل قول وفعل لم يصعب عليه ان يحافظ نفسه من رذيلة النفاق ومنها الغرور وهو سكون النفس الى ما يوافق الهوى ويميل
اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الاجل عن شبهة فاسدة فهو مغرور ولما كان
اكثر الناس ظانين بانفسهم خيرا ومعتقدين بصحة ما هم عليه من الاعمال والافعال وغيرها مع انهم مخطئون فيها فهم مغرورون
مثلا من ياخذ المال الحرام وينفقه في مصارف الخير كبناء المساجد والمدارس والقناطر والرباطات وغيرها يظن ان هذا
خير له وسعادة مع انه محض الغرور حيث خدعه الشيطان واراه ما هو شر له خيرا وكذا الواعظ الذي غرضه الجاه والقبول
من موعظته يظن انه في طاعة الله مع انه في المعصية بغرور الشيطان وخدعته ثم لا يبعد ان سكون النفس الى ما يوافق
الهوى وميل الطبع اليه عن شبهة وتخيله مركب من امرين احدهما اعتقاد بان هذا خير له مع كونه خلاف الواقع وثانيهما
حبها وطلبها باطنا لمقتضيات الشهوة او الغضب فان الواعظ اذا قصد بوعظه طلب الجاه والمنزلة معتقدا انه يجلب به
الثواب يكون له رغبة الى الجاه واعتقاد بكونه خيرا له والغني اذا امسك ماله ولم ينفقه في مصارفه اللازمة وواظب على العبادات
معتقدا ان مواظبته على العبادة يكفي لنجاته وان كان بخيلا يكون له حب المال واعتقاد بانه على الخير ثم الاعتقاد المذكور
راجع الى نوع معين من الجهل المركب وهو الجهل الذي يكون المعتقد فيه شيئا يوافق الهوى فيكون من رذايل القوة
العاقلة والحب والطلب للجاه والمال من رذايل قوتي الغضب والشهوة فالغرور يكون من رذايل القوى الثلث او من
رذايل العاقلة مع احديهما فصل الغرور والغفلة منبع الشر كل هلاك ومدار كل شقاوة ولذا ورد عليه الذم الشديد
في الايات والاخبار قال الله سبحانه ولا تغرنكم الحيوة الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقال عز وجل ولكنكم فتنتم
انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وقال رسول الله ص حبذا نوم الاكياس
وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين افضل من ملاء الارض من المغترين
وقال الصادق ع المغرور في الدنيا مسكين وفي الاخرة مغبون لانه باع الافضل بالادنى ولا تعجب من نفسك حيث ربما اغتررت
بمالك وصحة جسمك ان لعلك تبقى وربما اغتررت بطول عمرك واولادك واصحابك لعلك تنجو بهم وربما اغتررت بمالك و
منيتك واصابتك مامولك وهواك وظننت انك صادق ومصيب وربما اغتررت بما ترى الخلق من الندم على تقصيرك
في العبادة ولعل الله تع يعلم من قلبك بخلاف ذلك وربما اقمت نفسك على العبادات متكلفا والله يريد الاخلاص وربما
افتخرت بعلمك ونسبك وانت غافل عن مضمرات ما في علم الله وربما توهمت انك تدعو الله وانت تدعو سواه وربما حسبت
انك ناصح للخلق وانت تريدهم لنفسك ان يميلوا اليك وربما ذممت نفسك وانت تمدحها على الحقيقة فصل اعلم ان
فرق المغترين كثيرة وجهات غرورهم ودرجاته مختلفة وما من طايفة في العالم مشتركين في وصف مجتمعين على امر الا ويوجد

في الغرور

فيهم فرق من المغترين الا ان بعض الطوايف كلهم مغترون كالكفار والعصاة والفساق وبعضهم يوجد فيهم
المغرورون كان معظم كل طايفة ارباب الغرور ولنشر اجمالا الى مجاري الغرور والى جهات غرور كل طايفة ليتمكن
طالب السعادة عن الاحتراز عنه اذ من عرف مداخل الافات والفساد ومجاريها يمكنه ان ياخذ حذره ويبني
على الحزم والبصيرة امره فنقول الطايفة الاولى الكفار وهم مغرورون باسرهم وهم ما بين من غرته الحيوة الدنياو
بين من غره الشيطان بالله كما قال سبحانه فمنهم من غرته الحيوة الدنيا ومنهم من غره بالله الغرور واما الذين غرتهم الحيوة الدنيا
فباعث غرورهم قياسان نظمهما الشيطان في قلوبهم اولهما ان الدنيا نقد والاخرة نسية والنقد خير من النسية وثانيهما ان
لذات الدنيا يقينية والاخرة مشكوك فيها واليقيني خير من المشكوك فلا يترك به وهذه اقيسة فاسدة يشبه قياس ابليس
حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وعلاج هذا الغرور بعد تحصيل اليقين بوجود الواجب ثم بحقية
النبي ص في غاية السهولة لوضوح الطرق والادلة اما ان يتبع مقتضى ايمانه ويصدق الله في قوله ما عندكم ينفد وما عند
الله باق وفي قوله والاخرة خير وابقى وقوله وما عند الله خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور واما ان يعرف بالبرهان فساد القياسين حتى ينزع عن نفسه ما تاديا اليه من الغرور
وطريق معرفة الفساد في القياس الاول ان يتامل في ان كون الدنيا نقد والاخرة نسية صحيح الا ان كون كل نقد خيرا من
النسية غير صحيح بل هو محل التلبيس اذ المسلم خيرية النقد على النسية ان كان مثلها في المقدار والمنفعة والمقصود
والبقاء واما ان كان اقل منها في ذلك وادون فالنسية خير الا ترى ان هذا المغرور اذا حذره الطبيب من لذايذ الاطعمة
يتركها في الحال خوفا من الم المرض في الاستقبال ويبذل دراهمه في الحال لياخذ دراهم نسية ويتعب في الاسفار ويركب
البحار في الحال لاجل الراحة والربح نسية وقس عليه جميع اعمال الناس وصنايعهم في الدنيا من الزراعة والتجارة والمعاملات
فانهم يبذلون فيها نقدا ليصلوا الى اكثر منه نسية فان كان عشرة في ثاني الحال خيرا من واحد في الحال فانسب لذة الدنيا
من حيث الشدة والمدة والعدة الى لذة الاخرة من هذه الحيثيات فان من عرف حقيقة الدنيا والاخرة يعلم ان
ليس للدنيا قدر محسوس بالنسبة الى الاخرة على ان لذة الدنيا مكدرة مشوبة بانواع المنغصات ولذات الاخرة صافية
غير ممتزجة بشيء من المكدرات واما طريق معرفة فساد القياس الثاني باصليه هو ان تعرف ان كون لذات الاخرة مشكوكة
خطا وان كون كل يقيني خيرا من المشكوك غلط اما الاول فلان الاخرة يقينية قطعية عند اهل البصيرة وليقينهم مدركان احدهما
ما يدركه عموم الخلق وهو اتفاق عظماء الناس من الانبياء والاولياء فان ذلك يورث اليقين والطمانينة بعد التامل كما
ان المريض الذي لا يعرف دواء علته اذا اجمع ارباب الصناعة على ان دواءه كذا فانه يطمئن نفسه الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح
ذلك بالبراهين بل يثق بقولهم ويعمل به وان كذبهم صبي او معتوه او سوادي ولا ريب في ان المنكرين للاخرة والمغترين
بالحيوة الدنيا من الكفار والبطالين بالنظر الى المخبرين عن احوال الاخرة والمشاهدين لها من الانبياء والاولياء ادون حالا
واقل رتبة من صبي او معتوه او سوادي بالنظر الى اطباء البلد وحذاقه وثانيهما ما لا يدركه الا الانبياء والاولياء وهو الوحي
والالهام فالوحي للانبياء والالهام للاولياء فانه قد كشف لهم حقايق الاشياء كما هي عليها وشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما
تشاهد انت المحسوسات بالبصر الظاهر فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد ولا تظنن ان معرفة النبي لامر الاخرة و
لامور الدين مجرد تقليد لجبرئيل بالسماع منه كما ان معرفتك لها تقليد للنبي ص نصا فان الانبياء مشاهدون حقايق

الملك والملكوت

الملك والملكوت وينظرون اليها بعين البصيرة واليقين وان اكد ذلك بالقاء الملك والسماع منه واما المغرورون
بالله وهم الذين يقولون في انفسهم وبالسنتهم ان كان لله معاد فنحن فيه اوفر حظا واسعد حالا من غيرنا كما اخبر
الله سبحانه عن قول الرجلين المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وباعث
ذلك ما القى الشيطان في روعهم من نظرهم مرة الى نعم الله عليهم في الدنيا ويقيسون عليها نعم الاخرة وينظرون اخرى الى تاخير الله
العذاب عنهم فيقيسون عليه عذاب الاخرة كما قال الله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها
فبئس المصير ومرة ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء محتاجون فيقولون لولا اصحابهم لاحسن اليهم في الدنيا ولو لم يحبنا لما احسن
الينا فيها فيكون محبا لنا ولا يكون محبا فيكون الامر في الاخرة ان كانت ايضا كما قال الشاعر كما احسن الله فيما مضى كذلك يحسن
فيما بقي ولا ريب في ان كل ذلك خيالات فاسدة وقياسات باطلة فان من ظن ان النعم الدنيوية دليل الحب والاكرام فقد
اغتر بالله او ظن انه كريم عند الله بدليل لا يدل على الكرامة بل يدل عند اولي البصاير على الهوان والخذلان لان
نعيم الدنيا ولذاتها مهلكات ومبعدات من الله وان الله يحمي احباءه الدنيا كما يحمي الوالد الشفيق ولده المريض لذايذ الاطعمة
ومثل معاملة الله سبحانه مع المؤمن الخالص والكافر او الفاسق حيث يزوي الدنيا عن الاول ويصب نعمها على
الثاني مثل من كان له عبدان صغيران يحب احدهما ويبغض الاخر فيمنع الاول من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب
ويمنعه من لذايذ الاطعمة والفواكه التي تضره ويسقيه الادوية البشعة التي تنفعه ويهمل الثاني ليعيش كيف يريد فيلعب
وياكل ما يشتهي فلو ظن هذا العبد المهمل انه محبوب كريم عند سيده لتمكنه من شهواته ولذاته وان الاخر مبغوض عنده
لمنعه عن مشتهياته كان مغرورا احمق وقد كان الخائفون من ذوي البصاير اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت
عقوبته واذا اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين واما المغرورون ففعلهم خلاف ذلك لظنهم ان اقبال الدنيا عليهم
كرامة من الله وان ادبارها عنهم هوان لهم كما اخبر الله تعالى بقوله فاما الانسان اذا ما ابتليه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي
اكرمن واما اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن وعلاج هذا الغرور ان يعرف ان اقبال الدنيا دليل الهوان والخذلان
دون الكرامة والاحسان وان التجرد عنها سبب الكرامة والقرب الى الله سبحانه والطريق الى هذه المعرفة اما ملاحظة احوال الانبياء
والاولياء وغيرهما من طوايف العرفاء وفرق الاتقياء او التدبر في الايات والاخبار قال الله سبحانه انما نمدهم به من مال وبنين الحسبون
نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى
اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال انما نملي لهم ليزدادوا اثما الى غير ذلك من الايات والاخبار ومنشا
هذا الغرور الجهل بالله وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات الفاسدة وينظر الى قارون
وفرعون وغيرهما من الملوك والجبابرة كيف احسن الله اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله عباده من مكره
واستدراجه فقال ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال ومكروا ومكر الله ومكروا مكرا ومكرنا مكرا او
قال والله خير الماكرين الطايفة الثانية العصاة والفساق من المؤمنين وسبب غرورهم وغفلتهم اما غرور بعض
بواعث غرور الكافرين كما تقدم او ظنهم ان الله كريم ورحمته واسعة ونعمته شاملة واين معاصي العباد في جنب بحار رحمته
ويقولون انا موحدون مؤمنون فكيف يعذبنا مع التوحيد والايمان ويقوون ظنهم بما ورد في فضيلة الرجا كما
تقدم في فضيلته وربما اغتر بعضهم بصلاح ابائهم وعلو نسبهم كاغترار العلوية بنسبهم مع مخالفتهم سيرة ابائهم

الطاهرين في الخوف والورع وعلاج هذا الغرور ان يعرف الفرق بين الرجاء الممدوح والتمني المذموم ويعلم ان غروره ليس رجاء ممدوحا بل هو تمني مذموم كما قال رسول الله ص الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله فان الرجاء لا ينفك عن العمل اذ من رجا شيئا طلبه ومن خاف شيئا هرب منه وكما ان الذي يرجو في الدنيا ولدا ولم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو مغرور احمق كذلك من رجا رحمة الله وهو لم يؤمن او امن ولم يترك المعاصي او تركها ولم يعمل صالحا فهو مغرور جاهل كيف وقال الله سبحانه ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء يليق بهم دون غيرهم وذلك لان ثواب الاخرة اجر وجزاء على الاعمال كما قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال انما توفون اجوركم يوم القيمة وقال ان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وقال كل نفس بما كسبت رهينة افترى ان من استوجر على اصلاح اواني وشرط له اجرة عليها وكان الشارط كريما يفي بوعده ويزيد بل كان لجلبه يزيد عليها وعده وشرطه فجاء الاجير وكسر الاواني وافسدها جميعا ثم جلس ينتظر الاجرة ويزعم ان المستاجر كريم افتراه العقلاء في انتظاره راجيا او مغرورا متمنيا وبالجملة سبب هذا الغرور الجهل بين الرجاء والغرة فليعالجه بما ذكر هنا وفيما سبق ثم ان المغرور لعلو رتبة ابائه ظنا ان الله يحب اباءه ومن احب انسانا احب اولاده اشد حمقا من المغرور بالله لان الله سبحانه يحب المطيع ويبغض العاصي من غير ملاحظة لاباء فهما كما انه لا يبغض الاب المطيع ببغضه للولد العاصي فكذلك لا يحب الولد العاصي بحبه للاب المطيع وليس ولا يمكن ان يسري من الاب الى الابن شيء من الحب والبغض والمعصية والتقوى اذ لا تزر وازرة وزر اخرى فمن زعم انه ينجو بتقوى ابيه كان كمن زعم انه يشبع باكل ابيه او يروى بشرب ابيه او يصير عالما بتعلم ابيه او يصل الى الكعبة بمشي ابيه فهيهات ان التقوى فرض عين على كل احد فلا يجزي والد عن ولده شيئا وعند الجزاء يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه ولا ينفع احد احدا الا على سبيل الشفاعة بعد تحقق شرائطها ثم العصاة المغرورون اما الذين ليس لهم طاعات فتمنيهم المغفرة غاية الجهل كما م او لهم طاعات ولكن معاصيهم اكثر وهم عالمون باكثرية المعاصي ومع ذلك يتوقعون المغفرة ويترجح حسناتهم على سيئاتهم وهو ايضا غاية الجهل اذ مثله مثل من وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الكفة الاخرى الفا والفين وتوقع ان يميل الكفة الثقيلة بالحقيقة ومنا الذين معاصيهم اكثر من يظن ان طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي يحج طول العمر ويبني مسجدا ثم لا يكون شيء من عباداته على المطلوب ولا يجتنب عن اخذ اموال المسلمين فيفسد ذلك كله ويكون ما بناه من المسجد في نظره ويقول كيف يعذبني الله وقد حججت وبنيت مسجدا او كالذي يسبح الله كل يوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم ويتكلم بما لا يرضاه الله طول نهاره من غير حصر وعد ويكون نظره الى عدد سبحته مع غفلته عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبها لكان مثل تسبيحه مائة مرة وقد كتبه فهو متامل في فضيلة دائما في فضيلة التسبيحات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة الكذابين والنمامين والمغتابين والفاحشين و لو كان كتبة الاعمال يطلبون منه اجرة الزائد من هذيانه على تسبيحاته لكان عند ذلك يحبس لسانه عن افاته و موازنتها بتسبيحاته حتى لا يكون لها زيادة عليها ليوخذ منه اجرة تسبيح الزائد فيا عجباه لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على ان يفوته مقدار قيراط ولا يحتاط خوفا من فوت الفاكهة العليين ومجاورة رب العالمين الطائفة الثالثة اهل العلم والمغرورون منهم فرق فمنهم من اقتصر من العلم على علم الكلام والمجادلة ومعرفة اداب المناظرة ليتفاخر في اندية الرجال ويتفوق على الاقران والامثال من غير ان يكون له في العقائد قدم راسخ او مذهب واحد بل يختار تارة ذاك وتارة هذا ويكون عقيدته

الطائفة الثالثة من المغرورين

كخبط

كخبط مهمل في الهواء يعتاده الريح مرة هكذا ومرة هكذا ومع ذلك يظن بغروره انه اعرف الناس واعلمهم بالله وبصفاته ومنهم من اقتصر من العلم على علم النحو واللغة او الشعر او المنطق واغتر به وافنى عمره فيها وزعم ان علم الشريعة والحكمة موقوف عليها ولم يعلم انها ليس مطلوبا لذاته ويكون الحاجة اليها بقدر ما هو مقصود لذاته فيجب ان يقتصر عليه بقدر الضرورة والتعمق فيه الى درجات لا يتناهى فضول مستغنى عنه موجب للحرمان عما هو مقصود لذاته ومنهم من اقتصر على فن المعاملات من الفقه المتضمن لكيفية الحكم والقضاء بين الناس واشتغل باجراء الاحكام واعرض عن علم العقائد والاخلاق بل عن فن العبادات من الفقه واهمل تفقد قلبه ليتخلى عن رذايل الاخلاق ويتحلى بفضايل الملكات وتفقد جوارحه وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات ومنهم من حصل فن العبادات ايضا بل احكم العلوم الشرعية باسرها وتعمق فيها واشتغل ولكن ترك العلم الالهي وعلم الاخلاق ولم يحفظ الباطن والظاهر عن المعاصي ولم يعمرها بالطاعات ومنهم من احكم جميع العلوم من العقلية والشرعية وتعمق فيها واشتغل بها الا انه اهمل بالعمل راسا او واظب على الطاعات الظاهرة واهمل صفات القلب وربما تفقد صفات القلب واخلاق النفس ايضا وجاهد نفسه في التبري عنها وقلع من قلبه منابتها الجليلة القوية ولكن بقيت في زوايا قلبه خفايا من مكايد الشيطان وخبايا تلبيسات النفس ما دق وغمض مدركه فلا يتفطن لها فجميع هؤلاء غافلون مغرورون اذ كان اعتقادهم انهم على خير وسعادة وان كان بينهم تفاوت من حيث الضعف والشدة اذ سعادة النفس وخلاصها من العذاب لا يحصل الا بمعرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله واحوال النشاة الاخرة والعلم برذايل الاخلاق وشرايفها ثم تهذيب الباطن بفضايل الاخلاق وعمارة الظاهر بصوالح الطاعات والاعمال فكل من تعلم بعض العلوم وترك ما هو المهم من العلم اعني معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات النفس التي هي الصفات المذمومة المانعة من الوصول الى الله وظن انه على خير كان مغرورا واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله فمن ترك العلم المهم واشتغل بغيره فهو كمن به مرض خاص مهلك فاحتاج الى تعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء مرض اخر يضاد مرضه في المعالجة كما ان من احكم العلوم باسرها وترك العمل مثل المريض الذي تعلم دواء مرضه وكتبه وهو يقرءه ويعلمه المرضى ولا يستعمله قط لنفسه فانه لا ريب في ان مجرد تعلم الدواء لا يشفيه بل لو كتب منه الف نسخة وعلم الف مريض حتى شفي جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم ينفعه ذلك من مرضه شيئا حتى يشتري هذا الدواء ويشربه كما تعلم في وقته ومع شربه واستعماله يكون على خطر من شفائه فكيف اذا لم يشربه اصلا فلو ظن ان مجرد تعلم الدواء يكفيه ويشفيه فهو مغرور فكذلك من احكم علم الطاعات ولم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق ولم يزك نفسه عن رذايلها ولم يتصف بفضايلها فهو في غاية الغرور اذ قال الله قد افلح من زكيها ولم يقل قد افلح من علم طريق تزكيتها ثم من هذه الطايفة فرقة متصفة برذايل الاخلاق والغرور ادى بهم الى حيث ظنوا انهم منفكون عنها وانهم ارفع عند الله من ان يبتليهم بها وانما يبتلي بها العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال هذا ليس كبرا انما هو طلب اعزاز الدين واظهار شرف العلم وارغام انف المخالفين وهكذا ظهر منه اثار الحسد واطلق لسانه بالغيبة في اقرانه ومن رد عليه شيئا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد بل يقول ان هذا غضب للحق ورد على المبطل عدوانه وظلمه مع انه لو طعن في غيره من اهل العلم ورد عليه قوله ومنع من منصبه لم يكن غضبه مثل غضبه الان بل ربما يفرح به ولو كان غضبه للحق لا للحسد على اقرانه وخبث باطنه لاستوى غضبه في الحالين واذا خطر لخاطره الرياء وقال غرضي من اظهار العلم والعمل اقتداء الخلق بي ليهتدوا الى دين الله ويتخلصوا من عقاب الله ولا يتامل المغرور انه ان كان ليس يفرح باقتداء الناس بغيره كما يفرح باقتدائهم به ولو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يدي من كان

وربما يتذكر هذا ومع ذلك لا يخليه الشيطان بل يقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر والثواب لي فرحي انما هو بثواب الله لا بقبول الخلق هذا ما يظن بنفسه والله مطلع على سريرته اذ ربما كان باطنه في الجبانة بحيث لو علم قطعا بان ثوابه في الخمول واخفاء العلم والعمل اكثر من ثوابه في الاظهار لاحتال ذلك مع ذلك في اظهار ريا سته من تدريس او وعظ او امامة او غير ذلك واذا كان بحيث يدخل على السلاطين والامراء الظلمة ويثني عليهم ويتواضع لهم وخطر له ان مدحهم والتواضع لهم حرام قال له الشيطان ان ذلك عند الطمع في مالهم وغرضك من الدخول عليهم دفع الضرر عن المسلمين دون الطمع والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان وكان بحيث يقبل شفاعته في كل احد وهو لا يزال يستشفع ويدفع الضرر عن المسلمين لثقل ذلك عليه بحيث لو قدر ان يقبح حاله عند السلطان لفعل وربما انتهى الغرور في بعضهم الى ان ياخذ من اموالهم المحرمة واذا خطر له انها حرام قال له الشيطان هذا مال مجهول المالك يجب ان يتصدق فانت امام المسلمين وانت امامهم وعالمهم وبك قوام دين الله فيحل لك ان تاخذ منه قدر حاجتك وتصرف الباقي على مصالح المسلمين فيغتر بهذا التلبيس ولا يرى الا ياخذها من غيره ان يبذل شيئا منها في مصرف خيره وربما انتهى الغرور في بعضهم الى حيث بانه لو رأى هذا اذا احضر ضيافتهم واكل طعامهم وقيل له انه لا يليق بمثلك قال الاكل جائز بل واجب اذ هذا مال لا يعلم مالكه فيجب تصدقه على الفقراء وعلي يجب على مثلي ان اجتهد بقدر القدرة والاستطاعة في استخلاصه عن يد الظلمة وايصاله الى اهله اعني الفقراء فاكل منه نوع قدرة على استخلاصه فاكل منه واتصدق قيمته على الفقراء والله يعلم من باطنه انه لا يتصدق بقيمته ولا يعتقد بحقية ما يقوله انما هو تلبيس القاه الشيطان في دعه لئلا يضعف اعتقاد العامة في حقه وربما كان بحيث لا يبالي من اخذ مالهم واكل طعامهم خفية ولو علم انه يطلع عليه واحد من صوبلح العامة المتقدسين لامتنع منه غاية الامتناع وربما كان بعضهم في الباطن مائلا الى الدخول على السلاطين والامراء وقادرا عليه في الظاهر وكان الباعث في ذلك طلب المنزلة في قلوب العامة ومع ذلك يظن ان الاجتناب عنهم عين ورعه وتقواه وربما كان بعضهم امام قوم يظن انه على خير وباعث لترويج الدين واعلاء الكلمة ويقيم شعائر الاسلام ومع ذلك لو ام غيره ممن هو اعلم واورع منه في مسجده او تخلف بعض من يقتدي به من الاقتدا به لقامت عليه القيامة وربما لم يكن باعثه على الحركة الى المسجد للامامة مجرد التقرب والامتثال لامر الله بل كان الباعث محض حب الجاه والرياسة باعتقاد العامة او مركبا منه ومن نية الثواب وربما اتخذ بعضهم الامامة وسيلة شغلا او لامر المعاش ومع ذلك يظن انه مشتغل بامر الخير والطاعة ومثال ذلك انا نرى الامام الذي كان قصده من الامامة مجرد التقرب الى الله من دون وجود شيء من طلب المنزلة في القلوب او تحصيل المال او دفع بعض الشرور عن نفسه نادرا قليلا ولو وجد مثله هو الكوة الذي يجب ان يشد الرحال من المواضع البعيدة اليه ليقتدى به ومثله كما وجد من نفسه قصد التقرب والثواب في الذهاب الى المسجد للامامة ذهب ولو لم يجد من نفسه تخلف وصلى منفردا هو الذي يستوي عنده اقتداء الناس وعدمه ويستوي عنده كثرة المقتدين وقلتهم بل يكون حاله عند صلوته وهو امام لجم غفير كحاله عند صلوته منفردا من دون التخلية نفسه تفاوتا في الحالين وبالجملة اصناف غرور اهل العلم سيما في هذه الاعصار كثيرة والمتامل يحصل يعلم ان الغرور او التلبيس وغيرهما من ذمائم الافعال انتهى في بعضهم الى ان وجودهم مضر بالاسلام والمسلمين وموتهم انفع للايمان والمؤمنين لانهم دجال الدين وقوام مذهب الشياطين ومثلهم كما قال عيسى بن مريم العلماء السوء كصخرة وقعت على فم الوادي فلا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع الطائفة الرابعة او عاظ المغرورين منهم كثيرون فمنهم من يتكلم في وعظه في اخلاق النفس وصفات القلب من

الطائفة الرابعة الوعاظ المغرورون

الخوف

الخوف والرجا والتوكل والرضا والصبر والشكر ونظائرها ويظن انه في وعظه اذا تكلم بهذه الصفات ودعى الخلق اليها صار موصوفا بها وهو منفك عنها في الواقع الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين ويزعم ان غرضه اصلاح الخلق دون اغراض ومع ذلك لو اقبل الخلق على احد من اقرانه وصلحوا على يديه وكان اقوى منه في الارشاد والاصلاح لمات غما وحسدا ولو اثنى احد المترددين عليه على بعض اقرانه لصار ابغض الخلق الله اليه ومنهم من اشتغل بالشطح والطامات وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل وربما تكلم بالفصاحة والبلاغة وتصنع بالتشبيهات والمقدمات وتعمق بطيات النكت وتسجيع الالفاظ وتلفيقها طلبا للاعوان والانصار وشوقا الى تكثر البكاء والرقة والتواجد والزعقات في مجلسه والتلذذ بتحريك الرؤس على الكلام والبكاء عليه وفرحا بكثرة الاصحاب والمستفيدين والمعتقدين وسرورا بالتخصيص بهذه الخاصة من بين امثاله الاقران وربما لم يبال بالكذب في نقل الاخبار والاثار ظنا منه انه اوقع في النفوس واشد تاثيرا في رقة العوام وتواجدهم ولا ريب في ان هؤلاء اشرار الناس بل شياطين الانس ضلوا واضلوا عن سواء السبيل اذ الاولون ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون عن سبيل الله ويجرون الخلق الى الغرور بالله لان سعيهم في ذكر ما يشير به العامة ليصلوا به منهم الى اغراضهم الفاسدة فلا يزالون يذكرون ما يقوي الرجا ويزيدهم جرءة على المعاصي ورغبة في الدنيا سيما اذا كان هذا الواعظ ايضا ممن يرغب الى الدنيا ويسر بوصول المال اليه ويتزين بالثياب الفاخرة والمراكب العالية وغيرهما من زينة الدنيا فانه ممن يضل ويكون افساده اكثر من اصلاحه ومع ذلك يظن انه مروج الشرع والدين ومرشد الضالين وهو اشد المغرورين والغافلين ومنهم من هذب اخلاقه ورقت قلبه وصفاه عن جميع الكدورات وصغرت الدنيا في عينه وانقطع طمعه عن الخلق فلم يلتفت اليهم ودعاه الرحمة والشفقة على عباد الله الى نصحهم واستخلاصهم عن امراض المعاصي بالوعظ فلما اشتغل به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النملة لا يشعر به ولم يزل ذلك في قلبه يتحرك حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات والحركات والتصنع في الزي والهيئة والشمائل فاقبل الناس اليه ويعظمونه ويوقرونه توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لامراضهم بمحض الرحمة والشفقة من غير طمع فاثروه بابدانهم واموالهم وصار عنده كالخدم والعبيد فعند ذلك انتشر طبعه وارتاحت نفسه وذاق لذة ما لها من لذة واصاب من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فوقع في اعظم لذات الدنيا بعد ظنه بانه تارك للدنيا فقد غره الشيطان على ما لا يشعر به وعلامة ذلك ان حب الرياسة في باطنه انه لو ظهر من اقرانه من مالت القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق ذلك عليه اذ لولا ان النفس قد استبشرت واستلذت بالرياسة لكان تغتنم ذلك وعلى هذا فينبغي ان لا يشتغل احد بالنصح والوعظ الا اذا وجد من نفسه انه ليس له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يسره غاية السرور ظهور من يعينه على ارشادهم او اهتدائهم من عند انفسهم وانقطع طمعه بالكلية عن ثنائهم واموالهم واستوى عنده مدحهم وذمهم فلم يبال بذمهم اذا كان الله يمدحه ولم يفرح بمدحهم اذا لم يقترن به مدح الله ونظر اليهم كما ينظر الى من هو اعلم منه واورع حيث لا يتكبر عليه ويراه خيرا من نفسه للدلالة الظاهرة على ان الوجهل بالخاتمة والى البهائم من حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم فانه لا يبالي كيف يراه البهائم فلا يتزين لها اذ راعي الماشية انما غرضه رعايتها ودفع الذئب عنها دون نظر الماشية اليه بعين المدح والثناء فمتى لم ير في الواعظ ذلك وعلم بهذه المكيدة من الشيطان واشتغل بنفسه وترك النصح او نصح مع رعاية شرط الصدق والاخلاص

لخيف عليه الاعجاب بفراره عن الغرور فيكون اعجابه بنفسه في الفرار عن الغرور غاية الغرور وهو المهلك الاعظم
اذ العجب اعظم من كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن ادم اذا ظننت انك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد وقعت في
حبائلي ثم لو دفع عن نفسه وعلم ان ذلك من الله تعالى لا منه وان مثله لا يقوى على دفع الشيطان عنه الا بتوفيق الله وانه ضعيف
عاجز لا يقدر على شيء اصلا فضلا عن دفع الشيطان لخيف عليه الغرور بفضل الله والثقة بكرمه والامن من مكره حتى يظن انه
يبقى على هذه الوتيرة في المستقبل ولا يدري ان الامن من مكر الله خاسر مغرور فسبيل النجاة بعد تهذيب النفس وخلوص القصد و
الانقطاع عن الدنيا ولذاتها ان يرى ذلك كله من فضل الله وكان خائفا على نفسه من سلب حاله في كل لحظة وغير آمن من مكر الله
وغير غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه الا بعد مجاوزة الصراط والدخول في الجنة ولذلك لما ظهر الشيطان
لبعض الاولياء وقت النزع وكان قد بقي له نفس فقال له افلت مني يا فلان فقال لا بعد

الطائفة الخامسة

اهل العبادة والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غلب عليه الوسوسة في ازالة النجاسة وفي الوضوء فيبالغ فيه ولا يرتضي
الماء المحكوم بطهارته بفتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة الموجبة للنجاسة واذا آل الامر الى الاكل واخذ المال قدر
الاحتمالات الموجبة للحل بل ربما اكل الحرام المحض وقد تحمل بعيد الحل ولو انقلب هذا الاحتياط من الماء الى الطعام لكان اشبه بسيرة
اكابر الاولياء ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وربما بالغ عند الوضوء من الماء الى الطعام في التخليل وضربا حتى
يديه على وجهه او بين الاخر فلا يدري هذا المغرور هذا العمل ان كان مع اليقين بحصول ما يلزم شرعا فهو تضييع للعمر الذي هو
اعز الاشياء فيما له مندوحة عنه وان كان بقصد الاحتياط في التخليل لتحصيل الجزم بوصول الماء الى البشرة فانه لا يتيقن بوصول
الماء الى البشرة في الغسل بدون هذه المبالغة والاحتياط مع ان حصول القطع بايصال الماء الى البشرة في الغسل الزم واوجب
ثم ربما لم يكن له مبالغة واحتياط في الصلوة وساير العبادات والحال ان احتياطه ومبالغته بالوضوء زاعما ان هذا يكفي لنجاته فهو مغرور
في غاية الغرور ومنهم من اغتر بالصلوة فغلب عليه الوسوسة في نيتها فلا يدعه الشيطان حتى يعقد نية صحيحة بل يشوش عليه
حتى يفوته الجماعة او فضيلة الوقت وقد يوسوس في التكبير حتى تغير صيغتها لشدة الاحتياط فيه فيفعل ذلك في اول صلوته ثم
يغفل في جميع صلوته ولا يحضر قلبه ويغتر بذلك ويظن انه اذا اتعب نفسه في تصحيح النية فهو على خير وربما غلب على بعضهم
الوسوسة في دقايق القراءة واخراج حروف الفاتحة وساير الاذكار عن مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات وتصحيح المخارج
والتميز بين مخارج الحروف المتقاربة من غير اهتمام في غيرها لذلك من حضور القلب والتفكر في معاني الاذكار ظنا منه انه اذا
صحت القراءة فالصلوة مقبولة وهذا اقبح انواع الغرور ومنهم من اغتر بالصوم وربما صام الايام الشريفة بل صام الدهر ولم يحفظ
لسانه عن الغيبة ولا بطنه عن الحرام عند الافطار ثم يظن بنفسه الخير وذلك غاية الغرور ومنهم من اغتر بالحج فيخرج الى الحج
من غير خروج عن المظالم وقضاء الديون وطلب الزاد الحلال وتضييع في الطريق الصلوة ويعجز عن طهارة الثوب والبدن
ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذايل الاخلاق وذمايم الصفات ومع ذلك يظن انه على خير فهو في غاية الغرور ومنهم من
اغتر بقراءة القران فيهذه هذا وربما يختمه في اليوم والليلة مرة فيجري به لسانه وقلبه مردد في اودية الاماني وربما اسرع
في القراءة غاية السرعة ويظن ان سرعة اللسان من الكمالات ويتفاخر به على الامثال والاقران ومنهم من اغتر ببعض النوافل
كصلوة الليل ومجرد غسل الجمعة او امثال ذلك من غير اعتداد بالفرايض زاعما ان المواظبة على مجرد هذه النافلة ينجيه في الآخرة
فهو ايضا من المغرورين ومنهم من تزهد وقنع بالدون من المطعم والملبس والمسكن ظانا انه ادرك رتبة الزهاد ومع ذلك

والرغبة في الرياسة

في المتصوفة والدراويش

والرغبة في الرياسة باشتهاره بالزهد فهو ترك اهون المهلكين باعظمهما اذ حب الجاه اشد هلاكا من حب المال ولو
ترك الجاه واخذ المال لكان اقرب الى السلامة وهو مغرور وظن انه من الزهاد ولم يعرف ان منتهى لذات الدنيا الرياسة
وهو يحبها فكيف يكون زاهدا

الطائفة السادسة

المتصوفة والمغرورون فيهم اكثر من ان يحصى فمنهم ارباب البوق والقادم القلندرية
الذين لا يعرفون من التصوف ولا شيئا من مراسم الدين وصرفوا اوقاتهم في التكدي والسؤال عن الناس ويظنون انهم تاركون
للدنيا مقبلون على الاخرة مع انه لو ظفر بادنى شيء من امور الدنيا لاخذه بجميع جوارحهم فهؤلاء اراذل الناس بوجوه كثيرة
لا تخفى ومنهم من اغتر بالزي والمنطق والهيئة من لبس الصوف واطراق الرأس وادخاله في الجيب وخفض الصوت وتنفس
الصعداء وتحريك البدن في الطول والعرض والسقوط الى الارض سيما اذا سمعوا الحال في الوجد والعشق مع عدم اطلاعهم
على حقيقة شيء منها وربما تجاوز بعضهم من ذلك الى الرقص والتصفيق وابداء الشهيق والنهيق واختراع الاذكار و
التغني بالاشعار وغير ذلك من الحركات القبيحة والهيئات الشنيعة ويظن ان العبد بهذه الحركات والافعال يصل الى الدرجات
العالية ولم يعلم المغرور انها انما يقرب العبد الى سخط الله وعذابه ومنهم من وقع في الاباحة وطوى بساط الشرع والاحكام ورد
الفصل بين الحلال والحرام فيكاد يبيح الحرام والشبهات ولا يحترز عن اموال الظلمة والسلاطين وربما قال المال مال الله
الخلق عيال له فهم فيه سواء وربما قال ان الله مستغن عن عملي فاي حاجة الى ان اتعب نفسي فيه وربما قال لا وزن لاعمال الجوارح
وانما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله واصلة الى معرفة الله وربما خاضوا في الشهوات الدنيوية وقالوا انها
لا تصدنا عن طريق الله لقوة نفوسنا وثبات اقدامنا فيها وانما يحتاج العوام الى تهذيب النفس بالاعمال البدنية ونحن
مستغنون عنه فهؤلاء يرفعون درجتهم عن درجة الانبياء اذ كانوا مصرحين بان ارتكاب الامور المباحة فضلا عن الخطايا
والمعاصي يصدهم عن طريق الله حتى يبكون سنين متوالية على ترك الراجح وفعل المرجوح فهم اشد الناس غرورا واعظم
الخلق حماقة وضلالا ومنهم من يدعي غاية المعرفة واليقين والوصول الى درجات المقربين ومشاهدة المعبود ومجاوزة
المقام المحمود والملازمة في عين الشهود وتلقف من الطامات كلمات يرددها ويظن انه يتكلم عن الوحي ويخبر عن السماء
وينظر الى العباد والفقهاء والمحدثين وساير اصناف العلماء بعين الحقارة والازدراء يقول في العباد انهم اجراء
متعبون وفي العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه من الكرامات ما لا يدعيه نبي ولا ولي ويدعي كونه واصلا
الى الحق فارغا عن اعباء التكليف لا علما احكم ولا عملا هذب لم يعرف من المعارف الا اسماء يتفوه بها عند الاغنياء للوصول
الى بعض حطامهم الخسيسة فهو عند الله من الفجار والمنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين مع ظنه انه من المقربين فهو اشد
الغافلين المغرورين ومنهم ملامية يرتكبون قبايح الاعمال وشنايع الافعال الموجبة عن طريق المودة ظنا منهم ان هذا موجب
لكسر النفس وازالة ذمايم الاخلاق ولم يعلموا ان هذه الافعال من الذمايم وقد نهى صاحب الشرع عنه ومنهم من اشتغل بالرياضة
والمجاهدة وقطع المنازل ووصل الى بعض المقامات على قدر سعيه ومجاهدته الا انه لم يتم سلوكه وتقطع عن ساير المقامات اما
لاعراض حصلت اثناء السلوك او لوقوعه في الاشتباه ظنا منه انه ممن وصل الى الله ولم يعلم ان لله سبعين حجابا من نور لا يصل
السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل والى الاشارة في حكاية الخليل حيث راى اولا كوكبا فقال هذا
ربي ثم انتقل الى القمر ثم عنه الى الشمس فانه ليس المراد بالكوكب والقمر والشمس هذه الاجسام المضيئة فان شان مثل الخليل اعظم من
ان يظن كونها الهة بل هذا ينافي شأنه ورتبته فالمراد بها الانوار التي هي من حجب الله ويراها السالك في الطريق حال الترقي

الوصول الى الله الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض فاستعير لفظ الكوكب لاصغرها
والقمر لاوسطها والشمس لاعظمها اتباعا للخليل عليه السلام بان عند سيره في الملكوت يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه اول ما يلقاه
انه وصل ثم يكشف له ان وراءه امر فيترقى اليه حتى وصل الى الحجاب الاقرب فقال هذا اكبر فلما ظهر انه مع عظمه غير خال عن الهوي في حضيض
النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي لله الخ فسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض
هذه الحجب وربما يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله وبين العبد قلبه فانه ايضا امر رباني وهو نور من انوار الله يتجلى فيه حقيقة
الحق كله حتى يتسع لجملة العالم ويحيط به ويتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو
عليه وهو في اول الامر كان محجوبا فاذا تجلى نوره وانكشف فيه جماله بعد اشراق نور الله عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب
فيرى من جماله الفائق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر به ووقف
عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن الشمس فهو مغرور وهذا محل
الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلي فيه كما يلتبس لون ما يتراءى في المراة فيظن انه لون المراة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج
كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح ع
فراوا اشراق نور الله قد تلألأ فيه فغلطوا فيه كمن يرى كوكبا في مراة او في ماء فيظن ان الكوكب في المراة او في الماء فيمد اليه يده
وهو مغرور وانواع الغرور في طريق السلوك الى الله كثيرة لا يخفى على ارباب البصيرة ثم اكثر المتلبسين بلباس العارفين مع كذبهم
فيما يدعونه ونقصانهم في طريق السلوك وجهلهم لحقيقة الامر وعدم قطعهم جل المقامات يتشبهون بالصادقين من العرفاء
في زيهم وهيئاتهم والفاظهم ومراتبهم والقاصرين ظانين بهذا التشبه يصلون مراتبهم فهيهات هيهات ان الوصول الى درجة كل احد انما
يحصل بالاتصاف باوصافه الباطنة والتخلق باخلاقه النفسية دون التشبه به في حالاته الظاهرة وقد شبههم بعض الاكابر
بامرأة عجوزة سمعت ان الشجعان من المقاتلين يثبت اسماؤهم في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت
نفسها الى ان تكون مثلهم فلبست درعا ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعلمت كيفية
جولانهم في الميدان وتلقفت جميع شمائلهم في الزي والمنطق والحركات والسكنات وتوجهت الى المعسكر ليثبت اسمها
في ديوان الشجعان فلما وصلت اليه انفذت الى ديوان العرض وامرت بان يجرد عن المغفر والدرع وينظر الى جثتها
ويمتحن بالمبادرة مع بعض الشجعان ليعرف قدر شجاعتها فلما جردت فاذا هي عجوزة زمنة ضعيفة لا تقدر على شيء
فقيل لها اجئت للاستهزاء بالملك واهل حضرته فاخذوها والقوها الى اقدام الفيل فدستها والجأها فهكذا يكون حال
حال المدعين للتصوف والعرفان في القيامة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا الى القاضي الحق الذي لا ينظر الى الزي واللباس
بل الى سر القلب وصفائه **الطائفة الرابعة** الاغنياء وارباب الاموال والمغرورون منهم اكثر من المغرورين من ساير الطوائف
في الاغنياء
فمنهم من يحرص على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وساير ما يظهر للناس بالاموال المحرمة وربما غصب ارض
المساجد والمدارس وربما صرفها موقوفات اخذها من غير حله والباعث له على ذلك سوى الرياء والتشهي والشهرة
ولذا يسعى في كتابة اسمه على احجاره ليتخلد ذكره ويبقى بعد الموت اثره ويظن المسكين انه قد استحق المغفرة بذلك وانه
تخلص فيه ولم يدر انه تعرض لسخط الله في كسب هذه الاموال وفي انفاقها فكان الواجب عليه الامتناع عن اخذها فاذا اخذها واذا
عصى الله واخذها كان الواجب عليه التوبة وردها الى اهلها فان لم يبق من اخذها منه ولا وارثه كان الواجب ان يتصدق

بها على المساكين

بها على المساكين مع انه ربما كان في بلده او في جواره مسكين في غاية الفقر والمسكنة والعطية درهما ومنهم من ينفق الاموال
في الصدقات الا انه يطلب الفقراء الذين عادتهم الشكر والافشاء للمعروف ويكره التصدق في السر بل يطلب المحافل الجامعة ويتصدق
فيها وربما يكره التصدق على فقراء بلده ويرغب ان يعطي اهل البلاد الاخر مع اكثرية استحقاق فقراء بلده طلبا لاشتهاره
بالبذل والعطاء في البلاد الخارجة البعيدة وربما يصرف كثيرا منه الى رجل معروف في البلاد وان لم يكن مستحقا ليشتهر في تلك
البلاد ولا يعطي له قليلا منه الى فقير له غاية الاستحقاق واذا كان خامل الذكر يفعل هذا ويظن انه يجلب بذلك الاجر والثواب
ولم يدر المغرور ان هذا القصد احبط عمله واضاع ثوابه ومنهم من يجمع مالا من غير حله ولا يبالي باخذ المال من اي طريق
كان ثم يمسكه غاية الامساك الا انه لا يبالي بصرف بعضه في طريق الحج اما لنفسه فقط او لاولاده وازواجه ايضا لاشتهاره
افلا وصل اليه ان تارك الحج يبتلي بالفقر ومنهم من غلب عليه البخل فلا تسمح نفسه بانفاق شيء من ماله فيشتغل بالعبادة البدنية
من الصوم والصلوة ظنا منه ان ذلك يكفي لنجاته ولم يدر ان البخل صفة مهلكة لا بد من ازالتها وعلاجه بذل المال دون العبادات
البدنية ومثله مثل من دخل في ثوبه حية وقد اشرف على الهلاك وهو مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن الصفراء وهو غافل
بانه يقتله الحية الان ومن قتلته الحية فاي حاجة له الى السكنجبين وصل قد عرفت ان الغرور مركب من الجهل وحب
مقتضيات الشهوة والغضب فضده الفطانة والعلم والزهد فمن كان فطنا كيسا عارفا بربه وبنفسه وبالاخرة والدنيا
عالما بكيفية سلوك الطريق الى الله وبما يقربه اليه وما يبعده عنه عالما بآفات الطريق وعقباته وغوائله لاجتنب عن الغرور
ولم يغره الشيطان في شيء من الامور اذ من عرف نفسه بالذل والعبودية وبكونه غريبا في هذا العالم اجنبيا من هذه
الشهوات البهيمية عرف كون هذه الشهوات مضرة له وان الموافق له طبعا هو معرفة الله والنظر الى وجهه فلا يسكن
نفسه الى شهوات الدنيا ومن عرف ربه وعرف الدنيا والاخرة ولذاتها وعلم النسبة بينهما ثار من قلبه حب الله و
الرغبة الى دار الاخرة والانزجار عنها ولذاتها واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل
مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الاخرة اندفع عنه كل غرور منشاؤه تجاذب
الاغراض والنزوع الى الدنيا والى الجاه والمال وما دامت الدنيا احب اليه من الاخرة وهوى نفسه احب اليه من رضا
الله لم يمكنه الخلاص من الغرور فالاصل في علاج الغرور ان يفرغ القلب من حب الدنيا ويغلب عليه حب الله تعالى حتى يتقوى
به الارادة ويصح به النية فيندفع عنه الغرور قال الصادق ع واعلم انك لن تخرج من ظلمات الغرور والتمني الا بصدق الانابة
الى الله والاخبات له ومعرفة عيوب احوالك من حيث لا يوافق العقل والعلم ولا تحتمله الدين والشريعة وسنن القدوة
وائمة الهدى وان كنت راضيا بما انت فيه فما احد اشقى بعملك منك واضيع عمرا فاورثت حسرة يوم القيمة ومنها طول
الامل وهو ان يقدر ويعتقد بقاءه الى مدة متمادية مع رغبته في جميع توابع البقاء من المال والاهل والدار وغير ذلك
وهو من رذايل قوتي العاقلة والشهوة اذ الاعتقاد المذكور راجع الى الجهل المتعلق بالعاقلة وحب جميع توابع البقاء
وميله اليه من شعب حب الدنيا وجهله راجع الى تعويله اما على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب ولا يتفكر المسكين
في ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر عشير اهل البلد وانما قلوا لان الموت في الشبان اكثر والى ان يموت
شيخ يموت الف صبي وشاب او على صحته وقوته ويستبعد مجيء الموت فجاءة ولا يتامل في ان ذلك غير بعيد ولو سلم
بعده فالمرض فجاءة غير بعيد اذ كل مرض انما يقع فجاءة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم

ان الموت للبدن وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن شتاء وخريف وصيف وربيع وليل ونهار وحضر واسفار لكان دائما مستشعرا
له غير غافل عنه وعظم اشتغاله بالاستعداد له لكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا بعثاه على الغفلة وطول الامل فهو ابدا يظن
ان الموت بين يديه ولا يقدر نزوله ووقوعه فيه ويشيع الجنائز ولا يقدر ان يشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه بكثرة
مشاهدة موت غيره فاما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه لانه لم يقع واذا وقع لا يقع دفعة اخرى بعد هذه فهو الاول وهو الاخر
والحاجة لتوابع البقاء من المال والدار والمراكب والضياع والعقار فراجع الى الانس بها والالتذاذ بها فمدة مديدة يستثقل
على قلبه فيمتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها اذ كل من كره شيئا دفعه عن نفسه والانسان لما كان مشغوفا
بالاماني الباطلة وبالدنيا وشهواتها ولذاتها وعلائقها يمني نفسه ابدا ما يوافق مراده ومراده البقاء في الدنيا فلا يزال
يتوهم ويقرره في نفسه ويقدر توابع البقاء من اسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر
الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحيان امر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه الى ان يكبر فيتوب
واذا كبر اخر التوبة الى ان يصير شيخا ولما صار شيخا يؤخرها الى ان يفرغ من عمارة هذه الضيعة او يرجع من سفر كذا
او يفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له ولا يزال يسوف ويؤخر الى ان يختطفه الموت في وقت لا يحتسبه
فيعظم عند ذلك بليته ويطول حسرته وقد ورد ان اكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من التسويف والمسوف
المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا اذ الخائض في
الدنيا لا يتصور له الفراغ منها وانما يفرغ منها من اطرحها **فصل** لما عرفت ان طول الامل منشاؤه الجهل وحب الدنيا فينبغي
ان يدفع الجهل بالفكر الصافي من شوائب الوهم وبسماع الوعظ من النفوس الطاهرة فان من تفكر يعلم ان الموت من اقرب اليه
من كل شيء وانه لا بد ان تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطي به لحده قد ضرب وفرغ منه ولعل اكفانه قد
خرجت من عند القصار وهو لا يدري واما حب الدنيا فينبغي ان يدفع من القلب بالتامل في حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة
وما ورد في الاخبار من الذم والعقاب في حب الدنيا والرغبة اليها ومن المدح والثواب على تركها والزهد عنها وقد تقدم
ما يكفي لهذا البيان وينبغي ايضا ان يتذكر ما ورد في ذم طول الامل كقوله ص ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى
وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه حب الدنيا ثم قال ان الله يعطي الدنيا من يحب ويبغض
واذا احب الله عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا
ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد اتت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم يوشك ان تكونوا في يوم حساب
ليس فيه عمل وقوله ص نجى اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخر هذه الامة بالبخل والامل وقول امير المؤمنين ع
ما اطال عبد الامل الا اساء العمل وصل من طول الامل فقره وهو من اشغال المؤمنين ودثار الموقنين وللداود ع
الامر والنهي عن ضده ما ورد قال رسول الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من دنياك لاخرتك ومن حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك لا تدري ما اسمك غدا وقال ص لما
سمع ان اسامة اشترى وليدة بمائة دينار الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي الا ظننت ان
شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة
الا ظننت اني لا اسيغها حتى اغص بها الموت يا بني ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده

انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين وروي انه ص قد اطلع ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس اما تستحيون من الله
قالوا وما ذاك يا رسول الله فقال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ص اكلكم
يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل واجعلوا اجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله حق
الحياء وكان ص يقول في دعائه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حيوة تمنع خير الممات واعوذ
بك من امل يمنع خير العمل وكان ص يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه وقال عيسى ع لا تهتموا برزق
غد فان يكن غدا من اجالكم فستاتي ارزاقكم مع اجالكم فلا تهتموا الا دفاق غيركم **فصل** الناس في طول الامل وقصره مختلفون
فمنهم من يامل البقاء ويشتهيه ابدا كما قال سبحانه يود احدهم لو يعمر الف سنة وهو الذي انغمر في الدنيا وحاضرة لذاتها و
ليس له من الاخرة نصيب ومنهم من يامل البقاء الى اقصى مدة العمر الذي يتصور لاهل عصره وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا ويشتغل
بجمع ما يكفيه في هذه المدة وربما يجتهد في جمع الازيد منه ومنهم من يامل اقل من ذلك الى ان ينتهي من الامل الى ازيد
من سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها ولا يقدر لنفسه وجودا في عام قابل فان بلغه حمد الله على ذلك وتهيأ ليستعد في الصيف
للشتاء وفي الشتاء للصيف واذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة ومنهم من يامل اقل من السنة الى ان ينتهي الى من لا يامل ازيد
من يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره دون غده ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به وهو ينتظره وسيله مثل يصلي
دائما صلوة المودعين وروي ان النبي ص سال بعض الصحابة عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها
اخرى وكان بعضهم اذا يصلي لئلا يلتفت يمينا وشمالا ولما قيل له ما هذا الالتفات قال انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني
ثم اكثر الخلق سيما في امثال زماننا قد غلب عليهم طول الامل بحيث لا يامل اقل من اقصى مدة السن وقل فيهم من قصر امله والعجب انه كلما زاد
السن يزداد طول الامل حتى وجدنا اكثر المشايخ والمعمرين حرصهم وطول املهم اكثر من الشبان ومن هنا قال رسول الله ص يشيب
ابن ادم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل وقصره بالاعمال قال ص حب الشيخ شاب في طلب الدنيا وان التفت ترقوتاه
من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ثم يعرف طول الامل وقصره بالاعمال فمن اعتنى بجميع اسباب لا يحتاج اليها في سنة فهو طويل
الامل وكذا من انتشرت اموره بان يكون له مع الناس معاملات ومحاسبات الى مدة متمادية كالسنة وازيد منها وكان عليه ديون
من الناس كذلك ومع ذلك لم يكن مضطربا ولا خائفا فهو طويل الامل فعلامة قصر الامل ان يجمل لجميع امره بحيث لا يكون
عليه من الناس شيء ولا يسعى بطلب حق الناس الحق من اربعين يوما ويصرف اوقاته في الطاعة والعبادة ويرى نفسه
مجتهدا في تحصيل الزاد **فصل** ذكر الموت يقصر الامل ويدفع طوله ويوجب التجافي عن دار الغرور والاستعداد لدار الخلود
ولذا ورد في فضيلته والترغيب فيه اخبار كثيرة قال رسول الله ص اكثروا ذكر هادم اللذات قيل وما هو يا رسول الله
قال الموت فما ذكره عبد على الحقيقة في سعة الا ضاقت عليه الدنيا ولا في شدة الا اتسعت عليه وقال الموت تحفة المؤمن و
قال ص الموت كفارة لكل مسلم وقيل له ص هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين
مرة وقال ص اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا وقال ص كفى بالموت واعظا وقال ص الموت الموت الا ولا
بد من الموت جاء الموت بما فيه جاء بالروح والراحة والكرة المباركة الى جنة عالية لاهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم
وفيها رغبتهم وقال ص اذا استحقت ولاية الله والسعادة جاء الاجل بين العينين وذهب الامل وراء واذا استحقت
ولاية الشيطان والشقاوة جاء الامل بين العينين وذهب الاجل وراء الظهر وذكر عنده ص رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال ص كيف